شؤون فلسطينية

٣٣

ايار (مايو) ١٩٧٤

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٣٣ — ايار (مايو) ١٩٧٤

شهرية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين.

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٣١/٢ ل.ل. في لبنان ، ٤١/٢ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٤١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٤٠ ل.ل. في لبنان ، ٥٠ ل.س. في سوريا ، ٥٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ٩٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف : لوحة « اليد الخضراء »
بريشة الفنان الفلسطيني اسماعيل شموط

المحتويات

صفحة ٤ شؤون فلسطينية .

٥ من دروس حرب تشرين : **الاسرائيليون يعيدون النظر** ، صبري جريس .

١٥ **أبو يوسف : حياته ، مسؤولياته ومعتقداته السياسية** ، بيـــان نويهض الحوت .

٢٤ **الشعب الفلسطيني والحقوق القومية المشروعة** ، ناجي علوش .

٣٩ **المقاومة الفلسطينية ومهامها الوطنية الكفاحية الراهنة** ، سعيد جواد .

٦٥ **الشرق الاوسط في خطط نيكسون وكيسنجر** ، الدكتـــور نصير عاروري والدكتور احمد طربين .

٧١ **أبو عجيلة في ثلاث معارك** ، محمود عزمي .

١٠٢ **مرحلة الانتقال في الادب الاسرائيلي المعاصر** ، الدكتور رشاد الشامي .

١١٧ **مشاكل البحث الميداني في القضية الفلسطينية** ، فارس المنصور .

١٢٢ **سقوط صفد** ، محمد هشام العظم .

١٣٣ **مراجعات** : الدور السياسي للجيش الاردني ١٩٢١ — ١٩٧٣ ، غـــازي الخليلي . دفتر الثقافة العربية الحديثة ، الياس خوري . المآسي المعاصرة والمصير العربي ، ماجد نعمه .

١٤٩ **مناقشات** : الفطرسة الاسرائيلية : جذورها وابعادها ، خالد القشطيني . تعقيب من مؤلف ، معين أحمد محمود .

١٥٦ **تقارير** : (١) قضية احمد بوشيكي ، آني كنفاني . (٢) منـــير الريس ، المناضل الذي خسرناه ، حسين ابو النمل . (٣) كيسنجر والولايات المتحدة والنزاع العربي الاسرائيلي ، الدكتور عودة ابو ردينة . (٤) بومبيـــدو « العربي » ، داود تلحمي . (٥) يهود كندا ، دراسة سكانية ، الدكتور مطاع غميان . (٦) الانتخابات البريطانية واسرائيل ، خ.ق.

١٨١ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخنيني . مع ملحق « عملية كريات شمونة » ، الرائد الطيار حسين عويضه . (٢) القضية الفلسطينية دوليا ، صادق جلال العظم . (٣) المناطق المحتلة ، عيسى الشعيبي . (٤) اسرائيليات ، عماد شقور وهاني عبدالله . (٥) القضية الفلسطينية عسكريا ، المقدم الهيثم الايوبي . مع ملحق «أبعاد استقالة يسرائيل تال» ، هشام عبدالله . جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٣/١٦ — ٤/١٥/ ١٩٧٤ ، غازي خورشيد .

شؤون فلسطينية

الحوار الفلسطيني مستمر ...

ولعل استمرار هذا الحوار حول القضايا المتعلقة بالمصير الفلسطيني هو أحد المظاهر الساطعة لقدرة الفكر الثوري على مواجهة التحديات .

هل نحن على مفترق طرق ؟

هل نحن أمام مرحلة خطيرة ؟

هل نحن أمام حل أم تسوية أم تصفية ؟

أسئلة كثيرة كثيرة تطرح في ميدان العمل والفكر الفلسطيني ، ليس من السهل الاجابة عليها بيقين . ان تنوع الاجتهادات ينطلق من حرص اطراف الحوار على الثورة واستمرارها وعلى الوحدة الوطنية الفلسطينية ، ومكانة العمل الفلسطيني في حركة التحرر العربية .

وان تنوع الاجتهادات لا يعكس ازمة في الحياة السياسية الفلسطينية ، ولكنه دليل يقظة والتزام بالثورة ومبادئها .

وان تنوع الاجتهادات في ساحة الحوار لا يجب ان يقود احدا الى الشك في التزام هذا الفريق او ذاك . ان نختلف في الرأي ليس معناه اننا نختلف حول جوهر الثورة وحول حقنا التاريخي في فلسطين .

وان تنوع الاجتهادات اثراء للفكر ومساهمة في اتخاذ القرار الفلسطيني المسؤول والملتزم .

ويؤسفنا ان نسجل ، هنا ، ان الانصراف عن جدية المناقشة والحوار الى التصنيف والشك هو دليل بؤس فكري وليس خدمة لقضية فلسطين والثورة .

ليس الفلسطينيون الثوريون فريقين : فريق يسمى « ضد » ، وفريق يسمى « مع ». ان هذا التصنيف بمثابة تضييق الخناق على العقل وعلى الاجتهاد . مع ماذا ؟ وضد ماذا ؟

ان كل فرد في حركة المقاومة الفلسطينية « مع » الثورة واهدافها . وكل فرد في حركة المقاومة « ضد » تصفية الثورة والقضية .

من هنا نبدأ .

وكل تصنيف مستمد من تفاصيل المناقشة وتصورات الحل هو عبارة عن ارهاب فكري وكسل .

وان « شؤون فلسطينية » الملتزمة بالثورة ، حريصة على ان تكون منبرا لكل الاجتهادات الفكرية التي يتوصل اليها العقل الفلسطيني . انها تقدم صفحاتها للفكر المسؤول ، ولاطلاع جماهيرنا الفلسطينية العربية على كل الوان الاجتهادات المتفقة كلها على القضايا المبدئية ، والمتنوعة في النظر الى المرحلة والمستقبل . وهي ترفض ان تحشر في خانات التصنيف الضيقة .

انها منبر الفكر الفلسطيني الملتزم بالثورة واهدافها .

من دروس حرب تشرين :
الاسرائيليون يعيدون النظر

صبري جريس

تسود اسرائيل ، منذ انتهاء حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، حرب « يوم الغفران » ، موجة من الانتقادات المختلفة الموجهة لكافة نواحي الحياة هناك . وهذه الانتقادات التي تزداد حدة من يوم لآخر ، والتي يبدو انها لم تصل الى قمتها بعد لا تترك ناحية الا وتتعرض لها ، ابتداء بأسس النظام الاسرائيلي ، مرورا بالنظرية الصهيونية والمفاهيم الامنية والقيم الاجتماعية وانتهاء بأسلوب التفكير وطرق المعيشة . ويلاحظ ايضا ، من ناحية ثانية ، ان دائرة المنتقدين آخذة في الاتساع لتشمل داخلها فئات عديدة، من مختلف طبقات الشعب وتمتد حتى الى داخل المؤسسة الحاكمة. ان موجة الانتقادات هذه ، التي فجرتها هزيمة اسرائيل في حرب تشرين تركز بكثافة على السلبيات التي تسود النظام الاسرائيلي ، من وجهة نظر المنتقدين بالطبع ، وتتجه الى طرح الحلول لها ولكنها لا تخلو — في نفس الوقت — من اتجاهات لاعادة النظر في المشاكل التي تواجهها اسرائيل وتقديم الاقتراحات لحلها . ولئن كان من قبيل التسرع استخلاص مواقف نهائية مما قيل حتى الان ، وحملة الانتقادات لا تزال على اشدها ، فان هذا لا يمنعنا من محاولة الوقوف على تلك الاتجاهات التي استحدثت حتى الان ، من خلال تتبعنا للاراء التي يطرحها الاسرائيليون والحلول التي يقترحونها لمواجهة المشاكل التي تجابههم ، في محاولة للاطلاع على المواقف الجديدة والعبر التي استخلصها الاسرائيليون حتى الان نتيجة لحرب تشرين .

« التقصير »

من الواضح ان السبب الرئيسي للتطورات التي نشهدها حاليا ، وحالة الغليان التي تسدد المجتمع الاسرائيلي وبروز العديد من حركات الاحتجاج الداعية الى اعادة النظر في العديد من نواحي الحياة في اسرائيل ، وخاصة أسس النظام الاسرائيلي السياسية ، هو ما اصطلح على تسميته في اسرائيل بـ « تقصير » (« محدال ») السلطات هناك ، او اخفاقها ، في ادارة حرب تشرين ، الذي أسفر عن خسائر فادحة لحقت بأسرائيل من جراء تلك الحرب ، تمثلت في آلاف القتلى والجرحى وتدهور الاوضاع الاقتصادية من جهة وضعضعة موقف اسرائيل السياسي ، مع ما سيترتب على ذلك من نتائج على المدى الطويل ، من جهة اخرى . وعلى الرغم مما قيل وسيقال حول هذا الموضوع ، داخل اسرائيل وخارجها ، فمن الواضح الان ، استنادا الى مصادر اسرائيلية موثوقة ، ان ذلك « التقصير » كان عبارة عن سلسلة من الاخطاء وقعت بها القيادة الاسرائيلية على الصعيدين السياسي والعسكري ، كانت نتيجتها ان حرب تشرين فاجأت الاسرائيليين وهم غير مستعدين لخوضها . أما الخطأ المباشر الذي أدى الى « التقصير » فكان اخفاق المخابرات العسكرية الاسرائيلية في الوصول الى تقويم صحيح للتحركات العسكرية

على الجبهتين المصرية والسورية ، خلال الايام العشرة التي سبقت وقوع الحرب ، واعتبار تلك التحركات مناورات عسكرية عادية لا تنم عن استعداد لخوض حرب(١)، وبالتالي تقديم هذا التفسير للحكومة الاسرائيلية ، التي اخذت به من جهتها وركنت الى الهدوء لدرجة وجدت من المناسب معها عدم مناقشة الموضوع في جلساتها التي عقدت خلال الاسبوع الذي سبق الحرب(٢) او حتى عرضه على لجنة الخارجيـــة والامن في الكنيست (البرلمان) الاسرائيلي(٣). وقد ترتب على هذا الوضع عدم تنبيه الجيش او اصدار الاوامر له للاستعداد للقتال ثم الامتناع عن دعوة قوات الاحتياط للخدمة ، وهي القوات التي لا بد لاسرائيل من الاعتماد عليها اذا ارادت خوض معركة شاملة او شبه شاملة مع العرب ، والقيام بذلك في آخر لحظة ، صبيحة يوم اندلاع الحرب بالذات(٤)، بحيث اضطرت القوات الاسرائيلية الى مواجهة القوات العربية المهاجمة بقوات عسكرية قليلة نسبيا ، عدة وعددا ، مما الحق بتلك القوات اضرارا كبيرة . كـــذلك اتضح ان « التقصير » شمل ايضا عدم استعداد الجيش الاسرائيلي للقتال لفترة طويلة ، اذ ظهر ان الذخيرة التي كان يختزنها لم تكن كافية للاستمرار في القتال مدة اسبوعين ، وكادت تنفد والمعارك لا تزال على أشدها ، لولا ان سارعت امريكا إلى انقاذ الموقف وتزويد اسرائيل بالذخائر والاعتدة بواسطة جسر جوي ، خلال أيام القتال .

تضعضع هيبة العسكر

كانت النتيجة الاولى والمباشرة لحرب تشرين تضعضع هيبة العسكر الاسرائيلي بشكل لا عهد للعسكرية الاسرائيلية به . والواضح ان الهزيمة التي لحقت بالجيش الاسرائيلي وان كانت محدودة ، ذلك الجيش الذي أحيط بهالة من العظمة خلال ما يقارب من ربع قرن من الزمن كانت السبب في ذلك ، بالاضافة الى ان توجيه ضربات مؤلمة الى جيش دولة تعتبر سياسة القوة احدى اركان كيانها لا بد ان يكون له تأثيره . غير انه مما يلفت النظر ان الجنرالات الاسرائيليين انفسهم هم الذين ساهموا في الانتقاص من كرامتهم ، أكثر من أية جهة أخرى ، عندما بادروا الى نشر غسيلهم على الملأ في أول فرصة سنحت لهم . فمع ايقاف اطلاق النار ، راح اولئك الجنرالات يوجهون التهم لبعضهم البعض ، وكل منهم يحمل الاخر مسؤولية الفشل في الحرب بصورة علنية ، وكان اول المنتقدين العميد اريئيل شارون ، قائد عملية العبور الاسرائيلية غربي قناة السويس الذي حمل رئيس الاركان ، اللواء داڤيد العازار والعميد شموئيل غونين ، قائد المنطقة الجنوبية ، مسؤولية الفشل في الحرب مطالبا باستقالتهما ، منتقدا في نفس الوقت أساليب التفكير والتخطيط العسكري منذ تولى حاييم بارليف رئاسة اركان الجيش الاسرائيلي ، بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وقد اثارت هذه الاتهامات استياء بارليف الذي انبرى للرد عليها ، وللدفاع عن زميليه العازار وغونين ، معلنا — وهو يشير ضمنا الى شارون — ان الجيش الاسرائيلي يستطيع الاستغناء عن خدمات ضباط الاحتياط السياسيين(٥)، مما دفع شارون الى الاعلان ان ضباط الجيش الاسرائيلي المؤهلين لخوض المعـــارك يعدون على اصابع اليد الواحدة(٦). وهذا القول وان كان لا يخلو من غرور يلازم شارون منذ قيادته للوحدة ١٠١ الاسرائيلية، سيئة الصيت ، في اوائل الخمسينات لا يخلو ايضا، كما يبدو ، من الصحة اذ ان الجيش الاسرائيلي اضطر ، كما نعلم ، الى ارجاع عدد من كبار ضباط الاحتياط ، أمثال بارليف وشارون وغافيش وهود وغيرهم ، الى الخدمـــة الفعلية للاستعانة بهم اثناء القتال . ولم تتوقف الاتهامات المتبادلة عند هذا الحد ، اذ ان شارون وسعها ليكشف النقاب عن خلافات بينه وبين العميد يسرائيل طال ، نائب رئيس الاركان الاسرائيلي الذي استقال مؤخرا من منصبه ، من جهة وبين بارليف وباقي كبار الضباط في الجيش الاسرائيلي من جهة اخرى حول انسب الطرق للدفاع عن سيناء ،

موضحا ان عدم قبول رأيه بشأن اتباع طرق الدفاع المتحرك ، ثم بناء خط بارليف الذي لم يستطع صد الهجوم المصري ، كلف اسرائيل خسائر في الارواح كانت في غنى عنها بالاضافة الى ملايين الليرات التي صرفت لاقامة التحصينات هناك(٧) . كذلك كان من بين الانتقادات التي وجهت للجيش الاسرائيلي ان تعيينات قادته اصبحت تتأثر باعتبارات سياسية ، دون الاعتماد على الكفاءة فقط ، وهي الانتقادات التي صادق عليها يتسحاق رابين ، أحد رؤساء الاركان السابقين بقوله ان هناك علاقة بين تعيين كبار الضباط في الجيش وبين آرائهم السياسية(٨) ، اي انه لا أمل للضابط غير المقرب من التجمع العمالي الحاكم بالوصول الى المناصب الحساسة او العليا في الجيش .

ولئن كانت الانتقادات التي اوردناها تعبر في نهاية الامر عن آراء قائليها وتكشف عن بعض النواحي السلبية التي يعاني منها الجيش الاسرائيلي ، فقد جاء التقرير الاولي الذي أصدرته لجنة اغرانات ، المكلفة بالتحقيق في اسباب التقصير في الحرب ، ليكشف عن اخطاء فادحة ارتكبتها قيادة الجيش الاسرائيلي خلال حرب تشرين ، وليساهم — ضمنا — في المس بكفاءات تلك القيادات بشكل خطير . ويتضح من المعلومات الواردة في التقرير ان سبب التقصير في الحرب ، على الجبهة المصرية على الاقل ، كان الاهمال في تحذير الجيش والتقليل من أهمية التحركات المصرية لدرجة ان القوات الاسرائيلية لم توزع بالشكل الملائم على الجبهة رغم وجود خطة عسكرية اسرائيلية معدة لمواجهة احتمال هجوم شامل على امتداد القناة(٩) . أما بالنسبة للمخابرات العسكرية الاسرائيلية فقد أدانها التقرير بأخطر ما يمكن ان يدان به جهاز مخابرات ، اذ اتضح ان سبب اخفاقها لم يكن في عدم الحصول على المعلومات وانما في عجزها عن تقويم تلك المعلومات واستنتاج النتائج الصحيحة منها(١٠) ، وبالتالي تقديم مشورة غير واقعية للقيادة الاسرائيلية . ولقد كانت تلك الاخطاء هي الاسباب التي دفعت لجنة التحقيق الى التوصية بابعاد رئيس الاركان ، العازار ، وقائد المنطقة الجنوبية ، غونين ورئيس المخابرات العسكرية ، العميد الياهو زعيرا وبعض كبار معاونيه عن مناصبهم في الجيش .

نقد ... ونقد ذاتي

ان الرأي العام الاسرائيلي ، على أية حال ، لم يكن بحاجة الى البينات التي تقدم بها تقرير لجنة التحقيق ، والذي جاء بمثابة تأييد للشكوك التي ثارت لديه منذ ان اتضح له ، في مرحلة مبكرة وحتى قبل أن ينتهي القتال ، ان الحرب سارت على عكس الطريقة التي توقعها الاسرائيليون . ومع انكشاف مدى الخسائر التي لحقت باسرائيل ، تدريجيا ، ونشوء تلك الظروف السياسية الجديدة بعد الحرب ، التي اتضح معها ان السياسة الاسرائيلية تجاه العالم العربي عامة والمناطق المحتلة خاصة لا يمكن ان تبقى على ما كانت عليه ، راحت حملات الانتقاد الموجهة ضد تلك السياسة والمرفقة بالدعوة لاعادة النظر فيها وفي العديد من نواحي الحياة واساليب العمل وأسس النظام السياسي في اسرائيل تزداد من يوم لاخر . لقد تركزت حملات الانتقاد في البداية ضد موشي دايان وسياسته ، ومن ورائه ضمنا غولده مئير ، باعتباره الشخص الذي أثر على مسيرة السياسة الاسرائيلية ورسم خطوطها العريضة ، واحيانا تفاصيلها ، أكثر من أي جهة اسرائيلية اخرى ، وذلك منذ حرب ١٩٦٧ وحتى اليوم . أما خلاصة تلك الانتقادات فهي ان دايان هو المسؤول مباشرة ، وقبل أي شخص آخر ، عن الفشل الذي منيت به اسرائيل على الصعيدين ، السياسي والعسكري . فهو الذي كان وراء تصلب المواقف الاسرائيلية واتباع سياسة الامر الواقع ، متجها لضم المناطق المحتلة الى اسرائيل فعمل على عرقلة أي اتجاه لايجاد تسوية مع العرب ونشر بين الاسرائيليين شعور الاستخفاف بهم وبقدرتهم على مقارعة اسرائيل ، مما بث في نفوس زعماء اسرائيل وشعبها شعور

بالطمأنينة لم يكن في محله مكنهم من اعفاء أنفسهم حتى من محاولة التفتيش عن طريق لحل مشاكل المنطقة ، وذلك في نفس الوقت الذي لم يتخذ فيه الاحتياطات الكافية لمجابهة أية تطورات مفاجئة، اذا اتضح ان افتراضاته كانت غير صحيحة(١١). ومن هنا تشعبت الانتقادات وتعمقت ، فنرى مثلا ان حاييم هرتسوغ ، المعلق العسكري الاسرائيلي والرئيس السابق للمخابرات العسكرية الاسرائيلية ، ينتقد تسييس الجيش والسماح لكبار الضباط بالانتقال بسهولة من الجيش الى الحياة السياسية ، مما أدى الى تفشي روح عدم الانضباط بينهم(١٢). وفي مناسبة اخرى عاد هرتسوغ وحذر من كون المخابرات العسكرية هي التي تقرر لوحدها بالنسبة للمشاكل الامنية التي تجابهها اسرائيل ، لدرجة ان ممثلين عنها يشتركون في معظم جلسات الحكومة الاسرائيلية ، مما يمكنها بالتالي من التأثير بصورة مباشرة على اتخاذ القرارات السياسية(١٣)، مطالبا بأن تهتم أكثر من جهة اسرائيلية بمثل تلك القضايا لتجنب الوقوع في الخطأ ، قدر الامكان . أما يحزكئيل درور ، استاذ ادارة عامة في الجامعة العبرية ، فيوجه نقده الى السياسيين واسلوب الحياة السياسية في اسرائيل ، وخاصة مركز وطريقة عمل لجنة الخارجية والامن في الكنيست ، معلنا أن التخطيط منعدم في اسرائيل ومطالبا باقامة مؤسسات خاصة لذلك(١٤)، ثم زاد على ذلك مطالبته باقامة مجلس أمن قومي يعالج المشاكل الامنية والسياسية التي تواجه اسرائيل(١٥). أما موشيه بن ــ زئيف ، المستشار القضائي للحكومة الاسرائيلية سابقا فيتفق مع درور من ان لجنة الخارجية والامن هي التي تتحمل المسؤولية الرئيسية لما حدث خلال الحرب وقبلها ويطالب بتنشيطها لكي تستطيع القيام بمهامها(١٦). كذلك يتفق دان طولكونسكي ، القائد السابق لسلاح الجو الاسرائيلي ، مع درور على ان التخطيط يكاد يكون منعدما في اسرائيل ، معلنا انه ينقص الدولة وقادتها اتباع أساليب التفكير والعمل الحديثة(١٧)، بينما يرحب متياهو بيليد باقامة قسم التخطيط في الجيش الاسرائيلي ، الذي أنشيء بعد الحرب ، معلنا ان الجيش كان بحاجة الى اتخاذ مثل هذه الخطوة منذ فترة بعيدة(١٨). وفي مناسبة اخرى عاد بيليد وذكر ان ادارة شؤون الامن التي كانت أيام بن غوريون متعلقة به لوحده ، تغيرت أيام اشكول وأصبحت أكثر ديمقراطية ، ولكنها عادت متعلقة بدايان شخصيا منذ توليه منصب وزير الدفاع ، بحيث أصبح هو حلقة الوصل الوحيدة بين الحكومة والجيش(١٩)، مع كل ما يترتب على هذا الوضع من أخطار .

ويستمر الاسرائيليون في توجيه الانتقادات للمؤسسة العسكرية الاسرائيلية ولانفسهم ، فيعلن العقيد (احتياط) مئير باعيل ، الذي انتخب فيما بعد عضوا في الكنيست ، ان الجيش الاسرائيلي بأسره بحاجة الى عملية ترميم شاملة ، تشمل تنظيمه ونظريته العسكرية ومفاهيمه السياسية(٢٠)، بينما يرى يرمياهو يوفال ، استاذ فلسفة في الجامعة العبرية ، ان سياسة الاوهام التي اتبعها الثلاثي دايان ــ مئير ــ غليلي واستخفافهم بالعرب هي سبب الازمات التي تتعرض لها اسرائيل ، مؤكدا ان الاحداث تظهر ان المصريين تعلموا من الاخطاء التي وقعوا فيها في الماضي بينما تصرف الاسرائيليون على عكس ذلك(٢١)، في حين يعتقد زميله أمنون روبنشتاين ، عميد كلية الحقوق في جامعة تل ابيب ، ان سياسة الضم التدريجي للمناطق المحتلة ، التي اتبعها دايان وفرضها على الحكومة الاسرائيلية هي السبب المباشر للهزيمة التي لحقت باسرائيل لانها ركزت على الصراع مع الفلسطينيين ، حسب المقاييس الضيقة التي اتبعت خلال حوادث ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ وصرفت انظار الاسرائيليين عن تتبع نشاط التحالف العربي ــ السوفييتي الذي نشط في العمل ضد مصالح اسرائيل منذ ١٩٦٧(٢٢). كذلك يؤكد روبنشتاين ان دايان هو المسؤول عن أكبر « تقصير » عرفته اسرائيل في تاريخها ، فهو الذي سيس الجيش وأضعف من قدرته القتالية وخدر الاسرائيليين باقناعهم ان السياسة التي اتبعها مضمونة

النتائج ، وعليه ان يتحمل مسؤولية فشله(٢٣). اما مئير عميت ، الرئيس السابق « للموساد » ، المؤسسة المركزية للمخابرات والامن ، فيرى ان الاسرائيليين بأسرهم قد أخطأوا لاستخفافهم بالعرب وبقدرتهم على مجابهة اسرائيل ، داعيا الى تبديل القيادات الاسرائيلية ، الرسمية والحزبية ، بأسرع وقت ممكن باعتبارها المسؤولة عن تخدير الشعب وعن الهزائم التي لحقت باسرائيل(٢٤). غير ان اكثر ما يلفت النظر في حملة النقد والنقد الذاتي هذه هو موقف العميد عيزر وايزمان ، القائد السابق لسلاح الجو الاسرائيلي ورئيس قسم العمليات خلال حرب ١٩٦٧ . ووايزمان هذا ، الذي يعتبر الشخصية الرئيسية التي ساهمت في اقامة سلاح الجو الاسرائيلي باعتباره يد اسرائيل الطويلة في تعاملها مع الدول العربية ، كان من أكثر الجنرالات الاسرائيليين غرورا واشدهم استخفافا بقدرة العرب والانسان العربي على مجابهة « السوبرمان » الاسرائيلي ، خاصة اذا كان من طياري وايزمان . وهو — على حد علمنا — كان اول من ارسى « تقاليد » اطلاق التصريحات المستخفة بالعرب والتي تنم عن احتقار شديد لهم ، تلك « التقاليد » التي درج عليها العديد من الزعماء الاسرائيليين فيما بعد ، خاصة منذ حرب ١٩٦٧ . ويبدو ان نتائج حرب تشرين قد فعلت فعلها لدى وايزمان ، ففي مقابلة صحفية أجريت معه بعد حوالي الاسبوعين من انتهاء الحرب أعلن ان سبب الهزيمة الاسرائيلية هو أننا لم نفكر ولم نحلل قبل الحرب بما فيه الكفاية ، معترفا انه هو ايضا ساهم في سياسة عدم الاكتراث التي سادت في اسرائيل بواسطة التصريحات التي كان يطلقها من حين لاخر ومؤكدا انه ، على ضوء ما حدث ، لا بد للقوتين السياسيتين الرئيسيتين في اسرائيل ، التجمع العمالي والتكتل اليميني ، من اعادة النظر في كافة مواقفهم السياسية(٢٥). وفي تعليق لاحق له على اتفاقية فصل القوات مع مصر ، اعلن وايزمان انه ، خلافا لموقفه في الماضي ، يؤيد مثل هذه الاتفاقية « لان جيش اسرائيل لم يخض حرب تشرين (اكتوبر) كما توقعنا منه ان يخوضها » مما ادى الى « تقويض معنوية الجمهور وحدوث انخفاض هام في ثقته بالجيش وقيادته العليا » مؤكدا ان الاسرائيليين بحاجة الى رفع معنوياتهم والى « قيادة عسكرية بعيدة النظر ، ايمان قوي بقدرة القيادة المدنية والعسكرية ، ثقة كبيرة بجيش اسرائيل وقدرته، اقتصاد قوي ومساعدات دولية — سياسية واقتصادية وعسكرية »(٢٦).

ان الاسرائيليين لم يكتفوا بحملات النقد التي استعرضناها والجهات التي وجهت لها، اذ يبدو انهم وسعوا دائرة انتقاداتهم لتشمل كل من خيب أملهم او ساهم في تضليلهم، وبالتالي هزيمتهم ، على الصعيدين الفكري والعملي ، فقد لوحظ ان نقدا مريرا كان من نصيب المستشرقين ، او من يعرفون بالخبراء في الشؤون العربية في اسرائيل . وكان العديد من اولئك المستشرقين قد نشطوا بشكل خاص بعد حرب ١٩٦٧ في وصف حالة الضياع التي سادت العالم العربي ، بحسب رأيهم ، نتيجة للهزيمة التي لحقت به في تلك الحرب مبدين اهتماما مبالغا به بالظواهر السلبية والهامشية التي برزت في المجتمعات العربية ، وبشكل يمكن أن يستنتج منه انه لن تقوم قائمة للعرب بعد اليوم . ولكن يبدو ان نتائج حرب تشرين قد خيبت آمالهم ، مثلهم مثل الكثيرين من الاسرائيليين ، بحيث انه ما أن بدأ الحديث عن امكانات الوصول الى تسوية ما مع العالم العربي، حتى راحوا يحذرون من نوايا العرب ويشككون في امكانات عقد أية تسوية معهم . ولم يمر أكثر من اسبوع على ايقاف القتال حتى كان أحد اولئك المستشرقين ، يهوشفاط هركابي ، وهو رئيس سابق للمخابرات العسكرية الاسرائيلية ، يدرس حاليا العلاقات الدولية ، ويحلو له — لسبب ما — الحديث عما يسميه « اللاسامية » العربية ، يحذر من ان العرب لا يزالون عند موقفهم الداعي الى ابادة اسرائيل ولهذا فانهم يسعون الى اضعافها تمهيدا لتحقيق اهدافهم تلك ، مضيفا ان الاسرائيليين ، بالانتقادات التي وجهوها الى حكومتهم

قد ساهموا في تقديم المساعدة للعرب(٢٧). وفي مقالة لاحقة اضاف هركابي ان الاسرائيليين قد فوجئوا بالحرب لانهم لم يدركوا ان العرب لا يزالون يريدون ابادتهم(٢٨). اما زميله شمعون شامير ، رئيس معهد شيلواح للدراسات الشرقية في جامعة تل ابيب ، فقد اعلن ان الدافع لدى العرب للقضاء على اسرائيل لا يزال قائما ، لانهم لا يريدون دولة اقلية يهودية في المنطقة(٢٩)، وان مصالح مصر في العالم العربي تدفعها الى عدم ترك القضية الفلسطينية(٣٠)، بينما يعتقد مستشرق ثالث ، وهو موشيه ماعوز ، مدير معهد دراسات شعب فلسطين والعلاقات العربية الاسرائيلية في القدس ان العرب لا يزالون ينوون القضاء على الاسرائيليين ، ان كان ذلك باستعمال القوة او بالطرق السياسية(٣١)، في حين أعلن رابع ، وهو موشيه شارون ، محاضر في التاريخ الاسلامي ان العرب يريدون القضاء على اسرائيل بسبب احلامهم في اقامة الامبراطورية العربية(٣٢). وقد اثارت هذه الاراء ، كما اشرنا انتقادات لاذعة ، اذ وصف احد الاساتذة الجامعيين ، يورام فريدلاندر ، زملاءه المستشرقين بأنهم عاطفيون ولا يهتمون بالظواهر التي لا تتجانس مع نظرتهم السياسية(٣٣)، بينما أعلن ناحوم غولدمان ، الرئيس السابق للمنظمة الصهيونية العالمية ورئيس المؤتمر اليهودي العالمي ، انه لا يشك من ان آراء اولئك المستشرقين ومعلوماتهم غير صحيحة(٣٤)، في حين هاجم كاتب آخر « المستشرقين الهواة والمحترفين » الذين تحدثوا عن الاعتدال وخيبة الامل لدى العرب(٣٥)، وذلك في نفس الوقت الذي نصح فيه صحفي آخر الخبراء في الشؤون العربية ، الذين « يعرفون العرب من الكتب » او الذين يشهدون على خبرتهم بقولهم : « ولدت في العراق ، وانا افهم العرب » بالتفتيش عن عمل آخر(٣٦).

وتجدر الاشارة هنا في نهاية هذا العرض المقتضب لحملات الانتقاد التي ثارت في اسرائيل عقب حرب تشرين ، ان تلك الحملات قد مست الجيش والمستشرقين قبل غيرهم ، رغم التقدير الذي يكنه الاسرائيليون لهاتين « المؤسستين » لما لهما من علاقة مباشرة بمفاهيم الامن الاسرائيلية تجاه العرب ، ولربما كان هذا بالذات هو السبب في اشتداد حملات الانتقاد تجاههما . بقي لنا ان نراقب تأثير هذا « التقصير » الذي وقع فيه الجيش والمستشرقون على المواقف الاسرائيلية في المستقبل .

مفاهيم أمن وسلام جديدة ؟

ان ردود الفعل الاسرائيلية على حرب تشرين ونتائجها لم تقتصر على الانتقادات التي اشرنا لها وانما تعدت ذلك لتتطرق الى اعادة النظر في المشاكل التي تجابهها اسرائيل ، خاصة في مجالي الامن والعلاقات مع العرب ، وطرح الحلول لها . ويلاحظ ان تغييرات تلفت النظر قد طرأت على المواقف الاسرائيلية ، الرسمية والشعبية ، من هذه الناحية ابرزها اختفاء الاراء المتعنتة الداعية الى الاصرار على المطالبة بما يسمى حدودا آمنة بمفهوم ضم اكبر مساحة ممكنة من الاراضي المحتلة الى اسرائيل ، للوصول الى تسوية مع العرب والاستعاضة عن ذلك بالمطالبة بمناطق مجردة من السلاح بعد الانسحاب منها او القبول بالاضافة الى ذلك بضمانات دولية ، من جهة ، وكذلك عدم الاصرار على مطالبة العرب باقامة سلام فوري دائم مع اسرائيل ، بكل معنى الكلمة ، والدعوة الى الاكتفاء بتسويات سلمية تستمر وقتا غير قصير ، الى ان يصبح بالامكان اقامة سلام دائم ، من جهة اخرى . يضاف الى ذلك ظهور نغمة جديدة لدى بعض الاسرائيليين تدعو الى عدم الاستخفاف بالعرب والى تقدير موقف اسرائيل وامكاناتها دوليا بشكل واقعي .

ان ما ذكرناه لا يعني ، بالطبع ، ان تغييرات جذرية قد طرأت على مواقف الاسرائيليين وآرائهم بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي ، وانما القصد هو التنويه بان التوجه نحو

اعادة النظر في تلك المواقف واضح للغاية . ونعود مرة اخرى لعرض بعض الاراء التي طرحت في هذا الصدد ، فوزير الخارجية الاسرائيلي ، ابا ايبن ، يعتقد مثلا ان اسرائيل لا تستطيع ان تتصرف سنة ١٩٧٤ ، بعد حرب تشرين ، بنفس الطريقة التي اعتادت عليها منذ حرب ١٩٦٧ ، أي بالوقوف موقف المتفرج من العروض التي تقدم لحل مشكلة الشرق الاوسط والاكتفاء باعلان عدم موافقتها عليها(٣٧)، بينما يعلن زميله ، الوزير بارليف ، ان اسرائيل ستنسحب في نهاية الامر الى حدود آمنة معقولة ، حتى وان لم تقم بينها وبين الدول العربية في الوقت الحاضر علاقات سلام كتلك القائمة ، مثلا ، بين فرنسا وبلجيكا(٣٨)، في حين يعلن وزير اسرائيلي ثالث ، جدعون هاوزنر من الاحرار المستقلين انه قد اتضح ، بعد الحرب ، بأن احتفاظ اسرائيل بالمناطق المحتلة ليس الا وهما كبيرا ، ولهذا يقترح تقديم تنازلات اقليمية على مراحل ، يوضح العرب خلالها عن نيتهم في التعايش مع اسرائيل ، وذلك بعد نزع السلاح من المناطق التي ينسحب الاسرائيليون منها(٣٩). كذلك فان هذا هو رأي الوزير موشيه كول ، زعيم الاحرار المستقلين ، الذين يعتقد انه لن يكون سلام مع العرب دون التنازل عن جزء كبير من المناطق المحتلة ، وذلك بعد نزع السلاح منها(٤٠)، بينما يعلن الوزير شمعون بيريس ، من كتلة رافي ، ان ثقة العرب بقدرتهم على ضرب اسرائيل عسكريا قد زادت بعد حرب تشرين ، ولهذا ينبغي السعي الى فك ارتباط القوات مع سوريا بسرعة ، مثل مصر ، وعدم التمسك بالمواقف المحددة مسبقا(٤١). اما الوزير السابق موشيه كرمل ، أحد زعماء أحدوت هعفوداه فيرى انه لا بد من الانسحاب مقابل السلام ، وان السلام لا يمكن ان يتم الا على مراحل ، بعد سنين طويلة من العداء بين العرب واسرائيل(٤٢)، في حين يوافقه مئير يعري ، زعيم مبام المتقاعد ، على هذا الرأي مطالبا بنزع السلاح من المناطق التي ستنسحب اسرائيل منها(٤٣). وردا على هذه الاراء ، نرى ان مناحم بيغن ، زعيم التكتل اليميني المتطرف ، يندب حظ اسرائيل التي زالت مصداقيتها ، بسبب تراجع قادتها عن مواقفهم المعلنة من حين لآخر ، مبديا أسفه لان شعار « لا خيار » (« أين بريراه ») الذي كان في السابق حافزا لحمل الاسرائيليين على الصمود ، أصبح الان يستعمل لتبرير التراجع عن المواقف السابقة ، والاتجاه نحو الانكماش ، مقترحا العمل على تجنيد اصدقاء اسرائيل في الولايات المتحدة للضغط على الحكومة الامريكية وحملها على الوقوف بثبات الى جانب اسرائيل(٤٤)، في حين يعلن شريكه في التكتل ، زعيم حزب الاحرار اليميلخ ريملط ، انه مستعد للتفاوض بشأن الانسحاب من المناطق ، منكرا ان حزبه كان من الداعين الى عدم التنازل عن أي شبر من الارض(٤٥)، بينما يكتفي زميلهما، عضو الكنيست يورام اريدور ، بالاعلان على انه من الخطأ الاعتقاد ان السلام قريب ، وليس صحيحا ان التنازلات الاقليمية تقربه(٤٦).

يلاحظ ايضا ان الاراء التي اشرنا لها لم تبق وقفا على الزعماء او الرسميين ، فمئير عميت ، مثلا ، يعتقد ايضا انه ينبغي التخلي عن السياسة المتصلبة الداعية الى الاحتفاظ بالمناطق المحتلة ويقترح اجراء استفتاء وطلب تفويض من الشعب لاتباع سياسة جديدة(٤٧)، بينما يعلن شلومو افينيري ، استاذ علوم سياسية ، ان الاحتفاظ بالارض لا يعني بالضرورة سلاما وانه لا بد ان تمر المنطقة في فترة من الهدوء قبل حلول السلام(٤٨). أما عضو الكنيست مئير باعيل فيرى ان العالم العربي، بمساحاته الشاسعة وموارده الطبيعية الضخمة وملايين سكانه « كبير علينا » ، ولن تستطيع اسرائيل فرض ارادتها عليه حتى ولو بلغ عدد سكانها ٨ — ١٠ ملايين نسمة وانه لا بد من الانسحاب من المناطق مقابل السلام(٤٩)، بينما يعلن الصحفي بوعز عفرون ان اسرائيل لا تستطيع اقامة امبراطورية في الشرق الاوسط ، بعد ان فشلت سياسة القوة العسكرية التي

اعتمدت عليها وبقي الاسرائيليون صغارا ومتخوفين جدا في تفكيرهم ، رغم الانتصار الذي احرزوه في حرب حزيران ١٩٦٧(٥٠) . اما يهودا غوفهيلف ، المحرر السابق لصحيفة دافار الهستدروتية ، شبه الرسمية ، وأحد « منظري » الفكرة الصهيونية بمفهوم الجناح العمالي لها ، فيرى ان اسرائيل تستطيع العيش في كونفدرالية مع العالم العربي المتعدد الجنسيات(٥١) . بينما يتفق معه عفرون على ان العالم العربي غير متجانس وتستطيع اسرائيل ان تجد مكانا فيه ، مضيفا ان اولئك الاسرائيليين الذين يدعون بوجود حالة من العداء الابدي بيننا وبين العرب لا يريدون ان تنتهي الحرب لكي يستطيعوا تحقيق الاهداف القومية كما يفهمونها(٥٢) . أما دافيد هوروفيتش ، محافظ بنك اسرائيل سابقا ، فيرى ان سياسة اقامة المستوطنات في المناطق المحتلة لن تساعد اسرائيل على الاحتفاظ بتلك المناطق وانه على اسرائيل ، ان تسقط هذا الاسلوب ، الذي اتبعته طويلا ، من حساباتها(٥٣) . ويضيف هوروفيتش انه لا يرى ضيرا في قبول اسرائيل بضمانات دولية ، اذ ان هناك دولا عديدة في العالم ، منها مثلا الدول الاوروبية الاعضاء في حلف الاطلسي ، تعيش في ظل ضمانات دولية لامنها(٥٤) .

الموقف من الفلسطينيين

حدث بعد الحرب تحول في الموقف الاسرائيلي ، على الصعيد الرسمي على الاقل ، من الفلسطينيين وحقوقهم ايضا . وهذا التحول ، وان لم يكن جذريا ، مثله مثل الموقف من السلام ومستقبل العلاقات مع العالم العربي ، يختلف بشكل واضح عن الموقف الذي كان سائدا قبل الحرب .

تلخص الموقف الاسرائيلي ، او على الاصح موقف التجمع العمالي الحاكم ، تجاه العالم العربي والمناطق المحتلة قبل الحرب في البرنامج المعروف باسم « وثيقة غليلي » ، الذي وضع قبيل الانتخابات للكنيست الثامن ، حيث كان من المقرر ان تجري في نهاية تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ولكنها تأجلت الى ما بعد ذلك بشهرين بسبب الحرب . ان نظرة اولية الى تلك الوثيقة تظهر انها جاءت لتعبر عن المواقف الاسرائيلية الاكثر تصلبا ، وتظهر ان الغلبة في الصراع الداخلي الدائر في التجمع كانت للصقور ، اذ انها تتحدث عن تقوية الوجود الاسرائيلي في المناطق المحتلة وزيادة ارتباطها الاقتصادي باسرائيل واقامة المزيد من المستوطنات اليهودية في تلك المناطق(٥٥) . أما بعد الحرب فقد تم صياغة وثيقة جديدة ، أطلق عليها اسم المبادىء الاربعة عشر ، جاء ثمانية منها تحت عنوان « السعي للسلام »(٥٦)، يعتبر احدها (البند ١٠) ولاول مرة في تاريخ الجناح العمالي الصهيوني بمثابة « اعتراف » بوجود الفلسطينيين ، مؤكدا ان هناك مجالا لدولة واحدة الى الشرق من اسرائيل تضم الفلسطينيين والاردنيين ، يستطيع ان يجد العرب الفلسطينيون تعبيرا عن أنفسهم فيها ، موضحا ان اسرائيل تعارض قيام دولة فلسطينية مستقلة غربي نهر الاردن ، أي في الضفة الغربية وقطاع غزة .

لقد قيل الكثير حول موقف حزب العمل بعد اصدار برنامجه الاخير ، وحول اذا ما كانت تلك « المبادىء » تلغي وثيقة غليلي أم انها تعتبر مكملة لها . فالوزير يعقوب شمشون شابيرا ، مثلا ، الذي استقال من الحكومة الاسرائيلية السابقة احتجاجا على بقاء دايان وزيرا للدفاع فيها سارع الى انتقاد تلك « المبادىء » بسخرية ، معلنا ان تغير الوضع الراهن هو الذي فرضها على الحزب(٥٧)، بينما تحمس زميله ،وزيرالخارجية أبا ايبن فأعلن انه يعتقد ان البرنامج الجديد انتصار للحمائم داخل حزب العمل ، مؤكدا انه يعتبر نفسه واحدا منهم(٥٨) . كذلك وجدت داخل التجمع العمالي فئات فاق حماسها حماس ايبن ، لدرجة ان بعضهم حذر الناخبين خلال المعركة الانتخابية الاخيرة من نتائج

التصويت للتكتل اليميني الذي ، على عكس التجمع العمالي ، لا يعترف « بحقوق الفلسطينيين وأمانيهم »(٥٩).

اضافة الى ما ذكرنا ، تنبغي الاشارة الى ان مختلف المتحدثين الاسرائيليين الرسميين يصرون منذ اقرار البرنامج الاخير على الاعلان عن معارضة اسرائيل اقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وهو ما يفسر وكأنه تصلب في الموقف الاسرائيلي او تراجع عن المواقف السابقة . غير ان نظرة أشمل الى هذا الموضوع تظهر ان تغييرا ما طرأ على الموقف الاسرائيلي الرسمي ، بحيث ان المشكلة لا تنحصر الان في « الاعتراف » بوجود الفلسطينيين او عدم الاعتراف بهم ، اذ ان هذه الناحية قد حسمت في صالح « الاعتراف » بهم ، وانما في انتقاء شرهم ، ان جاز التعبير ، وعلى الاخص في المستقبل . ويفسر متحدثون اسرائيليون « معتدون » ، منهم الوزير شلومو هيليل ، المسؤول من قبل الحكومة عن المناطق المحتلة سر الاصرار الاسرائيلي على ابقاء الفلسطينيين تابعين للاردن او لدولة فلسطينية ــ اردنية مشتركة ، بقولهم ان دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة تستطيع ، بصعوبة ، تأمين معيشة السكان الذين يقطنون تلك المناطق حاليا ولكنها لا تستطيع حل مشاكل الفلسطينيين بأسرهم ، خاصة اولئك الذين يعيشون خارج الاردن(٦٠). ولهذا لا بد لمثل هذه الدولة ان تتوسع في المستقبل ، اذا ما ارادت بالفعل حل المشكلة الفلسطينية ، واسرائيل تفضل ــ بالطبع ــ ان يكون التوسع نحو الشرق ، ومن هنا اصرارها على حل يبقي على ضفتي الاردن متحدتين ، حتى يجد الفلسطينيون متنفسا لهم في الضفة الشرقية . ويؤكد هيليل انه في مثل هذه الحالة يستطيع سكان تلك الدولة الفلسطينية ــ الاردنية اقامة نظام الحكم الذي يرتأونه(٦١). ويلاحظ ايضا ان هذا هو التفسير الذي يقدمه زميل هيليل ، الوزير حاييم بارليف(٦٢)، في حين يؤكد ايضا الوزير موشي كول ، زعيم الاحرار المستقلين ، ان حل مشكلة الفلسطينيين يجب ان يتم في اطار الاتفاق مع الاردن(٦٣)، ولنفس الاسباب التي اشار اليها زميلاه السابقان ، بينما تعلن شولاميت الوني ، رئيسة قائمة الحقوق المدنية انها تحبذ فلسفة يغئال الون الامنية وتؤيد حق تقرير المصير للفلسطينيين(٦٤). وهذه الاراء ، وهي لا تقتصر على الاشخاص الذين اشرنا لهم وانما تمثل تيارا قائما بحد ذاته لم تكن ، على أية حال ، غريبة على الساحة الاسرائيلية حتى قبل نشوب الحرب ، وكل ما حدث هو ان الحرب قوت من مراكز أصحابها وزادت اقتناعهم بها .

ان ما سبق وقدمناه من انتقادات وآراء طرحت في اسرائيل ، بعد حرب تشرين وكنتيجة مباشرة لها ، والدعوات الى اعادة النظر في مختلف نواحي الحياة في اسرائيل عامة والسياسة الاسرائيلية الامنية والخارجية خاصة ، لا تمثل الا جزءا من تيار آخذ في الاتساع من يوم لآخر . ويبدو انه كلما ابتعدنا عن فترة الحرب ، تزداد وتتعمق ردود الفعل على نتائجها، ان كان ذلك متمثلا في استفحال الازمة السياسية داخل اسرائيل او انتقال الاسرائيليين من القول الى العمل وتنظيم حركات الاحتجاج والمعارضة ضد قادتهم ونظام حكمهم . ولا شك اننا سنشاهد المزيد من النشاط في هذه المجالات ، في المستقبل القريب او البعيد ، فالكلمة الاخيرة في هزيمة تشرين ومضاعفاتها لم تقال بعد في اسرائيل .

---

١ ــ انظر تقرير لجنة اغرانات ، بشأن التحقيق في نتائج حرب تشرين ، **معاريف** ، ١٩٧٤/٤/٣.

٢ ــ من مقابلتين للوزيرين سابير وشابيرا مع **يديعوت أحرونوت** ، ١٩٧٣/١١/١٦ .

٣ ــ حاييم تسادق، رئيس لجنة الخارجية والامن، في مقابلتين مع **دافار** ، ١٩٧٣/١١/١٢ ،

ويديعوت أحرونوت ، ١٩٧٣/١١/٢٣ .
٤ ــ انظر الملاحظة (١) أعلاه .
٥ ــ مقابلة مع يديعوت أحرونوت، ١٩٧٤/١/١١.
٦ ــ المصدر نفسه ، ١٩٧٤/١/٢٥ .
٧ ــ المصدر نفسه .
٨ ــ مقابلة مع يديعوت أحرونوت، ١٩٧٤/٢/١.
٩ ــ انظر الملاحظة (١) اعلاه .
١٠ ــ المصدر نفسه .
١١ ــ أنظر ، مثلا ، مقالات بنكوآدار في حوتام ، ٢٣ و١٩٧٣/١١/٣٠ ويعقوب طلمون في هآرتس ، ١٩٧٣/١١/٣٠ و١٩٧٣/١٢/٧ ، وخانوخ برطوف في معاريف ، ١٩٧٣/١١/٢٦ .
١٢ ــ أنظر مقالته في هآرتس ، ١٩٧٣/١١/٢٣ .
١٣ ــ المصدر نفسه ، ١٩٧٣/١٢/٢١ .
١٤ ــ انظر مقالتيه في هآرتس ، ١٩ و١١/٢٠/ ١٩٧٣ .
١٥ ــ دافار ، ١٩٧٤/١/١٤ .
١٦ ــ هآرتس ، ١٩٧٣/١٢/٢٤ .
١٧ ــ من مقالة في هآرتس ، ١٩٧٣/١٢/٤ .
١٨ ــ من مقالة في معاريف ، ١٩٧٣/١١/١٦ .
١٩ ــ المصدر نفسه ، ١٩٧٣/١٢/٢٨ .
٢٠ ــ أنظر مقالته في يديعوت أحرونوت ، ١١/٦/ ١٩٧٣ .
٢١ ــ هآرتس ، ١٩٧٣/١١/٢٠ .
٢٢ ــ المصدر نفسه ، ١٩٧٣/١١/٢٣ .
٢٣ ــ المصدر نفسه ، ١٩٧٣/١١/٣٠ .
٢٤ ــ من مقالة في معاريف ، ١٩٧٣/١١/٩ .
٢٥ ــ مقابلة مع معاريف ، ١٩٧٣/١١/٢ .
٢٦ ــ المصدر نفسه ، ١٩٧٤/١/٢١ .
٢٧ ــ أنظر ، مثلا ، مقالتيه في معاريف ، ١ و١٩٧٣/١١/٢ .
٢٨ ــ المصدر نفسه ، ١٩٧٣/١٢/١٤ .
٢٩ ــ أنظر مقالته في يديعوت أحرونوت ، ٢٥/ ١٩٧٤/١ .
٣٠ ــ المصدر نفسه .
٣١ ــ معاريف ، ١٩٧٣/١٢/٢١ .
٣٢ ــ معاريف ، ١٩٧٣/١٢/٢٨ .
٣٣ ــ مقابلة مع يديعوت أحرونوت ، ١٢/٢١/ ١٩٧٣ .
٣٤ ــ هآرتس ، ١٩٧٤/١/١١ .
٣٥ ــ دافار ، ١٩٧٣/١١/٢٣ .
٣٦ ــ أهرون جيفع في دافار ، ١٩٧٣/١٢/١٠ .
٣٧ ــ في مقابلة مع معاريف ، ١٩٧٣/١٢/٢٨ .
٣٨ ــ في مقابلة مع يديعوت أحرونوت ، ١/١١/ ١٩٧٤ .
٣٩ ــ هآرتس ، ١٩٧٣/١٢/١٤ .
٤٠ ــ انظر مقابلاته مع معاريف ، ١٩٧٣/١٢/٢١ ويديعوت أحرونوت ، ١٩٧٣/١٢/٢٦ وعل هامشمار ، ١٩٧٤/١/١١ .
٤١ ــ في مقابلة مع دافار ، ١٩٧٤/٢/٨ .
٤٢ ــ أنظر مقالتيه في يديعوت أحرونوت ، ١٦/ ١٩٧٣/١٢ ودافار ، ١٩٧٣/١٢/٢٦ .
٤٣ ــ عل هامشمار ، ١٩٧٣/١١/٣٠ .
٤٤ ــ من مقالة في يديعوت أحرونوت ، ١/١٨/ ١٩٧٤ .
٤٥ ــ من مقابلة مع ملحق هآرتس ، ١/١٨/ ١٩٧٤ .
٤٦ ــ يديعوت أحرونوت ، ١٩٧٣/١٢/٩ .
٤٧ ــ معاريف ، ١٩٧٣/١١/٩ .
٤٨ ــ معاريف ، ١٩٧٤/١/١٨ .
٤٩ ــ يديعوت أحرونوت ، ١٩٧٣/١١/٥ .
٥٠ ــ المصدر نفسه ، ١٩٧٣/١١/٤ .
٥١ ــ دافار ، ١٩٧٣/١٢/٧ .
٥٢ ــ يديعوت أحرونوت ، ١٩٧٣/١/٢٥ .
٥٣ ــ دافار ، ١٩٧٣/١٢/١٤ .
٥٤ ــ المصدر نفسه .
٥٥ ــ كما نشرتها دافار ، ١٩٧٣/٨/١٦ .
٥٦ ــ المصدر نفسه ، ١٩٧٣/١١/٢٩ .
٥٧ ــ معاريف ، ١٩٧٣/١٢/٧ .
٥٨ ــ يديعوت أحرونوت ، ١٩٧٣/١١/٣٠ .
٥٩ ــ من بيان دعاية انتخابية للتجمع ، نشر في عل هامشمار ، ١٩٧٣/١٢/١٤ .
٦٠ ــ أنظر مقابلته مع معاريف ، ١٩٧٣/١٢/٧ .
٦١ ــ المصدر نفسه .
٦٢ ــ عل هامشمار ، ١٩٧٣/١٢/٢١ .
٦٣ ــ يديعوت أحرونوت ، ١٩٧٣/١١/٢٦ .
٦٤ ــ المصدر نفسه ، ١٩٧٣/١٢/٢٤ .

أبو يوسف : حياته ، مسؤلياته ومعتقداته السياسية

بيان نويهض الحوت

عندمـــا يرحل القادة السياسيون عن هذه الدنيا ، يكـــون العزاء لذويهم ورفاقهم وشعوبهم ، أنهم لا بد وان يكونوا قد تركوا وراءهم ارثا من الكتابات والتصريحـــات والخطابات ، بحيث يسهل على الكتاب والباحثين ان يؤرخوا سير حياتهم ، وان يخلدوا أفكارهم .

أحيانا . . . كلما كثرت هذه الكتابات والتصريحات ، كلما كان جمعها ونشرها أصعب ، ذلك أن القائد السياسي لم يكن يخاطب التاريخ او الاجيال القادمة في كل كلمة قالها ، وفي كل موقف تبناه . القائد السياسي هو الرجل الذي يتكلم ـــ عادة عندما يتكلم ـــ عن امور الساعة ، ويعلق على آخر الاحداث السياسية ، فكثيرا ما تصدر عنه اقوال لم تكن لتصلح الا لاحاديث صحفية عابرة ، وبالتالي لاستهلاك آني ، ومثل على ذلك ، ان يكون في كلامه دبلوماسية مرنة لا تفصح تماما عما تريد ، او أن يكون هناك تغطية لموقف دولة ما او فئة ما ، وقد فرضت عليه الظروف النضالية والمصلحة الثورية تلك التغطية ، فلجمت لسانه عن قول الحقيقة كاملة في ذلك الموقف وتلك الساعة .

وعلى العكس من صعوبة كثرة الكلام بالنسبة للباحثين تكون قلته . السياسي كثيرا ما يتمنى في حياته ان يقول اشياء واشياء ، وان يفصح عن أسرار واسرار ، ولكنه لا يستطيع فعل ذلك عندما لا يكون من المصلحة الثورية بشيء ان يفصح عن تلك الاشياء وتلك الاسرار ، فيبقى محتفظا بما يعرفه لنفسه ، ومنتظرا قدوم احداث او زمن يمكنه من الحديث . الا أن الزمن قد يفاجئه ، فتغتال حياة هذا القائد بضع رصاصات . تنهي حياته ، وتنهي الاشياء والاسرار معه .

وتزداد الصعوبة اكثر فأكثر . حين يكون القائد السياسي قليل الكلام ، لا بسبب الظروف السياسية وحدها ، وانما ايضا بسبب انغماسه في المسؤوليات النضالية ، الشاملة منها واليومية ، الى درجة ينسى فيها مشكلاته الخاصة ، كما ينسى مشكلات التاريخ والمؤرخين . هو لا يفكر الا بانتصارات جزئية يحققها على طريق النصر البعيد . وهذا القائد الحقيقي لا يفكر بنفسه على الاطلاق وهو على قيد الحياة ، فكيف يفكـــر بنفسه ان هي غادرتها الحياة . كيف يفكر لماذا سيكتب عنه ، كيف يفكر بمن سيكتب عنه ، وماذا يهمه من كل هذا أصلا ، واهدافه الحقيقية هي استمرارية النضال من أجل النضال لا من اجل الخلود .

هذا النوع الثالث من القادة السياسيين ، يجعل مهمة تسجيل حياته وافكاره امام الباحث أو المؤرخ مهمة شاقة الى ابعد الحدود . والصعوبة والخوف في الا يكون هناك في ارثه المحدود ، والمبعثر هنا وهناك ، ما يكفي ضمانة للحفاظ على فكره السياسي ، وعلى جوهر معتقداته ، وعلى معدن شخصيته .

الى هذا النوع الثالث من القادة السياسيين ينتمي القائد الشهيد . والمناضل الكبير « أبو يوسف » واسمه المعروف عنه « ابو يوسف » أكبر بكثير من القابه ومناصبه، اكبر من حياته ، وأكبر من استشهاده . عرفه الناس ويعرفونه « بابي يوسف » . هم يكتفون بذلك ، فقد أصبح الاسم رمزا .

ان تاريخ النضال الفلسطيني المسلح الذي عشناه ونعيشه في هذه السنوات ، عندما يكتب غدا ، وعندما يكتب بجهد ودقة وامانة ، سيظهر اسم « ابي يوسف » من بين القادة الذين كانوا حقا قادة ، والذين تفخر الامة العربية — لا ابناء فلسطين وحدهم — بميلاده وحياته واستشهاده .

لقد أجريت حديثا مع القائد ابي يوسف قبل استشهاده بحوالي خمسة أشهر . وبالتحديد في بيروت : ٢١ نوفمبر : ١٩٧٢ م. من الساعة السادسة الى الثامنة والنصف مساء .

القيمة التاريخية لهذا الحديث في أنه لم يكن حديثا صحفيا عابرا ، كان حديثا الهدف من ورائه دراسة علمية وموضوعية للفكر السياسي لقادة المقاومة . وهذه الدراسة التي لم تصدر بعد ، كان جميع القادة الذين قابلتهم يعرفون طبيعتها ، ويعرفون أن الحديث اولا وقبل كل شيء لن ينشر الا بعد مرور سنوات ، ومن خلال دراسة شاملة لقيادة المقاومة ، ولذلك فالصراحة كانت الاساس .

أحيانا ، كان بعضهم يؤكد على عدم نشر جزء معين من حديثهم — ولو بعد سنوات كما هو المفروض — وانا كنت أقدر هذه الثقة التي منحوني اياها ، وسوف أبر بوعدي لهؤلاء ، الا اذا عادوا هم انفسهم واقروا « رفع الحماية » . وهنا أود أن اسجل بكل أمانة ان الاخ « أبا يوسف » كان من الذين لم يترددوا لحظة في الاجابة على أي سؤال. واكثر من ذلك ، كان من القلائل الذين تحدثوا عن امور على غاية من الاهمية ، من تلقاء انفسهم .

واليوم ، وقد مضى على رحيل القائد الشهيد « أبي يوسف » عام كامل ، رأيت من واجبي ان أنشر قسما من حديثه وآرائه ومعتقداته السياسية ، كما أنشر سيرة حياته كما رواها لي بنفسه . ولن احذف من حديثه سوى الاجابات التي لا تكتمل فائدتها الا حين نشرها ضمن اجابات الرفاق الاخرين .

حيـاته

ولد محمد يوسف النجار في قرية « يبنى » في فلسطين عام ١٩٣١ . وقد عاش في قريته طالبا حتى الصف السابع الابتدائي . فانتقل الى كلية الثقافة وتخرج منها عام ١٩٤٦ ، ثم عاد الى قريته مدرسا . ولم يطل به المقام اكثر من عام واحد حتى حلت النكبة ، فهاجر مع ذويه الى غزة ، وهناك مارس التعليم أيضا ولغاية عام ١٩٥٦ .

ينتمي « أبو يوسف » الى عائلة قروية ، ولكن عائلته كانت كبيرة العدد ، وتحسب لها بقية العائلات حسابا ، فقد كانت هي اقوى العائلات في المنطقة . وسر القوة التي تمتعت بها عائلته لم تنتج عن مال وفير ، ولا جاه كبير ، أو حسب ونسب ، سر القوة كان في تعداد العائلة كما في اندفاعها الوطني وتضحياتها ، لقد كانت قوة سياسية بمفهوم القوى والتحركات السياسية في القرى ، اثناء الانتداب البريطاني .

من الحوادث التي لا ينساها محمد النجار وقد كان صغيرا ، دخول الانكليز الى قريته « يبنى » ، وتفتيشهم بيوت العائلة والقرية بيتا بيتا بحثا عن عمه وابيه ، ويا ويل البيت الذي لا يفتش ، فهذه دلالة على خيانة اهل البيت . لم ينس محمد الصغير — وقد

كبر وأصبح مناضلا وقائدا ـــ هذه الصورة . لقد حددت له منذ طفولته انتماءه الى شعب معذب ومظلوم . أبوه لم يلق عليه تعليمات في الوطنية وحب الجهاد ، وقد كان في غنى عن ذلك . عائلته كلها ، قريته كلها ، فلسطين كلها ، كانت تغلي حقدا على الصهيونية والانكليز ، فكان « ابو يوسف » ابن القرية المناضلة نتاجا طبيعيا لبيئته ، ومثلا من الاف الامثلة التي عاشها حقا أبناء جيله .

الا ان « أبا يوسف » لم ينس صورة الجنود الانكليز منتشرين في « يبنى » ، ولم ينقطع عن النضال ، واعني بالنضال هنا ، النضال الشامل فكرا وروحا وعملا ، والنضال الخاضع بطبيعة الحال الى الظروف المحيطة به والامكانيات المطروحة امامه .

عاش محمد النجار مع ذويه في معسكر للاجئين في رفح منذ عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٥٦ . وهناك لم يعش آلام شعبه وأحزانها فحسب ، كان هو جزءا من تلك الآلام والاحزان . والانسانية العظيمة التي تحلى بها «أبو يوسف» لم تجعله يحمل من ذكريات حياته في المخيم مجرد صور الحقد والمرارة ، وبالتالي ، لم تجعله يصنف الذين عاشوا في المخيمات درجة فوق الذين لم يعيشوا فيها . ولم يكن يفاخر أصلا بتلك المرحلة من حياته كما يفعل الاخرون او بعضهم ، وكأنهم في حياتهم تلك ، وفي صبرهم عليها مكرهين، قد أدوا قسطهم الى العلا ، ودفعوا ضريبة النضال كاملة .

ان هذا النوع والاسلوب في التفكير بعيد كل البعد عن طبيعة « ابي يوسف » . هو من النوع الذي لا تؤثر عليه تصنيفات الناس الاجتماعية والطبقية. ومعتقداته الوطنية لا تفرق بين فلسطيني وفلسطيني الا بالنضال .

عندما كان شابا في فلسطين ، كان يتقد وطنية وحماسا وشبابا ، ولم يضره للحظة ، ولم يفكر للحظة بنقص في نفسه لكونه لا ينتمي الى العائلات ذات الوجاهة ، والتي كانت مسيطرة على مقاليد القيادة السياسية يومذاك .

وعندما أصبح معلما ولاجئا في معسكر للاجئين ، وعندما أصبحت المسألة معكوسة ، وأصبح الانتماء الفلسطيني الى المخيم هو الانتماء المشرف والمفضل ، وأصبحت « العائلية » ذكرى من ذكريات التاريخ القريب ، لم يشعر للحظة بالفخر والاستعلاء على الآخرين . ان قيمة الانسان الحقيقية برأيه هي في اعماله ، وما العائلية والظروف الاجتماعية مثلا ، فليست مجالا لا للشعور بالنقص ، ولا للمباهاة .

وتزوج محمد النجار في غزة ، وانجب في حياته ستة ابناء ، وقد تحدث عنهم جميعا بحنان ابوي كبير ، الا ان سعادته الكبرى كانت عندما تحدث عن ابنته الكبرى «حكمت»، وقد أصبحت تلميذة جامعية .

ولم تكن غزة هي المسرح الاول لحياته السياسية ، فهو لما كان في السادسة عشرة ، كان سكرتيرا لمنظمة النجادة ، كما كان سكرتيرا لنادي الاتحاد في قريته « يبنى » .

وفي عام ١٩٥١ انتمى الى « الاخوان المسلمين » ، وبقي معهم لغاية عام ١٩٥٨ ، وقد كان مسؤولا في قطاع غزة .

اعتقل « ابو يوسف » لاول مرة ولمدة أربعة أشهر في عام ١٩٥٤ في غزة ، وكان السبب انه طالب بالتجنيد الاجباري في احدى المظاهرات . وبقي في غزة حتى العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ، اذ اضطر الى الخروج من القطاع على الرغم منه ، فقد منع من العمل ، فاضطر الى السفر بواسطة مركب شراعي . وصل الى عمان وبقي فيها بضعة أشهر ، ثم انتقل الى الخليج العربي ، حيث عمل استاذا في وزارة المعارف في قطر طوال عشر سنوات متواصلة ، من عام ١٩٥٧ ـــ ١٩٦٧ .

وكان من الطبيعي ان يفكر « ابو يوسف » ورفاقه بتشكيل نواة عمل فلسطيني ، الا ان هذا لم يرق « للاخوان المسلمين » ، ففصلوه بعد ان اشتغل « فلسطينيا » .

ومنذ عام ١٩٦٧ تفرغ كليا للنضال في حركة « فتح » ، لقد أصبحت الحركة تحتاج الى تفرغ القادة والمخلصين من ابنائها ، وبقي حتى استشهاده في ليلة فردان ، ليلة ٩ — ١٠ نيسان ١٩٧٣ ، بقي كما كان منذ بداية انتمائه للحركة ، مناضلا مؤمنا ، لا تزعزع ارادته تقلبات الاحداث .

من مميزات « ابي يوسف » انه لم يجعل من النظريات الثورية ، والسياسية عامة ، هاجسا من هواجس حياته . لم يكن يهمه ابدا ان يلقب بالمفكر المبدع ، او صاحب النظريات العبقرية . كان همه الاوحد استمرارية النضال ، وتجميع كل القوى على طريق النضال .

ان سيرة حياته ، نضاله ، علاقاته مع الرسميين من الملوك والرؤساء والمسؤولين العرب ، علاقاته مع العناصر والافراد من المقاتلين ، كلها تشهد بأنه كان من القادة القلائل الذين اتقنوا المعادلة الثورية الصعبة ، ما بين الفكر والممارسة .

واما عن محاولات اغتياله ، فلم تكن محاولة فردان هي الوحيدة . لقد تعرض « ابو يوسف » لاكثر من محاولة اغتيال . وقد كان من المفروض ان تكون احدى هذه المحاولات في اليوم الذي تمت فيه هذه المقابلة ، الا انه كان قد اكتشف خبرها مقدما ، فأرسل كمينا للمجرمين بالقرب من فندق الريفييرا ،تمكن من القبض على المجرمين بالحيلة . وقد نشرت الصحف في اليوم التالي نبأ هذه المحاولة الفاشلة . وان تدلنا هذه الحادثة على شيء ، فتدلنا على رباطة جأش المناضل والمسؤول . كان بامكانه الغاء موعد المقابلة مثلا او تأجيله ، ولكنه لم يفعل ذلك ، ولم يحدثني على الاطلاق عما يجري قرب الريفييرا في تلك الساعة ، الا عندما سألته عن تعرضه خلال حياته للاعتداء او الاغتيال .

الا ان المحاولة التي لا يمكنه ان يتحدث عنها لاي انسان ، فهي محاولة فردان . هذه المحاولة الآثمة قد نجحت . اضافت الى سجل شهدائنا شهيدا وشهيدة . رحلت عنا « ام يوسف » ، ورحل « ابو يوسف » ، ولكن هذا القائد الحديدي الاعصاب والارادة لم يترك وراءه فراغا كما يعتقد البعض . لقد ترك « ابو يوسف » لامته العربية التي آمن بها ثلاثة اشياء :

— ترك لها سيرة حياته ، وهي نموذج للانسان العربي الفلسطيني المناضل بايمان وارادة جبارة ، وكأنها ارادة شعب بأسره ، لا ارادة فرد واحد .

— ترك لها آثارا فكرية ، من تصريحات ومقابلات ومحاضرات وندوات في المخيمات . ان هذه الاثار وان تكون محدودة بالنسبة الى قائد كأبي يوسف ، الا أنها كافية — كما أتصور — لانصاف هذا الرجل الذي كانت قيمة فكره السياسي اعمق بكثير مما يتصور البعض .

— ترك لها أعمالا سياسية جبارة ، كان لها الاثر الفعال في تطوير حركة المقاومة الفلسطينية ، انما لن يقدر لهذه الاعمال ان يكتب عنها ، الا بعد مرور الزمن الطويل ، وذلك لعلاقتها بالاحياء من ابناء الثورة ، كما لعلاقتها بحياة هذه الثورة .

مسؤولياته السياسية

من ايجابيات ثورتنا انها بطبيعة نشأتها وتكوينها ومسيرتها قد قضت على الالقاب والمناصب ، كما قضت على الحواجز ما بين القادة والافراد المقاتلين . لذلك فنحن هنا نسجل المواقع الثورية التي احتلها « ابو يوسف » ، ونسجلها بالطبع كمسؤوليات ، لا كألقاب .

هو أحد المؤسسين الاوائل في حركة « فتح » .

هو أحد الذين كانوا الى جانب القائد العام للثورة الفلسطينية الاخ « أبي عمار » منذ البداية ، وحتى ليلة استشهاده . وقد روى الاخ « أبو عمار » في ذكرى غردان ، لاصدقاء كانوا من حوله، ان «ابا يوسف»كان من الذين وقفوا الى جانبه وبدون أي تردد في لحظات القرار الحاسم ، قرار البدء بالكفاح المسلح في اليوم الاول من عام ١٩٦٥ . لقد كان البعض مترددا وقلقا بالنسبة لخطورة الحدث المقبل ، واما « ابو يوسف » فكان من الذين لم يعرفوا التردد في حياتهم .

كان يقرر وينفذ . لا يتكلم ولا يدعي . ذلك الرجل هو « أبو يوسف » .

مسؤولياته النضالية والرسمية كانت :

عضو اللجنة التنفيذية في منظمة التحرير الفلسطينية .

عضو اللجنة المركزية في حركة « فتح » .

ورئيس اللجنة السياسية لشؤون الفلسطينيين في لبنان .

تلك هي المسؤوليات الرسمية ، واما غير الرسمية ، فهي المسؤوليات الجسام التي ما آن الاوان للحديث عنها ، وهي التي من أجلها تسلل الى بيته في الظلام هؤلاء القتلة المجرمون .

كان الاعداء يعرفون عن « أبي يوسف » ، أكثر مما كان ابناء شعبه يعرفون .

أضواء على معتقداته السياسية

● أية التسميات أفضل برأيك للنضال الفلسطيني المسلح الذي نعيشه اليوم ؟ عمل فدائي ؟ أم حركة مقاومة ؟ أم ثورة ؟

ـــ أفضل برأيي « حركة المقاومة » لا الثورة . والسبب ان الظروف التي تعيشها المقاومة الفلسطينية لا تتوافر فيها شروط الثورة ومعانيها ، ثم هناك الظروف الموضوعية التي تحدد من الاساس طبيعة المقاومة . ان شعبنا عاش معظمه في الخارج منذ عام ١٩٤٨ ، وبعد عام ١٩٦٧ أصبح جزء كبير منه تحت الاحتلال المباشر . لا شك في ان هذا الاحتلال يحتاج الى مقاومة على كافة المستويات ، ولكنه في الداخل نظرا لتشبث العدو ، وعدم امكانية اشعال جماهيرنا في الداخل لتلتقي مع حركة المقاومة في الخارج ، يجعلنا نفضل تسمية حركة المقاومة ، وهذا معناه الاعتراف بالحقيقة ، خاصة وانه في المفهوم التعبيري اذا اردنا ان نفرق ، فكلمة « حركة المقاومة » تعني ان هذه الحركة فيما لو أجهضت او تعثرت ، فبالامكان ان تنهض بعد ان تكبو وبالامكان ان تتطور . ومن هنا اختارت حركة « فتح » ان تكون حركة التحرير . نحن قصدنا ذلك ، لم نسمها جبهة مثلا ، او كتائب ، او ثورة ، لقد ارادت « فتح » منذ البداية ان تكرس كلمة « الحركة » لتكون الحركة متطورة وقادرة على الاستيعاب .

و « فتح » عندما انطلقت كانت تعي تماما ومن خلال الوضع العربي المزق ، ومن خلال انشغـــال الساحة الفلسطينية بمجموعة احزاب تتجـاذب فيمـــا بينها الولاء الفلسطيني ، ان المرحـــلة القادمة هي مرحـــلة تحرير وطني ، لا مجال فيهـــا لطرح ايديولوجيات معينة .

و « فتح » فهمت منذ البداية طبيعة العدو الصهيوني ومخططاته ، وما ينيه وفق هذه المخططات ليكرس وجوده ويحفظ بقاءه فترة طويلة من عمر التاريخ . (وبالمناسبة أقول هنا ان اليهود يقولون ان شعب فلسطين قد انتهى ، هكذا يقولون) ، نحن وعينا هذا

ووعينا ان صراعنا مع الصهيونية العالمية ممثلة في اسرائيل لا بد وان يطول أجله ، وقد يتعدى هذا الصراع عمر جيلنا الحاضر . نحن مؤمنون بهذا .

● ما هي الاهداف الاستراتيجية لحركة المقاومة برأيك ؟

— التحرير الكامل هو الهدف الاساسي لنا على المدى البعيد . لذلك حينما طرحنا « الدولة الديمقراطية » كان القصد هو اننا راغبون فيما لو انصاع العدو الاسرائيلي الى ان نعيش في اطار الدولة الديمقراطية . وفي الوقت ذاته نريد ان يشعر المواطن الاسرائيلي ان هذه الارض التي اخذها بالقوة ليبني عليها مستقبله ومستقبل ابنائه ليس من السهل ان يحافظ عليها ، يجب ان يظل يشعر بان هذه الارض ليست ملكا خالصا له ، وان هناك من ينازعه عليها على مر السنين ، بمعنى آخر اردنا من وراء طرح هذا الشعار ان يبقى العدو في حالة قلق وحرب أعصاب .

يختلف الحال طبعا ان نحن ازددنا قوة ومقدرة ونضالا ، فالعدو حينئذ يضطر الى الخضوع لمنطقنا .

● ما هي الاهداف السياسية المرحلية برأيك ؟

— في ظروف حركة المقاومة الفلسطينية التي نعيشها اليوم ، لا يمكن ان نطرح أهدافا سياسية مرحلية ، لان ظروف الشعب الفلسطيني واوضاع القضية الفلسطينية وما يحيط بها من اوضاع ذاتية وعربية ودولية تختلف جذريا عن كل حركات التحرر التي عرفناها .

ان الاهداف المرحلية يمكن ان تطرح اذا كان هناك بوادر معينة في الافق النضالي تدل على ان شيئا ما سيحدث في التركيبة السياسية والعسكرية والاجتماعية في معسكر الخصم ، وهذا ما حصل في ايام الحرب الجزائرية والفيتنامية .

ويجب ان يظل الهدف السياسي لمرحلة النضال الفلسطيني واضحا حتى لا تتميع الامور ويبدأ الوهن في صفوف المناضلين . فاذا انصاعت القوى الثورية الى شعارات براقة تلهت عن هدفها الاساسي وهو التحرير او اقامة الحكم الواحد على ارض فلسطين بعيدا عن العصبية الطائفية ، أي اقامة الدولة الديمقراطية ، اذا حصل ذلك نكون قد انتقلنا الى مرحلة الضياع السياسي والوهن .

● ما هي اهم الدوافع التي تحرك الانسان الفلسطيني برأيك للثورة ؟

— الوطن هو أغلى ما في الوجود ، لانه هو الوجود . أعني ان الانسان بدون وطن لا قيمة له ولا اعتبار له على الصعيدين الانساني والاجتماعي .

الانسان الفلسطيني انسان جاد ونشيط ، وعلى الرغم مما توفر للكثيرين من الامكانات الحياتية الجيدة ، على الرغم من ذلك ، فقد التف هؤلاء كما التف سواهم من ابناء فلسطين حول الثورة . ذلك لان حياة التشرد ، أي حياة عدم الانتماء الوطني والسياسي لم ترق لاي فلسطيني مهما جمع حوله من ثروة أو جاه بعد النكبة .

والانسان الفلسطيني بطبعه مناضل ، فقد عرف الثورات منذ فترة بعيدة ، منذ أن حل الاستعمار البريطاني في وطنه عام ١٩١٨ . والتاريخ يشهد على ان المظاهرات من أجل الوحدة العربية كانت في فلسطين قبل كثير من البلدان العربية .

وبالنسبة الي ، فانا أعتبر ان الشعب الفلسطيني لديه من الطاقات الكثير ، وانه سيظل يواصل المقاومة مهما وضع امامه من عراقيل ، لان الحرية تعيش في أعماقه ،

وهي تعتبر مطلبا تاريخيا لا يمكن ان يتنازل عنه . وهذا ما نلمسه في أجيالنا الصاعدة واحفادنا الصغار .

● الى اي مدى تؤمن بالعنف في اسلوب المقاومة ؟

ـ حين يكون الصراع من أجل البقاء ومن أجل ان نكون او لا نكون ، فالعنف شيء أساسي ، واستراتيجية ثابتة ضد العدو حتى يعترف بحقنا ، او يركع أمام قوتنا للوصول الى حقنا .

ولقد مارس عدونا العنف بشتى الوانه فكيف لا نمارسه نحن . العدو مارس العنف فاحتل أرضنا وشردنا ، ونحن سنمارس العنف في كل مكان حتى نعود الى أرضنا .

ان كلمة المقاومة بحد ذاتها تعني كل شيء . وأما اذا لم تكن مقاومة الغاصب والمحتل والمعتدي متسمة بالعنف ، فهل كنا نسميها مقاومة ؟؟

● ما هي الاسباب لعدم وحدة العمل الفدائي ؟

ـ هذا السؤال أصبح محيرا وداعيا الى الارتباك في آن واحد . ولكن قبل ان نطرح هذا السؤال ونجيب عليه يجب ان نعرف ما هو العمل الفدائي وكيف نشأ .

في رأيي ان العمل الفدائي ما لم يكن منشأه وفكره فلسطيني الوجه وعربي العمق ، لا يمكن ان نسميه عملا فدائيا . هذا هو السبب الرئيسي الذي جعل الساحة الفلسطينية تعيش في حالة ارتباك . لان التداخلات العربية من خلال حالة التناقض فيما بينها أغرقت الساحة الفلسطينية بتنظيمات ذات ولاءات متعددة لهذه الانظمة . ومن هنا كان الصراع داخل التنظيمات نفسها ، انه انعكاس لصراع الانظمة التي تشدها هنا وهناك .

ان المفهوم الفلسطيني الذي أطلقته « فتح » لم يكن القصد منه ابعاد الشعوب العربية عن المشاركة، بل ابقاء الساحة الفلسطينية بعيدة عن حالة التناقض العربي الواضحة. وقد طرحنا شعار التعاون من خلال مرحلة التحرر الوطني وابقاء الافكار والايديولوجيات جانبا في هذه المرحلة . ويا حبذا لو سارت الامور كما بدأنا عام ١٩٦٥ حين التفت كل جماهير الامة العربية نحو فكرة الكفاح والتحرر.

● كيف تصنف العلاقات بين فصائل المقاومة حاليا ؟

ـ العلاقات بين الفصائل لا اعتبرها علاقات سليمة لان الذاتية التنظيمية لا زالت تسيطر والكل يبحث عن مواقع أقوى لتنظيمه داخل الساحة الفلسطينية . وهذا شيء يقود الى الدمار والتخلف وضعف المواجهة مع الاعداء .

● الى اي مدرسة ايديولوجية تصنف افكارك السياسية ؟

ـ أنا أعتبر نفسي انسانا وطنيا هدفه تحرير الانسان الفلسطيني كانسان ليحيا حياة انسانية ، وليعود الى وطنه من خلال حرب التحرير الطويلة الامد .

وان أية افكار تطرح في الساحة الفلسطينية لست ضدها ، الا انني ارى ان السير في متاهات الافكار وصراعاتها سيؤدي الى عرقلة المسيرة لعدة عوامل فلسطينية وعربية .

ومن هنا فانا مع مرحلة التحرر الوطني . ان الوطنيين الشرفاء جميعا هم شركاء في عملية التحرير دون أي تصنيف لهذا او ذاك ، ومن هنا فانا انسان وطني فلسطيني عربي .

● الى أي مدى تعتبر ان قيادة المقاومة الحالية تعبر عن ارادة الشعب الفلسطيني ؟

— صحيح ان فصائل حركة المقاومة تمثل ارادة القتال ، وتمثل قطاعا هاما من الشعب الفلسطيني ، الا انه في رأيي الخاص يجب ان تكون القيادة الحالية لمنظمة التحرير الفلسطينية أكثر جدية وتمثيلا للشعب ، ويجب أخذ عدد من القيادات الوطنية الفلسطينية غير الملتزمة بالتنظيمات الفدائية حتى يشاركوا في مستقبل المسيرة وتحقيق أهداف الشعب .

● ما هو تقييمك للعلاقات بين قيادة المقاومة وحكومات الدول العربية المجاورة لفلسطين ؟

— بالنسبة لمصر كانت العلاقات ولا زالت تسير على مبدأ الثقة والتعاون ، وضمن امكانات خاصة بعد عام ١٩٦٧ . ونحن نرى ان منطق القتال وعدم ترك العدو يهدأ او يستقر خلال فترة الاحتلال منطق سليم ، ولذلك نحن كنا دائما مع منطق حرب الاستنزاف حتى ساعة التحرير الكامل .

بالنسبة لسوريا نعتبر ان موقفها الجغرافي هام جدا ، وتاريخ الانطلاقة يؤكد ذلك ، وهي بالنسبة الينا أهم من مصر لانها في قلب الاحداث أكثر من القاهرة .

الاردن معروف موقفنا منه فهو مرتبط ارتباطا جذريا بالاستعمار ، ولا يمكن ان يكون سليما الا اذا تخلص الشعب من الحكام الاردنيين الانهزاميين الحاقدين على شعبنا .

بالنسبة الى لبنان ، ظروفه الطائفية واوضاعه الاجتماعية وامكاناته المحدودة والصراعات الداخلية فيه ، تجعلنا نعيش معه في حالة ارباك دائم ، والمهم ان يظل لنا موقع قدم فيه من أجل مستقبل الثورة .

● كيف كانت علاقات المقاومة الفلسطينية بالرئيس جمال عبد الناصر ؟

— كانت العلاقات منسجمة وجيدة الى حين وفاته . ولا شك في ان خسارته كانت لها آثار على الساحة الفلسطينية لما كان يتمتع به من امكانات ، ومن مركز عربي على المستوى الرسمي والشعبي .

وفي الواقع انه حصل شيء من الفتور بعد مشروع روجرز ، ولكنني على ما أذكر انه قبيل وفاته أعترف بان مشروع روجرز كان مؤامرة امريكية قصد منها شق الساحة الفلسطينية والعربية .

والمسيرة الفلسطينية حين بدأت تشعر ان جمال عبد الناصر يقف منها موقف التأييد ، أعطاها هذا دفعا وتقدما ، نظرا لثقتها به .

● كيف تصنف حركة المقاومة الفلسطينية بالنسبة الى حركة التحرر العالمية ؟

— أية حركة نضال لا بد في النهاية من ان تنتهي الى مفهوم تقدمي ، لان الذين يناضلون ، يناضلون من أجل هدف موجه ضد الاستعمار والاحتكار والتسلط . ومن هنا كانت « فتح » وما زالت تقول ، ان التحرير اولا ، وبعد ذلك لا بد وان تقودنا مرحلة النصر الى العيش في اطار تقدمي وطني يعيش المنتصرون فيه حياة عدالة جادة . وان كل الشرفاء في العالم لا بد وان ينشأ بينهم وبين حركات التحرر صلات ود واخاء وتعاون لانهم متساوون في الحقوق والواجبات من الداخل او الخارج .

والمناضلون دائما هم ابناء الشعب ، ولذلك لن يتخلوا عن آمال الشعب واهدافه ، وهم بهذا شركاء لكل قوى التحرر في الهدف والمصير .

● ما هو تقييمك لعلاقات حركة المقاومة بالدول الاتية : الاتحاد السوفياتي والدول

الاشتراكية ـــ الصين الشعبية ـــ الولايات المتحدة الاميركية ـــ اوروبا الغربية ـــ دول العالم الثالث ؟

ـــ لا شك في ان الاتحاد السوفياتي صديق للامة العربية ، ولا يوجد بينه وبين امريكا أي وجه للشبه او المقارنة ، فهذا صديق ، وامريكا عدو سافر لنا ولامتنا . نقطة الخلاف بين حركة المقاومة والسوفيات انهم لا يؤمنون بازالة اسرائيل ، وانهم مع قرار مجلس الامن ، وهذا واضح من سياستهم ، الا ان التعاون في هذه المرحلة قائم ، ونحن مع تعزيز العلاقات وتطويرها .

الصين الشعبية موقفها مشرف وواضح وثوري حقيقي .

اوروبا الغربية يسيطر عليها الصهيونيون ، وكل دولة تتصرف على حدة من خلال مصالحها المرتبطة بالعرب ، ومثل على ذلك الموقف الفرنسي الايجابي الى حد ما .

واما دول العالم الثالث ، فهي قسمان ، قسم يفهمنا جيدا ، ويقف معنا بقدر امكاناته، وقسم ينظر الى الصراع على أنه يجب ان يحل وديا ، وان اسرائيل يجب ان تبقى ، وهذا موجود في الدول الافريقية خاصة .

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب بعنوان

PALESTINIAN LEADERS DISCUSS :
THE NEW CHALLENGES
FOR THE RESISTANCE

والكتاب عبارة عن ندوة عقدها قادة المقاومة الفلسطينية (الدكتور جورج حبش ، نايف حواتمه ، ابو اياد ، زهير محسن وشفيق الحوت) لمجلة « شؤون فلسطينية » ترجمها المركز الى الانجليزية لتكون مادة دسمة الى القراء غير العرب عن فكر المقاومة لتحديات المرحلة الراهنة .

٧٤ صفحة بثلاث ليرات لبنانية ، يضاف اليها اجور البريد الجوي : ٥٠ ق. ل. في العالم العربي ، ١ ل.ل. في اوروبة ، ٢٥٠ ق. ل. في سائر الدول .

اطلب نسخك من مركز الابحاث ـــ قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ ـــ بيروت .

الشعب الفلسطيني :
والحقوق القومية المشروعة

ناجي علوش

ظل الشعب الفلسطيني ، منذ النكبة وحتى وقت قريب منسيا على الصعيد الرسمي العالمي . وكانت قضيته منذ النكبة قضية لاجئين . ان الامم المتحدة التي اتخذت قرار التقسيم ، وقراري العودة والتعويض تجاهلت ما اتخذته من قرارات . وحين حدث عدوان حزيران سنة ١٩٦٧ ، وعادت الامم المتحدة الى مناقشة القضية مجددا ، واتخذ مجلس الامن قراره رقم ٢٤٢ ، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ، لم يذكر من القضية غير اللاجئين .

والآن نجد البيانات الرسمية المختلفة من بيان نيكسون — برجينيف الى بيان دول السوق الاوروبية المشتركة تتحدث عن مصالح الشعب الفلسطيني تارة ، وعن حقوقه المشروعة طورا . كما اننا نجد ان هناك من أخذ يتحدث عن حقوق راهنة وحقوق تاريخية ، أو حقوق تاريخية ومكاسب مرحلية وطنية ، فما هي قضية الحقوق القومية للشعب الفلسطيني ؟

ان علينا لكي نجيب على هذا السؤال أن نناقش المسائل التالية :

١ — مسألة الحقوق القومية في الثورة القومية البرجوازية ، وسوف نستشهد هنا تحديدا بالثورتين الاميركية والفرنسية .

٢ — مسألة الحقوق القومية في الثورة البروليتارية . وسنناقش هنا نظرية الحقوق القومية من وجهة النظر الماركسية — اللينينية .

٣ — مسألة الحقوق القومية في المؤسسات والاتفاقات الدولية .

٤ — مسألة الحقوق القومية في الثورة الفلسطينية .

وهدف هذه المناقشة العامة أن نصل الى تحديد علمي لمضمون الحقوق القومية عموما ، ولهذا المضمون في القضية الفلسطينية تحديدا . ويرمي ذلك الى جلاء الملابسات المحيطة بالقضية الفلسطينية حاليا ، والى بلورة نظرة علمية وثورية يهتدى بها في المعركة القائمة ، والتي سوف تستمر ما زال الوجود الصهيوني الاحتلالي قائما .

ويجدر بنا ان نشير الى ان هذه المناقشة ستأخذ حقيقتين بعين الاعتبار :

الاولى : ان نظرية الحقوق القومية ، قد نمت وتكاملت عبر صراعات القرون الثلاثة الماضية ، وأن هذه الصراعات تؤكد اليوم حقائق كانت تبدو قبل قرنين أشبه ما تكون بالاحلام .

الثانية : اننا نناقش هذه القضية على ضوء حقائق النصف الثاني من القرن العشرين ، وعلى ضوء التوازن النووي بين الدولتين العظميين من جهة وانهيار موضوعة

المعسكرين ، وبروز قوى عالمية جديدة واتجاه الدول نحو الاستقلال والامم نحو التحرر والشعوب نحو الثورة .

١ ــ الحقوق القومية في الثورة القومية البرجوازية

كانت أوروبا في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر ، قد أخذت تضيق بقيودها . كانت المؤسسات الاقطاعية قد أصبحت قيودا تكبل نمو قوى الانتاج الجديدة وأعجز من أن تفي بحاجات أوروبه في عهد الفتوح والسيطرة على العالم . وكانت البرجوازية تطمح الى عالم جديد يضمن مصالحها ومطامحها .

وأخذ الفكر يعبر عن هذه التطلعات . ولما كان الوضع القائم آنذاك يصادر حرية الانسان : يحرمه من أن يفكر بحرية ، ويمنعه من أن يكون له رأي في اختيار دولته ، فقد اتجه الفكر الى معالجة هاتين القضيتين .

فالفكر يجب ان يكون حرا ، وبذلك يستطيع ان يستخدم كل امكانياته استخداما سليما . يقول كانت Kant في هذا المجال : « يجب ان يكون الانسان حرا ليتعلم كيف يستخدم امكانياته بطريقة حرة ومفيدة »(١).

ولكن الحرية لا تعني ان يكون للانسان حق ان يفكر فقط . انها تعني ان يشارك في اختيار الطريقة التي يحكم بها . وكانت أوروبه ممزقة بين دول اقطاعية صغيرة ودول امبراطورية تتجاوز حدود القوميات ، وكان لا بد من أن ينتهي التمزق الداخلي ، وان تسقط اشكال الدولة الامبراطورية القديمة . ولهذا كانت الدولة القومية هي الحل . يقول مل: « من الشروط الضرورية بصورة عامة للنظم الحرة ان تنسجم حدود الحكومات انسجاما كاملا مع حدود القوميات »(٢).

ويقول لينين في أطروحته ، الثورة الاشتراكية وحق الامم في تقرير المصير : ان مطلب حق تقرير المصير أثارته البرجوازية الصغيرة في البدء في القرنين السابع عشر والثامن عشر(٣).

وقد انعكست فلسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر في بيان الاستقلال الاميركي. ويركز بيان الاستقلال الاميركي على حقائق ثلاث :

الاولى : « ان جميع الناس قد ولدوا متساوين ، وان الخالق قد أنعم عليهم بحقوق معينة لا يمكن انكارها ، وان من بين هذه حق الحياة ، وحق التمتع بالحرية ، وحق البحث عن السعادة » .

الثانية : ان الحصول على هذه الحقوق يتطلب : « ان تقام الحكومات لخدمة الناس على أن تستمد سلطاتها العادلة من تعاون المحكومين وموافقتهم » .

الثالثة : « وكلما أصبح أي شكل من اشكال الحكومة مصدر خطر على هذه الاهداف، فمن حق الناس أن يغيروا هذه الحكومة أو أن يلغوا وجودها الغاء ، ومن حقهم ان يقيموا حكومة جديدة على أسس من المبادىء المعينة ، وان ينظموا سلطاتها بطريقة خاصة بحيث تبدو لهم هذه المبادىء وتلك الطريقة قادرة على تأمين سلامتهم وتحقيق سعادتهم »(٤).

ولن نخوض كثيرا في بحث الفلسفة السياسية للثورة الاميركية . يكفي أن نقول انها جاءت اليهم عن طريق « لوك وهارنجتون وغيرهما من الكتاب الانجليز في القرن السابع عشر »(٥) أكثر مما جاءت اليهم عن طريق المفكرين الفرنسيين أو الالمان .

ان الثورة الاميركية هذه التي كانت صدى للثورة السياسية في أوروبه ، وكانت مفعمة

« بفلسفة العصر » ، كانت أيضا أول هزة للامبراطورية البريطانية ، ولنظام الاستعمار في عنفوانه . لقد أكدت هذه الثورة (« حق المقاومة » الذي أكده المفكرون)(٦).

وتكمن أهمية الثورة الاميركية في ناحيتين :

الاولى : أنها أكدت في « بيان الاستقلال » أهم المبادىء التي دعا لها الفلاسفة الاحرار خلال قرن من الزمان .

الثانية : انها أكدت مع ذلك حق الشعوب في الاستقلال القومي وفي مقاومة الاحتلال.

ويجدر بنا هنا أن ننقل فقرة من خطاب لتوماس جيفرسون ، القـاه في ٢٤ حزيران ١٨٢٦ يقول فيها : « لعله (أي بيان الاستقلال) ان يكون للعالم ، ما أعتقد انه سيكون ـ لبعض الاجزاء في القريب ولبعضها الآخر فيما بعد ، ولكن للكل في النهاية ـ علامة هبوب الناس لتحطيم الاغلال التي دفعهم الجهل والايمان بالخرافات الى تقييد انفسهم بها ، والاستمتاع بسعادة الحكم الذاتي وأمنه »(٧). أن جيفرسون هنا يقول ما قاله مفكرو أوروبه الاحرار من قبل . انه لا يريد التحرر والحكم الذاتي للولايات المتحدة الاميركية فقط ، انه يريدهما للعالم كله .

ولكن الثورة الاميركية لم تهز العالم القديم كما هزته الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ . لقد كانت اميركا الشمالية من أطراف الامبراطورية البريطانية ، ولم تكن آنذاك قاعدة صناعية أو أداة تأثير خارجي ، بسبب بعدها من جهة ، وقصور وسائل المواصلات ، ولانها لم تكن تمثل آنذاك قوة على الصعيد العالمي . اما الثورة الفرنسية فقد قامت وسط أوروبه ، وفي فرنسا بالذات ، احدى قوى اوروبه الاساسية . وكانت فرنسا مهد حركة فكرية وسياسية قوية ، ترفض العالم القديم كله وتطرح مفاهيم حياة جديدة .

وعندما قامت الثورة اعلنت بيان حقوق الانسان والمواطن ، ومن اهم ما جاء في هذا البيان :

« وبناء عليه فان المجلس الوطني يقر ويعلن ... الحقوق التالية للانسان والمواطن :

١ ـ يولد الناس ويظلون أحرارا ومتساوين في الحقوق . ويمكن أن تقوم الامتيازات الاجتماعية على أساس المصلحة العامة فقط .

٢ ـ ان هدف كل مؤسسة سياسية ان تحافظ على حقوق الانسان الطبيعية التي لا تبطل ، وهذه الحقوق هي الحرية والملكية والامن ومقاومة الاضطهاد .

٣ ـ ان مبدأ السيادة كلها يقع بالضرورة في الامة . ولا تستطيع اية هيئة او فرد ان يمارس السلطة ، اذا لم تأخذ أصولها من الامة .

٤ ـ وتكون الحرية في أن يتاح لك أن تعمل كل ما لا يؤذي الآخرين ...

٦ ـ ان القانون هو تعبير عن الارادة العامة . ويحق لكل المواطنين ان يشاركوا شخصيا ، أو بواسطة ممثليهم في وضعه ...

١٠ ـ لا يجوز أن يضايق أحد بسبب افكاره ، حتى بسبب افكاره الدينية ، شريطة الا يزعج اعلانها النظام العام الذي يقيمه القانون .

١١ ـ ان التبادل الحر للافكار والآراء واحد من اغلى حقوق الانسان .

١٧ ـ لان الملكية حق مقدس لا يمس ، فلا يجوز أن يحرم منها أحد ، الا عندما تقتضي الحاجة العامة ، المعلنة عـن طريق القانون ، والتي تجعل ذلـك ضروريا ضرورة صريحة ... »(٨).

ان هذا البيان يعلن حقوق المواطن ، وسيادة الامة ، كما لم يعلنها بيان الاستقلال الاميركي . وتبعت هذا البيان بيانات . فقد اعلن سنة ١٧٩٠ ان الثورة تدين كل حروب الغزو والاستعمار(٩) . وبحث المجلس الوطني في الثامن عشر من أيار (مايو) سنة ١٧٩٠ مسودة بيان دمج جزئيا في مرسوم السابع والعشرين من الشهر نفسه وفي دستور سنة ١٧٩١ جاء فيه : « ان الشعوب والدول ، باعتبارها أفرادا ، تتمتع بنفس الحقوق الطبيعية ، وتخضع لنفس قواعد العدالة » (المادة الثانية) . وجاء في دستور سنة ١٧٩١ : « ان الامة الفرنسية تندد بكل حروب الغزو ، وسوف لا تستخدم قواتها أبدا ضد حرية أي شعب »(١٠) .

وهكذا أكدت الثورة الفرنسية حقوق الافراد وحقوق الامم . وأكدت للامم حقوق الافراد في الحرية والمساواة والاخاء . ولكنها أكدت الى جانب ذلك وحدة فرنسا غير القابلة للانقسام ولذلك قرر المؤتمر الوطني المنعقد في ١٧٩٢/٩/٢٥ ان « الجمهورية الفرنسية واحدة غير قابلة للانقسام » . كما قرر في ١٧٩٢/١٢/١٦ : « حكم الموت ضد كل من يحاول : أن يمس وحدة الجمهورية الفرنسية أو أن يقتطع من صلبها أجزاء ليلحقها بأرض أجنبية »(١١) .

واذا كان للمواطنين حق اختيار حكومتهم واسقاطها ، فان من حقهم ان ينفصلوا عنها ، وأن ينتموا الى دولة أخرى . فالسيادة ليست لامة دون أخرى ، والامم متساوية ، ولذلك فانها تملك الحقوق ذاتها . وعندما طرح نائب من الراين الادنى على المؤتمر الوطني الذي خلف الجمعية التشريعية في أواخر سنة ١٧٩٢ سؤالا حول موقف فرنسا من حماية مدينة مايانس Mayence صعد مارا الى المنبر قائلا : « انكم باعلانكم سيادة الامة الفرنسية ، فانكم تعترفون بالتالي بسيادة جميع الامم الاخرى . لقد حررتم جيرانكم من الطغيان ، فلا تتخلوا عنهم حين يرتمون في احضانكم »(١٢) .

وشهدت اوروبه بعد الثورة الفرنسية صراعا دمويا طويلا بين اباطرة اوروبه من جهة ، وبين أباطرة أوروبه وشعوبها من جهة أخرى . فلم تمض سنوات على الثورة الفرنسية حتى كانت جيوشها تغزو أوروبه ، وتشتبك لا مع الاباطرة فحسب كما هي الحال مع بريطانيا والنمسا وروسيا بل مع الشعوب ايضا كما هي الحال مع اسبانيا وبلجيكا والمجر وبروسيا . وما تلبث الولايات المتحدة ان تؤيد حرب الاستقلال في اميركا الجنوبية ، مؤيدة « شرعية انفصالها » .

وعندما هب الشعب اليوناني مناضلا من أجل استقلاله أيده الرأي العام الاوروبي ، وسانده مفكرون كبار من مثل شاتوبريان ولورد بايرون . وكان حق الشعب « ... في أن يقيم لنفسه اطاره الفردي الذي يتمشى مع ارادة حياته الجماعية » ... « من المبادىء الحيوية التي تحرك حرب تحرير اليونانيين والاحلاف التي تساند قضيتهم »(١٣) .

وقامت ثورات ١٨٤٨ في أوروبه فهزت العروش والاباطرة ، وفرضت الدساتير ، ولكنها لم تغير من تكوين أوروبه القومي .

ولذلك ظل مفكرو أوروبه وقادة الحركات القومية يطرحون قضية حق الشعوب باستقلالها ، وتعود فرنسا سنة ١٨٤٨ الى اعلاء صوتها . ان لا مارتين وزير الخارجية يؤكد في بيان خاص : « أما وساعة انبثاق بعض القوميات في اوروبه ، او في غيرها ، قد دقتها العناية الالهية ، فانه اذا عانت سويسرا حليفتنا المخلصة الضغط أو التهديد ، واذا تعرضت الدويلات الايطالية المستقلة للغزو ، واذا أقيمت العقبات او القيود في وجه تطورها الداخلي ، واذا ما أنكر عليها أحد ، بقوة السلاح ، حقها في أن تتحالف فيما بينها من أجل «اقامة وطن ايطالي» ، فان الجمهورية الفرنسية تجد من حقها ان تتسلح لتحمي هذه « الحركات الشرعية » حركات نمو الشعوب وحركات قومياتها » .

أما ماتزيني القائد القومي الايطالي فيؤكد (« ان لكل امة السيادة «Signoria» على نفسها وعلى كل أرضها . ويتيح لها هذا الحق ان تقيم وتنظم وتختار لنفسها الحكومة الملائمة لحاجاتها ، كما يتيح لها هذا الحق الحرية في أن تتحول « من أمة الى دولة»)(١٤) .

وعاشت أوروبه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تصارع في اتجاهين : السيادة الشعبية من جهة والدولة القومية من جهة اخرى . ولقد توحدت رومانيا وايطاليا والمانيا ما بين ١٨٥٩ و١٨٧١ . كما قوضت الحركات القومية ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الامبراطوريتين « الالهيتين » : امبراطورية آل هابسبورغ وسلطنة بني عثمان . واخذت الصراعات الطبقية والتحررية تزداد اتساعا وعنفا في هذه المرحلة .

الا أن أوروبه ، التي شهدت كل هذه الصراعات القومية والتحررية ، كانت تتحول بعد وحدة اقطارها القومية ونهضتها العلمية والاقتصادية الى اداة غزو واستعمار . أوروبه الامبراطورية تعود الى المسرح العالمي في زي جديد ، وبقوى جديدة .

وهكذا نجد أن الثورة القومية البرجوازية طرحت مبادىء السيادة الشعبية والحقوق القومية ، ولكنها بالمقابل أوجدت سيطرة البرجوازية المستغلة في الداخل ، وسيطرتها على المستعمرات في الخارج . لقد طرحت افكارا «مثالية» ، ناضلت من اجلها الجماهير الشعبية ، وقدم العمال والفلاحون والبرجوازية الصغيرة تضحيات كبيرة من اجلها . ولكنها اقامت دولا تدوس هذه الافكار « المثالية » .

ولكن هذه الافكار ظلت تتفاعل في أوساط الجماهير ، ويناضل من أجلها المفكرون ، ويتغنى بها الشعراء . وكانت هذه الأفكار تنتقل الى المستعمرات حيث تتفاعل مع جماهير مسحوقة تتطلع الى مستقبل جديد زاهر ، فتقوم الانتفاضات والثورات .

٢ ــ الحقوق القومية في الماركسية ــ اللينينية

سنحاول هنا أن نلخص المفاهيم الاساسية للماركسية ــ اللينينية في هذه القضية . وسوف لا نخوض في التطبيق السوفياتي لحق تقرير المصير ، وان كنا سنعرض لمسألة حق تقرير المصير ، كما برزت في السياسة الخارجية السوفياتية .

وهناك ثلاث مراحل يجب التعرض لها :

الاولى : مرحلة ماركس وانجلز (١٨٤٨ ــ ١٨٩٨) :

لقد أيد ماركس وانجلز حق الشعوب المضطهدة في اقامة حكوماتها المستقلة . وكان تأييدهما واضحا وقويا لحقوق الشعبين الايطالي والايرلندي . كما أيد ماركس وانجلز الحقوق القومية لشعوب المستعمرات . وكان ماركس يرى « ان تحرر ايرلندا ليس ، بالنسبة للبروليتاريا ، مسألة عدالة مجردة او عاطفة انسانية ، ولكنه الشرط الاول لتحرر البروليتاريا الاجتماعي » .

واخضع ماركس وانجلز قضية الانفصال لـ : « ... المصالح الشاملة للنضال من أجل الديمقراطية ، وانتصار الثورة البروليتارية » ولذلك عارضا حركات « الشعوب الرجعية » مثل التشيك والسلاف الجنوبيين لان القيصرية كانت تستفيد من هذه الحركات لخدمة أغراضها .

ولم تحذ القيادات الانتهازية في الاممية الثانية حذو المعلمين الكبيرين ، بل ألقت على قضية تقرير المصير غشاوات النسيان . وقد اعتبر لينين ان قرار حق تقرير المصير الذي اتخذه مؤتمر الاممية الثانية في لندن غير مناسب : لانه لا يؤكد على الجوهر السياسي لمطلب حق تقرير المصير او مضمونه الطبقي ، وتبعيته لنضال البروليتاريا الثوري المباشر

من اجل اسقاط الرأسمالية » . ولم تثر القرارات التي اتخذت حول المسألة الكولونيالية في مؤتمرات الاممية الثانية سنة ١٩٠٠ ، ١٩٠٤ ، ١٩٠٧ ، قضية الشعوب في حق تقرير مصيرها(١٥) . وما كان متوقعا ان يصدر عن الاممية الثانية « موقف محكم ومعقول » من القضايا القومية لان الاحزاب المشاركة فيها « ذات انتماء ثنوي »(١٦) .

الثانية : مرحلة لينين ١٨٩٨ — ١٩٢٤ . وقد اعطى لينين لهذه المسألة جهدا كبيرا ، وسد كثير من الثغرات التي تركها ماركس وانجلز وغيره قبله .

وكان لينين يؤكد على ما يلي :

أولا : ان لكل أمة الحق في تقرير مصيرها .

ثانيا : ان حق تقرير المصير يعني حق الانفصال ، وحق اختيار طبيعة العلاقة بين أمة وأخرى .

ثالثا : ان الاشتراكيين الديمقراطيين في البلاد الكبيرة يجب ان يكونوا ملزمين بواجب النضال ضد كل أشكال الاضطهاد .

رابعا : ان الاتحاد بين الدول يجب ان يتم طوعا ، وان حق تقرير المصير ، لا يعني الانفصال بالضرورة .

وقد اخضع لينين حق تقرير المصير للعاملين اللذين اخضعه لهما ماركس وانجلز . وكان لينين يقول : « نحن نقف الى جانب التمرد القومي » . ويضيف : « بيد اننا لسنا الى جانب كل تمرد ، ولسنا بشكل خاص الى جانب تمرد الولايات الجنوبية في الولايات المتحدة في العام ١٨٦٣ »(١٧) .

واذا كان لينين قد أولى القضية القومية عموما اهتماما كبيرا ، فانه أولى ايضا قضية حركة التحرر الوطني في الشرق اهتماما مماثلا ، وحدد الدور التقدمي الذي تلعبه الحركات القومية لا في البلدان الاوروبية فحسب ، بل في المستعمرات ايضا(١٨) .

المرحلة الثالثة : المرحلة التالية لقيام الدولة السوفياتية وحتى الآن : لن يكون سهلا ايجاز وقائع هذه المرحلة ، ولذلك فاننا سنقدم بعض الامثلة فقط، ما دامت القضية ليست قضية الموقف الماركسي من قضية حق تقرير المصير .

ضم بيان حقوق شعوب روسيا وبيان حقوق الشعوب الكادحة والمستغلة مبدأ حق تقرير المصير . وقد جاء في البيان الاول « ان الحكومة السوفياتية ، تنفيذا لقرارات مؤتمري السوفياتات الاول والثاني حول حق الامم في تقرير مصيرها ، مصممة على ان تجعل المبادىء التالية أساس السياسة القومية :

١ — مساواة شعوب روسيا وسيادتها .

٢ — حق شعوب روسيا في تقرير المصير ، حتى الانفصال واقامة الدول المستقلة .

٣ — الغاء كل القيود والامتيازات القومية والدينية .

٤ — التطور الحر للاقليات القومية والجماعات الاثنية القاطنة في اراضي روسية»(١٩) .

وانسجاما مع هذه المبادىء قدم الوفد السوفياتي الى صلح برست ليتوفسك المقترحات الستة التالية :

« ١ — لا تهاون مع الحاق الاراضي التي تم الاستيلاء عليها خلال الحرب . والقوات التي تحتلها تنسحب في أقرب وقت ممكن .

٢ ــ ان الاستقلال السياسي للامم التي حرمت منه خلال الحرب الحاضرة يستعاد كاملا .

٣ ــ ان الجماعات القومية التي لم تكن تتمتع بالاستقلال السياسي قبل الحرب، تعطى الامكانية لتقرر بحرية التحاقها لهذه الدولة أو تلك او قيام دولتها المستقلة بواسطة الاستفتاء . ويجب ان ينظم الاستفتاء على أساس ان يؤمن حرية التعبير الكاملة للسكان كلهم في أرض معينة ، بما في ذلك اللاجئين .

٤ ــ تؤمن حقوق الاقليات على الاراضي التي تقطنها قوميات متعددة ، بتشريعات خاصة تؤمن لهم الاستقلال الثقافي والقومي ، والاستقلال الاداري ، اذا كان ذلك ممكنا في الواقع .

٥ ــ . . .

٦ ــ تحل المسائل الكولونيالية طبقا للمواد الاربع الاولى »(٢٠).

وقد وضع دستور سنة ١٩٣٦ فيودا على قضية الانفصال تتلخص في التالي : ١ ــ ان تكون الجمهورية المطالبة بحق الانفصال حدودية ، ٢ ــ ان تكون القومية ذات العلاقة قومية الاكثرية في الجمهورية ، ٣ ــ يجب ألا تكون الجمهورية صغيرة العدد جدا من حيث السكان(٢١).

ولقد استعرض الكاتب السوفياتي ج. ستارشنكو هذه المسألة على الصورة التالية : انها :

« أولا : تعلن حق تقرير المصير لكل الشعوب والامم دون استثناء .

« ثانيا : انها تعتبر حق تقرير المصير ، لا باعتباره حقا للاستقلال الذاتي او الاستقلال الذاتي الثقافي ، ولكن باعتباره حقا لاقامة دولة منفصلة .

« ثالثا : انها تنطلق لا من الحاجة الى الانفصال ، بل من الاهلية للانفصال ، مخضعة هذه المسألة للقضية الاساسية ــ النضال من اجل انجاز الاهداف الطبقية للطبقة العاملة ، النضال من اجل الاشتراكية .

« رابعا : انها تثير مسألة المساواة بين الامم ، لا الشكلية (الرسمية) بل مسألة المساواة الواقعية (في ميادين الاقتصاد والثقافة) »(٢٢).

ولحق تقرير المصير مجالان خارجي وداخلي . فعلى الصعيد الخارجي انه يعني :

أ ــ الانفصال وتكوين دولة مستقلة .

ب ــ الانفصال والانضمام الى دولة أخرى .

ج ــ البقاء ضمن دولة باعتباره عضوا فيدراليا ، او ذا حكم ذاتي .

ويعني حق تقرير المصير بالنسبة للشعب في الميدان الداخلي :

أ ــ كيف يكون نظامه السياسي والاجتماعي .

ب ــ ان ينظم موارده الطبيعية وان يدير اقتصاده بحرية .

ج ــ ان يقرر كل القضايا الداخلية الاخرى، فيما يتعلق بالثقافة والدين الخ. . .(٢٣).

٣ ــ الحقوق القومية في المؤسسات والاتفاقات الدولية

كانت الحرب العالمية الاولى صراعا بين القوى العظمى في أوروبه على السيطرة ومناطق النفوذ . ولكن الامم كانت تطمح الى التحرر ، وتأمل أن تنتهي الحرب بالحرية

والسلام لكل المضطهدين . وحين قامت ثورة اكتوبر سنة ١٩١٧ اعلنت الاتفاقات السرية التي كانت روسيا القيصرية على علم بها ، والتي كانت تتعلق باقتسام مناطق النفوذ ، ومنها بلادنا .

قاد هذا الوضع كله قادة الدول المتصارعة ، الى تغطية مواقفهم باعلان تبنيهم حق تقرير المصير . وكان الاتحاد السوفياتي قد أعلن مبادىء في حق تقرير المصير ، وادان سياسة النهب والغزو . اما الولايات المتحدة الاميركية فقد أعلنت على لسان رئيسها ولسن المبادىء الاربعة عشر التي وقفت الى جانب حق تقرير المصير . كان ولسن رجلا ليبراليا ، وكان موقفه مع ذلك موقفا شخصيا اكثر منه موقف اميركي ، ومع ذلك فقد كان هذا الموقف معبرا عن طموح الولايات المتحدة لوراثة الاستعمار القديم، من خلال تحريض الشعوب المستعمرة ضد الاحتلال والوصاية . قال ولسن في خطاب القاه يوم الثاني من كانون الثاني (يناير) ١٩١٧ : « اني اقترح أن اي شعب أو أمة أخرى ، وان كل شعب يجب ان يترك وحاله ليقرر سياسته بنفسه، كما يقرر طريق تقدمه دون عائق او تهيب أو وجل ، ويسير الشعب الصغير بخطى متساوية مع الكبير القوي » . واضاف ولسن في خطاب القاه بعد فترة وجيزة (١١ شباط ١٩١٨) أمام الكونغرس الاميركي : « ان تقرير المصير لم يعد مجرد تعبير . لقد اصبح تقرير المصير مبدأ يفرض العمل به ، ولا يمكن أن يتجاهله الساسة الا على مسؤوليتهم » . ولم يشذ لويد جورج في تصريحاته عن هذا الخط ، فأعلن ترحيبه بمبدأ تقرير المصير قائلا : « ان هناك ثلاثة أسس للسلام الدائم ... احدهما حل مشاكل الاراضي على اساس حق تقرير المصير »(٢٤).

ولكن قضية تقرير المصير تحولت الى قضية نهب واقتسام غنائم في مؤتمر باريس . وهو ما وصفه لينين قائلا : « انها الحالة الاولى في التاريخ العالمي للسطو والعبودية والاخضاع والفقر والجوع المحمية بالشرعية »(٢٥).

وفي مؤتمر الصلح أقر نظام الانتداب ، وادخل في هيكل ميثاق عصبة الامم ، وفرض على بلادنا ، ومن ضمنها فلسطين .

لقد كرست اتفاقات الصلح اقتسام مناطق النفوذ بين الدول المنتصرة ، كما أن ميثاق عصبة الامم كرس هذا الواقع من خلال نظام الانتداب . ولم يشر ميثاق عصبة الامم الى حق تقرير المصير بل اكتفى في المادة ٢٣ « بالتعهد باستخلاص المساواة في المعاملة بين جميع السكان الذين يقطنون الاراضي (المستعمرة) و« النظر في صالح وتطوير هذه الشعوب » . وجاء ميثاق هيئة الامم المتحدة ، فألزم الاعضاء « بمنح الحكم المستقل » لهذه الشعوب(٢٦). ومع ذلك فقد ظلت الدول الامبريالية فارضة سلطتها على الكثير من بلدان اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . وظلت الشعوب تقاوم وتناضل . وكان شعبنا العربي من هذه الشعوب .

وجاءت الحرب العالمية الثانية ، فاصطدمت القوى الامبريالية فيما بينها ، وشنت المانيا الهتلرية حربا واسعة على الاتحاد السوفياتي ، ثم ما لبثت الولايات المتحدة الاميركية ان دخلت الحرب . وقد انهكت هذه الحرب الدول المتصارعة ، فهزمت المانيا الهتلرية وايطاليا واليابان هزيمة ساحقة ، وضعفت فرنسا وبريطانيا ، بينما قويت الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي .

وساعدت ظروف هذه الحرب بعض الشعوب على انجاز استقلالها الوطني . فهزيمة اليابان ، وعجز الدول الامبريالية عن التدخل المباشر الواسع ، وقوة الاتحاد السوفياتي آنذاك ومساندته أدت كلها الى انتصار نضال الشعوب في الصين وكورية وفياتنام . ولكن التدخل الاميركي والحليف في كورية والفرنسي في فياتنام قادا الى اشتعال

الحرب من جديد ، والى اقامة نظامين رجعيين عميلين . واقعين تحت السيطرة المباشرة للامبرياليتين الاميركية والفرنسية . ولقد استقلت بعض الدول ايضا في آسيا وافريقيا. ولكن معظم الشعوب ظلت تناضل ضد بقايا الاستعمار القديم ومحاولات الاستعمار الجديد للتسلل والسيطرة . ولقد استقلت معظم شعوب آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ما بين ١٩٤٥ و١٩٧٠ ، وانتهت سيطرة الاستعمار القديم تقريبا ، ولكن الاستعمار الجديد ما زالت له مواقع نفوذه وسيطرته ، وما زالت الشعوب تناضل ضد محاولات الاستعمار الجديد للتسلل والسيطرة ، وضد مواقعه .

٤ ــ شعبنا وحقوقه القومية المشروعة

احتلت القوات البريطانية فلسطين سنة ١٩١٧ ، ورفعت بريطانيا مشروع الانتداب على فلسطين في الرابع والعشرين من حزيران سنة ١٩٢٢ ، فلم توافق العصبة عليه حتى التاسع والعشرين من ايلول سنة ١٩٢٣ .

ودمجت الحكومة البريطانية وعد بلفور بصك الانتداب على فلسطين ، فكرسته عصبة الامم ، كما كرست المادة الثانية من الصك ان من واجب الدولة المنتدبة « ان تهيىء في البلاد من الاحوال السياسية والادارية والاقتصادية ما يضمن انشاء الوطن القومي اليهودي »(٢٧).

واذا كان الاحتلال البريطاني مخالفا لابسط حقوق الانسان التي ناضلت الامم المتحدة من أجلها ، فان وعد بلفور اعتداء على بديهيات اقرتها كل المواثيق الممثلة لمطامح الانسان في التحرر والتقدم منذ الثورة الاميركية .

ومع ذلك قام واقع جديد في فلسطين يختلف عما كانت عليه الحال في كل المستعمرات والبلاد الواقعة تحت الانتداب . ذلك ان فلسطين أصبحت تواجه مشكلتين : الاولى مشكلة الاستعمار الذي احتل البلاد واخضعها لسطوته . الثانية : مشكلة الوعد الذي يعد اخلاطا من الناس في كل انحاء الارض بدولة في فلسطين على حساب شعبها .

وعلى الرغم من كل ما اثير قانونيا حول وعد بلفور . من أنه « ... لا ينص على أي التزام قانوني مهما كان نوعه »(٢٨)، فانه قاد البلاد تدريجيا ، وفي ظل انتداب الدولة صاحبة الوعد ، الى قيام دولة صهيونية محتلة .

وجاءت سنة ١٩٤٧ ، فقررت هيئة الامم المتحدة تقسيم فلسطين الى دولتين يربط بينهما اتحاد اقتصادي(٢٩). ولم يشر القرار المذكور الى حقوق الشعب الفلسطيني القومية ، ولا الى حق تقرير المصير . ولقد قامت دولة الاحتلال الصهيوني بعد ذلك ، لا على المساحة التي حددها القرار ، بل على ما يقارب ثمانين بالمائة من أرض فلسطين كلها . واخضع ما تبقى من فلسطين للنظام الاردني في الضفة الغربية ، واتبع للادارة المصرية في غزة .

وأصدرت هيئة الامم المتحدة في الحادي عشر من كانون الاول ١٩٤٨ قرارا بانشاء لجنة توفيق ، كان من مهمتها : « ... اتخاذ التدابير بغية معاونة الحكومات والسلطات المعنية لاحراز تسوية نهائية لجميع المسائل المعلقة بينهم »(٣٠). ولم يشر القرار لغير العودة « في أقرب وقت ممكن للاجئين الراغبين بالعودة الى بيوتهم والعيش بسلام مع جيرانهم ووجوب وضع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة الى بيوتهم ، وعن كل مفقود او مصاب بضرر ... » ، وهكذا بدأت الامم المتحدة رحلتها في طمس الحقوق القومية للشعب الفلسطيني . وقبلت اسرائيل عضوا في الامم المتحدة بتاريخ ١١ ايار (مايو) ١٩٤٩ ، على أساس « ... ان اسرائيل دولة محبة للسلام راضية بالالتزامات الواردة في الميثاق ، قادرة على تنفيذ هذه الالتزامات ، وراغبة في ذلك » .

واكتفت الامم المتحدة بالاشارة ... « الى قراريها الصادرين في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ ، وفي ١١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ ، و... بالتصريحات وبالايضاحات التي صدرت عن ممثل حكومة اسرائيل ، امام اللجنة السياسية المؤقتة فيما يتعلق بتطبيق القرارات المذكورة ... »(٣١).

ولكن دولة الاحتلال الصهيوني التي قامت على انقاض الوجود السياسي والاجتماعي والاقتصادي لشعبنا ، لم تكن مستعدة لقبول حتى قرارات الامم المتحدة . وتحول الشعب الفلسطيني الى شعب من المشردين والخاضعين للاحتلال الصهيوني والسلطة الاردنية ، او الملحقين بالادارة المصرية في غزة . وأصبحت القضية في الامم المتحدة وخارجها قضية لاجئين ، المطلوب اعادتهم او تعويضهم او اغاثتهم ، ولكن دون اي شيء اخر . وظل الامر كذلك الى سنة ١٩٧٠ ، عندما اتخذت الامم المتحدة قرارها رقم ٢٦٤٩ تاريخ ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ . والذي جاء فيه :

« ٥ ــ تدين (اي الامم المتحدة) تلك الحكومات التي تنكر حق تقرير المصير على الشعوب المعترف لها بذلك الحق ، وخصوصا شعوب افريقيا الجنوبية وفلسطين » وقد اكد القرار المذكور ما يلي :

« ١ ــ تؤكد (اي الامم المتحدة) شرعية نضال الشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والاجنبية ، والمعترف بحقها في تقرير المصير ، لكي تستعيد ذلك الحق بأية وسيلة في متناولها .

« ٢ ــ تعترف للشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والاجنبية ، في ممارستها الشرعية لحقها في تقرير المصير ، في البحث عن جميع انواع المعونة المعنوية والمادية وتلقيها ، بموجب قرارات الامم المتحدة وروح ميثاق الامم المتحدة .

« ٣ ــ تدعو جميع الحكومات التي تنكر حق تقرير المصير على الشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والاجنبية ، الى الاعتراف بذلك الحق واحترامه وفقا للمواثيق الدولية ومبادىء ميثاق الامم المتحدة وروحه .

« ٤ ــ تعتبر ان الاستيلاء على الاراضي والاحتفاظ بها يتنافى مع حق شعب تلك الاراضي في تقرير المصير ، لا يمكن قبوله ، ويشكل خرقا فاحشا للميثاق »(٣٢).

وعادت الامم المتحدة فأصدرت قرارا في الثامن من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٠ جاء فيه أن الامم المتحدة :

« ١ ــ تعترف لشعب فلسطين بالتساوي في الحقوق وبحق تقرير المصير ، وفقا لميثاق الامم المتحدة .

« ٢ ــ وتعلن ان الاحترام التام لحقوق شعب فلسطين غير القابلة للتصرف هو عنصر لا غنى عنه في اقامة سلم عادل ودائم في الشرق الاوسط »(٣٣).

وعادت هيئة الامم المتحدة فأكدت ما ذكرناه في قرارها المرقم ٢٧٨٧ المؤرخ ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١(٣٤).

ومع ذلك فان الامم المتحدة عادت بعد حرب السادس من تشرين الى المطالبة بتنفيذ قرارها رقم ٢٤٢ الذي لا يعطي الشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره .

وهكذا نعود الى دوامة الامم المتحدة .

ان الامم المتحدة أعطت نفسها الحق عام ١٩٤٧ باصدار قرار التقسيم الذي يقسم ارض فلسطين الى دولتين ، ويعطي « الشرعية » لقيام دولة صهيونية على ارضها .

ومع أن عصبة الامم لا حق لها بفرض الانتداب ، فقد فرض الانتداب على فلسطين . وما حدث بشأن اقرار الانتداب سنة ١٩٢٢ على فلسطين ، حصل سنة ١٩٤٧ باقـــرار التقسيـــم .

ان قرار التقسيم باطل ، لانه يتعارض مع الحقوق القومية المشروعة للشعب الفلسطيني . ولقد ناقش ذلك قانونيا اكثر من مؤلف نذكر منهم هنري كتن في محاضرته: تقسيم فلسطين من الوجهة الحقوقية(٣٥)، وحسين جميل في كتابه : « بطلان الاسس التي اقيم عليها وجود اسرائيل »(٣٦). ولذلك فاننا سوف لا نناقش هنا هذه القضية ، ولكننا نود ان نقول بأن عصبة الامم التي كانت تمثل الدول الكبرى والاستعمارية بعـد الحرب العالمية الاولى كانت تتنكر لحقوق الشعوب في تقرير مصيرها . وهذا ما حدث بالنسبة لشعب فلسطين من بين شعوب كثيرة اخرى . وما فعلته الامم المتحدة سنـــة ١٩٤٧ ليس الا استمرارا لما فعلته العصبة . انه انكار حق شعبنا في تقرير مصيره ، واعطاء الشرعية الدولية لاحتلال ارضه .

وتحاول الامم المتحدة اليوم ان تطبق القرار رقم ٢٤٢ الذي لا يعترف اصلا بوجـــود الشعب الفلسطيني . كما أن هناك محاولات تجري لاقناع شعبنا بأن حقوقه القومية المشروعة تتلخص في قرارات سنة ١٩٤٧ . كما ان هناك محاولات اخرى تحاول ان تقنع شعبنا بأن حقوقه القومية المشروعة هي الحقوق الممكنة في مرحلة تاريخية معينة ، وهي الان حقوقه في الضفة الغربية وغزة .وهناك حقوق تاريخية واخرى راهنة . ان هذه الاطروحة باطلة اساسا لان الحق لا يتجزأ ، الى ما هو تاريخي وما هو راهن ، وخاصة اذا كان من الحقوق القومية .

أما ما نريد قوله الان فهو ان الامم المتحدة ، ابتداء من العصبة وحتى اليوم ، ظلت محصلة قوى الدول الكبرى ، وانها لذلك ظلت تخضع الحقوق القومية لكل الشعـــوب لمصالح القوى المسيطرة عليها . ولقد جعل هذا اطروحاتها النظرية تختلف كثيرا عن حصيلة تدخلاتها العملية ، وعن ممارسات اعضائها والكبار منهم خاصة .

ولقد أثبتت التجارب خلال الخمسين سنة الماضية ان الذي يحسم قضايـــا تحرر الشعوب ، هو قوتها الذاتية اولا ، والمساندة التي تأتيها خارج الامم المتحدة ثانيا . هكذا انتزعت الشعوب حقوقها القومية في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . ولم يتحرر شعب واحد عن طريق الامم المتحدة . وحيث تدخلت الامم المتحدة تدخلا مباشرا حصلت مآس مرة ، كما هي الحال في فلسطين مثلا ، وفي الكونغو . ولم تكن قرارات التأييد او الادانة التي تصدرها الامم المتحدة اكثر من قرارات ذات تأثير معنوي محدود . أن الامم المتحدة لم تستطع حتى الان ان تجبر دولة الاحتلال الصهيوني على تنفيذ قرار واحد من قراراتها الكثيرة الخاصة بفلسطين .

ان شعبنا يدرك هذه الحقيقة جيدا .

ولقد كان موقف شعبنا من حقوقه القومية واضحا منذ البدء ، وتجلى خلال المراحل المختلفة بمواقف واضحة وسليمة .

ففي المرحلة الاولى : ١٨٩٧ ـــ ١٩١٧ ـــ وقف شعبنا ضد هذه الهجرة الصهيونية الى فلسطين ، باعتبار ان هذه الهجرة ستقود الى الهلاك والفناء .

وسنورد هنا بعض ابيات للشاعر الاديب اسعاف النشاشيبي حول هذه القضية كتبها سنة ١٩٠٩ ، يقول الشاعر :

ان الاستعمار قد جاز المدى ... دون ان يعدوه عن سير عداء
ان هذا الداء قد أمسى عياء ... فتلافوه سريعا بالدواء
انها اوطانكم فاستيقظوا ... لا تبيعوها لقوم دخلاء
كيف ترجون حياة بعدها ... ونعيما وهناء وصفاء
فاعلموا يا قوم أن تعلموا ... ان عقباكم هلاك وفناء(٣٧)

ومن أجل مقاومة بيع الاراضي للصهيونيين نظمت العرائض وتحركت الوفود ، وكتبت الصحف . والذي يراجع صحف هذه المرحلة يلمس هذه الحقيقة بوضوح . ويكفي ان نشير هنا الى صحيفة الكرمل لصاحبها : نجيب نصار(٣٨) . وكانت التعبئة السياسية ، في هذه المرحلة تسير في اتجاهين : اولهما : الضغط على السلطات العثمانية لمنع الهجرة الصهيونية الدائمة ، ولمنع بيع الاراضي في فلسطين ، ثانيهما : استخدام كل وسائل التأثير المعنوي لاقناع الشعب بخطورة بيع الاراضي للصهيونيين .

أما في المرحلة الثانية ١٩١٧ ــ ١٩٤٧ ، فقد ركز شعبنا نضاله على ما يلي :

١ ــ مقاومة السياسة البريطانية في فلسطين ، سياسة الاحتلال ووعد بلفور وصك الانتداب .

٢ ــ مقاومة السياسة الصهيونية في فلسطين ، وهي سياسة الهجرة والتوسع الاستيطاني وبناء « الوطن القومي اليهودي » .

وكانت مطالب الشعب الفلسطيني واضحة كل الوضوح :

١ ــ المحافظة على عروبة فلسطين مهما كلف الامر .

٢ ــ قيام حكومة وطنية ، مسؤولة امام مجلس نيابي ينتخب اعضاءه الشعب، ويكون جميع المواطنين فيها متساوين أمام القانون .

وقد رفضت كل محاولات التقسيم ، حتى قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ ، وكان الاستقلال الوطني والمحافظة على وحدة الاراضي الفلسطينية وعروبتها مطالب لا تتحول ولا تتبدل(٣٩) .

وأكد شعبنا في المرحلة الثالثة (١٩٤٨ ــ ١٩٧٣) مواقفه في المرحلتين السابقتين ، على الرغم من ان الظروف تغيرت . لقد قامت دولة الاحتلال الصهيوني على ما يقارب ثمانين بالمائة من اراضي فلسطين ، وشرد شعبنا من معظم الاراضي التي احتلتها قوات الاحتلال الصهيوني ، واخضع ما تبقى منه للقمع والاضطهاد في الضفة الغربية وغزة. ومع ذلك ظل شعبنا مصرا على رفض قرارات الامم المتحدة ، وعلى مقاومتها . ودفع شعبنا من سنة ١٩٤٩ الى سنة ١٩٦٥ تضحيات كبيرة من أجل المحافظة على القضية حية ، ومنع القوى العالمية والعربية من تصفيتها .

وانطلقت ثورتنا سنة ١٩٦٥ ، في الاول من كانون الثاني ، مجددة العزم على تحرير الارض كاملة ، متحدية قوات الاحتلال الصهيوني والقوى العربية المضادة للثورة . ولقد خيب شعبنا بانتفاضته آمال كل الذين ظنوه انهار واستسلم .

وحين وقعت حرب حزيران ، وتوسع العدو الصهيوني محتلا اراض جديدة ، هب شعبنا الى السلاح مؤكدا عزمه واصراره على مواصلة الكفاح . ولم يعر أي اهتمام للامم المتحدة ومجلس الامن والقرار رقم ٢٤٢ ، لانه كان يعرف ان النضال وحده هو طريق الخلاص ، وهو طريق تكريس حق تقرير مصيره على ارضه محررة وكاملة .

ولقد استعاد شعبنا بنضاله المجيد اعتراف العالم بوجوده وبحقوقه : كما نال احترام العالم بعد أن كان لا يثير شفقته .

ولكن « العالم » ما زال غير متفق على مضمون حقوق شعبنا ، فهي بالنسبة للامم المتحدة والدول العظمى والدول الاوروبية تتمثل في « حل » يكون في أحسن الاحوال على جزء من الاراضي الفلسطينية ، ولكن ضمن تسوية دولية تضمن المحافظة على الكيان الصهيوني المحتل الذي قام باغتصاب الاراضي الفلسطينية وانتهاك كل الحقوق القومية والانسانية لشعبنا .

وبالنسبة للامم المتحدة فان قراراتها العديدة جعلت حقوق الشعب الفلسطيني تتراوح بين التقسيم ، اي قيام دولة فلسطينية على جزء من التراب الفلسطيني ودولة احتلال صهيوني على الجزء الباقي ، وبين تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وبينهما يقف قرارها بضرورة منح حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني (١٩٧٠) .

ولكن شعبنا ظل مصرا دائما ان حقوقه القومية تعني :

١ ــ المحافظة على وحدة اراضيه .

٢ ــ المحافظة على عروبتها ، وعلى كونها جزءا من الوطن العربي .

٣ ــ رفض فكرة اقامة وطن قومي صهيوني عليها ، ومقاومة كل محاولات الاستيطان الصهيوني لفرض وجوده بالقوة او الاقناع ، أو اية وسائل اخرى .

٤ ــ المطالبة بالاستقلال الوطني ، وبحق اقامة المؤسسات الدستورية المعبرة عن مطامح الشعب .

٥ ــ مقاومة الحلول التي تنتقص من الحقوق القومية ، سيان في مجال المحافظة على البلاد وعروبتها او مجال وجود حد ادنى من السيادة الوطنية والاستقلال الوطني يكفل بقاء البلاد موحدة عربية ، ويسقط فكرة الوطن القومي الصهيوني . وعندما قام هذا الوطن رفض كل مشروع يكرسه او يعطيه الشرعية .

ان موقف شعبنا هذا ينسجم مع مبدأ حق الامم في تقرير مصيرها ، في حين تقوم فكرة حصر حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على جزء من وطنه فقط على انتهاك هذا المبدأ الذي ينص على حق الشعب في تقرير مصيره على كامل ترابه الوطني . اما من الجهة الاخرى فان هناك انتهاكا آخر لمبدأ حق تقرير المصير ، وهو التدخل الدولي الخارجي في هذه المسألة من خلال فرض تسوية واتفاقية دوليتين ، مع ان مبدأ حق تقرير المصير يشترط ان يقرر الشعب مصيره على أرضه دون أي تدخل خارجي . وهذا الشرط دفعت الشعوب ثمنه غاليا ، وكرسته من خلال التضحيات الكبيرة .

ولقد ظل شعبنا خلال نضاله الطويل حذرا من سياسة التسويات البريطانية او الدولية ، لانه كان يدرك خطورة هذه السياسة على حقوقه ومستقبله . ولم يكن شعبنا يجهل ان هذه التسويات تفرض واقعا له قوته المادية والمعنوية . وما زال شعبنا يدرك هذه الحقيقة . ولعل تقسيم الوطن العربي الى دول أحسن مثل ملموس على خطورة الواقع المادي الذي ينجم عن التسويات الدولية .

ان نظريات الحقوق القومية قد وضعت لمجابهة ظروف الاحتلال الخارجي او الطغيان الداخلي ، او الاثنين معا ، ولمواجهة مشاكل العلاقات القومية في الامبراطوريات المتعددة القوميات مثل روسيا القيصرية . وليس ما حل بفلسطين من ضمن هذه الحالات . انه يمثل وضعا آخر ، وحالة أخرى : هي حالة طرد شعب من وطنه واحلال « شعب » آخر مكانه بالقوة ، وحرمان هذا الشعب ، لا من حقوقه القومية فحسب ، بل من ابسط

حقوق الانسان . ان نظريات الحقوق القومية لم تناقش هـذه المسألة ، بل ناقشت الحالات الاقل بشاعة : الاحتلال والطغيان والالحاق الخ ...

ولقد أدانت الاممية الثالثة الحركة الصهيونية سنة ١٩٢٢ على اعتبار انها تسعى لاقامة دولتها على حساب شعب آخر(٤٠). ولكن هذه القضية لم تناقش ، ولم تعط من الاهتمام بعض ما تستحق . ثم ان الموافقة على قرار التقسيم لا تنسجم مع هذا المبدأ . ذلك ان قرار التقسيم حاول ان يعطي الاحتلال شرعية دولية وما زال الدفاع عن وجود دولة الاحتلال الصهيوني متناقضا مع أبسط المبادىء التي طرحتهـا الثورتان القومية والبروليتارية . واذا كان الاحتلال مرفوضا ومتعارضا مع حق تقرير المصير فكيف يكون الاحلال مقبولا ومنسجما مع حق تقرير المصير ؟

ان الاحلال هو أبشع أشكال الاحتلال ، وهو يتضمن لا انهاء حرية الشعب وحقه في تقرير مصيره فحسب ، بل انهاء وجوده ايضا . والاحلال لا يتم الا بالقوة ، ولا يستطيع أن يبقى الا بالقوة ما دام الشعب الذي تعرض له موجودا ، وعليه فان مقاومة الاحلال وتصفيته لا تتمان الا بالقوة . الصراع المسلح هنا هو الاساس في هذه المعادلة . وهكذا يصبح حق الشعب في أن يقاتل لاستعادة أرضه جزءا أساسيا من حقوقه . واذا كان تحديد الحدود القومية واختيار شكل الدولة هو أساس النظرية القومية البرجوازية ، وتقرير حق الانفصال ورفض الالحاق وتقرير حق الشعوب في تقرير مصيرها دون تدخل خارجي هو جوهر النظرية اللينينية في هذا المجال ، فان انهاء الاحلال ، اي تدمير الوجود الصهيوني وعودة الوجود القومي الاصلي الى فلسطين هو جوهر حـق تقرير المصير مطبقا على وضع مثل وضعنا .

---

١ ــ حسين علي الحبيشي : **تقـرير المصير** ، دراسة مقارنة ، دار الكاتب العربي ، ص ١٣ .

٢ ــ **المرجع السابق** ، ص ١٥ .

٣ ــ G. Starushenko, *The Principle of National Self Determination In Soviet Foreign Policy*, Moscow, p. 32.

٤ ــ دان ليبي : **الثورة الاميركية ، دوافعها ومغزاها** ، ترجمة سامي ناشد ، الناشر سجل العرب ، ص ٢٦٦ ــ ٢٦٧ .

٥ ــ **المرجع السابق** ، الجـزء الثاني ، ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦ .

٦ ــ د. صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزق : **دراسات في القومية مع هيكل نظرية تفسيرية في القومية العربية** : دار الفكر العربي . تحرر الشعوب في علاقتـه بفكرة القوميـات ، م. ردسلوب ، ص ٤٤ .

٧ ــ هانز كوهن : **عصر القومية** ، ترجمة عبد الرحمن صدقي ، ص ١٣ .

٨ ــ A. J. Grant, and H. Temperly, *Europe in the Nineteenth and Twentieth Centuries* 1789-1950. الطبعة التاسعة ، ص ٢٣ .

٩ ــ حسين علي الحبيشي : **المرجع السابق** ، ص ٣٣ .

١٠ ــ G. Starushenko, *Ibid*, p. 32-33.

١١ ــ البير سول : **تاريخ الثـورة الفرنسية : دوافعها الفكريـة والطبيعية والاقتصاديـة** ، منشورات عويدات ، ص ٢٤٨ .

١٢ ــ د. صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزق : **المرجع السابق** ، ص ٤٥ .

١٣ ــ **المرجع السابق** ، ص ٤٩ ــ ٥٠ .

١٤ ــ **المرجع السابق** ، ص ٥١ ــ ٥٢ .

١٥ ــ G. Starushenko, *Ibid.*, p.p. 39-42.

١٦ ــ هوراس ديفيس : **المرجع السابق** ، ص ١٧١ .

١٧ ــ **المرجع السابـق** ، ص ٢٢٧ ــ ٢٢٨ ، ٢٣٠ ــ ٢٣١ .

١٨ ــ ستيوارت شرام وهيلين كارير دنكوس : **الماركسية ــ اللينينية امام مشاكل الثورة في العالم غير الاوروبي** : دار الحقيقـة ، ص ٢٥ ــ ٦٤ .

١٩ ــ G. Starushenko, *Ibid.*, p. 94.

٢٠ ــ *Ibid.*, p.p. 120-121.

٢١ — *Ibid.*, p. 102.
٢٢ — *Ibid.*, p.p. 50 - 51.
٢٣ — *Ibid.*, p.p. 193, 180.
٢٤ — حسين علي الحبيشي : **المرجع السابق** ، ص ٧٣ — ٧٤ — ٧٥ .
٢٥ — G. Starushenko. *Ibid.*, p. 137.
٢٦ — حسين علي الحبيشي : **المرجع السابق** ، ص ٨٥ .
٢٧ — دراسات فلسطينية ، المجلد رقم ١ ، **فلسطين تحت الانتداب (١٩٢٠ — ١٩٤٨)** ، سامي هداوي ، ص ٢٣ — ٢٤ .
٢٨ — **المرجع السابق** ، ص ٨٦ .
٢٩ — **قرارات الامم المتحدة حول فلسطين (١٩٤٧ — ١٩٧٢)** ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ص ٤ — ١٣ .
٣٠ — **المرجع السابق** ، ص ١٥ .
٣١ — **المرجع السابق** ، ص ١٧ .
٣٢ — **المرجع السابق** ، ص ٨٨ .
٣٣ — **المرجع السابق** ، ص ٩٠ .
٣٤ — **المرجع السابق** ، ص ٩٣ .
٣٥ — هنري كتن : **تقسيم فلسطين من الوجهة الحقوقية** ، ترجمة نجاة قصاب حسن، منشورات نقابة المحامين في دمشق .
٣٦ — حسين جميل : **بطلان الاسس التي اقيم عليها وجود اسرائيل** .
٣٧ — خليل بيدس : **النفائس العصرية** ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ١٩٠٩ ، ص ٥٧٦ — ٥٧٧ .
٣٨ — نجيب نصار : **الكرمل** ، حيفا ، ١٩٠٨ — ١٩١٤ .
٣٩ — **وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية (١٩١٨ — ١٩٣٩)** ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، جمع وتصنيف الدكتور عبد الوهاب كيالي .
٤٠ — ناجي علوش : **الماركسية والمسالة اليهودية** ، دار الطليعة .

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب

الحركة الوطنية الفلسطينية امام اليهود والصهيونية

(١٨٨٢ — ١٩٤٨)

بقلم

ناجي علوش

٢٩٣ صفحة بأربع ليرات لبنانية ، تضاف اليها اجور البريد الجوي : ٥٠ ق. ل. في العالم العربي ، ١ ل. ل. في اوروبا ، ٢٥٠ ق. ل. في سائر الدول .

اطلبه من مركز الابحاث — قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ — بيروت .

المقاومة الفلسطينية ومهامها الوطنية الكفاحية الراهنة

سعيد جواد

حركة التحرر الفلسطينية معنية تماما بالدرس الذي تسجله هذه الموضوعة ... « ان هذا الحزب [الاشتراكيين الثوريين] ، قد رفض بعناد (او قل الاصح انه لم يستطع) ان يفهم ضرورة اجراء حساب موضوعي دقيق للقوى الطبقية وللنسب فيما بينها ، قبل مباشرة اي عمل سياسي » .

« لينين ١٩٢٠ »

في تعليقه على الحوار* يلخص محمود درويش جوهر الموضوع : « ليس الضمير الفلسطيني موضع المناقشة ، انما قدرة العقل الفلسطيني على الخروج من مرحلة الى اخرى باحسن الاجتهادات الممكنة على طريق تحقيق اهدافه المشروعة » وبصياغه أكثر تحديدا : ان الحقوق والاماني الوطنية الشرعية والتاريخية ، والاهداف الاستراتيجية البعيدة للثورة الوطنية والتي هي خلفية الضمير الفلسطيني ومعين منابعه الضاربة في عمق تراب الوطن ، غير قابلة للنقاش على الاطلاق ، ولا يملك احدا أيا كان مناقشة حتميتها التاريخية ، او امكانات تحقيقها او الاجتهاد فيها وهي ليست موضوع حوار الندوة او اي حوار آخر .

ان قيادة المقاومة ، وقيادة حركة التحرر الفلسطينية ، والعقل الفلسطيني عموما ، أمام ضرورة ومهمة تكثيف المحاكمات العقلية المرتكزة على التحليل الموضوعي لعناصر الواقع وحقائقه وتعيين طبيعة القوى المحركة فيها والمؤثرة ، الظاهرة والكامنة ، الرئيسية والثانوية ، ودور كل منهما في عملية الصراع . وبالضبط **القوى الفاعلة** التي تتشكل منها ادوات الانتقال من مرحلة كفاحية الى مرحلة كفاحية ارقى ، والى مواقع أكثر ثباتا ، تساعد في امتلاك وسائل نضالية اكثر فاعلية وملاءمة .

هذه المحاكمات للواقع ، والمواجهة الجريئة لحقائقه الموضوعية ، هي التي تمكن بالنتيجة حركة التحرر الفلسطينية من توظيف العناصر الايجابية في الصراع التي خلقتها حرب تشرين لتغيير معطيات الواقع القائم ولخدمة الاهداف الوطنية الراهنة التي تمكن **فعلا** خطوة بعد اخرى ومرحلة بعد مرحلة من تحقيق الاماني والاهداف الوطنية الشاملة ، بعد أن تتمكن من المساهمة في انضاج شروط وعناصر قواها المادية المحركة .

لقد شكلت وقائع وحقائق حرب تشرين وتحديات ما بعدها ، والاجتهادات المختلفة التي نتجت عنها سببا لعقد ندوة قيادة المقاومة وأساسا للحوار والمداخلات التي ساعدت في النتيجة على تقريب وجهات النظر المختلفة ، وذلك بتكثيف عناصر منطلقاتها المشتركة،

* ترتكز هذه المقالة على الندوة التي عقدها قادة المقاومة الفلسطينية ونشرت في « شؤون فلسطينية » العدد ٣٠ .

ومحاصرة الاجتهادات المختلف عليها ، وترسيبها او دفعها الى الوراء ، ان ما ترتب ويترتب عليها من الاستنتاجات السياسية المشتركة لمواجهة المعضلات الراهنة التي تتصدى لها حركة التحرر الفلسطينية ، يشكل خطوة عريضة على طريق الوحدة الفكرية والسياسية الكفاحية بين مختلف فصائل حركة المقاومة ، والتي هي بلا شك **السلاح الامضى والمجرب والاكثر فاعلية** في هذه المرحلة من الصراع .

ولكي يمكن الربط بين التشخيصات المختلفة للظواهر المتعددة التي اعطتها الحرب او فتحت احتمالاتها وتناولها الحوار ، يجب فحص وتحليل تلك الظواهر واستكشاف **الارضية التي تنتمي اليها** . وعندها فقط يمكن الانتقال الى تعيين **النتائج السياسية الجوهرية المشتركة** التي تترتب عليها . ومن ثم الاشكال الكفاحية الي تستلزمها . وهو ما يمكن بالتالي من التعرف على الافاق التي تتحرك باتجاهها .

اولا : تحليل وتقييم معطيات وحقائق حرب تشرين :

لقد بات من الواضح ان الحقائق الموضوعية والمعطيات التي خلقتها حرب تشرين سواء ما أصبح منها واقعا قائما، او ما هو في طور التفاعل، في المجتمع العربي او في دوراتها العالمية ، او تأثيراتها في مواقع الاهتزاز التي خلقتها المعارك في «مجتمع ودولة» اسرائيل لم تستكمل بعد اشكالها النهائية بل هي متفاعلة ابدا . ومن استقراء حوار الندوة ، وخلفياتها ، يتأكد ان هناك وعيا وفهما مشتركا لاهمية تشخيص تلك المعطيات ودراستها وتحليلها وبالتالي استخلاص النتائج السياسية والكفاحية المترتبة عليها .

يلخص نايف حواتمه في مداخلته ابرز وقائع الحرب **واعملها تأثيرا** في عناصر الصراع الموضوعية **الراهنة** والمباشرة كالتالي «شبه التوازن العسكري العربي الاسرائيلي ، هز نظرية الامن الاسرائيلية الحاق ضربات موجعة بالقوى الحية العسكرية الاسرائيليةوآلات الحرب العسكرية الاسرائيلية الامبريالية ، دخول الجيوش العربية في قتال حديث حي وفعلي وبروز امكانية استخدام الاسلحة الحديثة بفعالية ، بروز دور السلاح بيد العرب ... شبه الانتفاضة الشعبية الشاملة في الاراضي الفلسطينية المحتلة ضد الاحتلال الصهيوني ... استخدام سلاح النفط ضمن الحدود التي استخدم بها ، حالة عالمية ضاغطة باتجاه حل مشكلة الصراع العربي ــ الاسرائيلي . » [شؤون فلسطينية عدد ٣١] اضافة الى جملة التغييرات الايجابية العالمية لصالح العرب باتجاه تطبيق القرارات الدولية .

ان اهمية تشخيص هذه الحقائق والوقائع* تنبع من كونها ذات تأثيرات وفاعلية **مباشرة** في معضلات الصراع ، كونها قد خلقت شروطا موضوعية لصالح حركة التحرر العربية والفلسطينية .ولكن من بين ما خلقته ايضا ضغطها«باتجاه تسوية يمكن انتحقق انسحابات من الاراضي العربية والفلسطينية المحتلة في العام ٦٧ » . من هنا فان قادة فصائل المقاومة قد اتخذوا من هذه الوقائع ذات **الفعل المباشر** في الصراع اساسا للحوار لتحليل الشروط العينية لمرحلة ما بعد تشرين ، وتعيين المهام الكفاحية الراهنة لحركة التحرر الفلسطينية .تلك المهام التي يمكن النضال من أجلها من توظيف العناصر الايجابية التي خلقتها الحرب في خدمة المهام الوطنية المباشرة والاستراتيجية ، ومواجهة تحديات عناصر التسوية الاميركية ــ الاسرائيلية ومحاورها .

اما جورج حبش فيتناول ظواهر ومؤشرات اخرى ، ويشيد عليها ، وكما هي عندما يتقدم الحوار نتائج واجتهادات متعارضة في بعض منها مع نتائج واجتهادات قادة

* اضافة الى تعيين أهمية المؤشرات العامة ودورها في تفاعل الوقائع والحقائق ذات التأثير المباشر في الصراع .

الفصائل الاخرى . ولكن ارتباطها بالمعضلات التاريخية نفسها والمنطلقات اياها هي السمة العامة والثابتة التي تميزها . ومن هنا فان محاولة الحرث في العمق وتحليل الموضوعات الرئيسية في الحوار يساعد على تعيين **الارضية المشتركة** بين التحليل الموضوعي العلمي ، وتحليلات قيادة فصائل المقاومة وتصورات وآراء جورج حبش ، في محاولة جادة لمحاصرة تعارض الاجتهادات الذي لا يرتكز على أسس موضوعية وتصفيته . عندها يمكن الوصول الى تحديد دقيق للعناصر الاساسية والثابتة والملموسة التي ترتكز عليها المهمات الكفاحية الوطنية المرحلية ، تبعا لمعطيات الحرب وفي مواجهة تحدياتها .

وقبل أن نبدأ بمناقشة « تصوراته » وتشخيصاته وآرائه ، لا بد من ان نثبت قاعدة تصلح كأساس مشترك للحوار بين كل الوطنيين والثوريين ، وقد اقترحها حبش في سياق حديثه والقائلة بـ « ان الحوار الطويل والصبور والموضوعي ممكن » واعتقد انه ممكن، لكي يمكن الوصول الى استنتاجات سياسية وكفاحية مشتركة .

١ ـ معطيات حرب تشرين . أ ـ حول صحة المشروع الصهيوني : يقول جورج حبش ان « حرب تشرين رسمت لاول مرة علامة سؤال ، ولو صغيرة جدا ، في ذهن الجماهير العربية حول صحة المشروع الصهيوني من أساسه » وكذلك « علامات الاسئلة الصغرى التي بدأت ترتسم داخل المجتمع الاسرائيلي نفسه حول صحة المشروع الصهيوني من أساسه » ثم يستشهد بمجموعة من الاسئلة التي طرحت من قبل فريق من الطلاب اليهود بعد الحرب ، من نوع « هل هذه مثلا أرضنا » و« هل قضيتنا عادلة وحقة » و« الم نحقق اهدافنا على حساب ومطامح شعب آخر » [ص ٥١] . هذه التساؤلات المهمة جدا ، والمؤشرات التي ظهرت فعلا خلال الحرب وبعدها ، هل يكفي الوقوف عندها بهذه الصيغ العمومية ، وهل يمكن على أساسها صياغة مهمات وسياسات مرحلية مباشرة . ان ما يهم حركة التحرر الفلسطينية واية حركة وطنية وديمقراطية ثورية ، وهي بصدد تحديد طبيعة مرحلة معينة تمر بها وصياغة مهماتها الكفاحية ، على ضوء معطيات الواقع ، كمعطيات تشرين ، هو ان تحدد وبالضبط : الحقائق والوقائع العسكرية والسياسية والاقتصادية في قوى وجبهات المواجهة العربية ـ الاسرائيلية الامبريالية ، وقوى ومؤشرات الصراع والواقع الدولي وما تمثله فعلا من قوى فاعلة ومؤثرة بشكل مباشر في معضلات الصراع المباشرة*.

هذا التحديد لفعل الوقائع والحقائق المباشرة ، هو الذي يمكن من تحديد البرامج والسياسات الفلسطينية التي تساعد على ترجمة القناعات الجديدة في صفوف الجماهير العربية والفلسطينية وبلورتها حول مهمات كفاحية وطنية محددة ، « تكسر » احلام اسرائيل « التاريخية » وتثبت خطأها بالواقع والملموس ، وتحول بالنتيجة دون جهود القيادات الاسرائيلية لامتصاص واستيعاب تساؤلات الاسرائيليين وتشكيكاتهم المتزايدة. هذه البرامج والسياسات هي التي تؤدي الى ترجمة التساؤلات والتشكيكات في صفوف الاسرائيليين الى برامج وسياسات اسرائيلية تراجعية و« واقعية » تتمحور حولها القوى السياسية والاجتماعية لتصاغ بالتالي في وثائق جديدة تقوم على انقاض وثيقة الاربعة عشر بندا ، كما هي بدورها نقضت « وثيقة غاليلي » الحالمة . وفي الوقت الذي تتصدى فيه برامج وسياسات اسرائيل « الجديدة والمعدلة » لمواجهة برامج وسياسات

---

* الى جانب ذلك معنية باستشراقها للافاق المستقبلية التي سوف تؤول اليها التساؤلات والمؤشرات العامة (علامات الاستفهام) على المدى الوسيط والبعيد ، وكيفية توظيفها في البرامج الكفاحية المرحلية لتجسيدها وانتظامها في خدمة المهمات الكفاحية الاستراتيجية .

المهمات الكفاحية المرحلية لحركة التحرر الفلسطينية ، عندما تصبح معبرة عن قوى موضوعية مؤثرة بشكل مباشر وفاعل في عملية الصراع ، اي احدى قوى الصراع الفاعلة ، عندها يكون من الصعب ، بل من المستحيل القضاء عليها ، او اقصاءها ، او تجاوز واقعها الموضوعي الذي يكون قد اكتسب شرعية دولية هي ثمرة شرعيته الكفاحية ، عربيا ودوليا وموضوعيا بالنسبة لاسرائيل .

ان هذا التجسيد والتطور الموضوعي لتساؤلات الجماهير العربية والفلسطينية وقناعاتها ، وتشكيك الاسرائيليين واهتزاز قناعاتهم بمرتكزات اسرائيل وسياسة حكامهم ، يفرض بالنتيجة على برامج وسياسات الكتل والاحزاب الرئيسية المؤثرة فيها وبالتالي سياسة الحكومة الرسمية كمحصلة لتوازن القوى ، تراجعات متتالية لصالح حركة التحرر الفلسطينية ، تصب في خدمة اهدافها الوطنية ، وتمكن من اجبار اسرائيل على التراجع، وانجازها فعلا ، وهذا ما يسرع بالنتيجة في عملية الانتقال الى مواقع ومرحلة متقدمة في الصراع .

ب ـ استعدادات الجماهير العربية للعطاء بهدف تحرير فلسطين : « استعدادات جماهيرنا من المغرب حتى شرق الجزيرة العربية ، استعداداتها العالية جدا للعطاء من أجل هذا الهدف ، هدف تحرير جزء من الارض العربية ، هدف تحرير فلسطين » [ص ١٦] . الجماهير العربية والفلسطينية بمجموعها تتشكل منها حركة التحرر العربية والديمقراطية . وحرب تشرين أكدت ان استعدادات الجماهير للعطاء مهما بلغت درجتها لا تستطيع التحليق خارج القوانين التي تحكم مواقع وأدوار جناحي حركة التحرر العربية في الثورة الوطنية الديمقراطية والثورة الاشتراكية ، والتصدي لكل من مهمتي الحرب الوطنية وحرب الشعب الطويلة الأمد . وبالرغم من الشروط الشديدة الخصوصية التي تجعل من المسألة الفلسطينية على رأس مهمات جناحي الحركة ومواجهة اسرائيل وترتبط عضويا بمعضلات الثورتين الوطنية والاشتراكية ، فان الحرب الاخيرة قد اكدت موضوعات ودروس لتمييز المهام الكفاحية وخصائص مراحلها . ان الدروس التي اكدتها الحرب لا يجوز على الاطلاق اغفالها في مرحلة مواجهة نتائج الحرب وتحدياتها او في مراحل الصراع اللاحقة التي فتحت الحرب آفاقها . لان اغفالها ، او القفز من فوقها **لا يلغي وجودها** ، وتجاوز دروسها لا يمكن أبدا أن يساعد على توضيح الرؤيا . من هنا فان القول باستعدادات الجماهير العربية العالية للعطاء من أجل هدف تحرير الارض العربية وهدف تحرير فلسطين هو قول يفهم منه : اولا ، ان المسألة هي مسألة استعدادات وقناعات فحسب . ثانيا : استعدادها [الجماهير العربية] لانجاز هدفين، يرتبطان بمرحلتين تاريخيتين*، ويتصدى لانجازهما جناحا حركة التحرر العربية بقيادتين مختلفتين في الطبيعة والبرامج والمهمات والاشكال الكفاحية ، دون تحديدات وفواصل تاريخية ، ودون تحليل لطبيعة العلاقة بين الجماهير وتعبيراتها وقياداتها الطبقية .

لقد خاضت حركة التحرر بقيادتها الوطنية الرسمية (الانظمة) حربا وطنية محدودة بهدف معلن هو « تحرير الارض العربية والفلسطينية المحتلة في العام ٦٧ » ، وتوقفت الحرب قبل أن تتمكن من انجاز هدفها المعلن . اما الحركة الديمقراطية والثورية (العربية والفلسطينية) والتي هي فحسب التي تتمكن من التصدي لانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية الناجز ، وتوفير شروط الحرب الشعبية الطويلة الامد وخوضها

---

* لا مجال هنا لمناقشة تداخل مهام الثورتين . الا ان الحرب قد اكدت ، ان القيادة الوطنية لا تستطيع حتى انجاز حرب وطنية ناجزة . وهذا التأكيد هو الوجه الثاني لعدم قدرتها على انجاز مهمات الثورة الوطنية الاخرى ، الاقتصادية والسياسية .

حتى اقامة الدولة الديمقراطية العلمانية على كل التراب الفلسطيني ، فان موازين القوى الوطنية والطبقية الراهنة لم تمكنها من قيادة الثورة والحرب .

لقد اكدت وقائع الحرب الاخيرة ومسيرتها بشكل قاطع ، ان استعدادات الجماهير العربية والفلسطينية العالية للعطاء ، وبرامج الثورة الفلسطينية للتحرير الكامل القائمة على أساس المراهنة على تحويل الحرب الوطنية الى حرب شعبية طويلة الامد، **لا يمكن ان يغير شيئا من طبيعة الحرب الوطنية** التي تخوضها القيادات الوطنية لحركة التحرر العربية (الانظمة) بل حتى التأثير في حدودها وأهدافها المحدودة . من هنا فان هدف التحرير الكامل يرتبط بتوفير شروط قيام واستمرار الحرب الشعبية الطويلة الامد ، وهو هدف لا يمكن انجازه الا بنمو القوى الطبقية المحركة لاستراتيجية حرب التحرير الشعبية العربية كأداة لتحقيقه . اي نمو القوى الطبقية المحركة للثورة العربية ، جناحا حركة التحرر العربية ، وتصديها لقيادة وانجاز مهام الثورتين المتداخلة .

وبالرغم من قناعات الجماهير ونواياها ، واستعداداتها العالية للعطاء والقتال ، فان **قيادة الحرب** (المصرية بشكل خاص) هي التي قادت الحرب ، **وحكمت وتحكمت في مسارها** ، طبقا لما تعنيه طبيعتها الطبقية وبرامجها العسكرية والاقتصادية والسياسية . ولا يزال دورها رئيسيا وحاسما في التعامل مع نتائجها وتحدياتها .

هذه القيادة الوطنية لا تستطيع التعبير عن قناعات الجماهير ولا تستوعب استعداداتها ، بل **ومنعتها** باصرار من المساهمة في التحضير للحرب ، او الاشتراك بالقتال فيها . وبعد أن اوقفت الحرب المحدودة ، دون تحقيق اهدافها ، بدأت التحرك باتجاه تسوية سياسية على أساس القرار ٢٤٢ وبالاعلان عن المراهنة على تطويره تجاه المسألة الفلسطينية . اما قيادات الحركة الديمقراطية والثورية التي تعبر برامجها عن قناعات الجماهير وطموحاتها الكاملة ، وهي المعنية باستيعاب استعداداتها وتعبئتها وترجمتها في مهمات كفاحية استراتيجية ومرحلية ، بينها خوض الحرب والصراع الى نهايته ، هذه القيادات لم تمكنها درجات التطور وموازين القوى الوطنية والطبقية من استلام السلطة السياسية والتصدي لمهام الثورة وقيادة الحرب . ومن هنا وتبعا لشروط هذه المرحلة فهي تناضل على اساس ما هو مشترك مع القيادات الوطنية ، وتأييدها في حدود برنامج تحقيق الانسحاب الاسرائيلي الكامل غير المشروط من الاراضي العربية والفلسطينية وانتزاع الحقوق الوطنية الراهنة للشعب الفلسطيني دون التزامات واشتراطات من جهة **والتصدي** لتراجعاتها وتقليصها او ايقافها . وكل خطوة تراجعية للانظمة الوطنية على هذا الطريق تفتح آفاق معارك وطنية وطبقية متصاعدة .

اما حركة التحرر الفلسطينية بقيادتها الوطنية **ونواتاتها** الديمقراطية فهي ليست معنية فقط ، بتعيين أهمية مؤشرات القناعات الجديدة في صفوف الجماهير العربية واستعداداتها العالية للعطاء وتحليل ومتابعة أثرها وفاعليتها في عناصر الصراع مع اسرائيل في المديين البعيد والمتوسط ، بل وبالضبط بما يمكن **ترجمته الى واقع موضوعي فاعل** ومباشر في الصراع ، وبالنضال المشترك وعلى ارضية برنامج كفاحي مرحلي مشترك للتعامل مع معطيات تشرين الايجابية والتصدي لتحدياتها .

جـ ــ الوحدة الوطنية العربية والفلسطينية من خلال التصادم المسلح مع العدو :

« أفرزت حرب تشرين كيف أن الوحدة الوطنية العربية والفلسطينية تتم بشكل متين ، ومتين جدا ، من خلال حالة التصادم بحده الاعلى ، التصادم المسلح مع هذا العدو الغاصب » [ص ١٦] . هذه الحقيقة الثابتة ، ماذا يعني كونها احدى معطيات تشرين . وكيف يمكن أن تكون احدى الادوات لتوظيف النتائج الايجابية للحرب لصالح حركة التحرر العربية والفلسطينية وفي مواجهة تحدياتها .

ـ **الوحدة الوطنية الفلسطينية والعربية:** ان الحقيقة التي سجلتها حرب تشرين بهذا الصدد هي : بالرغم من الوحدة الوطنية العربية والفلسطينية التي تمت بمتانة ، واشتراك حركة المقاومة في الحرب منذ انطلاقها وبكل طاقاتها فان فاعلية الوحدة الوطنية الفلسطينية ومن خلال المساهمة في الحرب **لم تتمكن** على الاطلاق من التأثير الفاعل في **مسيرة** الحرب **وقرار استمرارها او توقفها** . ذلك ان الوزن العسكري والسياسي والاقتصادي للحرب هو في **قبضة** قيادتها الوطنية وبالاخص قيادتها المصرية . اما فاعلية الوحدة الوطنية العربية في الحرب ، فان الجبهة الوطنية لم تتمكن من أن تطرح برنامجا عسكريا واقتصاديا وسياسيا مشتركا يمكن من التأثير في طبيعة الحرب ويتجاوز آفاق قيادتها المصرية المتحكمة ، بل بقيت قياداتها محكومة بالقيادة الرسمية للدولة والحرب ، وبالرغم من الثقل العسكري والاقتصادي لمساهمة سوريا والعراق في الحرب فقد ظلت أسيرة برنامج قيادتها المصرية طيلة الثمانية عشر يوما ، بل ان القيادة المصرية سارعت الى قطع الطريق على المحاولات الجدية السورية ـ العراقية لزيادة الوزن العسكري للقيادة العراقية ـ السورية وفاعليتها . [اعلان السادات لمبادرة السلام في السادس عشر من تشرين] .

د ـ التغييرات على الصعيد الدولي : ان أهم تغيير على الصعيد العالمي هو « انتقال الامبريالية اجمالا والامبريالية الاميركية بشكل خاص من موقع الى آخر فيما يتعلق بموقفها ازاء الصراع العربي الاسرائيلي ، ضمن حدود » وكونها حريصة على تطويق نتائج الحرب فهي « حريصة على عملية التسوية في ظل ميزان القوى القائم الان والذي حصل بعد تشرين ، والذي ، وان كان قد تغير عما كان عليه ميزان القوى قبل حرب تشرين ، فان هذا التغيير تم ضمن حدود ، حدود جعلت الامبريالية مضطرة ان تقف أمام التسوية ، مضطرة بالضغط النسبي على اسرائيل بشيء من التنازلات ، ولكن ضمن صيغة معينة في تقديرها انها تضمن الى حد كبير ، تأمين مصالح الامبريالية بشكل كامل ، وتأمين الوجود الصهيوني بشكل مضمون » [ص ١٦]. هذا التشخيص العام لتأثير معطيات الحرب على السياسة الاميركية واسرائيل يحتاج الى ترجمة محددة للتغييرات العملية في برامج وسياسات الولايات المتحدة واسرائيل وانعكاساتها على العلاقة بينهما، لكي يمكن تحدد المهمات النضالية التي تمكن من دفع تلك التغييرات والتنازلات ، مهما كانت صغيرة ومحدودة ، الى أقصاها وتوظيفها في خدمة حركة التحرر العربية والفلسطينية في الصراع المستمر ضد اسرائيل وامريكا .

اولا : « انتقال الامبريالية **من موقع الى آخر** » ، من اين والى اين بالضبط ، من أي موقع امبريالي الى أي موقع امبريالي آخر **معاد** لحركة التحرر العربية . عمليا من اية سياسة تجاه معضلات الصراع المباشرة والبعيدة وبالاخص معضلة الاراضي العربية والفلسطينية المحتلة في العام ٦٧ . **ثانيا :** حدود التغيير في ميزان القوى بماذا تتمثل وما هي مظاهرها وفاعليتها . تلك الحدود التي جعلت الولايات المتحدة **مضطرة** ان تقف امام التسوية [طيلة ٦ أعوام كانت تعرقلها وتشجع اسرائيل على البقاء في الارض العربية] **ومضطرة بالضغط النسبي لشيء من التنازلات** ، ان المقاومة الفلسطينية معنية تماما بمعرفة حقيقة هذه التنازلات وطبيعة الضغط النسبي ، و« تكييف » الاستراتيجية الاميركية بعد تشرين . **ثالثا :** هل الارادة الاميركية الاسرائيلية [ونفترض وحدتهما هنا] هي الوحيدة في الصراع ، ام انها تتحرك في مقابل وفي مواجهة ارادات عربية وفلسطينية وعالمية تقدمية . والاخيرة تتحرك باتجاه اجبار اسرائيل على الانسحاب غير المشروط من الاراضي العربية والفلسطينية . وهذا ما يجعل سياسة الولايات المتحدة واسرائيل

ليست بالضرورة سياسات **قابلة للتطبيق** تماما ، وتتحكم فيها بالصيغ والاشكال التي ترسمها وغير قابلة للتراجع . الارادات العربية والفلسطينية هي تعبير عن قوى عسكرية واقتصادية وسياسية موضوعية وقائمة وفاعلة في الصراع ، ويشكل الردع العربي العسكري بعد تشرين ، والمواجهة القتالية وامكانات استئناف القتال أهم عناصر الكبح والتصدي لارادة اميركا واسرائيل الكلية القدرة قبل تشرين. بالرغم من التراجعات العربية التي اضعفت فاعلية هذه العناصر . ان حركة التحرر الوطني الفلسطينية، واي حركة وطنية وثورية معنية بمعرفة جميع التغييرات النسبية في سياسات أعدائها ، مهما كانت صغيرة ، مهما كانت كاملة ، وتفحصها **بالمجهر** التحليلي والسياسي ، معنية بتعيين حقيقة التعارض النسبي بين مصالح اميركا واسرائيل وبالتالي في سياستهما . بمعنى : الترجمة السياسية والعسكرية والاقتصادية **للضغوط** التي يمكن ان تسلطها اميركا على اسرائيل **وحقيقتها** ، وطبيعة التغيير في دور اسرائيل في الاستراتيجية الاميركية بعد تشرين ، وما يترتب على ذلك من ترجمات سياسية للعلاقات المستقبلية بين اسرائيل واميركا [بالطبع ضمن حدود] . ما هي ترجمة « الصيغة المعنية في تقديرها [أي اميركا] التي تضمن تأمين مصالحها والوجود الصهيوني بشكل مضمون » . وما هو الفرق بين هذه الصيغة والسياسة الاميركية لضمان مصالحها ووجود **وأمن اسرائيل** قبل تشرين . ماذا تعني صيغة « الوجود الصهيوني بشكل مضمون » أي وجود هو المقصود . وجود قبل حزيران ٦٧ . ام وجود بعد حزيران التوسعي أم بينهما . ان الفرق بين اشكال **الوجود المضمون** في عناصر السياسة العملية لاميركا ينعكس على معضلات الصراع التاريخية والمباشرة ويستلزم سياسات عربية وفلسطينية ملائمة لمواجهته .

الولايات المتحدة في انتقالها من موقع الى آخر واتخاذ سياستها مظاهر « الضغط النسبي على اسرائيل » انما تحاول تكييف عناصر استراتيجيتها تجاه اسرائيل بعد تشرين وبالتالي تجاه معضلات الصراع العربي — الاسرائيلي . (بالطبع ضمن حدود يجب حسابها بدقة) ، تراهن كما هي ايديولوجيتها ومصالحها على امتصاص وقائع حرب تشرين بعد سحب عناصر التفجير في الصراع ، ومن ثم معاودة الهجوم ثانية ضد حركة التحرر العربية والفلسطينية من مواقع جديدة . وحركة التحرر الفلسطينية هي الاخرى من منطلقاتها وأهدافها الوطنية تراهن على امكانية توظيف عناصر الحرب الايجابية لاكتساب مواقع مرحلية [محاصرة اسرائيل في حدود ٤ حزيران ٦٧] لمعاودة الصراع والهجوم ضد اسرائيل واميركا . ان اميركا بانتقالها من موقع الى آخر ، من سياسة الى اخرى [« مكيفة » على اساس تطبيق القرار ٢٤٢] **تضطر** الى ان تترك واسرائيل منطقة فراغ ، لم تكن تتخلى عنها مطلقا بل تشرين . وتراهن بالمقابل على **اعادة توازن** سياستها (النفوذ السياسي والاقتصادي في المنطقة) لتعاود الهجوم ثانية . حركة التحرر الفلسطينية معنية بالنضال بمختلف اشكاله **لاحتلال منطقة التراجع** ، والتمترس فيها ، لكي يمكن منع اسرائيل والولايات المتحدة من العودة اليها ومعاودة الهجوم من مواقعها أولا ، وتحصين موقع متقدم لمعاودة الصراع والهجوم منه .

هـ — حدود المرحلية الاسرائيلية ووثيقة الاربعة عشر بندا : « لو أخذنا وثيقة الاربعة عشر بندا ماذا نجد ، الرؤيا واضحة جدا ، طبعا ستبقى الصورة متحركة وتستطيع القيادة الاسرائيلية ، مثلها مثل أي قيادة ان تتحرك في طريقة ترجمة هذه الوثيقة ، لكن ضمن حدود معينة ، لا تستطيع ان تتجاوزها » [ص ١٧ — ١٨] . اولا ، ماذا عن المقارنة مع « وثيقة غاليلي » التي كانت برنامجا لفرض الاحتلال كأمر واقع على أساس «حقائق دايان الجديدة» . وهل ان استبدالها بالوثيقة الجديدة هو مجرد رغبة اسرائيلية

في تجديدها ، أم مناورة او لعبة انتخابية لمواجهة مشكلات طارئة ؟. ان وقائع وحقائق تشرين **الحادة الفعل** هي التي فرضت نفسها بقوة على القيادة الاسرائيلية لاقرار هذه الوثيقة ، والغاء وثيقة القضم والضم مكرهة ومرغمة . [وبالطبع جاء اقرارها نتيجة اختلال في التوازن داخل حزب العمل ضد وثيقة غاليلي وهو انعكاس للاختلالات في اسرائيل] . وايضا عن الوثيقة : « ستبقى الصورة متحركة » ماذا يعني ذلك ؟ اذا كان المقصود بالصورة وقائع الحرب وتطوراتها داخل اسرائيل فان القيادة الاسرائيلية بالتأكيد تحاول ما استطاعت ايقاف تفاعلاتها اولا واستيعاب وامتصاص بعضا من الوقائع والحقائق ثانيا . ولكن القيادة الاسرائيلية هل ستبقى بتركيبتها نفسها ، واذا بقيت هل تستطيع ان تحافظ على السياسة اياها امام التطورات التي يمكن ان تستجد ، وهل تتمكن ان تتحكم في سياستها كما كانت بعد حزيران وقبل تشرين لكي تترجم الوثيقة كما تريد*. ثم ان تحافظ على ترجمة « لا تستطيع تجاوزها » اي تستطيع المحافظة على الصيغة التي تريدها « ضمن حدود معينة » . الوجه الثاني للتفاعلات داخل اسرائيل ، وهو مضاعفات وحقائق الحرب في المجتمع العربي وجبهات المواجهة وفعل السياسات العالمية بالضغط على اسرائيل ، هل يمكن للقيادة ان تتحكم فيها ، أي في تأثيراتها ، « ضمن حدود » كما كانت تضع سياساتها وبرامجها موضع التطبيق قبل تشرين ، دون الاكتراث لاي قرارات وسياسات عالمية ، ودون الاهتمام لكل ما يحدث في الجبهات العربية [لانه لم يكن هناك ما يشكل خطرا عليها] . اننا معنيون **بكسر غموض هذه الصيغة (وتلفعها)** التي تكررت مرارا صيغة «ضمن حدود» لكي يمكن التعرف وبالضبط على ما هو داخلها أي « ضمن الحدود » تلك . ان حركة التحرر الفلسطينية معنية بتحليل جوهر المراجعة الاسرائيلية في وثيقة الاربعة عشر بندا لحزب العمل ، وجملة المراجعات بالنسبة لجميع الكتل والاحزاب ، وترجماتها الى برامج وسياسات محددة تجاه المعضلات الراهنة التي هي اطار الصراع المباشر ، والتاريخية موضوع الصراع العربي الاسرائيلي الطويل .

الوثيقة تطرح لاول مرة منذ حزيران ٦٧ : مسألة « حدود ترتكز على حل اقليمي وسط» وتتحدث عن « دولة اردنية فلسطينية يمكن للهوية الذاتية للفلسطينيين والاردنيين ان تعبر عن نفسها ». وتعلن «رفضها لقيام دولة فلسطينية منفردة غربي نهر الاردن». ان الوثيقة في الوقت الذي تحاول فيه الاستجابة لحقائق الحرب وما بعدها ، تتعمد الغموض لاسباب داخلية وانتخابية واضحة . الا ان **ما يهمنا في التحليل وبشكل اساسي هو** : ١ ــ كونها لا تستطيع انكار الواقع الموضوعي بعد تشرين وتتحدث عن « قبول حل اقليمي وسط » بدلا من وثيقة الضم وفرض الامر الواقع قبل الحرب . ٢ ــ حديثها عن الهوية الذاتية للفلسطينيين ، هو اجابة **ملتوية ومكابرة** على حضور واقع فلسطيني موضوعي فرض من خلال القتال وصمود المقاومة وترسخ بوقائع تشرين . ٣ ــ رفضها لدولة فلسطينية منفردة هو محاولة لتعبئة الاسرائيليين ، وكسب التأييد الاميركي لمواجهة احتمالات ان تفرض حركة التحرر الفلسطينية واقع حضورها العسكري والسياسي بتصفية ادعاءات النظام الاردني في الضفة الغربية وممارسة حق تقرير المصير . الا ان أبرز ما يميز الوثيقة هو صيغتها العامة ، والتي تراهن قيادة حزب العمل على المناورة في تفسيرها وتنفيذها ، لكن وقائع ما بعد الحرب لا تعطيها الحرية المنفردة لذلك . بل يمكن لاتجاه الصراع ان ينقض الوثيقة ويحرقها ، كما حرق مقاتلو ٦ تشرين ومدافعهم

---

* اذا كان يمكن الجزم بأن القيادة الاسرائيلية « تستطيع » ان تترجم كما تريد ، فلماذا لم تبق على « وثيقة غاليلي » وتترجمها كما تريد . اما كونها «تتنازل ضمن حدود » فان التنازل ليس رغبة اسرائيلية وبالتالي فان التحكم فيه ليس ارادة اسرائيلية منفردة ، وبشكل خاص بعد حرب تشرين .

وثيقة غاليلي . ثم ماذا عن المؤشرات الاخرى : زيادة اصوات التجمع اليميني (ليكود) في الانتخابات وانخفاض أصوات المعراخ. هل هو مؤشر لاتجاه الاسرائيليين نحو سياسة التمسك بالاراضي العربية والفلسطينية المحتلة في العام ١٩٦٧ والاستعداد لمواجهة الحروب من أجلها ؟ أم انها تعكس اهتزاز ثقة الاسرائيليين بسياسات المعراخ . واهتزاز الثقة هل هو بسبب الفشل في تحقيق « السلام » قبل الحرب ؟ أم بسبب مجريات حرب تشرين ووقائعها . وفي مسألة التصويت على « فك التحام القوات مع مصر »، ماذا يعني تأييد الاسرائيليين للاتفاقية بأكثر من تأييدهم للمعراخ في الانتخابات وانحياز أصوات من التجمع اليميني لتأييد الاتفاقية . الا يعني ذلك خوفهم من شبح الحرب، واستعدادهم لتراجعات كبيرة خاصة اذا استطاع العرب الاستمرار في حالة الحرب، التي لم يكن حتى التفكير بها واردا قبل الحرب .

لقد حدد حواتمة وقادة الفصائل الاخرى بصيغ مختلفة التأثيرات والنتائج الفعلية المباشرة التي هزت المرتكزات العسكرية والسياسية لاسرائيل . وكونها دفعت بامكانات صعود « تسوية ما » في المنطقة أي امكانية اضطرار اسرائيل الى صيغة للانسحابات من الاراضي العربية ، وهذا يعني امكانية اضطرار القيادة الاسرائيلية الى المراجعة الشاملة لبرامجها وسياساتها تجاه معضلات الصراع المباشرة وعلى اساس الواقع الموضوعي الجديد . ويعني ايضا : ان وثيقة الاربعة عشر بندا* بالنسبة لوثيقة غاليلي، لا تعكس الا بشكل اولي ، فاعلية وقائع الحرب ودورها في ارغام اسرائيل على مراجعة سياساتها . ان تحديد الوقائع الفعلية المباشرة ، وامكانات استمرار المواجهة القتالية العربية ، او الاستنزاف ، او التهديد بجولة اخرى ، هو الذي يحدد مسار وثيقة الاربعة عشر بندا ومنحى المؤشرات السياسية الاخرى وآفاق التطور اللاحق .

ـــ اما اهتزاز نظرية الامن الاسرائيلي فان ذلك يعني : اهتزاز التفوق العسكري المطلق وانهيار موضوعة الحدود الطبيعية الامنة .وسقوط نظرية «وقائع دايان الجديدة» لضم الاراضي العربية والفلسطينية المحتلة عام ٦٧ كأمر واقع . ان تحليل هذه الوقائع وتفاعلاتها هو الذي يمكن من حساب الآماد الفعلية التي تتحرك باتجاهها برامج المراجعة الاسرائيلية . والذي يمكن تماما بمختلف اشكال الكفاح المسلح والانتفاضي والسياسي من ارغام اسرائيل على التراجع من موقع الى آخر ، **حتى آخر موقع** يمكن ارغامها على التراجع نحوه في هذه المرحلة ، وفي ظل موازين القوى القائم والذي يمكن تحريكه نحو اختلالات جديدة ضد اسرائيل ، وتوظيفه لانجاز الاهداف الوطنية المرحلية وفي خدمة الاهداف التاريخية . اما الصيغة القائلة بان القيادة الاسرائيلية تتحرك لـ « ترجمة الوثيقة ضمن حدود معينة ولا تستطيع تجاوزها » فهي لا تفسر شيئا من حقيقة التغيرات التي احدثتها الحرب في اسرائيل ولا تساعد على تعيين المهمات الكفاحية الراهنة للثورة .

و ـــ النتائج المترتبة على تعيين وتحليل معطيات تشرين : يخلص جورج حبش من تشخيصه لمعطيات الحرب واهميتها الى القول « ضروري جدا أن نرى هذه المتغيرات ، ولا نستطيع ان نكون علميين وثوريين ونستفيد من تجاربنا الا بعد ان نعترف بها ونؤكد عليها ، وتصبح موضع تثقيف ثوري للقيادات وللكوادر وللجماهير الفلسطينية والعربية» [ص ١٩] . هل المتغيرات هي نظريات ومفاهيم للتثقيف الثوري فحسب ؟ أم انها

---

* ان الوثيقة هي برنامج سياسي لاوسع تكتل عمالي في اسرائيل ، وهي تمثل في خطوطها العامة القاسم المشترك لاتجاهات الرأي العام الاسرائيلي تجاه مشكلات الصراع ، ومن هنا أهمية تسجيلها للتغيرات في حدودها الراهنة ذات الافاق البعيدة .

تمثل حقائق ووقائع تفعل فعلها في البرامج والسياسات والمواقف تجاه معضلات الصراع طبقا لموازين القوى المتحركة . وحركة المقاومة معنية بالتدقيق **بفعل** كل واقعة وحقيقة من تلك المعطيات والمتغيرات على برامج وسياسات العدو واميركا . الفعل المباشر على معضلات الصراع الراهنة . وبعد مناقشة المعطيات المتقدمة يخلص جورج حبش الى تساؤل واجابة في آن « ما هو تأثيرها على استراتيجية وتكتيك العمل الفلسطيني ؟... اكدت بوضوح تام ان هدف الثورة الفلسطينية ... هو هدف قابل للتحقيق ، قابل للتحقيق فعلا...وتأثير هذه المتغيرات على استراتيجية العمل الفلسطيني هو انها تثبت صحة استراتيجية العمل الفلسطيني ، وعلى رأسها الشعار الاساسي وهو المجتمع الديمقراطي في ارض فلسطين » [ص ١٩] . هذه الاستنتاجات العامة تجمل المؤشرات ذات الافاق التاريخية التي تؤثر في عناصر الصراع في الآماد المتوسطة والبعيدة بديلا عن المؤشرات ذات الفعل المباشر والراهن ، وتفعل مثل المؤشرات العامة اياها على الواقع القائم . وبالتالي ما يمنع تعيين تأثير المتغيرات على معضلات الصراع الراهنة التي تخوضها حركة التحرر الفلسطينية . فالقول بأن هدف الثورة ، التحرير الكامل ، « هدف قابل للتحقيق فعلا » . هو كالقول بان انتصار ثورة اكتوبر قد أكد امكانية انتصار الثورة العالمية وان هدف سيادة الاشتراكية في العالم **قابل للتحقيق فعلا** عام ١٩١٧، وبالتالي فلا حاجة لتحديد أية مهمات ثورية للحركات الثورية في العالم، غير الهدف الاستراتيجي ، تحقيق الاشتراكية في جميع اركان الارض .

ان هدف الثورة الفلسطينية ، وهدف كل حركة تحرير وطني تخوض حربا وطنية عادلة ، هو هدف مشروع ، **وقابل للتحقيق فعلا** من وجهة النظر التاريخية والعلمية . ولكن هذه الحقيقة النظرية تتحول الى **حقيقة موضوعية قائمة فعلا** عندما تتمكن الثورة من تعبئة وقيادة جميع القوى التي يمكن ان تساهم في الصراع وتحسمه في النهاية لمصلحتها ضد قوى الثورة المضادة ، عبر **مراحل** متعددة **وتعرجات ومحطات** مختلفة . من هنا فان حرب تشرين لم تثبت ان هدف التحرير قابل للتحقيق ، لان ذلك **ثابت** قبلها ، منذ انطلاق الثورة . بل ان الامكانية كامنة أصلا في التناحر العدائي بين الاستعمار الاستيطاني الاجلائي وشعب فلسطين. حرب تشرين **رسخت وبرهنت** على هذه القابلية. ولكنها ايضا ، وهذا هو المهم لتحليل المعطيات الراهنة ، **اثبتت** امكانية هزيمة الجيش الاسرائيلي **فعلا وعيانيا** وامكانية تحقيق انتصارات عسكرية ضده ، **وأكدت** امكانية حصول تغييرات نسبية في موازين القوى لصالح حركة التحرر العربية والفلسطينية ضد القوى المعادية لها اسرائيل واميركا . وهذه الوقائع مكنت الثورة الفلسطينية ولاول مرة من ان تضع لها مهمات كفاحية وطنية **قابلة للتحقيق** لمحطات متقدمة على طريق استمرار الصراع الطويل نحو الهدف الاستراتيجي القابل للتحقيق أصلا .

اما كون المعطيات تثبت «صحة استراتيجية العمل الفلسطيني وعلى رأسها **الشعار*** الاساسي وهو المجتمع الديمقراطي في ارض فلسطين » [ص ١٩] فهذا الاستنتاج يستوجب بعض التحديدات : اولا : هل ان هدف المجتمع الديمقراطي في ارض فلسطين هو « شعار » أم هدف كفاحي استراتيجي لحركة التحرر الفلسطينية [وهل لا يوجد فرق بين الهدف الاستراتيجي والشعار] التي بدأت كفاحا مسلحا على طريق تطويره

---

* الشعار هو صياغة وتكثيف سياسي يتصدى لمعالجة معضلة سياسية قائمة في مرحلة او شوط من أشواط الصراع بهدف تعبئة القوى على اساسه لتغيير موازين القوى وانجاز المهمة المحددة . وحين الفشل في تغيير موازين القوى وانجاز مهمة الشعار يرتد الى الوراء ليتقدم آخر اكثر ملائمة وتعبيرا عن موازين القوى والامكانات القائمة .

الى حرب شعبية فلسطينية طويلة الامد وبالمراهنة على طريق امكانية اشعال حرب تحرير عربية طويلة الامد تكسر التفوق الاسرائيلي وتدحر التحالف الاميركي ــ الاسرائيلي الرجعي . هذه العملية التاريخية المعقدة التي يرتبط تحقيقها بنمو قوى اجتماعية مختلفة وتوفر شروط موضوعية محددة تحكمها قوانين حركة التحرر العربية والديمقراطية الثورية . وحرب تشرين التي هي صراع مأخوذ الى آخر اشكاله الدموية . خاضتها حركة التحرر العربية الوطنية بقيادتها الرسمية (الانظمة) وبشروط محددة قد أعطت نتائج محددة ومن **الطينة اياها** . من هنا فان حرب تشرين قد اثبتت ان هدف تحرير فلسطين هو هدف استراتيجي بعيد الامد . وليس شعارا ابدا . ان حرب تشرين بهذا المعنى الموضوعي لها ولنتائجها ، قد أكدت فعلا صحة العمل الفلسطيني وهدف المجتمع الديمقراطي بالواقع الموضوعي الذي خلقته ، الواقع الذي يمكن الثورة من انجاز أهداف ومهمات مرحلية ، الواقع الذي يعكس التغيير النسبي في موازين القوى والذي يمكن من اجبار العدو على التراجع لصالح حركة التحرر الفلسطينية ولصالح الهدف النضالي الاستراتيجي هدف تحقيق المجتمع الديمقراطي .

ان الاستنتاجات « صحة استراتيجية العمل الفلسطيني » ، و « هدف التحرير قابل للتحقيق فعلا » هي النتيجة المنطقية لطريقة اعتماد المؤشرات والظواهر العامة لتحليل معطيات تشرين مؤشرات علامات الاستفهام حول « صحة المشروع الصهيوني من أساسه » أو « قناعات الجماهير واستعداداتها العالية للعطاء ... من أجل التحرير الكامل . بالنتيجة، المؤشرات والاستنتاجات، المقدمات والنتائج لا تمكن ابدا من صياغة المهمات الوطنية الكفاحية التي تتصدى للتعامل مع معطيات تشرين وتواجه تحدياتها . وهذا السياق في التشخيص والاستنتاج هو الذي جعل جورج حبش يخلص الى اجتهادات واستنتاجات مغايرة لما توصل اليه قادة الفصائل الاخرى بصيغ مختلفة ...

ولكي يمكن دراسة شروط وعناصر العلاقة العضوية بين المهمات الكفاحية المرحلية والاهداف الاستراتيجية التاريخية ، وايجاد المدخل الصحيح والضروري لمناقشة الاجتهادات والاراء حول المرحلية ، والحلقة المركزية ، والسلطة الوطنية والبرنامج القتالي ، لا بد من تحليل لعناصر التسوية الاميركية الاسرائيلية ، والبرامج المختلفة للتسويات من وجهة النظر العربية والسوفياتية . وطبيعة القوى المحركة والفاعلة من الصراع وقدرتها على مواجهة التسوية والتحديات والفعل المباشر في الصراع للتصدي لمحاور التسوية الاميركية تجاه المسألة الفلسطينية في معضلاتها التاريخية والراهنة .

ثانيا : التسوية السياسية والقوى الفاعلة فيها والموقف الفلسطيني الوطني الفاعل في الصراع .

لقد بات من المؤكد ان حرب تشرين قد خلقت توازنات عسكرية وسياسية واقتصادية جديدة ، دفعت بالانظمة العربية التي قادت الحرب الى الاقتناع بالمراهنة على تطبيق القرار ٢٤٢ لتنظيم انسحاب اسرائيلي من الاراضي العربية والفلسطينية المحتلة في العام ٦٧ وتعديلا في بنوده الخاصة بالمسألة الفلسطينية ، مقابل انهاء المواجهة العسكرية كما هو الموقف العربي الرسمي المعلن ، ربما أبعد من ذلك ، وتحقيق اعترافات عربية وضمانات دولية واشتراطات اسرائيلية كما تسعى اسرائيل والولايات المتحدة .

الا ان تحليل طبيعة الحقائق التي خلقتها الحرب ، وتفاعلاتها عربيا ودوليا واسرائيليا يؤكد ان **لا تسوية جاهزة** . ولا يمكن **حساب نموذج ما للتسوية** في صورتها النهائية ، سواء كما تريد الولايات المتحدة او اسرائيل ، او كما هو البرنامج العربي للانسحاب الكامل ، او كما هو البرنامج السوفياتي الذي يعلن التزامه بقرارات الامم المتحدة .

ذلك لان التفاعلات التي خلقتها الحرب لا زالت مستمرة والصراع يدور بين محاولات الولايات المتحدة واسرائيل التي تتصدى لفرض شروط تسوية اميركية — اسرائيلية ، وبين الانظمة العربية (سورية) وحركة المقاومة التي تناضل من أجل تحقيق الانسحاب الكامل غير المشروط. وبما ان السياستين الاميركية والاسرائيلية ليستا وحدهما في الصراع، فان أية تسوية شاملة هي نتاج لصراع قوى وبرامج متناقضة ومتصارعة اميركية — اسرائيلية ، مقابل فلسطين عربية سوفياتية ، وتتخذ أشكال صراع مختلفة عسكرية واقتصادية وسياسية . وبقدر ما تتمكن حركة التحرر العربية والفلسطينية من توظيف عناصر الحرب الايجابية ، ومن بينها واهمها امكانات **استئناف القتال** ، تتمكن من توفير شروط وعناصر انسحابات اسرائيلية غير مشروطة ، وفرض عناصر برنامجها الوطني ، وبالحدود المشتركة التي يمكن توظيف البرنامج السوفياتي فيها . [مرحليا على اساس قرارات الامم المتحدة وترسيب الموقف تجاه قرار ٤٧ حتى تحقيق اختلال عالمي واقليمي واسع في موازين القوى] ، يمكن ان تفرض نفسها على أية تطبيقات للقرار ٢٤٢ وربطها وثيقا بقرارات الامم المتحدة الاخرى المتعلقة بالمسألة الفلسطينية . وبالنتيجة فان أية انسحابات اسرائيلية من المناطق العربية والفلسطينية المحتلة في العام ٦٧ ، واية انجازات وطنية فلسطينية ستأخذ طابع محصلة قوى متصارعة . والقوى التي تستطيع توظيف عناصر الحرب في خدمة برامجها هي التي تتمكن من ان تترك عناصر ومواد برامجها على أية صيغ للحلول الاقليمية عربيا وفلسطينيا .

في تحليله لقضية التسوية ينطلق نايف حواتمه من ان القيادة المصرية « استهدفت اخراج ازمة الصراع العربي الاسرائيلي من حالة اللاحرب واللاسلم لتوليد فرص جديدة تمكن من الوصول الى تسوية سياسية على ارضية القرار ٢٤٢ مطورا في جانبه الفلسطيني ، [ص ٧]. وفي تحليله لمفهوم التسوية يتوصل الى ان «هناك تسوية اميركية اسرائيلية هاشمية » . مقابل هذا ، هناك فهم متباين للتسوية . فهم مصري معلن يمكن ان يتراجع الى تسوية ثنائية في حالة تعقيد الامور ، وسوري يؤكد على الاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني بذات الوقت، وموقف سوفياتي يقوم على الاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني كما هي قرارات الامم المتحدة ، [ص ٨] .

وبالحوار المتداخل يتوصل قادة المقاومة الاخرون الى التحليل اياه ، كمدخل لصياغة البرنامج المرحلي للمهام الوطنية الكفاحية الذي تناضل حركة المقاومة الفلسطينية على اساسه بالتحالف وبمختلف اشكال الكفاح الثوري ، مع برامج الانسحاب العربية على أساس ما هو مشترك ، لاجبار العدو على الانسحاب غير المشروط من الاراضي العربية والفلسطينية المحتلة في العام ٦٧ والفوز بالحقوق الوطنية الراهنة للشعب الفلسطيني.

أما جورج حبش فان له اراء وتصورات واستنتاجات اخرى ايضا .

١ — **« المؤامرة الموضوعة »** : يؤكد اولا على ضرورة التمييز بين البرنامج المرحلي للثورة وبين « مؤامرة موضوعة الان لتصفية الثورة الفلسطينية » [ص ٤٨] ومن ثم يتوصل الى ان « التحليل السليم لهذه المؤامرة التي تستهدف الثورة الفلسطينية ليس فقط من قبل اميركا نطرح كل المواقف بوضوح على صعيد دولي ، نطرح كل المواقف بوضوح كما هي قائمة على صعيد عربي » [ص ٤٩] . ان التاريخ ليس سلسلة حلقات من المؤامرات المتواصلة ، بل هو صراع طبقات ومصالح معبرا عنها في برامج وسياسات تتخذ اشكالا مختلفة بدائية او متقدمة تبعا لطبيعة درجات تطور المجتمع . بهذا المعنى « فالمؤامرة » ليست ، لغزا او سرا او ارادة الشيطان او الاله ، بل هي الاشكال السياسية التطبيقية لمعضلات الصراع ، والتي تمثل صراع قوى وبرامج وسياسات متعاكسة ومتناقضة ، وتتخذ اشكالا مختلفة

في التنفيذ حسب طبيعة كل قوة من القوى ووسائلها وادواتها في الصراع . والمؤامرة لم تبدأ بعد تشرين بل بدأت مع نهاية القرن الماضي وبداية النشاط الصهيوني وتداخله مع صعود الامبريالية العالمية . والمؤامرة بعد تشرين ترتيبا على ذلك واستمرارا للسياسة الصهيونية والامبريالية تعني : الاشكال والتطبيقات التي تحاول الولايات المتحـــدة واسرائيل ان تترجم بها سياساتها ، الاميركية « المكيفة » والاسرائيلية « المعدلة » وتفرضها تجاه معضلات الصراع العربية والفلسطينية كبؤرة واساس لمعضلات الصراع العربي الاسرائيلي ، وعلى ضوء حقائق ووقائع الحرب، وبما يضمن مصالح الاولى وامن واهداف الثانية . هذه الترجمة لمفهوم المؤامرة هو الذي يفسر لنا جوهر « المؤامرة الجديدة» ودراسة وتحليل عناصرها الاساسية.وبدون هذا التحليل لا يمكن على الاطلاق معرفة طبيعة التسوية الاميركية ــ الاسرائيلية ، وتحديد البرامج والسياسات العربية والفلسطينية لمواجهتها ، وترجمة حلقاتها الكفاحية المرحلية التي تمكن فعلا من احباطها .

ان الصيغة القائلة : « بأن المؤامرة « الموضوعية » ليس من قبل امريكا ، بل نطرح كل المواقف بوضوح على صعيد دولي ... وعلى صعيد عربي » . هي صيغة تخلط بين أهداف متناقضة وسياسات متعارضة وتطبيقات متعاكسة ومختلفة وان كانت تأخذ في بعض من تطبيقاتها تداخلا تجاه المعضلات . ان الحديث عن التسوية كمؤامرة بشكل مطلق وكأنها وحدة كلية ، انما يشمل جميع عناصر التسوية الاميركية ــ الاسرائيلية ، كما يشمل البرامج العربية (السوري والمصري) والسوفياتي والتي تتحرك جميعهـــا على ارضية القرار ٢٤٢ (أي جميع الاطراف) وتفسيراته المتداخلة والمتقاطعة التي تعكس سياسات الاطراف وتنصب جميعها على معضلات الصراع اياها... الانسحابات ووجهها الثاني ضمان امن اسرائيل ومصالح اميركا . ان هذا الاجتهاد لا يعين ابدا طبيعة كل من هذه القوى المتصارعة العربية والعالمية واهدافها المتميزة ، والمظاهر العسكرية والاقتصادية والسياسية لكل منهما التي ترافق عملية التسوية (بوجهيها الانسحابات والضمانات) وتترتب عليها ، اضافة الى الاساليب والاشكال التي تستخدمها وبالتالي التطبيقات العينية النهائية التي تتخذها . وفي التحليل الاخير فان اجتهاد المؤامرة لا يمكنه التمييز الدقيق والضروري بين مواقع الاعداء الامبرياليين والاسرائيليين وبين مواقع الحلفاء والاصدقاء الاقرب والابعد ، والقوى الاكثر بعدا التي يمكن ان توظف سياساتها ومواقفها في خدمة حركة التحرر العربية والفلسطينية .

وبصيغ متفرقة نجد استنتاجات أخرى تدور حول **الارادة الدولية** الهادفة الى فرض التسوية . وبعد أن يتحدث جورج حبش عن وجهة نظر السوفيات يخلص الـــى القول « فلنقل ، الارادة الدولية التي تشعر انه ليس في مصلحتها استمرار هذا التوتر وهذا الصراع بهذا الشكل في المنطقة ... هذه القوى الدولية التي تريـــد أن تدفع باتجاه التسوية السياسية » [ص ١٧] . هذا الاستنتاج يفترض انعدام اي دور للبرنامج العربي والفلسطيني . ويمزج بين السياسات والمواقف المتعارضة ، ولا يساعد بالنتيجة على معرفة الحدود الفاصلة بين موقف وآخر وسياسة واخرى تجاه التسوية ، (أي معضلات الانسحاب الاسرائيلي في سياسة القوى التقدمية في العالم وأمـــن اسرائيل ومصالح اميركا في برامج اميركا واسرائيل) وبالتالي تسمية الحـــدود المشتركة بـــين البرامج العربية والموقف السوفياتي وبينها وبين برنامج الحد الادنى للثورة الفلسطينية التي هي بصدد صياغته لمواجهة نتائج الحرب والتصدي لعناصر التسوية الاميركية ــ الاسرائيلية .

وأبعد من ذلك وبكلمات أكثر وضوحا ، نجد التساؤل التالي والاجابة عليـــه حول الموقف السوفياتي على الوجه التالي : ما هي وجهة النظر السوفياتية ؟ يجيب جورج

حبش « السوفيات أصدقاء ولهم وجهة نظر معينة في قرار ٢٤٢ ، هل ميزان القوى مضافا الى وجهة نظر السوفيات تمكننا ... من ان نصل الى هدف سلطة وطنية ديمقراطية فلسطينية ثم انسحاب كامل من الاراضي العربية ، بدون اعتراف ، بدون صلح ، بدون حدود آمنة ، بدون مناطق مجردة من السلاح ، بدون قوات دولية ، بدون كل هذه الضمانات ؟ جوابي كلا » . قبل كل شيء يجب التخلص من التباس ربما يعتقد انه بسيط ، وهو : هل ان وجهة نظر السوفيات خارج ميزان القوى ، ام بالضبط هي تعبير عن ميزان القوى العالمي وانعكاسها على الميزان الاقليمي الذي يكون فيه الموقف السوفياتي حاسما عالميا ويمكن ان يكون فعالا اقليميا طبقا للاشكال التي تتخذها العلاقات العربية الفلسطينية ـ السوفياتية . ثم نبدأ بالمواصفات : هذه المواصفات المطلوبة كلية الصحة ، والشروط مشروعة تماما وتقدمية تماما ، ولا يمكن لاي وطني تقدمي الا ان يحددها بدقة ويناضل بحزم لتحقيقها . ولكن **تصورها** شيء وعملية **انجازها** شيء آخر تماما . ان عملية تحقيقها هي عملية صراع شائكة ومعقدة . والاتحاد السوفياتي واي قوة تقدمية في العالم لا يمكن ان تقول بامكانات تحقيقها وفي صورة محددة ، مسبقا ، ان ما هو ثوري وصحيح وممكن ، هو تحديد **الميل العام** للتطور على ضوء موازين القوى القائمة **ودرجة واتجاه تغيرها لصالح حركة التحرر العربية من خلال الصراع** . وترتيبا على هذا الميل العام تحدد المهمات الكفاحية المرحلية وتصاغ البرامج السياسية التي تعين اشكال الكفاح وشعاراته لتعبئة الجماهير العربية والفلسطينية للنضال من اجلها وبالتضامن مع الحركة التقدمية العالمية . وحينما لا تتمكن حركة التحرر العربية والفلسطينية من انجازها وتصل الى طريق مسدود ، تكون عندها قادرة تماما خطوة بعد اخرى على **التحول** نحو مهمات كفاحية اخرى محافظة على جميع تحالفاتها العالمية ومطورة اشكالها الكفاحية ، حتى تصل الى موازين قوى جديدة وتحالفات جديدة تدفع باتجاهها سقوط بعض المراهنات العربية او نجاح المراهنات العربية والفلسطينية الاخرى .

أما الاستنتاج القائل كلا ؟ اي لا يمكن تحقيق المواصفات والاشتراطات المتقدمة والذي يقوم على افتراض ثبات موازين القوى القائم . هذا الاستنتاج يفترض فيه ، ويستلزم وصوله الى تحليل وتقدير مغاير لخصائص المرحلة وطبيعة القوى ، وبالتالي **اشتقاق** مهمات كفاحية محددة اخرى تعبر عن وجود قوى موضوعية مادية تتصدى لانجازها على أساس برنامج كفاحي مشترك واشكال كفاحية ممكنة موضوعيا ، لتعبئة وتحريك جميع القوى العربية والفلسطينية على اساسه لتحقيق تغيرات نسبية في موازين القوى القائمة [وهذا سنأتي على دراسته لاحقا] . ولكن الاسترسال في متابعة تحليل الموقف السوفياتي يصل بنا الى رأي مغاير تماما « لو كان الحد الاعلى لمؤتمر جنيف ان تنتصر وجهة النظر السوفياتية ، فوجهة النظر السوفياتية في فهمها لموضوع التسوية العادلة .. وجهة نظرهم ان تبقى اسرائيل » [ص ٢١] . ان معنى هذا الكلام بكل وضوح هو : ان وجهة النظر السوفياتية القائمة على تطبيق قرارات الامم المتحدة بخصوص المسألة الفلسطينية بشكل خاص ، حتى لو انتصرت « كاحتمال » يضعه يضعه جورج حبش ، فليس هناك اي اساس كفاحي مشترك ممكن معها ، لمواجهة عناصر التسوية الاميركية ـ الاسرائيلية ، وللحفاظ على نتائج حرب تشرين والتصدي لمحاولات اسرائيل واميركا لاغتيالها . [في مكان آخر الموقف السوفياتي جزء من التسوية الدولية بمفهومها العام . الارادة الدولية أو المؤامرة] . بسبب من كون الاتحاد السوفياتي « وجهة نظرهم ان

تبقى اسرائيل »*. [اي اسرائيل عام ٤٧ وفق القرارات الدولية في هذه المرحلة] .

هذه النتيجة التي يصل اليها هي وليدة التحليل الاساسي الذي اعتمده وهو « ان تأثير معطيات تشرين أكدت بوضوح تام ان هدف الثورة الفلسطينية ... انما هو قابل للتحقق قابل للتحقيق فعلا . وان نقول للاصدقاء السوفيات « من منطلق الصداقة » « ان تأثير المتغيرات على استراتيجية العمل هو انها تثبت صحة استراتيجية العمل الفلسطيني وعلى رأسها الشعار الاساسي وهو المجتمع الديمقراطي في أرض فلسطين » معنى ذلك اننا نقدم تحليلات نظرية عائمة ، كمراهنات تاريخية لا يختلف اثنان على منطلقاتها النظرية من حيث الجوهر ، كما هي حتمية سيادة الاشتراكية في العالم . ولكن الاجتهادات التي تعني الثورة ، تدور حول امكانات الوصول اليها عبر الصراعات التاريخية ومحطاتها . هذه الاستنتاجات والمراهنات تقود بالنتيجة الى **عدم وجود أي أساس كفاحي** مشترك لمواجهة وقائع سياسة اميركية اسرائيلية **راهنة قيد التنفيذ تتحرك ساعة بعد أخرى** ضد مصالح الشعوب العربية، فاعلة ومؤثرة في جميع معضلات الصراع ، وبالاخص الفلسطينية منها .

وبالرغم من أهمية التحالف مع الحركة التقدمية العالمية [العامل الخارجي] الا ان تأثير هذا العامل يبقى مرتبطا بقدرة الحركة الوطنية والتقدمية على الاستفادة منه . وبعد الحديث عن الارادة الدولية ينتقل الى ارادة اسرائيل « ومدى استعداد اسرائيل التنازل عن الصورة التي حلمت بها بعد انتصارها الشهير في حزيران » [ص ١٩] . وبعد أن يقارن بين مدى تلك التنازلات المفترضة وبين ما هو « مقبول من الوضع العربي الرسمي المتحكم في التسوية » [ص ١٩] ، يخلص الى نتيجة تقول « سيكون هناك عقبة ... انا لا اقول انها عقبة لا تذلل » ويربط هذا الاستنتاج بالتساؤل التالي « لو كان هناك اتفاق سوفياتي اميركي تفصيلي حول كيفية تطبيق قرار ٢٤٢ لكانت العقبة الاولى بسيطة وممكن تذليلها » اما العقبة الثانية فهي حسب رأيه « حد من التناقض بين الصيغة الاميركية مقابل الصيغة السوفياتية حول كيفية تنفيذ القرار ٢٤٢ » [ص ١٨] . نتساءل بدورنا عن اولا « مدى استعداد اسرائيل للتنازل هل ان استعدادها وحدوده او عدمه منوط بموقفها وسياستها هي والولايات المتحدة كما كان قبل تشرين ؟ قبل الحرب كانت سياستها تحتمي بالتفوق العسكري المطلق ، وتعكس الاحتلال الفاضح في موازين القوى لصالحها واميركا ، حتى في ظل ذلك الاحتلال كانت ترطم سياستها التي تعين « استعداداتها » بجدار من ارادة الصمود العربية السلبية [الانظمة] التي كانت حتى في تراجعاتها تجاه اسرائيل **تقف عند حدود محرمة وخطرة** لم تستطع تجاوزها بفعل الرقابة الجماهيرية العربية الصارمة (المصرية خصوصا) .

---

* ان مسألة ان تبقى اسرائيل في حدود ٤٧ ام لا تبقى هي مسألة تاريخية لا يستطيع السوفيات او اية قوة في العالم التحكم فيها او التمسك بسياسة ثابتة تجاهها . ان استمرارية عناصر الصراع الموضوعية هي الوحيدة التي ستحسمها . والتحالف بين حركة المقاومة والاتحاد السوفياتي منذ عام ٦٩ [بشكل فعال] وحتى الان يقوم على الموقف السوفياتي اياه تجاه حدود اسرائيل لعام ٤٧ . وحبش ايضا يقول بامكانية تطور الموقف السوفياتي ولكنه يستخدم هذا الاستنتاج للوصول الى عدم وجود ارضية لبرنامج عربي فلسطيني سوفياتي مشترك في هذه المرحلة ... معنى ذلك يجب الانتظار حتى تقوى الثورة الفلسطينية والعربية « ما لم تقو الثورة الفلسطينية والعربية وتحدث تغييرات في وجهة النظر السوفياتية » ، طبقا لمعطيات الصراع . لا اعتقد ان الابتعاد عن الموقف السوفياتي وعدم ايجاد اساس مشترك مرحلي ، لا يقوي الثورة العربية والفلسطينية على الاطلاق . بل العكس هو الصحيح تماما . [الابتعاد في هذه المرحلة اما حسب النموذج المصري او الانعزالية التصفوية] .

بعد تشرين « مدى التنازل » تمليه موازين القوى العالمية والاقليمية على اسرائيل وطاقات زخم الجبهات العربية للمواجهة المباشرة . أما مسألة الربط بين حلمها الشهير بعد حزيران ومدى استعدادها للتنازل فالمقارنة هنا لا تجوز على الاطلاق . لان المسألة اذا كانت مرتبطة بأحلام اسرائيل فهي ليست اقل من النيل الى الفرات . وهي أحلام على كل حال خارج موازين القوى التي تحكم عناصر الصراع والتي **لا تحابي** احلام احد من الاطراف . **ثانيا** : المقارنة بين مدى التنازل وبين ما هو مقبول من الوضع العربي الرسمي المتحكم في التسوية . هذه المقارنة تحتاج الى كثير من التفسير والوقوف عندها . وأعتقد انها تستأهل هذا الوقوف . ماذا يعني ما هو مقبول على خارطة الاوطان العربية والفلسطينية . [بالطبع الارض الفلسطينية لم تعد قرارا عربيا بعد الانتصارات التي أحرزتها منظمة التحرير ضد الرجعية الاردنية ، بل هو حق المنظمة فحسب] . مصر وسوريا رسميا : الالتزام ببرنامج « الانسحاب الاسرائيلي حتى حدود الرابع من حزيران ٦٧ وضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني». والاخيرة مرتبطة بقرار فلسطيني معترف به رسميا من الانظمة العربية، وفرض عمليا على العالم.من هنا يصبح تراجع الانظمة خارج حدود هذا البرنامج مسألة لا يمكن الاقدام عليها بسهولة، ومغامرة الانظمة بتجاوزها يخلخل تماسكها [اي تركيبتها الطبقية] ويفجر طاقات الجماهير العربية والفلسطينية ويرتب عليها مواقف وسياسات جديدة ، بعد ان يخلق ظروفا موضوعية جديدة في عناصر الصراع مع العدو . **ثالثا** : ما معنى القول بأن التناقض بين برنامج الانسحاب الاسرائيلي والعربي (المصري والسوري) « عقبة لا أقول انها لا تذلل » بأي معنى كونها لا تذلل ؟ ان مصالح الشعوب العربية تكمن في النضال من أجل تذليل هذه العقبة الاسرائيلية ، اي فرض البرنامج المصري السوري وبالاخص السوري وتوظيف البرنامج السوفياتي في خدمته وكنس الاحتلال والفوز بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني.وتذليل هذه العقبة لا يمكن ان يكون الا بالنضال **المشترك** مع البرامج الوطنية السورية المصرية ، وبالنضال **ضدها** لايقاف تراجعاتها من مواقع المساهمة في الصراع وعلى أساس البرنامج الكفاحي المشترك . اما القول بأنه « لو كان هناك اتفاق سوفياتي اميركي تفصيلي حول كيفية تطبيق قرار ٢٤٢ ، لكانت العقبة الاولى عقبة بسيطة وممكن تذليلها » هو قول لا يوضح ابدا ما يعنيه. لا اعتقد انه يمكن القول بأن الاتحاد السوفياتي يعقد « اتفاقات تفصيلية » او اتفاقات عامة حول قضايا الشعوب ومن وراء ظهرها . وقد نفى رسميا بشدة ان تكون مثل هذه الاتفاقات . وحتى لو افترضنا ان هناك اتفاقا مع اميركا حول المنطقة ، فان صيغته لا تكون غير التزام اميركي تجاه الاتحاد السوفياتي فرضت طبيعته موازين القوى العسكرية والسياسية والاقتصادية وابعاده، خلال الحرب وعند وقف اطلاق النار ، باتجاه التزام اميركي بالضغط على اسرائيل لتطبق القرار ٢٤٢ الذي ينظم الانسحابات حتى حدود ٤ حزيران ٦٧ ، ومعبرا عن ، او قريبا من التفسير السوفياتي للقرار ٢٤٢ وقرارات الامم المتحدة تجاه المسألة الفلسطينية كما هو موقفه الرسمي . ولا يمكن ان يكون مثل هذا « الاتفاق » ضد مصلحة الشعوب العربية . وبسبب من المصلحة المشتركة بين الاتحاد السوفياتي والشعوب العربية في مناهضة الامبريالية الاميركية **وايقاف هجمتها** في المنطقة العربية ، فان السوفيات يعملون على المساهمة في تحقيق الانسحاب غير المشروط من الاراضي العربية عن طريق تدعيم نضال الشعوب العربية لتحقيق هذا الهدف وضمان الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني . وحينما لا يكون هناك « اتفاق » سوفياتي اميركي ، فان السوفيات معنيون بتدعيم نضال الشعوب العربية لخلق شروط وامكانات ارغام اسرائيل واميركا على تطبيق القرار ٢٤٢ بالصيغة السوفياتية وحل المسألة الفلسطينية كما هو موقفهم الذي أبلغوه لقيادة المقاومة وفقا للقرارات الدولية وبالاخص قرار ٤٧ . البرنامج السوفياتي اذن يشكل

عقبة في وجه التسوية (الانسحابات الكاملة وحقوق شعب فلسطين) بسبب تعارضه مع البرنامج الاميركي . اذن اين تقف حركة التحرر العربية والفلسطينية من هذه العقبة ؟ هل تنتظر او تتمنى ان ينتصر التصلب الاسرائيلي برفض الانسحاب الكامل وتتراجع وجهة النظر السوفياتية ، وهذا لا يكون الا باختلال جديد في ميزان القوى ضد حركة التحرر العربية . ام انها ، حركة التحرر العربية ، معنية تماما **بتذليلها** ، خاصة حينما تحجم بعض الانظمة العربية عن الاستمرار في المواجهة القتالية ، ناهيك عن خوض حرب جديدة ، اي تذليل العقبة بالنضال الحازم لاجبار اسرائيل على الانسحاب غير المشروط من الاراضي العربية والفلسطينية المحتلة في العام ٦٧ .

ـ العقبة الثانية : « حد من التناقض بين الصيغة الاميركية مقابل الصيغة السوفياتية حول كيفية تنفيذ القرار ٢٤٢ » [ص ١٨] هذا الحد المعين من التناقض **الصغير جدا على الورق هو كبير جدا على تراب الارض العربية والفلسطينية.** هذا الحد من التعارض الا يستوجب تعيين حدوده وأهميته ومدى علاقته وتداخله مع البرنامج الوطني السوري والمصري للانسحاب الكامل غير المشروط . وبالتالي امكانات مساهمته في الكفاح لازالة كابوس الاحتلال عن الاراضي العربية والفلسطينية . هذه العقبة من جانب اميركا والتي هي عقبة اميركية ـ اسرائيلية في طريق الانسحابات الكاملة طبقا للمشروع السوفياتي والتي تعكس الحد المعين من التناقض ، اين تقف حركة التحرر العربية والثورة الفلسطينية منها . هل هي معنية بالمساهمة في الصراع لتذليلها لصالح حركة التحرر العربية والفلسطينية . ام حسابها الى جانب العقبة الاسرائيلية الاولى للمراهنة على عرقلة الانسحابات طبقا لقرارات الامم المتحدة كما هو البرنامج السوفياتي والعربي ، « كأساس موضوعي لتجدد الحرب وصمود الثورة الفلسطينية على طريق الحرب العربية الفلسطينية الشعبية الطويلة الامد ، حتى التحرير الكامل ؟؟ » .

ان المراهنة على هذه الموضوعة حتى اذا كانت صحيحة نظريا، فهي لا يمكن أن تكون كذلك ما دامت تعول على العقبات التي تضعها اسرائيل واميركا في وجه البرنامج العربي والسوفياتي للانسحاب الكامل ، وبالتالي لا يمكن توفير الشروط المادية لامكاناتها على اساس القول « بالعمل الثوري الفلسطيني والعربي الى جانب العقبات » لاحباط التسوية بمفهومها الكلي العام « المؤامرة » . ان القول بهذا الشكل من « الاحباط للتسوية » لا يستند الى الحقائق الموضوعية لقوانين الصراع والتغيير الاجتماعي ، لان تذليل العقبة لصالح اميركا واسرائيل ، وتمكنها من **الافلات** من جميع عناصر الضغط والحصار والتصدي الذي ولدته حرب تشرين ، لا يعني البتة بعد ظروف الحرب العودة نحو حالة اللاسلم واللاحرب ، وعودة مأزق الانظمة الوطنية الحاد فيها . بل تعني تحديدا ان تتمكن اسرائيل واميركا من فرض عراقيلها ، [بعد أن تكون المقاومة قد حشرت نفسها في زوايا الانعزال والكمون بانتظار نتائج التصلب الاميركي الاسرائيلي] وهو يعني بالضرورة انها استطاعت احداث اختلال جديد في موازين القوى لصالحها ، وأعادت التوازن لعناصر سياستها التي افتقدته خلال الحرب وبعدها . وبالنتيجة فهي لا توظفه من اجل الرجوع نحو حالة اللاحرب واللاسلم ، بل في خدمة « حل ما لمعضلات الارض العربية المحتلة وانهاء المواجهة العسكرية » وحل ما للمسألة الفلسطينية طبقا لترجمات برنامج التسوية الاميركية الاسرائيلية في صيغته النهائية المعدلة ، وعندها تبدأ بالمبادرة والهجوم لمطاردة الثورة الفلسطينية وهي في « معاقل » زوايا انعزاليتها ، بعد تقديم حل « كسيح » للمعضلات الفلسطينية يكون للاردن والرجعية العربية دور رئيسي في تنفيذه ، لتتربع اميركا على عرش مواقعها الجديدة في المنطقة وبالاستناد الى مواقع وأدوار رجعية فعالة . وبالطبع ان هذا هو احتمال فحسب لان الجماهير الفلسطينية

التي تعاني من كابوس الاحتلال المطبق على انفاسها « هي التي تحرك التاريخ » وتساهم في صنعه (كما يعترف بذلك جورج حبش ايضا) . وقيادة حركة التحـــرر الفلسطينية **لا تمزح و« لا تلعب بالنار » بل تقاتل وتناضل فيها** ، و« لا تستنكف » عن المســـاهمة الايجابية الثورية في الصراع . ولو حصل الاحتمال افتراضا بسبب انجرار قيادة المقاومة الى « مطبات » تاريخية يراد دفعها نحوها ، فلا يكون ذلك الا مؤقتا نسبيا من وجهـــة النظر التاريخية ، حتى تتمكن حركة التحرر العربية والفلسطينية من الانطلاق ثانية ، ولكن ذلك سوف يلحق ، بالتأكيد ، ضررا بالغا بحركة التحرر العربية الفلسطينية بشكل خاص ، بسبب مصادرته للمكاسب والانجازات الوطنية التي حققتها الثورة الفلسطينية لفترة تاريخية طويلة . ان مصلحة الثورة الفلسطينية تكمن بالتأكيد في **وضع العقبة تلو الاخرى** في وجه التسوية الاميركية ـــ الاسرائيلية بالنضال ضد حلقاتها الخاصة بالمسألة الفلسطينية ، عن طريق برنامج مهمات وطنية مرحلية ، والمساهمة الايجابية في الصراع، ووضع هذه العقبات ، عمليا ، هو تذليل وكسر للعقبات الاميركية الاسرائيلية (الاولى والثانية) لعرقلة تطبيق البرنامج العربي والسوفياتي للانسحاب الكامل غير المشروط . وهذه العملية المعقدة ، يكون دونها القتال العربي الاستنـــزافي والفلسطيني المـــرير واحتمالات الدورة الخامسة للحرب الشاملة .

بعد حديثه عن العقبات يخلص حبش الى استنتاج نهائي لمواجهة « التسوية » يصوره على الشكل التالي « لو ربطنا العقبة الاولى بالعقبة الثانية ، ثم أضفنا الى ذلك وهذا مسؤولية العمل الثوري الفلسطيني والعربي ـــ العامل الذاتي ـــ هنا لا استطيع ان اخرج باستنتاج ان التسوية ستكون حتمية مائة بالمائة وان المعارضة لهـــا بدون اي جدوى » [ص ١٨] .

أولا : هذا الاستنتاج يقوم على اساس وضع العمل الثوري الفلسطيني والعربي الى جانب العقبات في طريق البرامج العربية والسوفياتيـــة (أي العقبات الاسرائيليـــة والاميركية) ، خارج التسوية ، وفي مواجهتها . اي ضد وفي مواجهة ، هكذا يفهم من الصيغة ، التسوية بجميع صيغها ، سواء بمحاورها الاميركية ـــ الاسرائيلية او برامج معارضتها العربية (السورية والمصرية) والسوفياتية . بمعنى آخر في مواجهة التسوية الاميركية ـــ الاسرائيلية وفي الوقت **اياه** في مواجهة البرامج العربية والسوفياتية دون ايجاد اي أساس موضوعي مشترك ، وفي اي حدود ، معها ، عند التصدي للسياسة الاميركية ـــ الاسرائيلية وعناصر تسويتها التي تحاول فرضها ضد وعلى حساب البرامج العربية للانسحاب الكامل التي يدعمها الاتحاد السوفياتي . فالعمل العربي والفلسطيني الثوري ويسميه ـــ العامل الذاتي ـــ وبالاعتماد على العقبات الاميركية الاسرائيلية في وجه البرامج العربية والسوفياتية ، تشكل ، في رأيه ، الارضية والقوى الكفاحية التي تستطيع ان تواجه جميع برامج التسوية . وقد سبق مناقشتنا للعقبات وطبيعتها . أما العمل العربي والفلسطيني الثوري ـــ العامل الذاتي ـــ والذي يعنيـــه بالطبع ، هو الجناح الديمقراطي والثوري في حركة التحرر العربية . هـــذا « العمل » العربـــي والفلسطيني له شروطه الموضوعية والذاتية التي هي شروط ومميزات وطبيعة حركة التحرر العربية عموما له قوانينه وشروط حركته الموضوعية والذاتية كما تقدم في سياق التحليل ، ودورها اي ـــ حركة التحرر الديمقراطية والثورية ـــ في قيادة الثورة الوطنية والحرب كان حبيسا لقيادة الانظمة التي تقود الثورة الوطنية والحرب ، ضمن الجبهات الوطنية . وبالطبع ان حدود دورها هي تعبير عن وزنها العسكري والسياسي، **والشروط**

الموضوعية* التي تحكم تطورها بشكل عام ، والتي عينت قبل ذلك وزنهـا السياسي وتأثيرها في قيادة الثورة الوطنية ، ودورها التـي اتضحت حدوده في الحرب الوطنية المحدودة **ينشير** تماما **ويعين** دورها في توظيف نتائج الحرب الايجابية لصالح حركة التحرر العربية ، ومواجهة تحديات ما بعدها . وهذا ما يتوقف على قدرتها الموضوعية على صياغة برنامج ديمقراطي ثوري مستقل عن القيادات الوطنيـة ، وامكانات ترجمته العملية والفاعلة في الصراع **فعلا** لتجاوز برنامج الانظمة الوطنية او محاصرته . **او** في حالة عدم نضوج الشروط الموضوعية للتصدي لمهمات هذا البرنامج الكفاحية بالتعارض والتضاد مع القيادات الوطنية ، وهو امتداد لصياغة علاقاتها ومواقفها تجـاه برامج التصدي لمهمات الثورة الوطنية [على طريق رأسمالية دولة اداتها شريحة برجوازية صغيرة] . فان الحركة الديمقراطية والثورة معنية بايجاد وصياغة **برنامج الحد الادنى** والمشترك مع الانظمة الوطنية المتقدمة بشكل خاص (سوريا والعراق) على اساس مهمات مرحلية كفاحية لمواجهة عناصر التسوية الاميركية الاسرائيلية .

٢ ــ **جنيف عنوان المرحلة** : بعد الحديث عن التسوية ، ومواجهتها ينتقل الى مؤتمر جنيف باعتباره « عنوان المرحلة القادمة على صعيد المواقف والبرمجة ؟ » . « يتصور » مرة اخرى . يتصور التسوية الاميركية الاسرائيلية الهاشمية مقابل برامج الانسحاب العربية (المصرية والسورية) والسوفياتية في المؤتمر على الوجه التالي : « عمليا أمام مؤتمر يستهدف التسوية بالطرق السياسية ، سيبدأ بوجهة النظر الاميركية الاسرائيلية الهاشمية ، مقابل وجهة النظر العربية ــ المقصود الرسمية ــ السوفياتية . فلنتصور عادة ماذا يحدث في مؤتمرات من هذا النوع . خطوة من هنا ، ثم خطوة من هنا ، ثم خطوة من هنا ، ثم خطوة من هنا ، الى ان نصل الى نقطة مشتركة ، **الا** تستطيع ان ترى هذه النقطة على ضوء ميزان القوى ؟ » [ص ٢٠] . ان هذا الافتراض يعتبر ان جميع القوى المساهمة في الصراع هي في **حالة سكون** (ميزان القوى **القائم الان** كما يسميه) في الموازين العالمية ، والاقليمية ، والعربية ، والفلسطينية ــ الاردنية ــ والفلسطينية الوطنية [أي الوزن السياسي الذي يمكن ان تصل اليه حركة التحرر الفلسطينية في معركتها ضد الرجعية الاردنية والعناصر العميلة لها المهادنة لاسرائيل] ستكون كما تشير عناصر التسوية النهائية خاصة ، في حلقتها الخاصة بالمسألة الفلسطينية ، هي كما عليه **الان** وبالضبط . (٢) وهو قبل ذلك لم يقل لنا اين هي نقطة البداية في جميع المشاريع المتقابلة والمتقاطعة . هل هي الرسمية المعلنة ، ام هي مواقع نسب الموازين الفعلية للقوى المادية الفاعلة . (٣) ما هي بالضبط نسب الموازين الفعلية الفاعلة في الصراع عالميا ، واقليميا ، وعربيا ، وفلسطينيا . (٤) ما هو المقصود بـ « نقطة من هنا ، ونقطة من هنا » بالنسبة لحدود هامش المناورة والتراجع المحدود بالنسبة للانظمة الوطنية ، حيث لا تملك ، ولا تستطيع التنازل عن شبر واحد من أرض الوطن ، لان ذلك من شأنه ان يعطي طابعا جديدا للصراع ، اي تنازل النظام الوطني عن برنامج الحد الادنى ، وهو ما يهز تركيبة ذلك النظام اياها ، وما يؤدي بالنتيجة الى حسم الصراع داخلها وبأي اتجاه كان طبقا لنسب وموازين القوى داخل تركيبتها في كل قطـر عربي ، فان ذلك سيخلق شروطا كفاحية جديدة امام الحركة الديمقراطية والثوريـة ويحشد طاقـات

---

* الى جانب سياساتها التي لم تمكنها من فرض واقع موضوعي او صياغة علاقات تزيد دورها الاقتصادي والسياسي وتمكنها من تعبئة الجماهير العربية على اساس برنامج كفاحي مستقل عن سقف برامج القيادات الوطنية . وهذا ما جعلها تعجز عن ان تعبىء الجماهير خلال الحرب على اساس هذا البرنامج المستقل ، وبالتالي اضعف دورها في اي تأثير جدي في مسيرتها .

جماهيرية واسعة وفعالة ضد التسوية ، اضافة لذلك ، الحدود الصارمة الاخرى التي تقيد الانظمة بالنسبة للمسألة الفلسطينية ، حيث لا يمكن لاي نظام عربي ان يقرر اي شيء في المؤتمر نيابة عن الشعب الفلسطيني وممثله الشرعي الوحيد [الا اذا افترضنا ان منظمة التحرير انساقت الى « الاستتكاف » عن المساهمة الايجابية في الصراع ، ومن ميادين الكفاح الاساسية ، و« كمنت » حتى تفشل التسوية ، لتبدأ الثورة من جديد] . وبالنتيجة فان الانظمة في جنيف لا يمكن ان تكون حريتها مطلقة او كبيرة في التحرك باتجاه « نقطة من هنا ، ونقطة من هنا » ، عندما تتمكن حركة التحـــرر الفلسطينية وقيادتها منظمة التحرير ان تفرض حضورها والشعب الفلسطيني موضوعيا وعمليا وشرعيا وفي جميع ميادين القتال والنضال ، وهي على هذا الطريق . من هنا تنبع الاهمية القصوى لصياغة برنامج المهمات الكفاحية المرحلية لحركة التحرر الفلسطينية الذي يمكنها مـــن المساهمة الفعلية في عملية الصراع لاحداث تغييرات نسبية جديدة في موازيـــن القوى الفلسطينية ـــ العربية والفلسطينية ـــ الاردنية ، وبالضرورة تنعكس على الموازين الاقليمية والعالمية وتتبادل التأثير معها . وهذا البرنامج هو الذي يمكنها من التحالف الثابت والفعال مع الانظمة الوطنية المتقدمة (الصامدة عند برامجها للتسوية او الرافضة لها) ومع الجماهير العربية من خلال تعبيرات الحركة الديمقراطية والثورية وبالنتيجة التمكن من **فصم وتعطيل** الحلقة الاساسية في التسوية الاميركية الاسرائيلية التي تتعامل مع المسألة الفلسطينية وتنصب على معضلاتها . وهو ما **يخلق** بالتالي امكانات **التأثير او التغير** في عناصر مرتكزاتها وحلقاتها تجاه معضلات الانسحاب من الاراضي العربية ومظاهره ، حيث مواقع تصدي حركة التحرر الوطنية (فصائلها المتقدمة) ، ومواقع الحركة الديمقراطية والثورية ، لفتح صراعات طبقية واسعة في وجه مظاهر التسوية الاميركية واجهاضها .

ثالثا : مواجهة التسوية والمهام الوطنية الكفاحية الراهنة :

يتوصل قادة فصائل المقاومة ، بعد تحليل الوقائع والحقائق **الفاعلـــة** في معضلات الصراع **المباشرة** ، الى تحديد المهام الوطنية الكفاحية وبرامجها القتالية لمواجهة تحديات ما بعد الحرب ، والتصدي لعناصر التسوية الاميركية لاحبـــاط محورها تجاه المسألة الفلسطينية على الوجه التالي : « من مواقع الرفض الثوري الملموس ... لا للاحتلال ، لا لمشروع المملكة المتحدة ، لا لعودة قوات الملك ، النضال من اجل تقرير المصير واقامة السلطة الوطنية المستقلة » [حواتمه ٣٨] . وفي تحديد طبيعة الرفض وعلاقته بالدور الفلسطيني المستقل يقول ابو اياد « لا بد من تجسيد الرفض على ارضية فعلا من موقف وطني واحد بحيث لا يسلم هذا الرفض القضية مرة اخرى الى الانظمة العربية » . وفي ترجمة هذا الرفض الى مهمات كفاحية وطنية مرحلية فلا بد مـــن « ان يسمع صوت الشعب الفلسطيني في قضاياه ، والا تركت لآخرين ، أعتقد أنهم تاريخيا مسؤولون عن استمرار النكبة واستمرار تكبيل الشعب الفلسطيني ومنعه من التعبير عن نفسه يرفض الاحتلال بموقف عملي » [ص ٥٧] . ولكي يمكن التصدي للمهام الكفاحية الراهنة وتكريس الدور الفلسطيني المستقل ، فلا بد من برنامج كفاحي مرحلي « يجيب على القضايا الراهنة ويتمسك بالحق التاريخي وبالقضايا الآجلة والبعيدة المدى » . واهمية هذا البرنامج هي كونه يواجه المعضلات العينية المباشرة ، ويمكن من تعبئة الجماهير وتوحيدها للنضال من أجل انجازها . « ومثل هذا الموقف الفلسطينـــي الموحد ضمن برنامج مرحلي يزيد من التفاف الجماهير العربية حولنا لانـــه يتناول الامور المبدئيـــة والتاريخية والمرحلية ، ويجعل حركة التحرر العالمية أيضا تشعر انها أمام ثورة جادة تريد ان تواجه مشاكلها الراهنة والتاريخية بحلول واقعية وثورية » [ص ٢٧] . هذا

التحليل يقود بالضرورة الى حقيقة كون النضال من اجل السلطة الوطنية هو تجسيد لمهمات كفاحية مرحلية ، وان « هناك مطلبا لاقامة السلطة الوطنية على قطعة من الارض الفلسطينية ، وهو مطلب نضالي ، وهو مطلب صعب » [ابو اياد ص ٢٦] . وبما ان مهمة تشييد السلطة الوطنية مرتبطة بمعضلات الكفاح من اجل اجبار العدو على الانسحاب من جزء من الارض الفلسطينية وتتويجا لها ، وهي معالجة ومواجهة ثورية للمشكلات التي يواجهها الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال في الضفة الغربية والقطاع ، فان « مسألة السعي لانشاء السلطة الوطنية الفلسطينية هي مسألة من صلب العمل السياسي والوطني لاي حركة مسؤولة ، ان اي حركة ثورية ، اي ثورة لا بد ان تسعى الى انشاء السلطة » [ص ٤٥ زهير محسن] . هذه التشخيصات والتحليلات المشتركة تدور حول محاور اساسية يمكن تلخيصها ، بـ : تعيين المهمات الكفاحية المرحلية ، النضال من أجل اقامة السلطة الوطنية ، تحديد البرامج الكفاحية التي تمكن من الفوز بها . اما جورج حبش الذي ينطلق من تشخيصات مختلفة لمعطيات تشرين ، ويتميز « بتصور » خاص للتسوية ، فقد توصل الى نتائج مغايرة عن ما توصل اليه قادة المقاومة الآخرون .

١ ـ **المرحلية** : يقول في المرحلية « ان موضوع المرحلية ، موضوع وارد ، وموضوع علمي ، وموضوع شروع » [ص ١٩] هذا التأكيد لا يأخذ اهمية الا بالترجمة العملية لقضية المرحلية وكيفية التعامل بهذه الصيغة لمواجهة الخصائص المتميزة لما بعد تشرين .

٢ ـ **الفصل بين المرحلية والمؤامرة** : يؤكد جورج حبش على « ضرورة الفصل والتمييز الواضح والدقيق جدا بين أي برنامج مرحلي تريد ان تستخرجه الثورة الفلسطينية الان ، لتلافي ، فلنقل ، خطأ سابق وقعت به ... بين هذا الموضوع وبين مؤامرة موضوعة الآن لتصفية القضية الفلسطينية » [ص ٤٨] . هذا البرنامج ، هل «تستخرجه» الثورة من «عنديا‌تها»، «وتصورات» قادتها، أم يقوم على تحليل الوقائع والحقائق الجديدة والملموسة ، وما تفرضه على الاعداء من سياسات مختلفة لمواجهتها . وما تتطلبه بالنسبة للثورة لكي تتمكن من توظيف تلك المعطيات في خدمتها ومواجهة تحديات ما بعد الحرب ، وبالتالي تحديات السياسة الاميركية ـ الاسرائيلية . هل المؤامرة شيء آخر غير برامج السياسات الاميركية والاسرائيلية لما بعد الحرب . وبالطبع فهي ليست « موضوعة الآن » بصيغة جاهزة ، انما هي نوايا واهداف وخطط اميركية اسرائيلية متحركة ومتغيرة ابدا طبقا لوقائع الصراع وامكانات حركة التحرر العربية والفلسطينية في التصدي لها .

ب ـ **برنامج المجلس الوطني الحادي عشر** : ان البرنامج « يحمل ادانة واضحة وصارخة للقرار ٢٤٢ ، يحمل ادانة واضحة لاي تسويات تصفوية ، يحمل ادانة واضحة وصارخة لاقامة اي دولة على جزء من التراب الفلسطيني في ظل المعطيات التي انعقد فيها المجلس الوطني الحادي عشر » [ص ٤٩] . البرنامج صيغ في ظل معطيات ما قبل تشرين اذن ؟ هل الحرب لم تفعل شيئا ؟ هل المعطيات قائمة كما هي عند انعقاد المجلس؟ ماذا عن مؤشرات ، وحقائق الحرب وما بعدها ؟ الصيغة الثانية تجيب على « طريقتها » على هذه التساؤلات « بعد ذلك كانت حرب تشرين ، وبعد حرب تشرين أتى مؤتمر جنيف ، وعند مؤتمر جنيف ، شهدت الساحة الفلسطينية موضوع « ضرورة الواقعية » وموضوع « مللنا كلمة لا » . ان المواد التي شيدت عليها نتائج الحوار ومسألة المرحلية وصياغة المهمات الكفاحية الراهنة، مبنية على معطيات ووقائع حرب تشرين، كما تحدث جورج حبش عن بعض منها كـ «انتقال الامبريالية من موقع الى آخر» وقول دايان للدفاع عن قبول وقف اطلاق النار « القبضاي يتفضل » . وايضا نحن لا نستطيع ان نواصل

الحرب دون الاعتماد على اميركا ، دون اوثق العلاقات مع اميركا » . هذه الوقائع الى جانب ما خلقته الحرب من وقائع عربية واسرائيلية وعالمية ، وليس « مللنا كلمة لا » و« ضرورة الواقعية » هي التي شكلت منطلقا للحوار وأساسا لتحليل طبيعة المرحلة . الا أن ما هو أكيد وثابت ، ان اية حلول للمسألة الفلسطينية على اساس القرار ٢٤٢ وفي ظل الاختلال الفاضح في ميزان القوى لصالح العدو واميركا قبل الحرب كان يمكن ان تكون حلولا **تصفوية قطعا** . وحتى بعد تشرين ، فان اية حلول ، ما لم تكن مرتكزة على أساس تحقيق برنـــامج المهمات الوطنية الكفاحية الراهنـــة هي حلـــول **تصفويـــة أيضا** . من هنا فان حقائق ووقائع الحرب التي عينت وفرضت مهمات كفاحية مرحلية وعلى أساس برنامج كفاحي متعدد الاشكال النضالية ، تستلزم بالضرورة احداث **تطوير ايجابي** في برنامج المجلس الوطني الحادي عشر ، يستجيب لمعطيات الحرب ومتغيرات ما بعدها . هذا التطوير بالذات هو الذي يجعل المنطلقات الاستراتيجية تبعـــا لمتغيرات الصراع ، تكتسب حيوية وديناميكية ، وتمتلك أدوات كفاحية مرحلية فعالة على طريق الصراع الطويل مع العدو . وهو ما يجنب تلك المنطلقات ، في ظل متغيرات مـــا بعد الحرب ، من ان تتحول الى **صيغ نظرية عامة** ، لا تعرف لها **ترجمات كفاحية مرحلية** ، ولا ترتكز على قوى مادية فعلية محركة للثورة ومساهمة في عملية الصراع المباشر .

٢ ـــ **الحلقة المركزية** : في معالجة هذه المسألة يقول جورج حبش « علينا ان نميز فعلا بين رؤيتنا لهذه الحلقة المركزية ، وبين ما هو مطروح دوليا من قبل اميركا بالذات ، او فلنقل ، من قبل القوى المعادية ، او من قبل المجتمع الدولي » . هذا المنطلق يفترض ان الحلقة المركزية هي « مشاريع جاهزة » تطرحها اميركا او اسرائيل او القوى المعادية او المجتمع الدولي (بما فيه الاتحاد السوفياتي بالطبع) ، وهذا مـــا يتطلب مواجهتها كوحدة واحدة باعتبارها « تسوية يطرحها المجتمع الدولي » . اما موضوع هذه الحلقة فيعتقد جورج حبش بأن « الحل المطروح من محصلة القوى الدولية هو موضوع كيان فلسطيني او دولة على جزء من الارض الفلسطينية » [ص ٥٠] . كما تقدم ليس هناك « حل جاهز مطروح » ، بل سياسات وبرامج متعارضة ومتناقضة ومتصارعة . وهذه الصيغة لم توضح ما اذا كانت حلول البرامج العربية « وحلقاتها المركزية » جزءا من القوى الدولية أم خارجها ، وما هو دورها ، أو تأثيرها وفاعليتها في « المحصلة الدولية » من خلال تصديها لتحقيق برامجها الوطنية للانسحاب الاسرائيلي الكامل كما هو البرنامج السوري تحديدا . وحتى تستكمل وتقدم «هدية» الكيان الفلسطيني من القوى الدولية كما يفهم من هذا الرأي ، ما هي مهمات الثورة الوطنية الكفاحية وفعلها المباشر في عناصر الصراع على امتداد مرحلية « جهد » القوى الدولية .

ـــ **حلقتنا الخاصة بنا** : « ليس من الضرورة ان تكون الحلقة المركزية في هذه الفترة متشابكة مع الحلقة المركزية المطروحة على صعيد دولي » [ص ٥٢] . وهذا الكلام يعني اننا يجب ان نحدد الحلقة المركزية وفقا لرغباتنا وتصوراتنا الذاتية ، وليس وفقا لتحليل عناصر المعضلات اياها التـــي تحاول السياسات الاميركيـــة ـــ الاسرائيلية والعالمية التصدي لها . واذا كانت المهمات المرحلية للثورة الفلسطينية تشكل حلقة مركزية بالنسبة لها ، فهي ليست كذلك بالنسبة للسياسات العربية أو السوفياتية ، او سياسات اميركا واسرائيل . انها تشكل فحسب ، برامج متعارضة ومتصارعة لمواجهة معضلة واحدة . تلك البرامج التي ترتكز على منطلقات متباينة وتحليلات مختلفـــة لمعضلات الصراع . ولكنها **ترتكز** في النهاية على **موازين القوى الفعلية القائمة عند التطبيق** لكي تأخذ اشكالها النهائية . ثم لماذا لا تكون حلقتنا المركزية ، أي مهماتنا الكفاحية الراهنة ، متداخلة ومتشابكة فعلا ، بل ان ذلك مهمة نضالية يجب العمل من أجلها ، مع البرامج الكفاحية

العربية أو مع البرنامج السوفياتي تجاه مشكلات الصراع الفلسطينية . ان تحديد **أرضية التداخل والتشابك بين** الحلقة المركزية الفلسطينية وبرامج الانسحاب العربية من جهة وبينها وبين حلقة البرنامج السوفياتي والقوى الدولية المعارضة للسياسة الاميركية — الاسرائيلية ، تجاه المعضلات الفلسطينية المرحلية ، هذه الارضية هي التي تعين على تحديد عناصر **المساحة المشتركة** بين البرنامج الفلسطيني والبرامج العربية والسوفياتية .

— **بنود الحلقة المركزية** : في البحث عن استقلالية الحلقة المركزية « وتفردها » يتوصل جورج حبش الى القول بأنه « يمكن ان تكون الحلقة المركزية « من بندين رئيسيين » **الاول** : مقاومة الاحتلال الاسرائيلي حتى يجلو بالقوة . **والثاني** في الحلقة المركزية : اسقاط النظام العميل الرجعي في الاردن عن طريق الجبهة الوطنية الاردنية » [ص ٥٠] . ان القول بالنضال على اساس حلقة مركزية ذات محورين ، او حلقتين مركزيتين في آن معا ، هو قول لا يمكن ان يكون صحيحا ، الا اذا كان ميداني الكفاح اللذين تتصدى لهما الثورة عبر الحلقتين (او البندان في الحلقة الواحدة) يشكلان ساحة كفاحية واحدة متداخلة ومترابطة بشكل عضوي . بمعنى ان تكون القوى في كل منهما من طبيعة واحدة ، أي القوى المضادة للثورة في معسكر واحد . والقوى الوطنية والديمقراطية في مواجهتها وفي استقطاب واضح المعالم والحدود . كما يجب ان تكون الشروط الاساسية للكفاح، للانتفاض والثورة في الميدانين واحدة ، اي : ● عجز القوى الحاكمة والمعادية للثورة وبدرجات مختلفة عن الاستمرار في الحكم ● وصول الحركة الوطنية والديمقراطية في كلا الميدانين الى استراتيجية موحدة واشكال كفاحية متداخلة تؤثر بعضها في البعض . بمعنى ان تواجه في الميدانين مهام كفاحية من طبيعة واحدة ● الازمة العامة التي تحكم البنية الداخلية للقوى المناهضة للثورة في كلا الميدانين . اما بالنسبة للشروط الشديدة الخصوصية المميزة للنضال في كل من ميداني الكفاح في الضفة الغربية وغزة ، تحت الاحتلال من جهة ، والاردن من جهة ثانية ، فان تعيين حلقة مركزية تشكل بؤرة يتحلق ويتكثف حولها النضال في كل واحد من هذين الميدانين في مرحلة معينة او في شوط معين بالذات مسألة ترتبط بخصائص كل مرحلة نضالية بالنسبة لكل ميدان . (الاردن على امتداد ٦٩ حتى ايلول ٧٠ ، الضفة الغربية وغزة منذ حرب تشرين لاجلاء الاحتلال واقامة السلطة الوطنية) .

اما القول باكثر من حلقة او اكثر من بند للحلقة ، بالنسبة لحركة التحرر الفلسطينية على أساس القول بـ « اننا مطالبون بأن نحدد هدفا مرحليا لمليون وربع المليون فلسطيني داخل الارض المحتلة ، وأيضا مطالبون بأن نحدد هدفا مرحليا واضحا لحوالي مليون فلسطيني في الضفة الشرقية فان الاسترسال في هذا الراي الى نهايته المنطقية ، يوصلنا الى الحلقة الخامسة عشرة ، او « البند الخامس عشر للحلقة المركزية » . اذا كانت ميادين الكفاح مختلفة ومتعددة فهذا لا يعني أن لكل ميدان حلقة مركزية . انها اشكال كفاحية مختلفة ومتنوعة ضمن استراتيجية واحدة . ولا بد من ان يكون في كل مرحلة كفاحية او فصل منها **اولوية خاصة** او استثنائية لاحد ميادين الصراع ضمن استراتيجية الثورة العامة، حيث يكون ذلك الميدان **بؤرة تكثيف عناصر الصراع** وذات اولوية حاسمة . تلك هي بالضبط الحلقة المركزية ذات **البند الواحد** . ان عدم تكثيف النضال في حلقة مركزية واحدة ، يؤدي الى تشتيت القوى ، اي قوى الثورة ، وبعثرتها ، ويفقد الثورة عناصر ومقومات حالة **ازمة ثورية** لا يمكن عودة شروطها « تحت الطلب » (كما هو بالنسبة لضياع فرصة الازمة الثورية في الاردن عام ٧٠) . ان النجاح في انجاز اية حلقة مركزية في أي ميدان تنعكس مباشرة على الصراع في الميادين الاخرى ويوظف في خدمة الحلقة المركزية التالية .

(٣) **السلطة الوطنية:** في الجواب على السؤال الخاص بمستقبل الاراضي الفلسطينية المحتلة في العام ٦٧ يقول جورج حبش « الفخ في هذا السؤال أن نقول انه ممكن ان ينتج عن مؤتمر جنيف سلطة وطنية فلسطينية ، لا يمكن ان تنسحب اسرائيل في ظل ميزان القوى القائم الا بحالتين قوة رجعية أو قوة مستسلمة » [ص ٢٤] . هذا الاستنتاج يفترض ان مؤتمر جنيف هو الذي يقرر وليس معطيات وعناصر الصراع وموازين القوى. ويعتبر ان ميزان القوى **القائم الآن** سيبقى كما هو عندما يمكن ان تتشكل عناصر تسوية ما . وبالتالي فهو يغفل الامكانات النضالية العربية والفلسطينية التي تمكن من فرض عناصر برامج الانسحاب غير المشروط العربية والفلسطينية وما يعكسه ذلك من تغيرات نسبية في موازين القوى . اما القول بمعادلة « سلطة رجعية او مستسلمة » فهي معادلة تعجز عن تفسير حركة الواقع وجدليته بشكل كامل . فالتعديل النسبي في الميزان الوطني الفلسطيني ، بسبب موقف الملك من الحرب مقابل اشتراك المقاومة الفعال فيها (جبهة ثالثة) وانتصارات مؤتمري الجزائر ولاهور ، قد جعل موازين القوى **غير ما هي عليه قبل الحرب ، وغير ما هي عليه بعد وقف اطلاق النار** ، وبالتالي تعذر امكانية عودة الرجعية الاردنية على أساس مشروع المملكة المتحدة . وحينما نقول بعودة الرجعية الاردنية ، فمعنى ذلك ان اختلالا جديدا في موازين القوى ضد حركة التحرر الفلسطينية لا بد أن يحصل قبل أن تتمكن الرجعية الاردنية أو العناصر الفلسطينية العميلة من التحكم بمصير الشعب والوطن ، والنضال الحازم من أجل طرد الاحتلال وتقرير المصير هو الذي **يحصن** ضد مثل هذا الارتداد . اما الوجه الثاني للمعادلة ، والقائل بالانسحاب لـ « سلطة استسلامية » فهو الآخر يقوم على افتراض محاصرة حركة المقاومة ، وتصفية محتواها الكفاحي والجماهيري ، وافراغها من آخر شحناتها الوطنية . ومن هنا فان أي موقف فلسطيني أو سياسة فلسطينية تضع نفسها خارج برنامج المهمات الوطنية الكفاحية الراهنة مهمات النضال من أجل اجلاء الاحتلال بالقوة وبمختلف اشكال الكفاح واقامة السلطة الوطنية فانما يعمل وتعمل على : **عزل** جزء من جماهير الثورة الفلسطينية **مؤقتا** عن الاشتراك الفعال في الصراع . **تصديع** الوحدة الوطنية الفلسطينية التي هي الاداة الفعالة لانجاز المهام الوطنية . **المساهمة** دون وعي ، في **خلق الارضية** التي يمكن أن تساعد عناصر السياسة الاميركية والاسرائيلية على النفاذ من **مساماتها** . هذا الاحتمال الذي يمكن ان تتطور باتجاهه عناصر الصراع هو الذي تراهن عليه اسرائيل واميركا ، وهو الذي يمكن من اضعاف منظمة التحرير ومحاصرتها ، وعزلها عن قاعدتها الجماهيرية وافراغها من شحناتها الوطنية ، آنذاك فقط يكون الانسحاب لقوة « رجعية او مستسلمة » في ظل اختلال جديد في مصلحة اسرائيل واميركا . وليس كما **هو قائم الان**. او ما يمكن ان يتطور اليه بالنضال على أساس البرنامج الكفاحي المرحلي.

(٤) **البرامج القتالية : العربية والفلسطينية :**

في حديثه عن البرنامج القتالي الفلسطيني يقول جورج حبش : « الحل المطروح اذن برنامج قتالي يمكن أن يتم ارتكازا الى موقف موحد يمكن أن تتخذه المقاومة ويلتحم فعلا بالموقف السوري ، وعندما يلتحم بالموقف السوري يبدأ نشاطنا لنضع العراق أمام مسؤولياته والجزائر أمام مسؤولياتها » [ص ٥٣] . وحول التصدي لمؤتمر جنيف وبرنامج الانظمة المشاركة فيه او التي على طريقه يقول بأن « البديل لمؤتمر جنيف ، استمرار النضال السياسي والاقتصادي والعسكري لتغيير ميزان القوى ، اذن فلنبدأ نشاطاتنا العربية والدولية على هذا الاساس » [ص ٢٤] .

لا يمكن لاي وطني وتقدمي عربي ، الا أن يعلن اتفاقه الكامل حول اهمية البرنامج القتالي للمقاومة ، وضرورة **التحامه** بالموقف السوري ، واستمرار النضال العسكري

والاقتصادي والسياسي كبديل لمؤتمر جنيف . الا اننا يجب ان نفحص بدقة طبيعة برنامج الانظمة وحدوده ، ومرتكزات برنامج المقاومة وامكانياته الفعلية ، وبالتالي العلاقة التي تربط بين البرنامجين والحدود الكفاحية المشتركة فيهما .

٢ ــ **البرنامج القتالي ، السوري ، العراقي ، الجزائري** : رغم التباين النسبي في طبيعة كل منهما ، فان ما هو ثابت ومشترك ، هو برنامجهما ودورهما في الحرب الوطنية المحدودة . ومنذ موافقة سوريا على القرار ٣٣٨ وبالتالي ٢٤٢ فان برنامج النظام السوري الرسمي المعلن هو السير على طريق تسوية سياسية على اساس الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية وضمان الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني*. وطبيعة النظام السوري وتركيبه الطبقي هي التي تعين طبيعة هذا البرنامج ، وهي التي تتحكم في مساره وآفاقه . الا ان هذه الطبيعة والحدود ، لا تعني على الاطلاق ان المقاومة لا تستطيع التأثير فيه لمصلحة برنامجها وتوظيف عناصر البرنامج العراقي والموقف الجزائري في خدمته . وقبل تعيين هذا الدور يجب ان نحدد بدقة هل ان « استمرار النضال الاقتصادي والسياسي والعسكري » [المقصود هنا الانظمة العربية عموما] هي مهمات لحركة التحرر الفلسطينية وبرنامجها وبالتالي قرار للقيادة الفلسطينية . بمعنى هل ان قيادة المقاومة هي قيادة لحركة التحرر العربية ، وقواها الوطنية هي قوى حركة التحرر العربية ، أم ان عليها ان تتصدى للوظيفة التاريخية لحركة التحرر العربية بالنيابة عنها . لقد تحدث ابو اياد عن هذه المسألة بوضوح « يجب أن نتواضع ونقول اننا جزء من حركة التحرر العربي ، وجزء من حركة التحرر العالمي » . ومن هذا المنطلق الذي يحدد طبيعة حركة التحرر الفلسطينية ودورها كيف يمكن تعيين تأثير برنامجها القتالي وقرارها في البرنامج السوري وعلى طريق « استمرار النضال العسكري والاقتصادي والسياسي » وتوظيف الموقف الجزائري والعراقي .

ان تحديد طبيعة البرنامج السوري وآفاقه ، وتعيين المهام الكفاحية الوطنية لحركة المقاومة هو الذي يمكن من تحديد طبيعة **المعارك المجيدة والعظيمة الاهمية** في جبهة الجولان ، وان ادراك آفاقها **التكتيكية الضاغطة** ضمن الموافقة على ٢٤٢ ، هو الذي يمكن من ايجاد حدود واسس **البرنامج القتالي السوري الفلسطيني المشترك البرنامج** الذي يمكن من الاستجابة لجميع عناصر التغيير في معضلات الصراع ، في الجهة العربية او الاسرائيلية باتجاه تغيرات في موازين القوى بل هو الذي يمكن من تصعيد المواجهة العسكرية ويتزافق معها ، حتى آفاقها القصوى باتجاه حرب عربية اسرائيلية شاملة عندها يكون العراق والجزائر فعلا أمام مسؤوليتهما . اذا كانت هذه طبيعة البرنامج السوري وحدوده ، فما هو البرنامج الكفاحي للمقاومة الذي يمكن من دفعه الى أقصى آفاقه .

ب ــ **البرنامج القتالي للمقاومة والتحامه بالموقف السوري** : يقول جورج حبش « الحل المطروح اذن برنامج قتالي يمكن أن يتم ارتكازا الى موقف موحد يمكن ان تتخذه المقاومة » ولم يحدد بعد ذلك طبيعة هذا البرنامج ومهماته المرحلية الراهنة التي يمكن للبرنامج أن **يلتحم** على اساسها **فعلا** بالموقف السوري كما تقدم . ان ما اورده في سياق تحليله لمعطيات تشرين واثرها على استراتيجية وتكتيك العمل الفلسطيني ، تأكيده على أنها ، اي المعطيات ، قد أكدت بوضوح « ان هدف الثورة « قابل للتحقيق فعلا » ، وأكدت « صحة استراتيجية العمل الفلسطيني ... وعلى رأسها الشعار الاساسي : المجتمع

---

* التصريحات الرسمية الاخيرة تقول بـ « الحقوق الكاملة للشعب الفلسطيني » دون تحديد الفرق بينها وبين الحقوق الوطنية الراهنة .

الديمقراطي في أرض فلسطين » . وهذا الاستنتاج يعني ان برنامج المقاومة هو برنامج الاستراتيجية العامة وأهدافها التاريخية . فكيف يمكن علـى أساس هذا التأكيد للاستراتيجية **الالتحام** بالموقف السوري كما تقدم الحديث عن أرضيته وآفاقه ، ووضع الجزائر والعراق أمام مسؤوليتهما . هنا يجب أن نسأل ونحدد : هل تخوض المقاومة حربا وطنية ام حربا شعبية فلسطينية طويلة الامد ، بالتأكيد وكمـا هي منطلقاتهـا الاستراتيجية وطبيعة الصراع ، والكفاحات المسلحة التي خاضتها قبل تشرين جعلها على طريق حرب الشعب الطويلة الامد ، ولكن استمرارها في السير على هذا الطريق ، وكما أكدته دروس الحرب بوضوح مرتبط بثبات بعلاقتها العضويـة بحركة التحـرر العربية ، وموقف فصائلها الوطنية والديمقراطية تجاه اشكال الصراع ومواقعها ووزنها ودورها في التأثير والفاعلية فيه .. حرب وطنية ام شعبية طويلة الامد ، ام « انهـاء للمواجهة » .

وهنا يتقـدم السـؤال : ما هي القوانين التي تحكم حركة التحرر الفلسطينية بعد الحرب وفي حالة «انهاء المواجهة» التي تسير الانظمة الوطنية على طريقه . بأي شروط، وبأي برنامج قتالي يمكن استمرار القتال وتطويره « لردم مرحلة الفراغ » (الكمـون حسب بعض التعبيرات العربية) ، بين «انهاء المواجهة» [وقف اطلاق النار على الجبهة المصرية هو انهاء مواجهة جزئي] وبين بداية نمو وصعود شروط وامكانات تصـدي الحركة الديمقراطية والثورية العربية لقيادة الثورة والحرب . في الاجابة على هـذه التساؤلات ، تكمن معرفة طبيعة وامكانات البرنامج القتالي للمقاومة الفلسطينية .

بعد مناقشة الاجتهادات المختلفة بصدد التسوية ، آن لنا ان نستحضر الموضوعة الاساس التي تشكل **المنطلق المشترك** بين اي تحليل موضوعي ، وتشخيصات وتحليل قيادة المقاومة وما هو أساسي في اجتهادات جورج حبش وهي القائلة بالنضال من أجل «منع وعرقلة التسوية ، او في ان تتخذ أشكالا مختلفة عن الشكل والاشكال المطروحة». وبما انه ليس هناك أشكالا جاهزة مطروحة كما تقدم فان المسألة هي مسألة صـراع وتغييرات نسبية مستمرة في موازين القوى العالمية والاقليمية والعربية والفلسطينية هي التي تفرض في النهاية أشكال الانسحابات الاسرائيلية غير المشروطة .

هذه الموضوعة **المشتركة** تتخذ ترجماتها العملية ، في التصدي للتسوية الاميركية ـ الاسرائيلية على اساسها ، عبر **برنامج عربي ـ فلسطيني مشترك** يتمكن من توظيف الموقف والبرنامج السوفياتي في خدمته ، ويمكن من الربط الوثيق بين **الحـد الاقصى للبرنامج العربي** والحد الادنى للبرنامج الفلسطيني والذي يتخذ محاوره تحديدا ـ تحقيق الانسحاب غير المشروط من الاراضي المصرية والسورية والفلسطينية دون ترتيب اي التزامات واشتراطات ـ النضال المشترك مع حدود برنامج الانظمة العربية المتقدمة (العراق وسوريا والجزائر بشكل خاص) لمنع عودة الملك، وتوفير شروط ممارسة تقرير المصير، وتأسيس السلطة الوطنية الفلسطينية المستقلة.ان النضال على أساس هذا البرنامج **المسلح** والانتفاضي والسياسي، عربيا، مواجهة قتالية، استنزاف، احتمالات جولة جديدة، وفلسطينيا، تعبئة الجماهير الفلسطينية في اطر سياسية وطنية عريضة ، وتنمية وتنشيط العمليات العسكرية في الضفة الغربية والقطاع ، هذا البرنامج الكفاحي هو الذي يمكن **فعلا** من التصدي لعناصر التسوية الاميركية وجعلها تتخذ «أشكالا جديدة مختلفة عن الاشكال المطروحة.» وهو **الاداة** الكفاحية لصقل وتصليب الوحدة الوطنية الفلسطينية ، في مرحلة مواجهة الهجمة الاميركية السياسيـة ، **وتأسيس الرافعة التاريخية** كأداة انتقال من مرحلة كفاحية الى أخرى في مسيرة حركة التحرر الوطنية وعلى طريق الصراع الطويل مع العدو والامبريالية الاميركية .

الشرق الاوسط في خطط نيكسون وكيسنجر

الدكتور نصير عاروري
و
الدكتور أحمد طربين

ان العالم الذي يرمقه ويتصوره كل من نيكسون وكيسنجر هو عالم خماسي القوى ، يتألف من مراكز القوى الرئيسية التالية : الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي والصين واليابان واوروبة الغربية . فبالنسبة لهما ، يوجد علاقة من نوع ما تنظم مراكز هذه القوى بحيث أن كلا منها يقيد تحرك الاخر .

لقد قدم كيسنجر الاطار الفكري لمفاهيم نيكسون ومثله ، وبنى تحليله على الاعتراف بان توازن القوى الذي اوجدته الحرب العالمية الثانية لم يعد له وجود . اذ يوجد توازن جديد للقوى يقوم الان على أساس وفاق دولي يتوازن فيه مركز كل دولة مع الاخرى على نحو مشابه لما ساد اوروبة عشية مؤتمر فيينا (١٨١٥) ، وقد فهم مترنيخ وتاليران ، اللذان لعبا دورا رئيسيا في بناء الاستقرار العالمي عشية الحروب النابوليونية ، ضرورة منع أية دولة من ان تغدو سيطرتها بالغة الاتساع في اوروبة . وكانت البديهية الاولى لديهما هي : « تطبيق مبدأ التضامن والتوازن واتحاد جهود الدول الكبرى ضد تفوق واحدة منها » .

لقد أوجد مؤتمر فيينا عالما يقوم على اساس مبدأ « الشرعية » المقدس من قبل الدول الكبرى المحافظة . فلقد وحدت هذه الـــدول الخمس (روسية وبروسيـــة وفرنسة وانجلترة والنمسة) جهودها في محاولة مشتركة لقمع حركات التحرر والتمرد . وكانت مغامرتهم ذات نزعة محافظة رجعية مكنتهم من العمل كمجموعة متوافقة لفرض ارادتهم على الدول الاخرى التي تتحدى نظامهم القائم . ان القرن التاسع عشر مشابه للقرن الذي يتحسس مشاكله نيكسون وكيسنجر ، هو عالم الائتلافات المتحولة المتقلبة وبعض الاحلاف المتشابكة المتداخلة .

ان احلاف ما بعد الحرب العالمية الثانية التي تشمل الناتـو والسانتو والانزوس والسانتو بدأت تظهر وكأنها أقل فائدة في مراعاة « المصالح القومية » الامريكية ممـــا كانت عليه في الماضي . ويفترض مبدأ نيكسون ان الاحلاف المتشابكة لا تتفق مع مفهوم وفاق الدول الذي لا بد أن تتحول وتتقلب فيه الائتلافات . فضلا عن أن مثل هذه الاحلاف يقصد بها تحديد حرية صانعي القرارات الامريكية واعاقة مرونتهم . وبدلا منها ، يقوم مبدأ نيكسون على أساس الحاجة لوضع شبكة احلاف غير رسمية وغير مكتوبة تجتمع كلها على صعيد واحد في مختلف انحاء العالم ، وتمتد مجموعة دولها الموالية للغرب من تايوان وفيتنام الجنوبية في الشرق الاقصى حتى البرتغال على المحيط الاطلسي . وتشمل هذه المجموعة كمبودية وتايلاند وباكستان واثيوبية وايران واسرائيل واليونان . ومن الجدير بالذكر أن واشنطون تأمل في أن يتاح لبعض الدول العربية ان تنضم الى هـــذه المجموعة بعد قيام تسوية للنزاع العربي ـــ الاسرائيلي .

ان مبدأ نيكسون وكيسنجر الذي يوكل الى بعض الدول القيام بمهام حربية معينة نيابة عن الولايات المتحدة لخدمة اهداف السياسة الامريكية ، يرمي الى تحقيق هذه الاهداف بارخص السبل وانجعها . فهو لا يقلص التزامات الولايات المتحدة في الخارج ، بل على العكس ، يضاعفها باستخدام التكنولوجية والمساعدات المادية للحصول على أقصى حد من النتائج . لقد افصح الرئيس نيكسون عن مبدئه الهادىء في رسالته عن الوضع العالمي لعام ١٩٧١ بقوله ان امريكة لا يمكنها ان تزود حلفاءها بالمال والرجال والتجهيزات ، وبالتالي ينبغي ان تعتمد الولايات المتحدة على « الشركاء » اي الدول المنابة ، لقمع الثورة الاشتراكية لكي يسود « السلام والامن » في العالم . وجدير بالذكر ان عبارة « السلام والامن » على النمط الامريكي تساوي كلمة «الوضع الراهن» . ولا يهم بالنسبة لنيكسون وكيسنجر ما اذا كان الوضع الراهن هو عادل أم لا ، ففي نظرهما يكفي ان يكون نعته « شرعيا » ، ويجب اعادته والحفاظ عليه بمعونة الدول المنابة . لقد ابلغ نيكسون احد محرري صحيفة **نيويورك تايمز** ، س. ل. سالزبرغر اثناء مقابلة بينهما تمت عام ١٩٧٠ ، « ... كما بينت في شرحي الاول لمبدأ نيكسون ، يتجه فكرنا الى خلق وضع في تلك البلدان التي نرتبط معها بالتزامات ، يوجب عليها ان تعتمد علينا لتزويدها بالانبوب والماء ، اذا كانت على استعداد لخوض غمار الحرب » . اما رجال المطافىء المكلفون باخماد نيران الثورات الاجتماعية فتقدمهم الدول المنابة .

وبحسب ما يراه نيكسون وكيسنجر ، يمكن ، بل ينبغي ، انهاء الحرب الباردة ضمن اطار خفض الوجود الامريكي ورفع دور الدول المنابة . لقد تحولت المنافسة بين الدول الكبرى في الفترة المعاصرة من الميدان الاوروبي الى الحلبة الاسيوية . ففي الصراعات الناشبة في غربي آسية (١٩٦٧ و١٩٧٣) اقتربت الدولتان الاكبر من حافة الحرب ، ولكنهما وافقتا على عدم التورط فيها . وفي غضون الحرب الهندية ــ الباكستانية في جنوب آسية (١٩٧١) قامت الصين والولايات المتحدة بمناورات ضد الهند والاتحاد السوفييتي يقصد منها التخويف والخديعة ، ولكن لم تلبث ان تهاوت بانهيار الباكستان . وفي جنوب شرق آسية ، التمست الولايات المتحدة معونة الصين لدفع فيتنام الشمالية والاتحاد السوفييتي نحو موقف اقل صلابة ، فتحقق لها ذلك . وفي النهاية فرضت التسوية اعتبارات توازن القوى في الشرق الاقصى ، والنزاع الصيني ــ السوفييتي ، وادراك الولايات المتحدة بانها لا يمكنها ان تحقق نصرا عسكريا في فيتنام . ووافقت الدول الكبرى الثلاث ، وكل منها كانت تتخوف من الاخرى ، على وضع نهاية للحرب في الهند الصينية عام ١٩٧٣ .

وجدير بالملاحظة ان نفوذ وسياسات الدول الكبرى الثلاث كان ملموسا في جميع المناطق الآسيوية الثلاث (جنوب شرق آسية وجنوب آسية وغرب آسية) ؛ وكانت سياسات الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة تتسم بالعداء الصريح المتبادل ، وكل من الدولتين كانت تساند احد المتحاربين على النحو الذي كان يجري في حروب البلقان قبيل الحرب العالمية الاولى ؛ ولعبت الصين في هذه المناطق الثلاث كلها دورها الخاص في مناهضة الدولتين الاكبر والتأرجح بينهما ؛ وكانت الدول الكبرى في كل من هذه المناطق الثلاث تحول موقفها وتشكله بغض النظر عن التزاماتها العقائدية .

وكل هذا كان لا بد أن يغير نظام الاحلاف العسكرية لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . فالدول الصغرى ، ولا سيما الدول الخاضعة للنفوذ الامريكي ، مقتنعة الان ، اكثر من أي وقت مضى ، بان ما تدعوه واشنطن بترتيبات « الامن الاقليمي » ، تبدو غير مواتية لضمان سلامة هذه الدول التي بدأت تشكك في جدوى التعهدات والالتزامات

الامريكية نحوها في وقت لا تكون فيه الاولوية للالتزامات العقائدية ، وفي ظروف عالمية قائمة تحض على تجاهل مصالح الدول الصغرى والتضحية بمصالحها على مذبح الوفاق الدولي . فايران مثلا لا ترتاح لموقف الولايات المتحدة إزاء باكستان الذي بدأ اثناء الحرب مع الهند (١٩٧١) وهو موقف مائع ، برغم ارتباط باكستان مع الولايات المتحدة بحلفين متعددي الاطراف (الحلف المركزي وحلف جنوب شرق آسية) وبمعاهدة ثنائية .. كما أن الاردن قد فقد الضفة الغربية التي تضم نصف سكانه تقريبا برغم التصريحات الامريكية الجلية بالحفاظ على الوضع الراهن في المنطقة ، وفق البيان الثلاثي الصادر عام ١٩٥٠ من جانب الولايات المتحدة وبريطانية وفرنسة ، الذي أعيد تأكيده مرارا في مناسبات متعددة ، آخرها قبيل اربع وعشرين ساعة فقط من عدوان اسرائيل المباشر على الدول العربية عام ١٩٦٧ ، وبرغم البيانات الرسمية الامريكية بالمحافظة على سلامة الاراضي الاردنية واستقلالها السياسي اللذين وضعا في حينه (١٩٥٧) بانهما على اعظم جانب من « الاهمية الحيوية للمصلحة الامريكية القومية » . ولا مراء في ان تايوان تشعر ايضا بأن حقوقها قد اهدرت لصالح الوفاق الامريكي — الصيني الذي برز مؤخرا . وثمة تخوف متزايد في بعض الاوساط الاسرائيلية من امكان تعرض اسرائيل لضغوط امريكية ، تهدف للحصول على بعض التنازلات من اجل الوصول الى تسوية .

ولا بد أن نتساءل هنا ، ماذا يعني مبدأ كيسنجر ونيكسون بالنسبة لمستقبل الشرق الاوسط ؟

اتضح بعد التوصل الى تسوية للحرب التي قامت في منطقة جنوب آسية ومنطقة جنوب شرق آسية ، بأن الحرب الباردة التي طالما احتدمت هناك ، قد اوشكت على نهايتها ، وانه لا بد من أن تقوم الدول الكبرى بعمل مماثل في منطقة غربي آسية (الشرق الاوسط) ذات الاهمية الحيوية الاكبر ، في مسعى لانهاء الحرب الباردة في القارة الآسيوية برمتها . ولكن على النقيض مما جرى في منطقة جنوب آسية ومنطقة جنوب شرق آسية ، حيث اشتركت دولتان او اكثر من الدول الكبرى في اقرار مشاكل الحرب والسلام ، فان غياب الدولتين الشيوعيتين الاعظم (الصين والاتحاد السوفييتي) جزئيا من مسرح الاحداث في الشرق الاوسط يبدو امرا واضحا وان كان يدعو للحيرة والتساؤل . فها هوذا كيسنجر يتنقل طائرا بين القاهرة وتل ابيب ودمشق وعمان ، في مسعى يبدو وكأنه لا يتصل « بالتوسط » فقط بين العرب والصهاينة ، وانما ايضا بين العرب أنفسهم . ان الدور الامريكي البارز في الشرق الاوسط لا بد أن يجعل الكثيرين يتساءلون ما اذا كانت هناك دولة عظمى واحدة فقط تتحكم في قضايا المنطقة ، بعكس مناطق العالم الاخرى . ومن الجدير بالذكر ان مجلة لونوفيل اوبزيرفاتور الفرنسية اوردت نقاشا حول خطة قصد بها انزال مئات المظليين في مناطق انتاج النفط بالشرق الاوسط ، في حالة تهديد العرب بحظر ضخ النفط الى الغرب . وقالت المجلة ان السفن الحربية الامريكية سوف تفرض حصارا على الموانىء الرئيسية في منطقة الخليج العربي، وتقوم القاذفات الامريكية الضخمة من طراز (ب — ٥٢) بانزال قوات امريكية او ايرانية او اسرائيلية في المناطق المذكورة . واستطردت المجلة تقول انه في مثل هذا الظرف كان يتوقع ان يستخدم الرئيس نيكسون الخط الهاتفي الساخن للاتصال مع الزعيم السوفييتي ليونيد بريجنيف ، لحثه على عدم التدخل وفقا للتفاهم الضمني الذي توصلا اليه عام ١٩٧٣ في آخر اجتماع قمة بينهما في واشنطون ، والذي اقتضى ان تكون منطقة الخليج العربي الغنية بالنفط « مقصورة على الولايات المتحدة » .

وبما ان حقائق السياسة الدولية في السبعينات لا تسمح بتدخل الدول الكبرى المباشر

في الحروب المحلية ، فقد اصبحت الولايات المتحدة المصدر الرئيسي والمزود الاساسي بالتجهيزات الضرورية لقمع الحركات الثورية في بلدان العالم الثالث . وبذلك تغدو طائرات الفانتوم وبقية القدرات التكنولوجية بديلا عن التدخل العسكري الامريكي المباشر في منطقة الشرق الاوسط . وقد عبر الجنرال اسحق رابين ، سفير اسرائيل السابق في واشنطون عن هذه الظاهرة الجديدة في اجتماع عقده المركز الاسرائيلي للادارة في تل ابيب (٢٠ يوليه ١٩٧٣) ، قال فيه : « لقد زودنا الامريكيون بالاسلحة لكي نستخدمها **وقت الضرورة** ». وقد عرف « الضرورة » بانها تشمل الوضع الذي يقرر فيه العرب جديا ان يوقفوا ضخ النفط الى الغرب . وقال ان حكومة نيكسون سوف لن تنحني أمام التهديد وما سماه بالابتزاز . واضاف يقول : « هناك شعور متزايد ومتبلور في أوساط الشعب الامريكي ، بأنه حين تدعو الحاجة القصوى [وقف ضخ النفط] يوجد ما يبرر السيطرة على مصادر النفط بالقوة من جانب العالم المتمدن » . وواضح ان ما يعنيه رابين هو : ما دام استخدام القوات الامريكية البرية غير وارد في الظروف الحاضرة ، فانه يتوجب تنفيذ مهمة ما يسمى بالعالم المتمدن ، على يد الجيش الاسرائيلي (كتعبير على مفهوم الانابة في مبدأ نيكسون وكيسنجر) .

وقد تحدث جنرال اسرائيلي بارز آخر هو أريك شارون ، عن امكان غزو اسرائيلي للشرق الاوسط بأكمله ، فقد نقلت جريدة يديعوت احرونوت عنه قوله (٢٦يوليه ١٩٧٣): « بمقدورنا غزو المنطقة من بغداد الى الجزائر » ، واضافت الجريدة انه حين سئل شارون عن عواقب صدور قرار امريكي ممكن بوقف تزويد اسرائيل بطائرات الفانتوم ، اجاب : « من العبث ان نفكر بأن الامريكيين سيفرضون أي حظر ضدنا ، لانه لا شيء بالنسبة للامريكيين أهم من وجود اسرائيل قوية . ان قواتنا المسلحة تتفوق على جميع قوات البلدان الاوروبية ، وبمستطاع اسرائيل ان تجتاح بقواتها المنطقة الممتدة بين الخرطوم وبغداد والجزائر في بحر أسبوع واحد » . ولكن احداث حرب اكتوبر برهنت ان شارون كان على خطأ مبين ، غير ان المهم في ملاحظاته وملاحظات رابين انها تؤكد توثق علاقة الوكالة والانابة التي وجدت بين اسرائيل والولايات المتحدة منذ ايام حكومة جونسون . لقد افترضت واشنطن آنذاك بأن الجمهورية العربية المتحدة كانت تشكل التهديد الرئيسي للمصالح الامريكية في الشرق الاوسط ، باعتبارها كانت ملتزمة بتحقيق شكل من اشكال التوحيد العربي والتحويل الاشتراكي .

وقد بحثت لجنة فرعية في الكونغرس الامريكي موضوع « السلام في الشرق الاوسط » وتوصلت فيه الى الاستنتاج عام ١٩٦٧ بأن الجمهورية العربية المتحدة تشكل « اكبر عائق نحو السلام » . وحث بعض ذوي النفوذ من اعضاء الكونغرس مثل السناتور جوزف كلارك والقادة العسكريين مثل الجنرال ماكسويل تيلور على انحياز اعظم الى اسرائيل باعتبارها الترس الحامي للمصلحة الامريكية وحصنا ضد الشيوعية . وانه لامر ذو مغزى ان السناتور وليم فولبرايت وصف موقف اسرائيل عام ١٩٧٣ بأنه يلجأ الى « التضليل بالتخويف الشيوعي » .

ان الصلة الواشجة بين الولايات المتحدة واسرائيل قد اتضحت بجلاء خلال الزيارة التي قامت بها غولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل الى الولايات المتحدة في سبتمبر ١٩٦٩، وناقشت فيها مع الرئيس نيكسون ، طبقا لما نشرته الصحف الامريكية امكانية تأسيس حلف عسكري يضم الولايات المتحدة وتركيه وايران واثيوبيه واسرائيل ، ويكون غرضه دعم الجناح الجنوبي لحلف ناتو ومقاومة وجود الوحدات البحرية السوفييتية في البحر المتوسط . ولكن مبدأ نيكسون وكيسنجر لا يشجع اشتراك الدول الصغرى في أحلاف رسمية، لانه ينطلق من مقدرة بعض البلدان في مناطق مختارة من العالم ورغبتها في القيام

بدور الشرطي تحت اشراف وتوجيه الادارة المركزية للشرطة في واشنطن . ان مثل هذه البلدان هي بمثابة « الشركاء » في الجهود التي تغذيها الولايات المتحـــدة لقمع الثورات الاجتماعية واستعادة الاستقرار في العالم . فالمبدأ الجديد الموجه « للشراكة » يفترض ان التدخل الامريكي من جانب واحد هو باهظ التكاليف ومستنكر في الداخل والخارج على حد سواء . ولو طبق هذا المبدأ على الشرق الاوسط ، فانه يعني ان اسرائيل التي ضمن لها ريتشارد نيكسون حين كان مرشحا للرئاسة « تفوقا تكنولوجيا وعسكريا ملحوظا » على جميع جاراتها العربية مجتمعة ، قد دفع بها الى موضع التسلط الذي يمكنها من خلق احوال مواتية لمصالح الولايات المتحدة واسرائيل كليهما . وقد وضح نيكسون في رسالته الاولى حول « الوضع العالمي » هذا التصور بقوله : « الآخرون لديهم الان المقدرة والمسؤولية لمعالجة النزاعات المحلية التي ربما كانت تتطلب تدخلنا في السابق ». وقد كتب ماكس فرانكل في صحيفة نيويورك تايمز (٢٤ ديسمبر ١٩٦٩) ان حكومة نيكسون ظلت « منحازة بقوة الى متطلبات أمن اسرائيل وتفوقها العسكري في الشرق الاوسط ، **لان قوة اسرائيل فقط هي التي تستطيع ان تردع الهجوم وتمنع الدعوة لتدخل أمريكي مباشر** » . وبما ان حقائق توازن القوى العالمية تمنع تدخل الدول الكبرى في الحروب المحلية ، فان هذه الدول قد قصرت نفسها على القيام بدور المزود بالسلاح المطلوب لابقاء التوازن في صالحها . وفي ضوء هذا السياق يمكن فهم حرب حزيـــران (يونيه ١٩٦٧) التي كان يقصد منها انجاز الاهداف التي لم تحققها حملة سيناء قبل عشر سنوات، أي رسم حدود طبيعية اكثر مسايرة لمطامع الفئات التوسعية والعسكرية في اسرائيل ، وفرض المعاهدات على المغلوبين ، والحل النهائي لمشكلة فلسطين .

وبالنسبة للولايات المتحدة ، كان المقصود من تلك الحرب اخضاع النظام الناصري وانهاء جهوده الرامية الى توحيد العالم العربي وتحـــرير اقتصاده مـــن السيطـــرة الاستعمارية . وكان يجب ان يشن الهجوم الرئيسي على مصر وسوريه بمعونة محلية ، ليس من الدول العربية المحافظة ، وانما من اسرائيل ، اذ أصبحت اسرائيل تدريجيا تشكل حجر الزاوية في سياسة الولايات المتحدة في المنطقة . ذلك ان الدول العربية المحافظة بدأت تظهر وكأنها حليف أقل قابلية للحياة مما اعتادت أن تكونه في الخمسينات . فالثورة العراقية عام ١٩٥٨ وعزلة الاسرة الهاشمية وثورة اليمن عام ١٩٦٢ ، اجبرت صانعي القرارات الامريكية أن ينظروا الى اسرائيل باعتبارها الحصن الحامي الوحيد للمصالح الامريكية في المنطقة . وقد تعزز هذا الاتجاه بميـــل وزارة الدفاع الامريكية (البنتاغون) الى تعريف اسرائيل القوية عسكرية ومعادلتها بمصالح ومتطلبات الامن الامريكي . ان هزيمة مصر وسورية في حرب حزيران وما أعقبها من بروز دول عربية محافظة كالعربية السعودية الى مقام الصدارة في الشؤون العربية ، قد استشهد به باعتباره توكيدا لاتجاه البنتاغون الداعي الى ضرورة الاعتماد على اسرائيل والتركيز عليها بوصفها شرطي المنطقة . وعلى الرغم من ان الهجوم علـــى مصر واشتراكيتها العربية لم يورط القوات الامريكية بشكل مباشر في الحرب ، الا ان حرب حزيران قد أسفرت عن نتائج ومكاسب مرغوب فيها ليس فقط من جانب اسرائيل ، وانما ايضا من جانب الولايات المتحدة . أي هزيمة الناصرية كقـــوة ذات امكانات ضخمة في العـــالم العربي . وهذه الحقيقة كان قد أكدها رئيس وزراء اسرائيل السابق ليفي اشكول ، عندما أبلغ مجلة **النيوزويك** (١٧ فبراير ١٩٦٨) : ان قيمة اسرائيل بالنسبة للغرب في هذا الجزء من العالم تتجاوز فيما أتنبأ ، كل حد بالقياس الى حجمها . سوف تكون جسرا حقيقيا بين القارات الثلاث ، وسوف يشعر العالم الحر بالامتنان الشديد ، ليس فقط لبقاء اسرائيل على قيد الحياة ، وانما لمتابعة نموها ضمن حدود آمنة ومضمونة .

ونتج عن حرب حزيران خلق علاقة واشجة بين الولايات المتحدة واسرائيل ملائمة

لتحقيق أهداف متبادلة وبأقل تكلفة للبلدين كليهما . ولهذا السبب فان الولايات المتحدة قد خصت اسرائيل بأكبر من بيوع الاسلحة المخصوصة (أي غير المطروحة لاستخدام الآخرين) ، وبذلك أصبحت اسرائيل مرتبطة ارتباطا لا انفصام له بمصالح الولايات المتحدة الاقتصادية والاستراتيجية في المنطقة .

ومجمل القول ان اسرائيل برزت من حرب حزيران باعتبارها رجل الشرطة الامريكي في الشرق الاوسط ، وأقوى دولة عسكرية في المنطقة متحصنة بين مرتفعات الجولان والبحر الاحمر . وبهذا الوصف يمكن الاعتماد عليها لتقديم القوة الرئيسية ضد التهديدات الثورية **للوضع الراهن** في المنطقة . ولنذكر ان المواجهة بين قوات الملك حسين والفدائيين الفلسطينيين في شهري يونيه وسبتمبر ١٩٧٠ كشفت عن هذه العلاقة الوثيقة بين اسرائيل والولايات المتحدة ، ذلك ان الوحدات الامريكية المحمولة جوا والمنطلقة من الاسطول السادس الامريكي بدأت بالاتجاه نحو شرقي البحر المتوسط في الوقت الذي أعلنت فيه اسرائيل استعدادها للتدخل في حالة انتصار الفلسطينيين على الملك حسين (تصريح موشي دايان في ١٢ يونيه ١٩٧٠) . وظهر ان الولايات المتحدة واسرائيل اقتربتا كثيرا من الموافقة على خطة توجه بموجبها اسرائيل ضربات جوية ضد الدبابات السورية ، في حين تزود الولايات المتحدة اسرائيل بالحماية من الاسطول السادس في حال تدخل مصر او الاتحاد السوفياتي .

والخلاصة ان حرب حزيران أكملت تحويل اسرائيل الى راس جسر حقيقي للولايات المتحدة في واحدة من أهم المناطق الاستراتيجية في العالم — دولة حامية مهيأة لشل عمليات التحرر من الاستعمار في عالم ينظر الى التحرر باعتباره حتمية تاريخية .

واذا تساءلنا الى أي مدى غيرت حرب اكتوبر الوضع السياسي العسكري في الشرق الاوسط ، فالجواب على ذلك يبقى رهنا بتطور أحداث المنطقة مستقبلا . ومع هذا فهنالك شيء واضح : ان الاهداف الامريكية في الشرق الاوسط ، وتتضمن العلاقة الخاصة مع اسرائيل ، ظلت ثابتة على الرغم من ان صانعي القرارات السياسية في الولايات المتحدة وبعض البلدان العربية ينفون ذلك . ومهما حصل من تغييرات فانها لا تعدو كونها تغييرات سطحية . اما طبيعة السياسة الامريكية في المنطقة فلم تتغير ابدا ولم يطرأ عليها اي تعديل . ولكن يبدو ان الوسيلة التي وضعتها الولايات المتحدة لتحقيق هذه الاهداف ، بتوجيه هنري كيسنجر ، قد تغيرت . ويكمن نبوغ كيسنجر خاصة في ادراكه لمتطلبات التاريخ المعاصر . وأحدها هو رفع العوائق الاساسية من طريق التفاهم مع الاتحاد السوفييتي . فبعد فيتنام ، وشبه القارة الهندية ، هنالك الشرق الاوسط (برميل البارود على حد تعبير نيكسون) الذي ينبغي ابطال مفعوله ، وازالة عوائق « السلام » من سبيله . وانها لحقيقة معروفة تماما ، ان حرب اكتوبر قد أسفرت عن بيئة اكثر ملاءمة من الوجهة النفسية للمفاوضات التي ينشدها كيسنجر مما وجد قبل الحرب . ولذلك فقد كان بمقدوره ان ينفذ اتفاقية الفصل بين القوات على قناة السويس ، كمقدمة لمؤتمر السلام المزمع عقده في جنيف فيما بعد . لقد نجح كيسنجر حيث اخفق سلفه وليم روجرز ، وربما يعزى ذلك الى حقيقة ان أسلوب كيسنجر الذي يمثل دمج استخدام القوة والدبلوماسية ، كان أكثر حذقا من أسلوب سلفه ، فقد استطاع ان يقنع العرب بقبول الشروط التي كانوا قد رفضوها قبل حرب اكتوبر .

أبو عجيلة في ثلاث معارك

محمود عزمي

مقدمة :

اتخذت الاستراتيجية العربية العليا ، منذ اتفاقيات هدنة ١٩٤٩ ، سياسة الدفاع السلبي تجاه اسرائيل بهدف المحافظة على الوضع القائم ومحاولة منعها من تحقيق مزيد من التوسع قدر الامكان . ولذلك لم تعدّ القوات المسلحة العربيـــة ، خاصة في دول المواجهة المباشرة ، اعدادا هجوميا أو حتى للدفاع الديناميكي المتحرك القـــادر على امتصاص الضربة الاولى ، والانتقال الى الهجوم المضاد ، في حالة اقدام اسرائيل على الهجوم لتحقيق مزيد من التوسع، ولم تحشد او تجهز خطط حشد وتعبئة ملائمة وسريعة لكل طاقات وموارد هذه الدول البشرية والاقتصادية والمعنوية في كل مـــرة من مرات احتدام الصراع مع العدو الاسرائيلي الى حد الاشتباك المسلح الشامل واسع النطاق ، سواء في حربي ١٩٥٦ أو ١٩٦٧ أو في حرب الاستنزاف عامي ٦٩ ــ ١٩٧٠ .

ونتيجة لذلك كانت المبادرة الهجومية دائما في أيدي اسرائيل عقب حرب ١٩٤٨ ، بل في الواقع منذ انتقال الجيش الاسرائيلي الى مرحلة الهجوم المضاد خلال الحرب المذكورة التي بدأت في تشرين الاول (اكتوبر) ، حتى حرب ١٩٦٧ ، وهي المبادرة التي كانت تطلق عليها في الكتابات الاستراتيجية الاسرائيلية تسمية « الهجوم المضاد الاجهاضي » . ولذلك كانت اسرائيل تحقق خلال هذه الحروب ليس فقط تفوقا كيفيا عسكريا ، وانما أيضا تفوقا في حجم القوة البشرية المحشودة والمستخدمة في كل هذه الحروب .

ثم جاءت حرب ١٩٧٣ بتغير ضخم وجديد يتمثل أساسا في انتقال العرب الى الهجوم الاستراتيجي لاول مرة منذ ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ ، وفي اطار ظروف محلية ودولية مختلفة تماما عما كان عليه الحال عام ١٩٤٨ ، ابرزها على المستوى المحلي تحـــرر الارادات العربية السياسية من السيطرة الامبريالية المباشرة التي كانت مفروضة عليها وخاصة في فترة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٦ ، وأهمها على المستوى الدولي اختلاف مصادر السلاح الذي تحصل عليه الاطراف المشتركة في الصراع ، ففي عـــام ١٩٤٨ كانت الامبريالية والدول الغربية عموما هي مصدر تسليح كل من الطرفين المتصارعين وفي عام ١٩٧٣ كانت الامبريالية موردة للسلاح الاسرائيلي فحسب ، على حين ان دول المواجهة العربية الراديكالية كانت معتمدة بالكامل على السلاح السوفييتي .

وأدى هذا التغير في الظروف المحلية والدولية التي جرى في ظلها الصراع عام ١٩٧٣ الى اتخاذ الاستراتيجية الهجومية العربية ، رغـــم محدودية أهدافهـــا الاستراتيجية السياسية والعسكرية ، ابعادا مختلفة تماما في آثارها أو نتائجها على حركة الصراع العربي ــ الاسرائيلي .

على ان هذا التحول الاستراتيجي الجديد الذي يفتتح بداية مرحلة جديدة في الصراع العربي ضد العدو الصهيوني لا يمنع ، بل يحتم ، ضرورة دراسة نتائج الاستراتيجية الدفاعية السلبية العربية في التطبيقات العسكرية المختلفة لهذه الاستراتيجية العليا خلال

مجال الطيران فلم يكن هناك سوى نحو ٢٠ طائرة مقاتلة قديمة من طراز « سبيتفاير مارك ٩ » وعدد ضئيل من قاذفات القنابل ذات الاربعة محركات البريطانية القديمة من طراز « استرلينج » ، وكان لدى هذه القوة الجوية مطاران فقط في سيناء ، احدهما في « العريش » والآخر تحت الانشاء والتجهيز في « بير الحمة » علـــى الطريق الاوسط الرئيسي. وهذا فضلا عن قلة ذخيرة الاسلحة الصغيرة والهاون والنقص في عدد الالغام.

عملية ((عين)) : عقب انتهاء عملية « الضربات العشر » وجهت القيادة الاسرائيلية جهدها ضد قوات جيش الانقاذ في « الجليل » حيث قامت بهجوم مضاد عام هناك عرف بعملية « حيرام » استغرق تنفيذه الفترة من ٢٨ الى ٣١ تشرين أول (اكتوبر) ١٩٤٨ وانتهى بانسحاب جيش الانقاذ من الجليل الاعلى وتوقفه عن المشاركة في الحرب كقوة فعالة . وبذلك أصبح في وسعها التفرغ تماما لتصفية الموقف في الجبهة المصرية نظرا لان بقية الجيوش العربية كانت قد كفت عن المساهمة في القتال ضد القوات الاسرائيلية . ونتيجة لذلك عقدت القيادة الاسرائيلية العليا اجتماعا يوم ١٠ كانون اول (ديسمبر) ١٩٤٨ لبحث خطط العمليات الجديدة ضد الجيش المصري لتصفية وجوده العسكري في صحراء النقب وقطاع غزة وجيب الفالوجا كنتيجة مترتبة على ذلك . وأصدر الجنرال « يغال يادين » مدير العمليات برئاسة الاركان في اليوم نفســـه بالاستعداد لتنفيذ هذه العمليات الجديدة على أن تنتهي هذه الاستعدادات في ١٦ كانون اول (ديسمبر) وأطلق على الامر المذكور « عملية عين » (وتعني حرف أ في اللغة العبرية التي تبدأ به أسماء كل من العوجة والعسلوج وغزة بالعبرية والتي اعتبر الاستيلاء عليها هو هدف العملية) . وعقب انتهاء اجتماع القيادة الاسرائيلية المشار اليه عمل « بن جوريون من أجل التأكد بأن الملك عبدالله لن يتدخل اثناء العملية ، بواسطة التلويح امام عينيه باحتمال عقد اتفاقية سلام »(٢) وبناء على ذلك أرسل « موشي ديان » برسالة الى الملك في اليوم نفسه سلمت اليه من خلال المقدم « عبدالله التل » وبدأت على اثرهـــا مفاوضات سرية بين الطرفين لهذا الغرض . مثل الجانب الاسرائيلي فيها « الياهو ساسون » يعاونه « موشي « ديان » ومثل الجانب الاردني « شوكت الساطي باشا » يعاونه « عبدالله التل » ، وقد دارت المفاوضات حول عقد هدنة دائمة واجلاء القوات العراقية والمصرية من القطاع الذي توجد فيه قوات شرق الاردن في فلسطين واتفق على مواصلة الاجتماعات في ٣٠ كانون اول (ديسمبر) ١٩٤٨ . وهكذا تأكد « بن جوريون » من عدم تدخل قوات الفيلق العربي اثناء عملية « عين » . وقد حشدت القيادة الجنوبية لهذه العملية ٥ ألوية يبلغ عددها نحو ١٥ الف جندي ، كانت تضم اللواء الثامن المدرع وألوية المشاة «الكسندروني» و« الجولاني » و« هنيجف » و« هارئيل » ، وعهدت الى العقيد « ايغال آلون » (الذي سبق أن قاد « عملية الضربات العشر » في تشرين اول (اكتوبر)) بقيادة العملية التي تقرر أن تبدأ ليلة ٢٢ ــ ٢٣ ديسمبر ١٩٤٨ . وقامت الخطة العامة للعملية على أساس توجيه الضربة الرئيسية على الجناح الشرقي « العوجة ــ العسلوج » بعد تثبيت قوات الجناح الغربي « رفح ــ غزة » بهجمات مخادعة تهدد خطوط المواصلات في منتصفه وتخلق انطباعا بأن هناك محاولة لخلق « فالوجا » اخرى في « غزة » ، ثم الاندفاع في غارة سريعة الى داخل « سيناء » تجاه « ابو عجيلة » وتهديد القاعدة الادارية الرئيسية في العريش مع احداث حالة من الاضطراب في الطريق الاوسط تجاه مطار « بير الحمة » وبذلك تجبر القيادة المصرية على سحب قواتها من الجناح الغربي في قطاع غزة . وقد استندت الخطة في فكرتها العامة ، من حيث اختيار المحور الصحراوي الداخلي كمحور تقدم رئيسي بعد تضليل العدو بأن المحور الساحلي هو المحور المقصود ، على خطة الجنرال « اللنبي »البريطاني عام ١٩١٧ ضد الاتراك مع اختلاف اتجاه زحف « آلون » بطبيعة الحال عن اتجاه زحف « اللنبي » العكسي داخل فلسطين(٣) .

وقام اختيار الجنرال « يادين » لاتجاه الضربة الرئيسية على اساس ان المواقع المصرية الدفاعية في قطاع غزة أكثر قوة سواء من حيث زيادة وتركيز القوات الموجودة بها عن تلك الموجودة في قطاع « العوجة ــ العسلوج » او من حيث احتمائها بالمنطقة الساحلية المليئة بأشجار البرتقال ومختلف النباتات الاخرى ووجود الكثافة السكانية العالية فيها وعدم تعرض القوات المقاتلة فيها لمشكلات جوهرية تتعلق بامدادها بالماء والمؤن ، ولذلك فان الهجمات الاسرائيلية عليها ستكون جبهوية مباشرة تنتج عنها خسائر شديدة وهي في النهاية ليست مضمونة النتائج(٤). اما في القطاع الصحراوي الشرقي فالقوات المصرية أقل قوة وتتركز في مجموعة مواقع منعزلة على طول الطريق الاسفلتي واذا ما قطعت خطوط مواصلاتها ستضطر الى الانسحاب بسرعة لقلة او انعدام المياه وصعوبة تموينها بالمؤن والذخيرة. ولكن حتى في القطاع الشرقي كانت الهجمات بالمواجهة على المواقع على طول الطريق الممتد من « بير السبع » جنوبا حتى « العوجة » غير مأمونة العواقب نظرا لاحتمال صمود المواقع فترة كافية لحين نقل قوة من الاحتياطي الذي نجح اللواء « صادق » في تجهيزه في « رفح » بقوة لواء كامل خاصة انه « ثبت ان المصريين يستطيعون وبسرعة نقل قوات من الشرق الى الغرب ، اذ نقلت كتيبة من العوجة الى قطاع « أساف » وتدخلت في العمليات خلال ٢٤ ساعة »(٤) (خلال عملية الضربات العشر) . هذا فضلا عن ان « كل تجارب الجيش الاسرائيلي في الحرب حتى الان كانت تدل على ان احتلال المواقع المصرية المنظمة للدفاع انما هي عمليات صعبة للغاية . لقد كانت انتصارات جيش الدفاع الاسرائيلي حتى الآن تتميز أساسا بالمفاجأة وتقوم على الحركة والتكتيك وليس على أفضلية ايجاد قوة هجوم خرق »(٤). ولذلك قررت القيادة الجنوبية البحث عن درب صحراوي يصلح لسير المدرعات يؤدي الى « العوجة » لمهاجمتها فجأة من الشمال الشرقي على مجنبة الطريق والاستيلاء عليها وبذلك تعزل « العسلوج » ويمكن ان تسقط بهجمات من المجنبة عبر الصحراء بالطريقة نفسها . وقد اكتشف رجال الاستطلاع بمعونة بعض الباحثين في الآثار والتاريخ طريقا رومانيا قديما تغطيه الرمال يمتد من « بير السبع » حتى « العوجة » تقريبا ، وبدأ رجال سلاح الهندسة في اصلاحه اثناء الليل في هدوء شديد طوال الايام السابقة للهجوم وتركت الكيلومترات الاخيرة منه لليوم الاخير حتى تتحقق المفاجأة نظرا لان العمل كان سيجري على بعد كيلومترين تقريبا من المواقع المصرية الموزعة على الطريق الاسفلتي . وقد وزعت مهام تنفيذ خطة « عملية عين » على الاسلحة والوحدات المختلفة كالآتي :

١ ــ يقوم السلاح الجوي الاسرائيلي فجر يوم ٢٢ كانون أول (ديسمبر) بقصف مطار « العريش » و« رفح » و« خان يونس » و« الفالوجا » .

٢ ــ يحكم لواء الكسندروني السيطرة على جيب الفالوجا .

٣ ــ تقوم كتيبة من لواء جولاني باحتلال التبة ٨٦ المشرفة على طريق رفح ــ غزة الساحلي ليلة ٢٢ ــ ٢٣ ديسمبر ويشرع سلاح المهندسين في استكمال اصلاح طريق العوجة خلال الظلام .

٤ ــ تقوم كتيبتان من لواء «هنيجف» بقطع الطريق بين العوجة والعسلوج والضغط على العسلوج لاحتلالها وذلك خلال ليل ٢٤ ــ ٢٥ ديسمبر ، وفي الوقت نفسه تقوم قوة من لواء « هارئيل » بقطع طريق « رفح ــ العوجة » قرب « رفح » .

٥ ــ يقوم اللواء المدرع الثامن وكتيبة من لواء « هارئيل » بمهاجمة « العوجة » عبر الطريق الرومانية فجر يوم ٢٥ ديسمبر ويواصلان التقدم بعد احتلال « العوجة » نحو « ابو عجيلة » داخل سيناء(٥).

وقد سار تنفيذ العملية وفقا للخطط الموضوع لها فبدأ الطيران هجومه وقصفت القلاع الطائرة ب ١٧ مهابط مطار العريش كما أغارت طائرات أخرى على رفح وخان يونس والفالوجا . ثم قامت المدفعية من عيار ٧٥ مم بعد ظهر يوم ٢٢ ديسمبر بقصف ازعاجي لقطاع غزة بأكمله لتغطية الهجوم المزمع القيام به على التبة ٨٦ . ونفذ هجوم مضلل آخر على قرية « عبسان » ثم هوجمت التبة ٨٦ خلال الليل واحتلت بواسطة كتيبة مشاة من الجولاني ، الا أن القوات المصرية سارعت في صباح اليوم التالي بشن هجوم معاكس استخدمت فيه دبابات « لوكست » وقاذفات اللهب واستردت التبة مرة اخرى بعد ان كبدت الكتيبة الاسرائيلية خسائر فادحة . وكان نائب قائد الكتيبة بين القتلى الذين سقطوا بكثرة اثناء انسحاب الكتيبة(٦). وخلال هذا قصفت غزة من البحر ايضا لزيادة شد انتباه القيادة المصرية الى جدية العمليات الاسرائيلية الهجومية في هذا القطاع وخطورتها . وفي ليلة ٢٥ — ٢٦ ديسمبر بدأت الهجمات في الشرق متأخرة ٢٤ ساعة عن الموعد المحدد لها بسبب الامطار والسيول التي نزلت فجأة قبل ساعة الصفر . وبعد معارك عنيفة دارت عند « العوجة » وعند النقط الدفاعية الموزعة على الطريق بينها وبين العسلوج تخللتها هجمات معاكسة مصرية محلية سقطت المواقع الدفاعية على الطريق الى « العسلوج » وسقط قائدها شهيدا ومعه ١٦ من جنوده وعزلت حامية « العسلوج » فصدرت لها الاوامر بالانسحاب خلال الصحراء خلف سلسلة الجبال الشرقية تجاه « العوجة » وسيناء ، ثم سقطت « العوجة » نفسها تحت ضغط هجوم المدرعات والطيران ظهر يوم ٢٧ ديسمبر(٧). وهكذا فتح طريق العسلوج — العوجة امام بقية القوة الاسرائيلية التي تقدمت بسياراتها من « بير السبع » .

الاستيلاء على أبو عجيلة : في أثناء المعارك الدائرة في قطاع العوجة قامت وحدة كوماندوز اسرائيلية أنزلت بحرا يوم ٢٧ ديسمبر بنسف خط السكة الحديدية والطريق الساحلي على مسافة ٦٠٠ متر في ٤٨ موضعا بين « رفح » و« العريش »(٨). كما زرعت الالغام بواسطة قوة من لواء « هارئيل » على طريق « رفح — العوجة » وواصل لواء الجولاني مناوشاته في المنطقة القريبة من التبة ٨٦ وذلك لارباك القيادة المصرية قدر المستطاع لتأمين الاغارة الخاطفة في عمق سيناء ، التي بدأت في الساعة الثانية ظهر يوم ٢٨ ديسمبر بواسطة وحدات اللواء المدرع الثامن تعززها كتيبة مشاة من لواء «هارئيل» التي تقدمت من العوجة فوق الطريق الاسفلتي مستخدمة آلياتها الاصلية وآليات مصرية وقعت في أيدي اللواء الاسرائيلي في « العوجة » ، ولذلك اختلط الامر على طائرات اسرائيلية شاهدت القافلة الاسرائيلية في الطريق بين « العوجة » و« ابو عجيلة » واطلقت عليها النار فقتل جندي اسرائيلي وأصيب آخر ولم ينقذ الموقف سوى رفع العلم الاسرائيلي بسرعة فوق احدى المركبات . وبعد ساعتين ونصف الساعة من الخروج من العوجة مرت فيها القافلة المدرعة الميكانيكية بين كثبان الرمال المحيطة بالطريق نحو ابو عجيلة من الشمال المعروفة بمكسر الفناجيل وجبل « ضلفة » في الجنوب تحت حماية مظلة من مقاتلات السلاح الجوي الاسرائيلي اصطدمت قوة الاستطلاع التي تتقدم المرتل المدرع برصاص وقذائف مضادة للدبابات من المدافعين الذين أقاموا على عجل مواقع دفاعية مرتجلة على بعد ١٢ كيلومترا الى الشرق من ابو عجيلة ، فأصيبت احدى المجنزرات بقذيفة وأخذت النيران تشتعل فيها فحاولت بقية المصفحات الالتفاف حول الموقع المصري الا انها غاصت في الرمال الناعمة ، فأرسلت مدافع الهاون عيار ١٢٠ مم لمساندة الكتيبة الامامية المهاجمة ثم غربت الشمس وحل الظلام . واخذت المدفعية والهاونات تقصف المواقع الدفاعية المصرية المقامة على يمين الطريق تعاونها نيران فصيلة من عربات الجيب المسلحة . وتحت هذه التغطية تسللت سرية من المشاة من جهة اليسار الى المرتفعات القريبة الى أن وصلت الى مؤخرة المواقع المصرية وهاجمتها

من الخلف الا أن الفصيلة الاولى منها أصيبت بخسائر كبيرة فكفت عـن الهجوم ، ثم استأنفت فصيلة ثانية الهجوم وتقدمت نحو الطريق تحت حماية نيران المدفعية والهاونات التي واصلت قصفها من المواجهة أي من اتجاه الشرق ، فاضطرت القوة المصرية الى الانسحاب بسياراتها وخلفت وراءها بعض الاسلحـة المضادة للدبابات والعـربات المصابة . وقد استمرت عملية تطهير المواقع تماما حتى منتصف الليل . وفي الفجر دخلت وحدة الاستطلاع الاسرائيلية الى « أبو عجيلة » فوجدتها خالية من القوات المصرية التي واصلت انسحابها تجاه « العريش » ودخلت بقية وحدات اللواء المدرع البلدة وتوزعت حولها في تشكيل دفاعي ، وعثرت القوة الاسرائيلية اثر ذلك على معسكر اعتقال في مكان قريب من « ابو عجيلة » به معتقلون سياسيون مصريون وطنيون كانت حكومة النقراشي قد اعتقلتهم هناك . ويقول « دان كيرزمان » في كتابه « الحرب العربية ـــ الاسرائيلية الاولى » ان متطوعي الاخوان المسلمين قد اشتركوا في القتـال ببسالة خلال معارك القطاع الشرقي وانهم ساهموا في انشاء الخط الدفاعي السريع الذي اصطدمت بـه القوات الاسرائيلية عند مشارف « ابو عجيلة »(٩).

وقد وصل « آلون » الى « ابو عجيلة » عقب سقوطها بوقت قصير في عربة جيب من مقر قيادته في « بير سبع » وبصحبته ضابط آخر يسمى « اسحق رابين » (الذي تولى رئاسة الاركان خلال حرب ١٩٦٧) وأصدر أمرا باستمرار التقدم نحو « العريش » وان تقوم وحدة خفيفة أخرى بالتقدم غربا حتى مطار « بير الحمة » . وفي الساعة الحادية عشرة تقريبا من صباح اليوم نفسه انتظم الرتل الزاحف نحـو العريش على الطريق مكونا من كتيبة مدرعة في المقدمة ثم أركان اللواء المدرع المدرع ثم كتيبة المشاة الميكانيكية فيما عدا جزء منها استمر في « ابو عجيلة » ، وقبل أن يتحـرك الرتل هاجمته قاذفة مصرية ذات اربعة محركات والقت عليه بعض القنابل وتكررت هذه الاغارة خمس مرات خلال النهار بعد ذلك كما تروي المصادر الاسرائيلية التي لا تشير الى الخسائـر التي لحقت القوة المتقدمة نحو العريش نتيجة لهذه الغارات الجوية المصرية(١٠).

ثم تحرك الرتل الزاحف باتجاه العريش في الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرا ، ووصل الى مطار العريش الذي يبعد نحو ١٥ كيلومترا عنها في الساعة الثالثة مساء فوجده خاليا من القوات ، وعلى مسافة ١٣ كيلومترا تقريبا من المدينة اصطدمت الكتيبة المدرعة بكتيبة مشاة مصرية تخندقت في مواقع على كلا جانبي الطريق تعززها مدافع مضادة للدبابات وأمكن للاخيرة أن تدمر الدبابة التي كانت تتقدم الهجوم وتوقف الهجوم ، ثم انسحبت القوة الاسرائيلية مرة أخرى نحو « أبو عجيلة » فوصلتها صباح يوم ٣٠ ديسمبر . وفي الوقت نفسه استطاعت حامية مطار « بير الحمة » ان تصد هجوما ليليا قامت به القوة الاسرائيلية الخفيفة الزاحفة نحوه وكانت مؤلفة من فصيلتي جيب وفصيلة في سيارات كبيرة . وقد انسحبت هذه القوة أيضا الى « أبو عجيلة » ، كما قامت دوريات اسرائيلية بمهاجمة « القسيمة » جنوب شرق « أبو عجيلـة » وأسرت بعض الجنود المصريين هناك وكانوا ضمن الذين انسحبوا من « العسلوج » عبر الصحراء . وواصلت طائرات السلاح الجوي المصري قصف القوة الاسرائيلية المتمركزة في « ابو عجيلة » طوال يوم ٣٠ ديسمبر وأوقعت بها خسائر عدة . وتقول المصادر الاسرائيلية ان حالة الآليات المجنزرة الفنية أصبحت لا تسمح بمواصلة العملية مما اضطر القيادة الاسرائيلية الى سحب القوة من « ابو عجيلة » واعادتها الى قاعدتها الاصلية في « بير سبع »(١١).

وفي يوم ٣١ ديسمبر تقدمت وحدات مصرية من الكتيبة التاسعة مشاة تعززها كتيبة دبابات « لوكست » ومدفعية ميدان ومضادة للدبابات نحو « بير الحفن » جنوب العريش فطهرتها من الالغام التي تركتها فيها القوات الاسرائيلية قبـل انسحابها ، ثم واصلت

تقدمها الى « أبو عجيلة » ودخلتها دون قتال بعد أن أزالت الالغـــام الموضوعة حولها ايضا . وهكذا انتهت معركة « ابو عجيلة » عام ١٩٤٨ ، وقـــد كانت تالية في الاهمية وقتئذ لمعركة « العوجة » نظرا لان الاخيرة كانت النقطة الاكثر تقدما حينئذ أما « ابو عجيلة » فلم تكن تمثل حتى ذلك الوقت سوى قاعدة ادارية فرعية لقطاع « العوجة ــ العسلوج » . وبعد انتهاء الحرب وتوقيع اتفاقية الهدنة الدائمة في « رودس » بين مصر واسرائيل يوم ٢٤ فبراير ١٩٤٩ ، اتفق على جعل « العوجة » منطقة مجردة من السلاح (الا أن اسرائيل احتلتها بعد ذلك) وأصبحت « أبو عجيلـــة » بوابة سيناء الوسطى الرئيسية واكتسبت أهميتها الاستراتيجية المعروفة بعد ذلك في حربي ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ .

معركة أبو عجيلة عام ١٩٥٦

توازن القوى عشية المعركة : كان للقيادة الشرقية المصرية في سيناء قبل تأميم القناة فرقتا مشاة هما الفرقة الثانية والثالثة ووحدات من سلاح الحدود ، ومجموعة مدرعة (المجموعة الاولى المدرعة) وتدعمها مجموعـــة لواء مشاة اعتبرتهما بمثابة احتياطي عملياتي ، يعززه احتياطي استراتيجي مرابط في منطقة القناة مكون من المجموعة الثانية المدرعة ومجموعة اللواء الرابع مشاة فضلا عن مجموعة اللواء الاول مشاة الموجودة بالقاهرة . وقد اعتبرت القيادة الشرقية منطقة ابو عجيلة أولى المناطق الحيوية في سيناء التي يجري فيها استخدام الاحتياطي العملياتي المدرع حال وقوع هجوم اسرائيلي هناك للحيلولة دون تطويق موقع « أبو عجيلة ــ أم قطف » من الجنوب والوصول الى الطريق الاوسط أو لصد المدرعات الاسرائيلية التي قد تنجح في اختراق موقع «أم قطف» الدفاعي في هجوم بالمواجهة . وعقب تأميم القناة وبدء اتضاح النوايا العدوانية لكل من بريطانيا وفرنسا ضد مصر ، قامت القيادة المصرية العامة بتركيز قواتها الرئيسية في منطقة القناة مع تشكيل احتياطي استراتيجي في منطقة القاهرة لمواجهة احتمال حدوث غـــزو عن طريق منطقة الاسكندرية ، وأدى ذلك الى سحب المجموعة الاولى المدرعة ومجموعة لواء المشاة التي تدعمها من سيناء الى منطقة القناة وسحب المجموعة المدرعة الثانية الى منطقة القاهرة ، ثم سحبت الفرقة الثانية مشاة أيضا من سيناء الى منطقـــة القناة ووحدات فرعية اخرى ، وانتقلت القيادة الشرقية نفسها مـــن جبل لبنى الى منطقـــة الاسماعيلية وأبقت في العريش مركز قيادة امامي صغير الحجم ، وذلك بعد أن اسندت اليها مهام الاشراف على الدفاع في منطقة القناة التي كانت تتولاها أصلا قيادة منطقة القناة وشرق الدلتا . وكانت النتيجة ان اصبحت القوات المصرية الموجودة في سيناء وقطاع غزة يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ عندما بدأ الهجوم الاسرائيلي المفاجيء علـــى « الكونتلا » واسقاط كتيبة من المظليين في « ميتلا » مكونة من الوحدات التالية :

١ ــ اللواء الخامس مشاة ويتألف من كتيبتين وتدعمه كتيبة من مدفعية الميدان وكتيبة مدرعة وكتيبة حرس حدود فلسطين للدفاع عن منطقة رفح .

٢ ــ اللواء ٨٦ واللواء ٨٧ حرس حدود فلسطين واللواء ٢٦ حرس وطني في قطاع غزة وتدعمها كتيبة غير كاملة من الهاون الثقيل .

٣ ــ اللواء السادس مشاة ويتألف من كتيبتين وتدعمه كتيبة مـــن مدفعية الميدان وكتيبة مشاة احتياط عدا سريتين وكتيبة حرس وطني في منطقة ابو عجيلة والقسيمة وسريتان من المدفعية المضادة للدبابات ذاتية الحركة .

٤ ــ اللواء الرابع مشاة ويتألف من ثلاث كتائب وتدعمه كتيبة من مدفعية الميدان وكتيبة مدرعة عدا سريتا مشاة احتياط في منطقة العريش .

٥ ــ اللواء ٩٩ مشاة احتياط في منطقة جبل لبنى .

٦ ــ بقيت وحدات القطاع الجنوبي من سيناء كما كانت من قبل ، أي كتيبة محمولة من حرس الحدود وكتيبتا حرس وطني .

وقد كانت قوات القطاع الشمالي والاوسط من سيناء تتبع قيادة الفرقة الثالثة مشاة ومقرها بالعريش وكانت تتبعها أيضا كتيبة مدفعية مضادة للدبابات ذاتية الحركة وكتيبة مدفعية خفيفة مضادة للطائرات وكتيبة مدفعية ساحلية وكتيبة مهندسين وكتيبة اشارة ووحدات صغيرة أخرى من المدفعية بمختلف أنواعها ووحدات ادارية .

هذا وقد حشدت القيادة الاسرائيلية العسكرية الجنوبية عشية هجومها يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ الذي اطلق عليه اسم « عملية قادش » القوات التالية : (وتشمل احتياطي القيادة الجنوبية) ٣٥ كتيبة مشاة (تشمل المشاة المحمولة والميكانيكية والمظليين) . ٣٥ كتيبة مدفعية (تشمل مدفعية الميدان والهاون الثقيل والمدفعية المتوسطة) . ١٠٫٦ كتيبة دبابات . وهذا فضلا عن بعض كتائب الناحال والوحدات الفرعية والادارية المختلفة التي لن ندخلها في مقارنة القوى المتضادة . واذا استبعدنا كتائب الحرس الوطني والاحتياط وحرس حدود فلسطين التي كانت كلها تشكيلات شبه عسكرية ناقصة التسليح والتدريب من ضمن حساب القوة المصرية واستبعدنا ايضا كتائب الناحال (التي لم نحصها) من حساب القوة الاسرائيلية يصبح جدول ميزان القوى العام كالآتي :

البيان	قوات مصرية	قوات اسرائيلية	المقارنة
كتيبة مشاة	٨	٣٥	١ : ٤٫٥
كتيبة دبابات	٢	١٠٫٦	١ : ٥٫٣
كتيبة مدفعية	٣٫٥	٣٥	١ : ١٠

اما على المحور الاوسط في قطاع « أبو عجيلة ــ القسيمة » حيث تركز المجهود الرئيسي للهجوم الاسرائيلي بعد أن افتتحت الحملة بهجوم ثانوي مخادع في المحور الجنوبي فقد حشدت القيادة الاسرائيلية الوحدات التالية(١٢):

١ ــ مجموعة اللواء الرابع مشاة وتضم ٣ كتائب مشاة وكتيبة مدفعية ميدان وكتيبة مدفعية متوسطة وكتيبة هاون ثقيل .

٢ ــ مجموعة اللواء السابع المدرع وتضم كتيبتي دبابات خفيفة (آ م اكس ١٣) وكتيبة دبابات متوسطة (سوبر شيرمان) وكتيبة مشاة ميكانيكية وكتيبة مشاة محمولة وكتيبة مدفعية ميدان .

٣ ــ مجموعة اللواء ٣٧ المدرع وتضم كتيبة دبابات متوسطة (سوبر شيرمان وشيرمان) وكتيبة دبابات خفيفة (آ م اكس ١٣) وكتيبة مشاة ميكانيكية وسرية مهندسي اقتحام .

٤ ــ مجموعة مدفعية معاونة وتضم ٣ كتائب مدفعية ميدان وكتيبة مدفعية متوسطة.

هذا فضلا عن كتيبة مهندسي اقتحام اخرى مستقلة ، وتخضع هذه الوحدات لقيادة مجموعة قتالية موحدة هي مجموعة العمليات رقم ٣٨ ، كما حشدت القيادة الجنوبية مجموعة اللواء العاشر مشاة كاحتياطي قريب لمجموعة العمليات المذكورة ، وكان يضم ثلاث كتائب مشاة محمولة وكتيبتي مدفعية ميدان وكتيبة مدفعية متوسطة وكتيبة هاون ثقيل وكتيبتي ناحال .

وبذلك أصبح ميزان القوى بين الطرفين على المحور الاوسط في ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ على النحو الآتي :

البيان(*)	قوات مصرية	قوات اسرائيلية	المقارنة
كتيبة مشاة	٢	٩	١ : ٤٫٥
كتيبة دبابات	٢/٣	٥	١ : ٧٫٥
كتيبة مدفعية	١	١٢	١ : ١٢

توزيع القوة المصرية : كانت القوة المصرية المدافعة عن قطاع «أبو عجيلة ــ القسيمة» موزعة على النحو التالي :

١ ــ الكتيبة ١٨ مشاة والكتيبة ٢٨٩ مشاة احتياط عدا سرية كانتا في استحكامات ميدانية في الموقع الدفاعي الرئيسي في المنطقة عند « أم قطف » والممتد بين جبل «ضلفة» في الجنوب والكثبان الرملية في الشمال المسماة « مكسر الفناجيل » . وتدعمها الكتيبة الثالثة مدفعية ميدان (نحو ٢٤ مدفعا ٢٥ رطل) التي تمركزت عند وادي « شيحان » قرب سفح جبل ضلفة بحيث تستطيع أن تساند بنيرانها موقع « أم قطف » وموقع « سد الروافعة » الذي يليه في العمق قرب قرية « ابو عجيلة » كما كانت تعززها السرية ٧٨ مدفعية مضادة للدبابات ذاتية الحركة (٦ مدافع عيار ١٧ رطل Archers) فضلا عن بعض المدافع المضادة للدبابات العادية من عيار ٥٧ مم .

٢ ــ الكتيبة ١٧ مشاة عدا سرية تدعمها السرية ٩٤ مدفعية مضادة للدبابات ذاتية الحركة كانت ترابط في مواقع دفاعية عند سد الروافعة في وادي العريش على مبعدة نحو ٣ كيلومترات الى الجنوب الشرقي من « أبو عجيلة » كاحتياطي عام ومن هناك كانت تستطيع القيام بضربة معاكسة نحو ممر « الضيقة » الواقع بين جبل « ضلفة » وجبل « الحلال » تجاه الجنوب الغربي في حال هجوم قوات اسرائيلية زاحفة من القسيمة للالتفاف حول « أبو عجيلة » .

٣ ــ سرية من الكتيبة ١٧ مشاة عدا فصيلة ومعها عربة مسلحة جيب من سرية الاستطلاع عند « راس أم مطامر » الواقعة بين جبل « الابيض » وجبل « أم هريبة » على الطريق الممتد بين « القسيمة » ــ التي تبعد نحو ٣٠ كيلومترا الى الجنوب الشرقي من « ابو عجيلة » ــ وممر « الضيقة » .

٤ ــ كتيبة من الحرس الوطني حول القسيمة وعند طرق الاقتراب المؤدية اليها في وادي الصبحة .

٥ ــ فصيلة من السرية التابعة للكتيبة ١٧ مشاة في نقطة انذار أمامية قرب الحدود الى الشمال الشرقي من القسيمة عند سفح جبل « العمرو » تساندها في المؤخرة وحدتا جيب مسلح استطلاع على كلا جانبي « الصبحة » كما كانت توجد نقطة انذار اخرى من ثلاث سيارات حدود عند « ام بسيس » قرب الحدود شرق « أم قطف » . ووحدة من الكتيبة ٢٨٩ احتياط عند « التل ٢٠٩ » الواقع عند المدخل الجنوبي لموقع « أم قطف »

---

* استبعدت كتائب الناحال من الجانب الاسرائيلي الذي ادخل احتياطيه القريب في حساب المقارنة ، وبالمقابل استبعدت كتائب الاحتياط والحرس الوطني من الجانب المصري وذلك باعتبار أنها هي والناحال تعتبران تشكيلات شبه عسكرية متدنية التدريب والتسليح ، وأدخلت كتائب الهاون الثقيل ضمن المدفعية ، كما أدخلت المدافع المضادة للدبابات ذاتية الحركة ضمن الدبابات لدى الجانب المصري .

بين سفح جبل « ضلفة » الشرقي وجبل « الوجير » حيث يمتد طريق فرعي من « أم قطف » الى « القسيمة » عبر مضيق « رأس ام مطامر » .

بدء العمليات الحربية : بدأ الهجوم الاسرائيلي في هذا القطـاع في الساعة الثانية والنصف بعد منتصف ليلة ٣٠ اكتوبر بتقدم سرية استطلاع مجموعة اللواء الـرابع مشاة نحو منطقة جبل « الصبحة » الى الشمال الشرقي من « القسيمة » وتلتها كتيبة مشاة من اللواء عقب تأكدها من خلو نقط الانذار من الوحدات المصرية التي أبلغت القيادة عن التقدم الاسرائيلي ثم تراجعت الى القسيمة ، ثم واصلت الكتيبة الاسرائيلية تقدمها نحو القسيمة بعد أن أزالت وحدة من المهندسين بعض الالغام التي كانت على جانب الطريق ، ودار قتال بالاسلحة الخفيفة بين القوة المهاجمة والمواقع التي تحمي طرق الاقتراب على مسافة ٦ كيلومترات تقريبا الى الشمال الشرقي من القسيمة تكبد فيه المهـاجمون بعض الخسائر واوقفتهم نـيران الرشاشات عدة مـرات كما دمرت الالغام عند أحد المواقع مصفحتين نصف مجنزرتين تـابعتين لسرية الاستطلاع(١٣) . ثم طلب قائد اللواء الاسرائيلي معونة الدبابات ومدفعية الميـدان فأرسلت اليه كتيبة دبابات من اللواء السابع المدرع وسرية من مدافع الميدان (٢٥ رطل) وبعد قتال عنيف عند مشارف « القسيمة » وداخلها ايضا حيث أزالت الدبابات جزءا كبيرا من منازلها القليلة لتقضي على القناصة المصريين المتحصنين بهـا . سقطت القسيمة في السابعة صباحا وانسحبت بقية القوة المصرية نحو « أبو عجيلة » فأمر قائد اللواء الاسرائيلي بمطاردة القوة المصرية ولكن دون التورط في الاشتباك مع موقع « أم قطف » . ويقول « موشي ديان » في مذكراتهأن الخسائر الاسرائيلية في « القسيمة » كانت ٤ قتلى و٣٦ جريحا وان المصريين فقدوا ٤٥ قتيلا و٣٧٠ جريحا وأسيرا(١٤). وعلى اثر ذلك دخل اللواء السابع المدرع الى القسيمة حيث تمركز هناك في حوالي الساعة العاشرة والنصف صباحا . هذا وقد تم استخدام المدرعات من جانب القيادة الجنوبية خلافا لاوامر «ديان» المسبقة التي كانت تقضي بعدم استخدامها قبل يوم ٣١ اكتوبر وهو اليوم المحدد لتوجيه الانذار البريطاني ـــ الفرنسي لمصر المتفق عليه في معاهدة سيفر السرية ، نظرا لان هذه القيادة كانت تبغي سرعة الافادة من المفاجأة وانعدام توازن القوى بين الجانبين وتحتل اكبر قدر ممكن من المواقع المصرية ، الامر الذي دعـا ديان الى التوجه بسرعة الى « القسيمة » لبحث الموقف على الطبيعة ، وعندما وصل الى هناك أنب قائد المنطقة الجنوبية على مخالفته الاوامر ولكن المدرعات كانت قد دخلت الاراضي المصرية وتوجهت كتيبة منها لمطاردة القوات المصرية المنسحبة حتى مشارف « أم قطف » ، الا ان الكتيبة المدرعة فهمت من خلال اللاسلكي الامر بطريقة خاطئة واعتقدت ان عليها مهاجمة الموقع من اتجاه الجنوب في الممر الواقع بين جبل الوجير وجبل ضلفة، وقد بدأت الكتيبة هجومها في الساعة ١٢ر٣٠ ظهر يوم ٣٠ اكتوبر وبعد ثلاث ساعات من القتال العنيف حول التل ٢٠٩ فشل الهجوم في تحقيق أهدافه وانسحبت الكتيبة لتعيد تنظيم نفسها بعد أن فقدت ٤ دبابات « سوبر شيرمان »(١٥) . ويصف « ديان » هذا الفشل فيقول « لقد قوبل الهجوم بمقاومة قوية ونيران دقيقة مضادة للدبابات من مدافـع « آرشر » المتخندقة بصورة جيدة »(١٦) .

الالتفاف حول موقع « أم قطف » : ويقول ديان في يومياته عن حملة سيناء ان تدخل المدرعات الاسرائيلية المبكر أدى لزيادة فاعلية الردود المصرية المضادة مما أدى لاستخدام الطيران في المعركة من جانب القيادة المصرية في توقيت مبكر عما كانت القيادة الاسرائيلية تريده (أي قبل التدخل الانجلو ـــ فرنسي) ولذلك أمـر « ديان » اللواء السابع المدرع بمواصلة التقدم ما دام قد تورط فعلا في المعركة، الا أن قائد اللواء المذكور كرر عدة مرات بانه « لا يستطيع ان يحتل أم قطف بواسطة القوة المتاحة له بدون تكبد

خسائر فادحة »(١٧) ولذلك امره « ديان » بتركها جانبا والزحف من الجنوب حولهـا للاتجاه بعد ذلك غربا تجاه قناة السويس على محوري « جبل لبنى » و« بير الحسنة » « لانه من غير المتوقع أن تبدي جميع المواقع المصرية مقاومة شديدة . وسوف تكون هناك نقاط ضعيفة ، وعندما تصبح الجبهة بأكملها مفتوحة وتجد المواقع التي تبدي مقاومة شديدة نفسها مطوقة ومعزولة سيكون التغلب على مثل هذه المواقع أمرا أكثر سهولة منه الآن . وعلى أية حال ، فان القوات الانجلو ــ فرنسية ستبدأ غدا في الفجر (يقصد يوم أول نوفمبر) قصف المطارات المصرية ، ومن المفترض ، اننا سنكون بعد ذلك قادرين على تحقيق أهدافنا بسهولة أكبر »(١٧) .

وقد قامت سرية استطلاع اللواء السابع المدرع بعد ظهر اليوم نفسه بالزحف نحو ممر « الضيقة » الواقع على مسافة ١٥ كيلومترا الى الغرب تقريبا من القسيمة فقامت قوة مصرية هناك بنسف جسر يقع عند المدخل الجنوبي للممر وانسحبت شمالا وبعد ذلك استطاعت سرية الاستطلاع الاسرائيلية أن تشق طريقها داخل الممر الى أن وصلت الى نهايته في الرابعة والربع بعد الظهر حيث تخندقت هناك لحماية الممر بينما تدفقت الدبابات خلاله آتية من القسيمة خلال الليل . هذا وقد اصيب قائد اللواء السادس مشاة المصري بجراح خلال القتال الذي دار اثناء النهار عند « التل ٢٠٩ » وهو يقود هجوما معاكسا هناك بواسطة سرية من سرايا الكتيبة ١٧ التي سحبت من سد الروافعة لتعزيز الموقف في « أم قطف » وقد نقل الى القاهرة بعد ذلك وحل محله قائد الكتيبة ١٢ مشاة التي أرسلت بعد الظهر من العريش لتدعيم اللواء السادس في منطقة ابو عجيلة وحلت محل سرايا الكتيبة ١٧ الثلاث التي سبق لها أن تحركت الـى « أم قطف » لصد الهجـوم الاسرائيلي الفاشل على « التل ٢٠٩ » . وكانت الكتيبة ١٢ هذه معززة باربعة مدافع مضادة للدبابات ذاتية الحركة وبطارية مدفعية ميدان(١٨) .

وقامت طائرة اسرائيلية خلال الليل بينما كانت الدبابات الاسرائيلية لا تزال تتحرك بصعوبة داخل ممر الضيقة بالتحليق فوق موقع « أم قطف » وأخذت تلقي منشورات وتردد بواسطة مكبرات صوت مركبة فيها للقوات المصرية بأنها أصبحت مطوقة بالدبابات من المؤخرة وان الاتصالات مع العريش قد قطعت وان المقاومة اصبحت أمرا غير مجدي ولذلك على المدافعين أن يستسلموا وسوف يعودون الى بيوتهم مرة أخرى عقب انتهاء الحرب(١٨) . وكان الرد المصري هو اطلاق صليات مـن رصاص الرشاشات صـوب الطائرة التي عادت مرة أخرى في الفجر وكررت الفعل نفسـه وتلقت الرد نفسه مرة أخرى .

وبعد ظهر اليوم نفسه تحرك اللواء العاشر مشاة الاسرائيلي (الاحتياطي القريب) من العوجة تجاه « أم قطف » من جهة الشرق واحتل نقطة الانذار المصرية عنـد « أم بسيس » التي انسحبت قوتها عبر رمال « مكسر الفناجيل » صوب الموقع الرئيسي في « أم قطف » . وقد كانت خطة « ديان » تقضي بأن تهاجم دبابات اللواء السابع المدرع « ابو عجيلة » من الغرب بعد أن تجتاز ممر الضيقة خلال الليل وعلى اثر ذلك تهاجم مواقع « سد الروافعة » و« أم قطف » من الغرب أيضا بينما يهاجم اللواء العاشر مشاة « أم قطف » من الشرق وان يتم هذا الهجوم المشترك في التاسعة من صباح يـوم ٣١ اكتوبر .

وخلال ليلة ونهار ٣٠ اكتوبر كانت وحدات احتياطي القيـادة الشرقية الموجودة في منطقة القناة تتحرك نحو سيناء عبر قناة السويس ولكن مع مراعاة عدم توقف عمليات الملاحة فيها بسبب عبور القوات حتى لا تتخذ بريطانيا وفرنسا من هذا حجة للتدخل العسكري ، فأخذت مجموعة اللواء الثاني مشاة تتحرك على الطـريق الجنوبي نحو

المدخل الشرقي لممر « ميتلا » لمواجهة لواء المظليين الاسرائيليين رقم ٢٠٢ الذي هبطت كتيبة منه هناك ، وأخذت المجموعة الاولى المدرعة تتحرك على الطريق الاوسط نحو « ابو عجيلة » ، وأخذت مجموعة اللواء الاول مشاة تتحرك على الطريق الشمالي نحو « العريش » . الا أن التقيد بحركة الملاحة في القناة أدى الى سير عمليات عبور القوات ببطء ولذلك وصلت كتيبة الاستطلاع التابعة للمجموعة الاولى المدرعة الى «بير جفجافة» (في منتصف الطريق تقريبا نحو أبو عجيلة) في الساعة الثالثة بعد ظهر يوم ٣٠ اكتوبر وفي السادسة من مساء اليوم نفسه قدمت بريطانيا وفرنسا انذارهما الى كل من مصر واسرائيل بأن تسحب كل منهما قواتها الى مسافة عشرة أميال بعيدا عن القناة ضمانا لحرية الملاحة في خلال ١٢ ساعة ! وفي الساعة السابعة والنصف من مساء يوم ٣١ اكتوبر بدأت الطائرات البريطانية والفرنسية تقصف المطارات المصرية بعد أن رفضت مصر الانذار وقبلته اسرائيل !

ورغم تلقي الحكومة المصرية الانذار الانجلو — فرنسي مساء يوم ٣٠ اكتوبر الا أن الاحتياطي الاستراتيجي المدرع استمر في عبوره قناة السويس اثناء الليل ، وعند فجر يوم ٣١ اكتوبر كانت المجموعة الثانية المدرعة قد أتمت عبورها القناة حيث تابعت تقدمها نحو « بير جفجافة » ، بينما كانت المجموعة الاولى المدرعة قد واصلت تقدمها حتى وصلت الى « بير الحمة » التي تبعد نحو ٣٧ كيلومترا عن « ابو عجيلة » ، وكذلك وصلت مجموعة اللواء الاول مشاة تدعمها بعض الدبابات والمصفحات والمدفعية الى « مصفق » على الطريق الشمالي قرب « العريش » رغم النشاط الجوي المعادي طوال النهار ، الا ان ذلك لم يمنع القوات من مواصلة السير رغم بعض الخسائر التي لحقت المركبات نظرا لتواجد الطيران المصري فوق ساحة العمليات وقيامه بنحو ١٠٠ طلعة طيران خلال هذا اليوم واسقاطه ٤ طائرات للعدو(١٩).

هذا وقد قامت كتيبة دبابات خفيفة « آ م اكس ١٣ » من اللواء السابع المدرع الاسرائيلي بالتقدم صوب « بير الحسنة » عبر الطريق الممتد اليها من المدخل الجنوبي لممر « الضيقة » واحتلها في حوالي الساعة الثانية عشرة ظهرا يوم ٣١ اكتوبر بعد معركة قصيرة غير متكافئة مع سرية من سلاح الحدود، وقد هاجمت الطائرات المصرية الدبابات الاسرائيلية اثناء اقترابها من « بير الحسنة » ، ثم تقدمت الكتيبة الاسرائيلية بعد ذلك الى الشمال لتقيم كمينا على الطريق الاوسط قرب جبل لبنى الذي يقع على مبعدة نحو ٢٠ كيلومترا الى الشمال من « بير الحسنة » لاعاقة تقدم المجموعة الاولى المدرعة نحو « ابو عجيلة » . وفي الوقت نفسه رابطت وحدات اللواء الرابع مشاة في « القسيمة » عدا كتيبة ارسلت الى « نخل » في الجنوب لتحل محل احدى كتائب لواء المظلات الاسرائيلي ٢٠٢ . تلك كانت هي صورة التحركات المصرية والاسرائيلية المحيطة بقوات « ابو عجيلة » التي تعرضت في الساعة الخامسة والنصف من صباح يوم ٣١ اكتوبر لهجوم من بقية اللواء السابع المدرع الذي يضم كتيبة دبابات سوبر شيرمان واخرى « آ م اكس ١٣ » وكتيبة مشاة ميكانيكية (محمولة في مصفحات نصف جنزير) وكتيبة مشاة محمولة في عربات ، والذي زحف الى قرية « ابو عجيلة » نفسها من الغرب على الطريق الرئيسي بعد أن اجتاز ممر « الضيقة » بصعوبة خلال الليل نتيجة عمليات النسف المصرية ، ولم تكن القوة المصرية المدافعة عن القرية نفسها كبيرة ولكنها قاتلت بشجاعة في مواجهة القوة الاسرائيلية المتفوقة الى حد أن مجموعة منها تقدر بنحو ٦٠ جنديا أخذت تتحرك بجانب الطريق وتطلق قذائف مدافع البازوكا التي تحملها صوب الدبابات الاسرائيلية من مسافة ٥٠ مترا فقط فقامت كتيبة المشاة الاسرائيلية الميكانيكية بالاشتباك مع هذه القوة المصرية وقتلت العديد من جنودها البواسل(٢٠). ويصف

« ديان » المعركة عند قرية « ابو عجيلة » فيقول « لقد حسمت المعركة عندما وصلت الدبابات ونصف المجنزرات الى داخل المواقع رغم ان بعض المدافعين استمروا في ابداء شجاعة كبيرة ، الى حد اطلاق مدافعهم البازوكا وهـم يواجهون الدبابات واقفين في العراء »(٢١). وفي السابعة الا ربع صباحا سقطت قرية ابو عجيلة في ايدي المهاجمين ، الذين تعرضوا على الفور لنيران شديدة من كتيبة مدفعية الميدان المصرية المتمركزة في وادي « شيحان » عند سفح جبل « ضلفة » ، الامر الذي اضطر كتيبة المشاة الميكانيكية الى التنقل من مكان لآخر وسط الكثبان الرملية طوال فترة القصف لتقلل مـن نسبة اصابتها . وفي حوالي التاسعة صباحا تعرضت القوة الاسرائيلية لهجوم معاكس من جانب قوة مصرية زاحفة من العريش مؤلفـة من وحدات مـن الكتيبة العاشرة مشاة وسريتي دبابات « شيرمان » وبعض المدافع المضادة للدبابات ذاتيـة الحركة ودارت معركة شديدة الى الشمال الغربي من « ابو عجيلة » عند قرية « أولاد علي » ، وقد صد الهجوم ، ولكن القوة المصرية عادت وكررت هجومها المعاكس مرتين بعد ذلك ، وقد ساهم الطيران الاسرائيلي في صد الهجمة الثالثة والاخيرة ملحقا بعض الخسائر بالعربات مما اضطر القوة الى الانسحاب الى « بير الحفن » جنوب « العريش » . ويقول «ديان» ان القوة المصرية فقدت في هذه الهجمات ٤ مدافع مضادة للدبابات ذاتية الحركة و٣٧ قتيلا(٢٢).

وفي الوقت نفسه قامت وحدات من اللواء العاشر مشاة تعززها كتيبة دبابات بمحاولة اختراق دفاعات « أم قطف » من المواجهة في حوالي الساعة التاسعة صباحا بعد أن زحفت من موقع « أم بسيس » الذي احتلته في مساء اليوم السابق ولكن الهجوم فشل وارتدت القوات الاسرائيلية في حالة من الاضطراب بعد أن صدتها نيران المدافع المصرية المضادة للدبابات ومدافع الميدان والهاون ودمرت عددا مـن المصفحات نصف جنزيـر ومركبات سرية الاستطلاع . ويعزو الكاتب البريطاني « ادجار بالانس » فشل الهجوم الى افتقاد الاسرائيليين للمدفعية والمدرعات لمساندة الهجوم(٢٣)، ولكن « موشي ديان » يقول بصدد هذا الهجوم « لقد كان لدى القيادة الجنوبية كل القوة اللازمة لكي تباشر هذه المعركة بنجاح وذلك من مشاة ، ومدرعات ، ومدفعية وما الى ذلك . ولكن التصرف العسكري المفترض تنفيذه لم يتم . ولم يطبق الهجوم خطة متكاملة تستطيع ان تستوعب في المعركة كل القوى الموضوعة لهذه العملية »(٢٤).

محاولات احتلال « أم قطف » : في حوالي الساعة الخامسة من مساء يوم ٣١ اكتوبر بدأت وحدات من كتيبة دبابات السوبر شيرمان التابعة للواء السابع المدرع تعاونها وحدات من كتيبة المشاة الميكانيكية تهاجم موقع « سد الروافعة » الواقع على مبعدة ٣ كيلومترات الى الجنوب الشرقي من « ابو عجيلة » الذي كانت تدافع عنه سرية مشاة مصرية واحدة بقيادة ملازم اول تعززها ثمانية مدافع مضادة للدبابات ذاتيـة الحركة وستة مدافع أخرى من عيار ٥٧ مم وثلاثة مدافع مضادة للطائرات عيار ٣٠مم استخدمت ضد الدبابات وستة مدافع ميدان ٢٥ رطل.وقد انقسمت الدبابات الاسرائيلية الـى قسمين قسم منها ارتقى ارضا مرتفعة وعمل كمدفعية والقسم الاخر زحف في شكـل كماشة تحاول الالتفاف حول الموقع ومعه وحدات المشاة الميكانيكية في المصفحات نصف جنزير، وقد اطلق عليهم المصريون النار الشديدة من مسافة ١٠٠٠ متر تقريبا واصابوا عددا كبيرا منها باصابات مختلفة وسقطت بعض الدبابات نتيجة لذلك في وادي العريش المجاور، وحاولت الدبابات التي تعمل كمدفعية مساندة التقدم للاشتراك في الهجوم الا ان النيران المصرية اضطرتها للعودة السريعة الى موقعها السابق(٢٥). وغربت الشمس وعاود العدو الهجوم في الظلام وما أن اخترقت دباباته ومصفحاته حاجز الاسلاك الشائكة

المحيطة بالموقع حتى دمرت ثلاث مصفحات نصف جنزير بنيران المدافع المضادة للدبابات، ودار قتال عنيف في الظلام وتعرضت الدبابات الاسرائيلية لنيران مدفعية الدبابات الاسرائيلية الرابضة فوق الارض المرتفعة وفشل الهجوم ثم انسحبت القوة الاسرائيلية لاعادة التنظيم عند منتصف الليل وبلغت جملة خسائرها ٨٠ اصابة بين قتيل وجريح وتدمير ٨ دبابات و٦ مصفحات نصف جنزير بخلاف الدبابات والمصفحات التي عطلت أو أصيبت اصابات خفيفة نسبيا(٢٥).

وفي الوقت نفسه قام اللواء العاشر مشاة بهجوم من جهة الشرق على موقع « أم قطف » بواسطة كتيبتين في حوالي السادسة مساء استمر حتى منتصف الليل ودون ان يحقق أي نتيجة اذ وقعت احدى الكتيبتين تحت نيران رشاشات موقع أمامي مصري يبعد نحو كيلومترين عن الموقع الرئيسي لم يكن يعرف عن وجوده أي شيء من قبل ولم يسبق له أن فتح النار في هجوم الصباح الفاشل . ولم تستطع هذه الكتيبة ان تقتحم الموقع الامامي المصري الذي لم يكن به سوى ٤ رشاشات متوسطة خلال الليل ، وانما انتظرت حتى الصباح حيث أمكن لها بمساندة المدفعية أن تسكت نيران الموقع وتحتله في الحادية عشرة صباحا يوم ١ نوفمبر . واضطرت الكتيبة الاخرى الى الانسحاب والعودة الى مواقعها الاصلية بسبب شدة نيران المواقع المصرية بعد ان تكبدت اكثر من ٥٠ قتيلا وجريحا .

اما في الغرب فقد عاودت الكتيبة المدرعة الاسرائيلية التقدم نحو موقع « سد الروافعة » فوجدته خاليا في حوالي الساعة الرابعة والنصف صباحا بعد أن تراجعت القوة التي كانت فيه الى الموقع الرئيسي في « أم قطف » اثناء الليل عقب فشل الاقتحام الاسرائيلي للموقع .

هذا ويذكر « كينيت لوف » ان الجنود الاسرائيليين ارتكبوا اثناء يوم ٣١ اكتوبر خلال هجماتهم الفاشلة على موقع « الروافعة » جريمة بربرية بشعة للتأثير على معنويات المصريين بأن قاموا بقطع الاعضاء التناسلية لاثنين من سائقي الشاحنات المصريين الذين أسروهم عند « ابو عجيلة » وارسلوهما الى الموقع المصري حيث ماتا هناك على الفور(٢٦) وأدى ذلك الى زيادة صلابة المدافعين في قتالهم على خلاف ما كانوا يتوقعون .

هذا وقد قتل قائد اللواء ٣٧ المدرع الاسرائيلي اثناء الهجوم على « ام قطف » من جهة الشرق وذلك حين دخلت عربته المصفحة داخل نطاق المواقع المصرية بمفردها نتيجة تورط باقي المصفحات داخل حقل الغام قريب ، وقد أطلقت على العربة نيران شديدة من الاسلحة الصغيرة فقتل القائد وعدد من ضباطه قبل أن يبادر سائق العربة وينسحب مسرعا الى الخطوط الاسرائيلية مرة أخرى .

وهكذا فشلت كافة محاولات اختراق موقع « أم قطف » رغم القصف المدفعي والجوي المتصل خلال يومي ٣١ اكتوبر و١ نوفمبر . وفي هذه الاثناء أصدرت القيادة المصرية العامة أمرا بالانسحاب من سيناء لمواجهة الغزو المرتقب من جانب بريطانيا وفرنسا ، وبدأت الوحدات المدرعة تنسحب من سيناء ليلة ٣١ اكتوبر/١ نوفمبر في الواحدة بعد منتصف الليل ، وفي الخامسة من مساء يوم ١ نوفمبر تلقى قائد موقع « أم قطف » المقدم « سعد الدين متولي » (قائد الكتيبة ١٢ مشاة أصلا) أمرا بالانسحاب خلال الليل نحو العريش التي تبعد نحو ٥٥ كيلومترا الى الشمال الغربي ، فقام بعقد اجتماع لقادة الوحدات وشرح لهم الموقف من حيث نقص الماء والطعام والذخيرة التي أصبحت غير متوفرة للمدفعية الا في حدود ٦ قذائف لكل مدفع وأنه لم يصبح هناك سوى ٢٠٠ جالون من الماء لحوالي ٤٠٠٠ رجل محاصرين داخل الموقع ثم اخبرهم بأمر الانسحاب وجرى تنظيم خطة الانسحاب بحيث يتم سحب القوات في ثلاث مجموعات على التوالي خلال

الليل ابتداء من الساعة السادسة والنصف حتى السابعة والنصف عن طريق كثبان الرمال الشمالية المعروفة باسم « مكسر الفناجيل » على أن تبقى سرية مشاة واحدة حتى الفجر لتغطية الانسحاب ومعها وحدة مدفعية تطلق عدة قذائف خلال الليل بحيث يتم التظاهر بأن هناك محاولة من جانب الحامية للقيام بهجوم معاكس تجاه « ابو عجيلة ». وبالفعل قامت وحدة من المشاة والمدافع ذاتية الحركة بمهاجمة القوات الاسرائيلية المرابطة الى الغرب من « أم قطف » و« شيحان » خلال الليل . وفي الوقت نفسه قامت الحامية اثناء دوي هذه المعركة واطلاق نيران المدافع المتقطع طوال الليل بتدمير الاسلحة الثقيلة والعربات المتبقية لديها، بينما المجموعات الثلاث تقوم بالتسلل عبر الكثبان الرملية الكثيفة في « مكسر الفناجيل » وقد وصلت الكتيبة ١٨ مشاة الى العريش بصورة شبه منظمة ومن هناك واصلت انسحابها مع قوات رفح والعريش نحو قناة السويس . وفي صباح اليوم التالي ٢ نوفمبر بعث قائد احدى كتائب اللواء السابع المدرع الاسرائيلي باثنين من الاسرى المصريين في عربة جيب تحمل علما أبيض في الساعة الحادية عشرة والنصف الى حامية موقع « أم قطف » يطلب منها تسليم نفسها في موعد لا يتعدى الساعة الثانية بعد ظهر اليوم نفسه ! وفي الوقت نفسه لاحظ طيارو الطائرات الاسرائيلية التي كانت تحلق فوق الموقع لقصفه بالقنابل أن الحركة ساكنة تماما فيه ، كما أرسلت قيادة اللواء السابع والثلاثين المدرع وحدة من الدبابات نحو الموقع من ناحية « القسيمة » لاستطلاع الموقف فيه ، وحين اجتازت الدبابات قمة تلال شيحان في طريقها الى الوادي لتلتقي بقوات اللواء المدرع السابع في الغرب أطلقت عليها دبابات هذا اللواء النار على اعتقاد انها دبابات مصرية تحاول اختراق نطاق الحصار بالقوة كرد على الانذار بالتسليم وأصيبت احدى دبابات اللواء ٣٧ بالفعل ثم توقف الضرب بعد تدخل طياري المقاتلات الذين لاحظوا الخطأ من الجو وقاموا بلفت نظر قائد كتيبة دبابات اللواء السابع الى خطئه باشارات معينة(٢٧). وتعكس كل هذه التصرفات الاسرائيلية مدى كفاءة ودقة تنفيذ خطة الانسحاب المصرية من جيب « أم قطف » المحاصر ، بعد أن صمدت الحامية المؤلفة من ثلاث كتائب مشاة (١٧ ، ١٨ ، ١٢) تعززها كتيبة مدفعية ميدان واقل من كتيبة مدافع ذاتية الحركة في وجه هجوم لوائين مدرعين ولوائي مشاة في ظل دعم جوي قوي لمدة تزيد عن ثلاثة ايام وفي اطار ظروف استراتيجية عامة غير ملائمة خاصة عقب بدء التدخل الانجلو ــ فرنسي وهكذا احتلت القوات الاسرائيلية موقع « أم قطف » الخالي من مدافعيه ظهر يوم ٢ نوفمبر ، وانتهت بذلك معركة قطاع «أبو عجيلة» عام ١٩٥٦ .

الدروس المستفادة : كتب « موشي ديان » معلقا على معركة « ابو عجيلة » من زاوية أخطاء القيادة الاسرائيلية في أسلوب ادارة المعركة فقال « كان الخطأ الاساسي في قتالنا أنه جرى بشكل غير منظم وبعمليات ذات حجم صغير . ففي البداية ، يوم ٣٠ اكتوبر ، قامت وحدة من اللواء السابع بمهاجمة « أم شيحان » ، ثم وقع هجوم على « أم قطف » بواسطة اللوائين العاشر والسابع والثلاثين . وفي كلا الهجومين لم تركز الوحدات المهاجمة قوتها وتلقي كامل ثقلها في القتال ... ان غلطتنا تكمن في أننا لم نحشد كل القوات المتاحة لنا في هذه الجبهة والتي كان يمكن ان تخصص لهذا الواجب من أجل القيام بهجوم مشترك منسق . وان اللوم عن هذه الاخطاء تتحمله المستويات القيادية العليا أكثر مما تتحمله الوحدات المقاتلة ، أي تتحمله القيادة الجنوبية والقيادة العامة ورئيس الاركان (أنا شخصيا) »(٢٨).

هذا وقال « ديان » بصدد أسلوب قتال القوات المصرية « لقد قاتلت القوات المصرية بصورة جيدة خلال مرحلة قتالها الثابت . فطالما كان يطلب منها استخدام اسلحتها المتخندقة مسبقا في مواقع ثابتة ــ مدافع مضادة للدبابات ومدافع ميدان ومضادة

للطائرات ـــ فانها كانت تقوم بذلك بشكل آلي ، وعلى نحو دقيق وفعال . ولكن هذا لم يكن حالها حينما كان عليها ترك مواقعها المتخندقة أو حينما كانت تقوم بتغيير خططها . وهي غالبا لا تباشر هجمات مضادة ، وحين كانت تقوم بذلك فان اداءها كان قليل البراعة الى حد كبير »(٢٨) . ويعتقد « ديان » ان تنظيم الدفاع المصري عن سيناء الذي قام على أساس اعتبار المناطق الدفاعية المشيدة في « ابو عجيلة » و« رفح » خطوطا أو حواجز مانعة للتقدم عبر المحورين الاوسط والشمالي في سيناء ، قد تضمن تقديرا مبالغا فيه لمدى القوة الدفاعية لهذه المواقع ، ذلك لان المناطق الدفاعية ذات المهـام والطبيعة المماثلة في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية كانت تحيط بها نطاقات واسعة من حقول الالغام والدشم (المعاقل) المشيدة بالاسمنت المسلح وتزود بكميات هائلة من الاسلحة المضادة للدبابات والمدفعية ، ودول الشرق الاوسط ليس لديها الامكانات المادية والمالية التي تتطلبها مثل هذه التشييدات الدفاعية ، هذا فضلا عـن ان الافتراض القائل بأن التمسك بهذه المواقع المفتاحية يؤدي الى سد طريق التقدم او منع حركة القوات الكبيرة الى داخل سيناء ، افتراض يقوم على قياس خاطىء لدور مثل هذه المواقع في اوروبا حيث توجد كثير من الانهار والمستنقعات والغابات والجبال في عديد من المناطق ومن ثم يمكن أن تشيد فيها مثل الخطوط الدفاعية الحاجزة . ولكن طبيعة الارض الصحراوية في النقب والجزء الشمالي من سيناء تجعل من الممكن تجنب مثل هذه القواعد الدفاعية كأبي عجيلة أو رفح ، وذلك نظرا « لان كثبان الرمال الناعمة ليست بديلا عن الخطوط الدفاعية القوية التحصين ، وممر « الضيقة » ليس نهر « الراين » . ولهذا كانت وحدات اللواء السابع قادرة على التقدم غربا أو شمالا حتى بعد نسف ممر « الضيقة » ، وبالرغم من الصعوبات الخطـيرة في الامداد التـي واجهتنا بسبب عـدم وجود طـريق معبـد بالاسفلت »(٢٩) . ويستطرد « ديان » قائلا « ان « ابو عجيلة » يمكن أن تلعب دورا حاسما في الدفاع عن سيناء متى استخدمت كقاعدة ثابتة قوية للقوات المتحركة التي تستطيع أن تخرج منها لتشتبك مع عدو يحاول ان يخترق طريقه الى القناة . ذلك لانه في الاراضي الصحراوية مثل سيناء ليس هناك بديلا عن المدرعات والطائرات والمظليين والمشاة المحمولة . وان القوات المدافعة يجب ان تكون لها القدرة على مواجهة مثل هذه الوحدات المهاجمة بواسطة وحداتها المماثلة المتحركة الخاصة بها . لقد وضع المصريون افتراضا خاطئا للغاية حين تصوروا ان مواقعهم الدفاعية المحصنة في « ابو عجيلة » ، و« رفح » و« العريش » ستحول دون اختراقنا نحو داخل سيناء ، وسوف تحمـي « القناة » بدون ان يتطلبوا من قواتهم المدرعة والجوية ان تشترك في منع اختراقنا وبدون ان يقوم جنودهم بالخروج خارج دائـرة مواقعهم الدفاعيـة ومقاتلتنا »(٢٩) . والواقع ان عدم وجود قوة مدرعة ومشاة ميكانيكية في موقع « القسيمة » قد سهل كثيرا من مهمة اللواء الرابع مشاة واللواء السابع المدرع في احتلال القسيمة والوصول الى العمق العملياتي في « بير الحسنة » وقطع الطريق الرئيسي عند « جبـل لبنى » وفي الالتفاف حول « ابو عجيلة » من الغرب عبر ممر « الضيقة » وتهديد جناح موقع « أم قطف » الجنوبي من اتجاه « التل ٢٠٩ » فضلا عن ان عدم وجود مثل هذا الاحتياطي المدرع حتى على المستوى التكتيكي في موقع « ابو عجيلة » نفسه قد أدى الى سقوط الموقع وسيطرة العدو على مفترق الطرق والحيلولة دون وصول التعزيزات القادمة من العريش . وحتى على افتراض عدم توفر قوة مدرعة للقيام بمثل هذه المهام على ضوء ظروف التهديد الانجلو ـــ فرنسي لمنطقة القناة ، فانه تمشيا مع منطق اسلوب الدفاع الثابت كان يجب اقامة موقع دفاعي قوي مساند لمواقع « أم قطف » و« سد الروافعة » في كل من « رأس أم مطامر » (المتحكمة في طرق الاقتراب من مناطق « التل ٢٠٩ » وممر « الضيقة ») وعند مدخل ممر الضيقة الجنوبي ومخرجه الشمالي ، وأيضا في « ابو

عجيلة » نفسها و« بير الحسنة » و« جبل لبنى » . ولكن هذا كان يعني ان القطاع الاوسط من سيناء يحتاج الى نحو ٩ كتائب مشاة كاملة الاعداد للدفاع في مواقع دفاعية ثابتة محورية ، اي فرقة مشاة كاملة بخلاف الوحدات المتحركة . وهـذا كان يشكل البديل المؤقت الوحيد لعدم وجود قوة مدرعة كافية في القطاع ولحين استقدام المجموعات المدرعة الاحتياطية من منطقة القناة . وعلى أي حال فلقد قدمت ظروف التدخل الانجلو ـ فرنسي في المعركة ابتداء من مساء ٣١ اكتوبر ظرفا ملائما للغاية للجانب الاسرائيلي كما ذكر « ديان » نفسه في يومياته وحالت دون استخدام القيادة المصرية لقوتها الضاربة المدرعة في منع اختراق القوات الاسرائيلية ، وبالتالي فان النجاح التكتيكي الجزئي في الاحتفاظ بموقع « ام قطف » الذي حـرم الجيش الاسرائيلي مـن استخدام الطريق الرئيسي ، فقد أثره ونتائجه وسط الفشل الاستراتيجي العام الذي تداخلت فيه ظروف التدخل الانجلو ـ فرنسي . تلك الظروف التي حالت دون رؤية وتحديد أخطاء أسلوب الدفاع المصري في الوقت نفسه .

معركة أبو عجيلة في ١٩٦٧

ميزان القوى : قبل أن تتخذ القيادة السياسية المصرية قرارها بحشد قوات ضخمة في سيناء يوم ١٣ مايو ١٩٦٧ لدعم موقف سوريا ازاء التهديدات العسكرية الاسرائيلية ، لم يكن يوجد في سيناء سوى الفرقة الثانية مشاة ووحدات الحدود العادية بالاضافة الى الفرقة العشرين في قطاع غزة من قوات جيش التحرير الفلسطيني . ثم تدفقت قوات مصرية كبيرة اثر ذلك ابتداء من يوم ١٥ مايو وحتى يوم ٤ يونيو ، فأصبحت القوة المصرية الاجمالية في سيناء مؤلفة من ٤ فرق مشاة (الفرق ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧) وفرقة مدرعة ومجموعة مدرعة (الفرقة الرابعة ومجموعة الشاذلي) . وكانت تضم نحو ١٥ لواء مشاة (بخلاف لوائين في الفرقة الفلسطينية وفوج صاعقة) منها نحو ٩ ألوية محمولة ، ونحو ٥ ألوية مدرعة و٣ مجموعات مدرعة أخرى ، وحوالي ٨ ألوية مدفعية . وقدرت مجموع هذه القوات بنحو ١٠٠ ألف جندي و٩٠٠ دبابة ومدافع ذاتي الحـركة تقريبا وحوالي ١٠٠٠ مدفع(٣٠) . وقد حشدت القيادة الاسرائيلية في الجبهة الجنوبية التي تشمل سيناء وقطاع غزة نحو ٦ ألوية مدرعة ومجموعتي دبابات وحوالي ٤ ألوية مشاة و٣ ألوية مظليين و٦ ألوية من المدفعية . وتوضح لنا هذه الارقام التقريبية المقارنة انه كان هناك توازن على المستوى العام بين الطرفين في عنصر المدرعات والمشاة المحمولة ، وان الجانب المصري كان لديه بعض التفـوق في المدفعية (المقطورة) والمشاة غـير المحمولة .

أما في محور « أبو عجيلة » فقد كانت الصورة التقريبية لميزان القوى بين الطرفين على النحو التالي :

كانت الفرقة الثانية مشاة المصرية ترابط في كل من أبو عجيلة والقسيمة ، وكـانت تضم لوائي مشاة ولوائي مدفعية ميدان ومجموعتين مدرعتين وقد وزعت قوات الفرقة مناصفة تقريبا بين « ابو عجيلة » ومواقعها المختلفة و« القسيمة » حيث كان مقر قيادة الفرقة .

وفي « ابو عجيلة » كان يوجد لواء مشاة يتألف من ٤ كتائب ولواء مدفعية ميدان من عيار ١٢٢ مم و١٣٠ مم يضم نحو ٧٠ مدفعا ، ومجموعة مدرعة تضم وحدتي دبابات « ت ٣٤ » ووحدة مدافع ذاتية الحركة مضادة للدبابات « س يوم ١٠٠ » ويبلغ مجموعها كلها نحو ٩٠ دبابة ومدفع ذاتي الحركة ، فضلا عن وحـدة صواريخ مضادة للدبابات ومدافع مضادة للدبابات ومضادة للطائرات ومدافع هاون ثقيلة .

وكان يقابل هذه القوة من الجانب الاسرائيلي مجموعة « شارون » القتالية «VGDA» المؤلفة من لواء مدرع يضم كتيبة دبابات « سنتوريون » وكتيبة دبابات « سوبر شيرمان » ووحدة استطلاع وكتيبة مشاة ميكانيكية وكتيبة مدفعية ذاتية الحركة ، ولواء مشاة يضم ٣ كتائب مشاة وأسلحة المساندة الخاصة به ، وكتيبة مظليين ، و٦ كتائب مدفعية ميدان . وفي الجملة كان لدى مجموعة « شارون » اكثر من ٢٠٠ دبابة ونحو ١٠٠ عربة مصفحة نصف جنزير وحوالي ١٠٠ مدفع(٣١).

التنظيم الدفاعي المصري : مثلما كان الحال عام ١٩٥٦ تركز الدفاع المصري على محور « ابو عجيلة » في موقع « أم قطف » حيث حشدت ٣ كتائب مشاة على مواجهة عرضها نحو ٣ كيلومترات تمتد من كثبان « مكسر الفناجيل » الرملية في الشمال حتى سفوح جبل « ضلفة » في الجنوب داخل خط دفاعي شبه متصل من ثلاثة خنادق متوازية مبطنة الجوانب بالأسمنت المسلح تتخللها حفر للاسلحة المضادة للدبابات والهاونات وملاجىء محفورة ومغطاة بالصخور والرمال للجنود ، وتفصل بين الخندق الاول والثاني مسافة نحو ٣٠٠ متر وبين الثاني والثالث مسافة نحو ٦٠٠ متر ، وتمتد امام الخندق الاول تجاه الشرق حقول الغام عمقها نحو ٢٥٠ مترا ، وقد تركزت مدفعية الميدان (حوالي ٧٠ مدفعا) داخل نطاق شبه مستطيل من الارض الواقعة خلف الخنادق المذكورة بنحو كيلومتر ونصف يستند من الجنوب جزئيا على وادي العريش ومن الشرق على ممر صخري يقود الى « القسيمة » عبر المنطقة الواقعة بين جبل « ضلفة » وجبل «الوجير». وتحيط بالموقع الرئيسي في « أم قطف » مجموعة من المواقع الصغيرة من جميع الجهات ، فقد كان هناك موقع عند « سد الروافعة » الى الغرب ، وموقع يليه الى الشمال الغربي من « ابو عجيلة » على طريق العريش عند نهاية درب يمتد من الشرق الى الغرب عبر كثبان « مكسر الفناجيل » ، وموقع يتوسط الدرب المذكور عند التل رقم ١٨١ لحماية الجناح الشمالي لموقع « أم قطف » كانت ترابط فيه سرية مشاة وسرية دبابات « ت ٣٤ » وبعض قطع المدفعية . وكان هناك موقع آخر الى الجنوب الغربي يسد ممر « الضيقة » من مدخله الشمالي والذي أصبح مسدودا هذه المرة بكثبان رملية . كما كان يوجد موقع آخر الى الجنوب الشرقي على الطريق الى « القسيمة ». وعلى الطريق المعبد بالاسفلت الممتد من « أبو عجيلة » حتى الحدود الفلسطينية حيث كان يصل من قبل الى « العوجة » ثم « العسلوج » و« بير السبع » ، كان يوجد موقعان أماميان للانذار أحدهما عند « أم بسيس » ويبعد عن الحدود بنحو ٣ كيلومترات وتوجد به وحدة صغيرة تعززها بعض قطع المدفعية وتحيط به حقول الغام ، والآخر عند « أم طرفة » ويبعد عن الحدود بنحو ٥ر٤ كيلومتر ويبدأ من عنده تقريبا الدرب الشمالي الذي يخترق كثبان « مكسر الفناجيل» حتى طريق العريش والذي يتوسطه تقريبا موقع « التل ١٨١ »، والى الجنوب من طريق « ابو عجيلة ــ العوجة » كان يوجد درب آخر يبعد عنه بنحو ٥ر١ كيلومتر يسمى « الدرب التركي » يبدأ من عند الحدود ويصل حتى الطرف الجنوبي لخط خنادق الموقع الرئيسي في « أم قطف » ولذلك اقيمت على هذا الدرب أيضا نقطة انذار أمامية تشبه نقطة « أم بسيس » و« أم طرفة » الواقعة الى الشمال من الدرب المذكور . هذا وقد توزعت الكتلة الرئيسية من المجموعة المدرعة الملحقة بقوات « أبو عجيلة » بين منطقة حشد المدفعية و« سد الروافعة » وكان بعضها موزعا على موقع « التل ١٨١ » كما سبق أن ذكرنا وموقع طريق العريش ، وكان هناك معسكر خلفي يعد كقاعدة ادارية لمنطقة ابو عجيلة في المنطقة الممتدة بين « سد الروافعة » وطريق « ممر ضيقة » والطرف الغربي لجبل « ضلفة » رابطت فيه كتيبة مشاة رابعة(٣٢). وكان الموقع الدفاعي الرئيسي يمتد من الشرق الى الغرب نحو ١٢ كيلومترا ويصل عرضه في بعض النقط الى نحو ٣

كيلومترات ويقع معظمه الى الجنوب من الطريق الرئيسي الذي يخترقه نظرا لان الطريق يقع معظمه داخل كثبان « مكسر الفناجيل » .

خطة الهجوم الاسرائيلي : نظرا للصعوبات التي تكتنف اقتحام موقع « أم قطف » المحصن بهجوم جبهي مباشر خاصة على ضوء خبرة معركة ١٩٥٦ ، ونظرا لان تكرار أسلوب الالتفاف حول الموقع عن طريق « القسيمة » وممر « الضيقة » غير ممكن هذه المرة نظرا لوجود قوة كبيرة في القسيمة مؤلفة من لواء مشاة ولواء مدفعية ومجموعة مدرعة ، كما أن ممر الضيقة نفسه كان مسدودا بالرمال وتحمي مدخله الشمالي قوة مصرية فضلا عن القوة الاحتياطية الموجودة في المعسكر القريب . فقد وضع «شارون»، قائد المجموعة القتالية الرئيسية الثالثة ضمن المجموعات الثلاث التي عهد اليها بالهجوم على القطاع الشمالي والاوسط من سيناء ، خطة دقيقة معقـدة التركيب تعتمد على تعاون وثيق بين أسلحة المشاة والمدرعات والمدفعية والمظليين والطيران ينظمه جدول زمني معين قامت على الاسس التالية :

١ ــ دفع كتائب المدفعية الى مرابض اطلاق نار قريبة نسبيا من موقع « ام قطف » الرئيسي والذي يبعد عن الحدود الفلسطينية بأكثر من ١٨ كيلومترا لتوفير مساندة قوية بالنيران لتليين الدفاعات قبل محاولة اقتحامها .

٢ ــ قطع طريق « أم قطف ــ القسيمة » بقوة خفيفة لاعاقة اي تدخل من جانب حامية القسيمة ولو جزئيا مع مشاغلتها من المواجهة بواسطة لـواء مدرع يتظاهـر بالاستعداد للهجوم عليها لتثبيت الجزء الرئيسي من القوة الموجودة فيها . وفي الوقت نفسه تقوم قوة مدرعة وميكانيكية اخرى ــ بعد تأمين المواقع الامامية في « ام بسيس » و« ام طرفة » ــ باجتياز الدرب الشمالي واقتحام موقع « التل ١٨١ » للوصول الـى طريق « ابو عجيلة ــ العريش » وقطعه ضد أي قوات تأتي من العريش (وفـي هذا الوقت كان لواء مدرع من مجموعة يوفه القتالية سيهاجم « بير الحفن » بعد اجتياز كثبان الرمال الممتدة بين ابو عجيلة ورفح ويشاغل الفرقة الثالثة مشاة المرابطة في جبل لبنى) ثم قطع طريق « ابو عجيلة ــ جبل لبنى » وبذلك تعزل ابو عجيلة وام قطف تماما .

٣ ــ تهبط قوة من المظليين بواسطة طائرات الهليكوبتر الى الشمال مـن مواقع المدفعية المصرية وسط كثبان « مكسر الفناجيل » وتهاجمها خلال الليل لتشاغلها وتدمر ما تستطيع تدميره منها اثناء قصف المدفعية الاسرائيلية .

٤ ــ تقوم كتائب المشاة الثلاثة بعد مساندة المدفعية بهجوم على الخنادق المصرية في الخطوط الدفاعية الثلاثة المتوازية من جهة الشمال اثناء الليل في وقت واحد بينمـا تقوم وحدات الهندسة بفتح ثغرة في حقول الالغام الممتدة امـام الخط الدفاعي حتى تجتازها الدبابات خلال الليل متجنبة بذلك اكبر قدر ممكن من الخسائر التي قد تسببها المدفعية المصرية اذا تمت هذه العملية نهارا .

٥ ــ وعقب ذلك تهاجم الدبابات الموقع لتطهيره من المدرعات والمدفعية وفي هذه الاثناء تقوم القوة المرابطة على طريق العريش بمهاجمة المواقع المصرية في سـد الروافعة والمعسكر من الخلف وقد تعاونها وحدات من لواء مجموعة « يوفه » الموجود الـى الجنوب من « بير الحفن » وفقا للظروف اي أن العملية الرئيسية في خطة شارون كانت هي هجوم ليلي للمشاة والمدفعية تقليدي مثل هجوم « مونتجمري » في « العلمين » ليلة ٢٣ اكتوبر ١٩٤٢ . يتبعه اختراق بالمدرعات وتسبقه مشاغلات في المؤخرة . وكان من المفروض بعد تطهير طريق « ابو عجيلة » من حقول الالغام واسكات المقاومة الرئيسية ان يجتاز لواء مدرع تابع لمجموعة « يوفه » القتالية الطريق وسط قوات مجموعـة

« شارون » لينضم الى اللواء المدرع الاخر للمجموعة الموجود عند « بير الحفن » ويزحفان معا نحو « جبل لبنى » ثم « بير جفجافة » للاشتباك مع الفرقة الرابعة المدرعة المصرية ، بينما تتجه العناصر المدرعة لمجموعة « شارون » جنوبا — بعد تطهير القسيمة — نحو « نخل » الواقعة على المحور الجنوبي لسيناء الممتد من « الكونتلا » شرقا حتى « ممر متلا » غربا لتقطع طريق انسحاب الفرقة السادسة مشاة و«مجموعة الشاذلي» المدرعة .

سير العمليات : تحركت قوات « شارون » من مكان احتشادها الرئيسي الواقع على طريق « العوجة — بير السبع » داخل الارض المحتلة بنحو ٢٢ كيلومترا والذي كانت ترابط فيه منذ اسبوعين تقريبا ، نحو الحدود خلال الليل ثم بدأت المدفعية وطائرات « الفوجا ماجستر » تقصف المواقع المصرية الامامية والموقع الرئيسي في ام قطف حوالي الساعة ٨،١٥ صباح يوم ٥ حزيران ، وتشكلت طليعة القوة المهاجمة من كتيبة دبابات « سنتوريون » وسرية مشاة ميكانيكية اجتازتا الحدود في الساعة ٨،٤٠ قرب نقطة مراقبة قوات الطوارىء الدولية الحالية عند العوجة ، وقد تعرضت على الفور لنيران موقع « ام بسيس » الذي كانت تحيط به حقول الغام ولذلك تجنبته المدرعات والاليات الاسرائيلية ومرت على مقربة منه وهي تطلق عليه النار وواصلت تقدمها الى داخل الاراضي المصرية بينما كانت المدفعية الاسرائيلية تواصل قصفها له بشكل مركز وقد سقط بعد عدة ساعات اخرى خلال النهار في أيدي القوات الاسرائيلية واستمر زحف الدبابات في الارض المفتوحة جنوب الطريق الرئيسي حتى وصلت الى موقع « ام طرفة » حيث وجدت حفرة كبيرة على الطريق ناتجة عن تفجير الغام قوية فاضطرت ان تهاجم الموقع عبر الرمال المحيطة بالطريق بقوة مؤلفة من سريتي دبابات وسرية مشاة ميكانيكية ، واصطدمت على الفور بحقل الغام مما أدى الى اصابة ٧ دبابات وتوقفها عن السير الا أن بقية القوة استطاعت أن تحتل الموقع ، وبينما كانت الدبابات تعيد تنظيم صفوفها بعد ذلك مباشرة تعرضت لنيران شديدة من مدفعية الموقع الرئيسي في « أم قطف » ، فانفصلت سرية من الدبابات عن باقي القوة واتجهت الى الدرب الذي يجتاز « مكسر الفناجيل » لتهاجم « التل ١٨١ » وتصل الى طريق العريش بينما انتشرت باقي القوة محتمية بثنيات الارض من نيران المدفعية ، وقد حاولت سرايا الدبابات الثلاث استئناف التقدم بعد ذلك الا أن عنف نيران المدفعية المصرية اوقفت محاولتها هذه ، فأمرها قائد اللواء بالانضمام الى السرية المتقدمة نحو « التل ١٨١ » ، بينما اخذت كتيبة دبابات « الشيرمان » تتقدم لتحتل مواقع كتيبة « السنتوريون » لتحاول الاستمرار في الهجوم نحو « ام قطف » . وقد حاولت الكتيبة المذكورة التقدم الا ان نيران المدفعية اوقفتها هي الاخرى وكانت الساعة قد أصبحت عندئذ الثانية عشرة ظهرا ، ولم تتمكن المدرعات من الوصول بعد الى الموقع الرئيسي ، فطلب « شارون » مساندة الطيران ، وقد قصفت طائرات «الفوجا ماجستر» الموقع الرئيسي في الساعة ١٢،٣٠ ظهرا لمدة عدة دقائق ، وما أن توقف القصف وبدأت الدبابات زحفها حتى قوبلت بنيران المدفعية الشديدة مرة اخرى فتوقفت عن مواصلة الزحف ، ويبدو أن « شارون » كان يأمل أن تستطيع مدرعاته اختراق الموقع ببعض الخسائر — كما حدث بالنسبة لمجموعة « تال » في الشمال عند خان يونس ورفح — الا انه ادرك مدى قوة موقع « أم قطف » اثر فشل هجوم المدرعات المتكرر وقرر أن ينفذ خطة الهجوم الليلي ، فتوقفت « الشيرمان » واخذت كتائب المدفعية تتقدم بعد ذلك عبر الحدود لتتخذ لها مواقع صالحة لقصف الموقع من مسافة قريبة نسبيا ، وقد تعرضت هي الاخرى لقصف المدفعية المصرية ثم توقفت واخذت تطلق النار عليها لتختبر تصويباتها وتحدد زوايا الضرب المناسبة خلال النهار استعدادا للقصف الليلي ، ثم توقفت على الاثر

من ذلك داخل مرابضها الجديدة على مسافة نحو ٧ كيلومترات من الموقع الرئيسي وكانت الساعة قد بلغت حينذاك الثالثة بعد الظهر . وقد ساعد قيام عاصفة رملية خلال هذه الفترة على امكان اقامة مواقع للمدفعية الاسرائيلية نظرا لعدم فاعلية المدفعية المصرية من حيث دقة التصويب اثناء العاصفة . وقد هبطت حدة العاصفة في الساعة الخامسة مساء فاستأنفت المدفعية المصرية قصفها مرة أخرى حتى الغروب وأثناء الساعات الاولى من الليل ، وكانت الدبابات الاسرائيلية ترد عليها بقصفات جزئية تفصلها فترات زمنية وهي تتحرك من مكان الى آخر ، وذلك بهدف مشاغلة المدفعية المصرية وكشف مواقعها، ولاعطائها انطباع بأنه سيحدث هجوم مدرع بالمواجهة . وفي هـذه الاثناء كانت قـوة استطلاع اللواء المدرع قد أرسلت الى جنوب الموقع الرئيسي واقامت كمينا عند الطريق المؤدية الى « القسيمة » وأخذت تراقب الموقع من الجنوب وتستعد لمواجهة أي نجدات ترسل من قوة القسيمة . وفي الوقت نفسه كانت سرية دبابات « السنتوريون » التي زحفت في الصباح نحو « التل ١٨١ » قد تقدمت ببطء داخل الدرب المؤدي اليه بسبب كثافة الكثبان الرملية اذ أنه كان طريقا لسير الجمال أصلا وليس صالحا بصورة ملائمة لسير المركبات ، وفي حوالي الحادية عشرة صباحا اصطدمت السرية المذكورة بنيران الموقع المصري (الذي يقول « ادجار بالانس » أنـه كانت به سرية مشاة وسريـة دبابات(٢٢)، بينما يقول « رائدلوف ووتستون تشرشل » في كتابهما « حرب الايام الستة » أن الموقع كانت تدافع عنه قوة كتيبـة مصرية) الصادرة من مدافع الهـاون الثقيلة والدبابات ت ٣٤ ، وأدت هذه النيران وحقول الالغام المحيطة به الى فشل هجوم السرية المدرعة الاسرائيلية وتراجعها بعيدا عن مرمى النيران المصرية بعد أن دمرت النيران المصرية سبعا من دباباتها وبعد أن قتل قائد سرية مشاة ميكانيكية وثلاثة مـن قـادة الجماعات ضمن الوحدات التي صاحبت الدبابات ، وكانت تضم سرية مشاة ميكانيكية ووحدة استطلاع ووحدة هندسة وهاونات ثقيلة . وعلى اثر هذا الفشل طلب قائد كتيبة « السنتوريون » (كانت بقية سرايا الكتيبة قد لحقت بالسرية كما ذكرنا من قبل) مساندة نيران الطيران ، الا أن العاصفة الرملية التي هبت وقتئذ على المنطقة حالت دون تمييز الطائرات للموقع ، ولذلك توقفت الكتيبة عن مواصلة الهجوم حتى الساعة الثالثة بعد الظهر حيث عاودت محاولتها وتمكنت في هذه المرة من الاستيلاء على الموقع المذكور ولا تعرف مقدار الخسائر التي لحقتها في هجومها الثاني أو مقدار الخسائر المصرية . ثم واصلت الكتيبة المدرعة الاسرائيلية تقدمها ببطء حتى وصلت الى طريق العريش بعد هبوط الظلام واشتبكت هناك في قتال عنيف مع نحو ٢٠ دبابة مصرية . ويبدو ان القتال الذي دار بين القوتين ، أدى الى القضاء علـى مقاومة القوة المصريـة لان الدبابات الاسرائيلية تمكنت بعد ذلك اثناء الليل أن تزحف جنوبا وتقطع طريق « أبو عجيلة ـ جبل لبنى » ـ وهو الطريق الاوسط الرئيسي ـ وبذلك تم عزل الموقع الرئيسي من جميع الجهات وأصبحت حامية محاصرة مثلما كانت في ١٩٥٦ . وفي هذه الاثناء كانت كتائب المشاة الثلاث التي تقرر أن تهاجم الخنادق المصرية الثلاثة الرئيسية من جهة الشمال عبر الكثبان الرملية في « مكسر الفناجيل » قد تحركت في حوالي الساعة الواحدة بعد الظهر من نقطة تجمعها في العوجة بواسطة سيارات اتوبيس مدنية (جرى حشدهـا وفقا لاجراءات التعبئة العامة التي سبقت قيام الحرب بأيام قليلة) ووصلت الى موقع « أم بسيس » حوالي الساعة الثانية بعد الظهر حيث ترجل الجنود هناك نظـرا لصعوبة استمرار سير السيارات وسط الرمال الناعمة ، وسارت الكتائب الثلاث عبر الدرب الشمالي الذي اجتازته من قبل كتيبة « السنتوريون » عدة ساعات حتى وصلت الى نقاط موازية للخنادق المصرية وانحرفت جنوبا اثر ذلك مسافة معينة حتى وصلت الى خط الابتداء المفترض لبدء زحفها الهجومي الاخير وربضت هناك انتظارا لساعـة الصفر

المحددة لبدء الهجوم الليلي . وفي حوالي الساعة السادسة مساء نقلت سيارات الاتوبيس أيضا سرية من المظليين تضم نحو ١٥٠ جنديا عبر الحدود حتى « ام بسيس » حيث ترجلوا هناك وساروا حتى « ام طرفة » ومن هناك نقلتهم ست طائرات هليكوبتر كانت في انتظارهم في الساعة السابعة مساء تقريبا الى نقطة وسط الكثبان الرملية شمال مواقع المدفعية المصرية تقع على مبعدة نحو ٥ كيلومترات عن الطريق الرئيسي في حوالي الثامنة مساء ، وقد تقدموا وسط الرمال في ٤ مجموعات صغيرة نحو منطقة حشد المدفعية المصرية ، وكان « شارون » قد قدر مدة ساعتين لوصول هذه القوة من المظليين الى هدفها ، الا ان صعوبة السير في الرمال وهبوط طائرات الهليكوبتر بعيدا عن النقطة المفترض أصلا أن تهبط فيها حال دون وصول المظليين في الوقت المفترض مسبقا ، هذا وقد أطلقت مدافع الهاون الثقيلة المصرية نيرانها على مكان وقوف طائرات الهليكوبتر في الساعة التاسعة مساء تقريبا الامر الذي اضطرها الى الابتعاد عن مرمى نيران هذه المدافع . ولم يصل المظليون الى مجال رؤيتهم لمواقع المدفعية المصرية من مبعدة الا في الساعة الحادية عشرة مساء حيث شاهدوا وهج قذائفها المنطلقة من فوهاتها . وفي الحادية عشرة والنصف فتحت المدفعية الاسرائيلية (نحو ١٠٠ مدفع) ستارة نيرانها المهدة لهجوم المشاة ، وتركزت قذائفها لمدة نصف ساعة على منطقة الخنادق الثلاثة وكان قائد لواء المشاة هو الذي تنم عن طريقه توجيه هذه الستارة القوية من نيران المدفعية . ثم تقدمت وحدات المشاة المهاجمة وفي مقدمة كل كتيبة من الكتائب الثلاثة مجموعة من نحو ٥٠ جنديا يحملون على ظهورهم مصابيح ملونة ، وكانت مصابيح كل كتيبة ذات لون مختلف عن الاخرى ، وذلك حتى تميز المدفعية والدبابات الاسرائيلية مواقع المشاة الاسرائيلة فلا تطلق عليهم نيرانها، وفي الوقت نفسه غمرت المنطقة بأضواء الانوار الكاشفة الموجهة نحو المواقع المصرية لمساعدة المشاة والمدفعية على رؤية اهدافها . ونظرا لان الكثبان الرملية شمال المواقع المصرية لم تكن ملغمة فقد اندفع هؤلاء الجنود بسرعة نحو الخنادق المصرية التي لم يكن المدافعون عنها يتوقعون الهجوم عليها من هذه الجهة التي كان من المعتقد ان رمالها الناعمة تشكل مانعا طبيعيا قويا يحمي الجناح الشمالي للمواقع الدفاعية ولذلك لم تبث فيها حقول الغام ولم تقم فيها نقاط انذار على ما يبدو . وقد وجهت المدفعية المصرية نيرانها نحو المهاجمين الا ان كثافة الرمال الناعمة ادت الى عدم انفجار كثير من قذائفها . وفي الوقت نفسه هاجمت كتيبة الدبابات الستوريون موقع « أبو عجيلة » من المؤخرة واستولت عليه وواصلت تقدمها حتى منطقة المعسكر حيث اشتبكت في قتال مع الدبابات المصرية هناك ، هذا بينما كانت كتيبة دبابات « الشيرمان » تتقدم من جهة الشرق تأهبا لاختراق الموقع في « أم قطف » بعد نجاح المشاة في اسكات مقاومة المدافعين في الخنادق حتى يتمكن رجال الهندسة من فتح ثغرات في حقول الالغام . وهكذا وصلت معركة « ابو عجيلة » الى قمة الاشتعال القتالي في منتصف ليلة ٦ حزيران الا انها لم تكن قد حسمت بعد . وفي حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل هاجم المظليون موقعا من مواقع المدفعية المصرية بعد أن اقتربوا منه الى مسافة حوالي ٢٠٠ متر اثر اجتيازهم حاجزا من الاسلاك الشائكة كان يحيط بالموقع ولكن لم تكن هناك الغام تحميه ، وقد أطلقت عليهم نيران الاسلحة الصغيرة من جنود الموقع المصري فقتل بعضهم ، وواصل المظليون هجومهم مندفعين بسرعة نحو المدافع فأسكتوا عددا قليلا منها واضطروا أطقم بعضها الى الاحتماء بملاجئهم وتوقفهم عن اطلاق المدافع ، الا أن نيران الاسلحة الصغيرة الصادرة من المواقع القريبة الاخرى اضطرتهم للانسحاب بسرعة وهم يحملون معهم ٥ قتلى و١٥ جريحا (وفقا لرواية المصادر الاسرائيلية) . واثناء اجتيازهم الطريق الرئيسي للعودة الى طائراتهم اصطدموا ببعض العربات المصرية المحملة بالذخيرة واطلقوا عليها نيران رشاشاتهم فأدى اشتعال

النار فيها وانفجار الذخيرة المترتب على ذلك الى مقتل وجرح بعض المظليين القريبين من الطريق ! وقرب الفجر التقوا بطائرات الهليكوبتر التي حملت الجرحى والقتلى ، وعادت باقي القوة سيرا على الاقدام حتى التقطتها سيارات الاتوبيس مرة اخرى من الطريق شرق أم قطف حوالي الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي وهم في حالة من الاجهاد الشديد . اما المدفعية المصرية التي زعمت معظم الكتابات الاسرائيلية والاجنبية أنهم اسكتوها فقد استمرت غالبيتها العظمى في القصف والنشاط الفعال حتى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي حيث تمكنت الطائرات الاسرائيلية من اسكات معظمها بعد قصف جوي مركز كما يروي « ادجار بالانس »(٣٥). وفي الوقت نفسه كان القتال يدور عنيفا حول الخنادق الامامية في « أم قطف » والتي خشي جنود المشاة الاسرائيليين الدخول فيها خلال الليل خشية شدة الخسائر ، ولذلك لم يتم تطهير الخنادق حتى الصباح . وفي الرابعة صباحا تمت عملية فتح ثغرة في حقول الالغام وبدأت دبابات « الشيرمان » والمصفحات نصف جنزير تدخل منها الى قلب الموقع الدفاعي بعد أن تعطل بعضها عن السير نتيجة انفجار بعض الالغام تحتها . وفي الخامسة صباحا كانت دبابات « السنتوريون » المهاجمة من الغرب مشتبكة مع دبابات « ت ٣٤ » ومدافع « س يو ١٠٠ » في موقع « سد الروافعة » حيث التقت بها بعض الدبابات الشيرمان المتقدمة من جهة الشرق واشتركت الى جانبها في معركة الدبابات العنيفة المتداخلة التي كانت دائرة هناك . وعند الفجر قدمت الطائرات الاسرائيلية مساندتها بقصف المواقع المصرية التي كانت لا تزال مستمرة في المقاومة وفي الثامنة صباحا كانت معظم المدفعية المصرية قد أسكتت وكانت المعركة المدرعة قد انتهت ايضا ، وتقول المصادر الاسرائيلية أنه قد دمرت نحو ٣٠ دبابة مصرية خلال هذه المعركة وان بعض الدبابات الاخرى والمدافع ذاتية الحركة قد استطاعت أن تتسلل منسحبة عبر الصحراء تجاه الجنوب ، وكذلك أيضا عدة مئات من جنود المشاة المصريين . وعقب انتهاء المعركة المدرعة تقدم اللواء المدرع الاسرائيلي ومعه « شارون » صوب الجنوب تجاه « القسيمة » طبقا للخطة الموضوعة مخلفا وراءه لواء المشاة والمدفعية لاستكمال تطهير المواقع الدفاعية المصرية في «أم قطف» و« شيحان » ومنطقة المعسكر ، بينما أخذت وحدات لواء « يوفه » المدرع تجتاز الطريق من « العوجة » صوب « ابو عجيلة » لتلتقي ببقية المجموعة عند « جبل لبنى » . ويصف « ادجار بالانس » المرحلة الاخيرة من المعركة فيقول : « لقد أمضى جنود المشاة الاسرائيليون ، المدعمين بمساندة مدفعية مجموعة شارون القتالية والضربات الجوية المنظمة بقية اليوم في عملية اخراج المدافعين المصريين من مواقعهم بصورة منظمة منهجيا، والذين قاتل كثيرون منهم بشدة خاصة خلال الصباح . وقد أخذ القليل منهم ، كأسرى حينما كانوا يجرحون أو يحصرون في مكان لا فكاك منه ، وقد استطاعت غالبية لواء المشاة أن تفر عبر الصحراء آخذة معها كثيرا من جرحاها ، وبالرغم من ان المصريين كانوا يقلون عددا بعض الشيء عن الاسرائيليين ، فقد استطاعوا الصمود بصورة جيدة. فمثلا ، تمكنت كتيبة المشاة المدافعة عن منطقة المعسكر ، والتي لم تشترك في القتال الا حوالي الساعة الثامنة صباحا ، ان تصمد في مقاومتها حتى الظهر ، رغم نيران المدفعية الاسرائيلية والضربات الجوية . وخلال بعد الظهر غادر أفرادها موقعهم — مثلهم مثل باقي جنود موقع أم قطف — وتسللوا داخل الصحراء »(٣٦). وهكذا انتهت معركة « ابو عجيلة » عام ١٩٦٧ التي استغرقت حوالي يوم ونصف يوم . ولم تعرف أرقام خسائر كل من الطرفين حتى الآن على نحو واضح ، فالمصادر الاسرائيلية تزعم أنها دمرت نحو ٦٠ دبابة ومدفع ذاتي الحركة مصري وأنه قد قتل نحو ٣٠٠ جندي مصري في منطقة الخنادق الثلاثة الرئيسية وأسر ١٠٠ آخرين ، وان القوات الاسرائيلية قد فقدت ١٩ دبابة و٣ عربات نصف جنزير و١٢ قتيلا و٤٥ جريحا اثناء القتال عند الخنادق الثلاثة خلال ليلة ٦

حزيران(٢٦)! ولا تشير الى خسائرها طوال النهار التالي مثلا أو خسائرها عند طريق العريش او في منطقة المعسكر الخ ! كما انها لا تشير الا الى خسارة طائرة فوجا ماجستر واحدة ! هذا وقد بقيت حامية منطقة « القسيمة » المؤلفة من النصف الثاني للفرقة الثانية مشاة وحيث كان يوجد قائد الفرقة نفسه في موقف سلبي طوال المعركة ولم تحاول القيام بأي هجوم مضاد او تقدم دعما لقوة « ابو عجيلة » كما تجمع المصادر الاجنبية التي تناولت احداث المعركة . وقد انسحبت حامية « القسيمة » خلال ليلة ٧ حزيران دون أن تشعر بها القوات الاسرائيلية بعد أن دفنت في الرمال معظم اسلحتها الثقيلة والتي عثر عليها بعد ذلك بعدة اسابيع .

وقد تم تنفيذ الانسحاب وفقا لامر الانسحاب العام الذي كان قد صدر عن القيادة المصرية العامة بعد ٣٠ ساعة من بدء القتال ، وكانت مدرعات « شارون » قد اقتربت في العاشرة من صباح يوم ٦ حزيران الى مسافة ثمانية كيلومترات من مواقع «القسيمة» ثم توقفت بسبب قصف المدفعية الصادر منها ، وأخذت تعيد تنظيم نفسها وتتمون بالذخيرة والمؤن . ولم تتحرك مرة أخرى الا في صباح يوم ٧ حزيران حيث وجدت هي ووحدات اللواء المدرع الآخر الذي كان يرابط في مواجهة موقع « القسيمة » من الشرق عند جبل « الصابحة » ان الموقع خال من القوات المصرية ، وبعد ان كانت الطائرات قد قصفته بشدة في الفجر والساعات الاولى من الصباح وهي لا تدري انه لا توجد به قوات(٢٧)!

الدروس المستفادة : يقول « ادجار بالانس » في ختام سرده لاحداث معركة ابو عجيلة في حزيران ١٩٦٧ انه « الى الجنوب من « ام قطف » بقيت حاميات كل من « القسيمة » و« الكونتيلا » في موقف سلبي ، وكذلك كانت « قوة الشاذلي » . كما انه لم تعبر أي تشكيلات اسرائيلية اخرى الحدود الى داخل « سيناء »، لقد بدا الجميع في موقف المراقبة والانتظار »(٢٨) .

ويلخص هذا القول جانبا رئيسيا من جوانب الموقف الاستراتيجي العام الذي جرت في اطاره معركة « ابو عجيلة » الثالثة عام ١٩٦٧ . اذ سمح هذا الموقف لشارون أن يرتب عملياته الهجومية وينسقها ويسلسل جدولها الزمني بهدوء ونظام ودون اي تفكير لصفو هذا الترتيب من خارج موقع « أم قطف » الرئيسي ، ذلك لان وجود اللواء المدرع التابع لمجموعة « يوفه » على طريق « العريش — أبو عجيلة » الى الجنوب من « بير الحفن » ومشاغلته للفرقة الثالثة مشاة التي كانت مرابطة في منطقة « جبل لبنى » كقوة احتياطية لمحوري « ابو عجيلة » و« العريش » ، وتأخر رد فعل هذه الفرقة ضد اللواء المذكور حتى ليلة ٦ حزيران (وهو التأخر الذي لعبت سيطرة العدو الجوية فيه دورا رئيسيا) أدى عمليا الى سهولة تطويق وعزل موقع « ابو عجيلة » عن طريق الجناح الشمالي اثر سقوط موقع « التل ١٨١ » المنعزل وسط كثبان الرمال بعيدا عن مساندة مدفعية موقع « أم قطف » ، وبالتالي حرمان حامية « ابو عجيلة » من اي مساندة من الفرقة الثالثة مشاة المذكورة . ولكن الامر الاكثر غرابة من جهة اخرى هو وقوف قيادة الفرقة الثانية مشاة في القسيمة موقفا سلبيا من معركة قواتها المحتدمة في « ابو عجيلة » خاصة وانه كان لديها قوة لا بأس بها من المدرعات والمدفعية على خلاف حال كتيبة الحرس الوطني وفصائل سلاح الحدود التي كانت في الموقع نفسه عام ١٩٥٦ . ان مصير أي موقع دفاعي ثابت في الصحراء ، أيا كانت قوة وصلابة موقف حاميته في التمسك به ، هو السقوط في وجه هجوم كبير معادي مهما طالت مدة المقاومة ما دام في امكان العدو تطويق الموقع من اجنحته ، وهو الامر الذي اثبتت خبرات ١٩٥٦ و ١٩٦٧ امكان وقوعه نظرا لعدم وجود موانع طبيعية قوية عادة في الصحراء ، متى قاتل هذا الموقع بصورة منعزلة

عن دعم المواقع الاخرى والقوى المدرعة والميكانيكية الاحتياطية ، خاصة اذا ما توفرت للعدو السيطرة الجوية على سماء المعركة ولم يكن يملك هو نفسه قـــوة مدرعة قوية ليستخدمها في هجمات معاكسة فعالة اثر انهاك هجوم العـــدو وتحطيم موجاته على اسوار او تخوم مواقعه الثابتة التي تلعب دور الـــدرع القوي بينمـــا تقوم المدرعات والتشكيلات الميكانيكية بدور السيف والفرسان القديم . ولذلك كان مصير موقع « ابو عجيلة ـــ أم قطف » حتمي في ظل الظروف الاستراتيجية والعملياتية المحيطة به ، حتى ولو ان قيادة الموقع كانت قد تداركت الكثير من نواقصها واخطائها التكتيكية المختلفة التي تجلت اثناء القتال ، وذلك مثل عدم استخدامها احتياطيهـــا المدرع في مهاجمة كتيبـــة «السنتوريون» التي اخترقت الدرب الشمالي ووصلت الى الطريق الذي يربط ابو عجيلة بالعريش بعد قضائها على « الموقع ١٨١ » ولو في هجوم ليلي لتجنب طيران العدو ، او مثل عدم ملاحظتها حركة مشاة العدو على الجناح الشمالي لاستحكامات موقع ام قطف أم اتخاذها اجراءات احتياطية مضادة كبث الغام او تسيير دوريات مقاتلة في المنطقة الخ، ذلك لان قيمة موقع دفاعي ثابت مثل ابو عجيلة وآثار فاعلية صمود حاميته (التي تجلت في عديد من الحالات التي يوضحها مجرى العمليات القتالية كما أوردته حتى الكتابات الاجنبية المتعاطفة مع العدو) لا تتحقق الا ضمن الايقاع العـــام لخطـــة دفاعية شاملة متكاملة الاركان ذات طابع ايجابي او حركي تلعب فيها المواقع المجاورة والاحتياطيات المتحركة دورها المنسق المشترك في ظل قدر معين بطبيعة الحال مـــن الوجود الفعال للسلاح الجوي ، والقيادة العامة الديناميكية المسيطرة على ادارة العمليات . وذلك كله لم يتحقق لمواقع مثل « ابو عجيلة » و« رفح » و« خان يونس » و« غزة » و«ممر خروبة» في حرب ١٩٦٧ ، رغم كل التضحيات وروح الفداء وصلابة الصمود التي أبدتها معظم القوات التي خاضت غمار القتال في هذه المواقع الدفاعية الثابتة في يومي ٥ و٦ حزيران عام ١٩٦٧ ، والتي برهنت عن وجود خامة طيبة وممتازة للجندية العربية تستطيع أن تحقق نتائج افضل بكثير لو تحققت لها ظروف استراتيجية ناجحة ومقدرة قيادية وتنظيمية ذات كفاءة عالية تستطيع استثمار الطاقات المتاحة لها على نحو سليم .

الخبرات الرئيسية لمعارك « ابو عجيلة » الثلاث :

يوضح لنا استقراء العمليات القتالية التي جرت خلال معارك ابو عجيلة الثلاث في حروب ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ أن هناك مجموعة من الخبرات والدروس والملاحظات الرئيسية يجب دراستها والاستفـــادة منها في مستقبـــل الصراع المسلح العربي ـــ الاسرائيلي يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

١ ـــ ان العدو الاسرائيلي يتحرك دائما وفق استراتيجية هجومية متكاملة الاركان تتيح له الحصول على المبادأة وحشد وتركيز قواه في النقاط التـــي يعطيه اختراقهـــا والاستيلاء عليها قدرة ومرونة أوسع في تنفيذ عملياته الهجومية الواسعة النطاق ، وذلك على خلاف الحال بالنسبة للقوات العربية التي يفرض عليها سلفا القتال ضمن أطار استراتيجية دفاعية محدودة النطاق تقوم على رد الفعل المحدود أكثر ما تقوم على الفعل الايجابي ، ولذلك يرسم مسبقا للقوات العربية القتال الدفاعي الثابت ، بينما يخطط العدو لقواته القتال الديناميكي المتحرك ويدربها وينظمها وفقا لاساليبه .

٢ ـــ ان العدو الاسرائيلي ينفذ استراتيجية عملياته الهجومية الميدانية هذه ضمن اطار استراتيجية عامة او مناخا استراتيجيا شاملا مناسبا وملائما لتحقيـــق النجاح لاستراتيجية وتكتيكات العمليات العسكرية التي ينفذها بالروح الهجومية سالفة الذكر ، ففي نهاية ١٩٤٨ كانت الجيوش العربية تعيش مناخ هزيمة عامة قبل ان تبدأ القوات الاسرائيلية هجومها الاخير الذي قطفت به ثمار هذا المنـــاخ ، فالدعم الاستعمـــاري

العسكري لاسرائيل تزايد في صوره المختلفة (سلاح وعتاد وخبرات وأموال) والتفسخ العربي وانعدام وحدة العمل كان قد بلغ في الوقت نفسه أقصى درجـــاته انخفاضا ، والطاقة والامكانات العسكرية النظامية كانت قد استنزفت تقريبا وكذلك كانت حالة انفصام الجماهير الشعبية عن نظم الحكم والقيادات السياسية العربية قد وصلت الى أقصى درجاتها ، فضلا عن ابعاد الجماهير الفلسطينية صاحبة القضية بشكل مباشر عن المعركة وتصفية جهودها المسلحة تماما ، وفي ظل هذا المناخ الملائم والذي يحكم بالهزيمة سلفا على القوات العسكرية النظامية في ميدان القتال المباشر ، تم تنفيذ « عملية عين » التي كانت في جزئها الخاص بالهجوم داخل سيناء مجرد اغـــارة كبيرة مرتجلة التنفيذ مليئة بالنواقص التكتيكية التي كان يمكن ان تنقلب بالعملية الى كارثة كاملة لو ان القوى المضادة لها كان لديها قدر أكبر من الامكانات المادية والقيادية ، ولكنها نتيجة لظروف الهزيمة الاستراتيجية المسبقة المشار اليها تحولت الـــى ضربة اقتراب غـــير مباشر استراتيجية ضد قوات الجيش المصري دفعت قيادته السياسية الى سرعة انهاء الحرب وتوقيع اتفاقية الهدنة الدائمة .

وفي ١٩٥٦ كانت مؤامرة العدوان الثلاثي المشترك بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل تشكل بوضوح مناخا او ظرفا استراتيجيا ملائما على المستوى الشامل للعمليات لتحقيق النجاح في عمليات القتال بسيناء رغم ان ما تجلى فيها من نقص في كفاية أساليب قتال وقيادة القوات الاسرائيلية كان كفيلا بتحديد نتائج هذه العمليات أو فشلها تماما اذا لم تقم ظروف التدخل والتهديد بالتدخل العسكري البريطاني ـــ الفرنسي المسبق ، خاصة وان الطيران الاسرائيلي لم يستطع ان يحقق سيطرة على الجو بقواه الخاصة قبل بدء الهجوم الجوي البريطاني ـــ الفرنسي وان الطيران المصري رغم نقص طياريه المدربين على « الميج » أثبت قدرة قتالية جيدة أتاحت له وجودا فعالا فوق سماء المعركة كان يمكن ان يوفر للمدرعات الاحتياطية مجالا للعمل المضاد المثمر . وفي حرب ١٩٦٧ تم الهجوم والخرق في ابو عجيلة ضمن اطار استراتيجي شامل ملائم من حيث ضعف او شبه انعدام الفعل المضاد المصري الناتج عن آثار الضربة الجوية الشاملة المفاجئة التي اصيب بها الطيران المصري قبيل بدء العمليات البرية ، وعن عدم وجود خطة استراتيجية مضادة متكاملة او عدم تنفيذها على الاقل من جانب القيادات المعنية ، وعـــن عدم استخدام الاحتياطيات المدرعة والميكانيكية كلية او استخدامها بضعف وعدم كفاية (مثل الفرقة الثالثة مشاة ميكانيكية في جبل لبنى) مما اكسب العدو تفوقا محليا في نقاط الاختراق الرئيسية (ابو عجيلة ورفح) ومنحه حرية الحركة والمبادأة وحرم الدفاع المصري العام مزايا صمود وعنف مقاومة المواقع الثابتة .

٣ ـــ توضح الدراسة المقارنة للمعارك الثلاث ان العدو الاسرائيلي كان يطور تدريب وتنظيم قواته ويستفيد من أخطائه ونواقصه ، خاصة عقب حرب ١٩٥٦ ودروس فشله الجزئي في اقتحام موقع « أم قطف » ، بينما لم يتطور اسلوب قتال الجيش المصري كثيرا رغم تطور تسليحه بشكل كبير في ١٩٦٧ بالقياس لظروف ١٩٥٦ و١٩٤٨ بطبيعة الحال وبصورة لا تقبل المقارنة . ولذلك لم ينجح العدو الاسرائيلي في تحقيق الخرق لموقع « أم قطف » عام ١٩٥٦ رغم تحقيقه تفوق محلي ضخم ، بينما نجح في خرق الموقع بسرعة نسبية عام ١٩٦٧ رغم اختلاف نسبة تفوقه المحلي عن عام ١٩٥٦ لصالح المصريين . لقد أثبتت وحدات المشاة والمدفعية المصرية كفاءة عالية في القتـــال الثابت في معركتي ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ وفي ١٩٤٨ ايضا عند العوجة ومشارف العريش، بينما لم تثبت المدرعات انها على مستوى المطلوب منها في قتال الصحراء سواء تكتيكيا او عمليا تيا . وعموما فقد أثبتت القوات المصرية عام ١٩٥٦ روحا هجومية اكثر بكثير مما حدث في معركة ١٩٦٧

اذ انها شنت وقتئذ بعض الهجمات المعاكسة رغم قلة وضعف امكاناتها المدرعة والمتحركة عما كان متاحا لها تكتيكيا واستراتيجيا عام ١٩٦٧ .

٤ ــ لقد أكدت خبرة معركتي « ابو عجيلة » عامي ١٩٥٦ و١٩٦٧ ، رغم اية نواقص او أخطاء اعترتهما ، ان في قدرة المواقع الدفاعية القوية المنظمة والمدافع عنها بعزم ان تضعف من حدة اندفاع الهجوم المدرع الميكانيكي وتلحق بقواته خسائر شديدة رغم الدعم والمساندة الجوية التي يتمتع بها ، وهذه خبرة ذات قيمة خاصة في استراتيجية حرب الشعب التي تمارسها الشعوب غير القادرة تقنيا على مجابهة قوى العدوان الاستعماري القادرة على ممارسة أساليب حرب الحركة الخاطفة بفضل تمتعها بتفوق تقني وقدرة تنظيمية وقيادية متقدمة بأساليب مماثلة ، وذلك عن طريق تسليح وتحصين كل قرية وبلدة بأسلحة دفاعية ليست بالضرورة ان تكون متقدمة تقنيا بدرجة كبيرة (الغام وحفر مضادة للدبابات وبازوكا ومدافع مضادة للدبابات وهاونات ورشاشات خفيفة ومتوسطة الخ) بحيث تشكل شبكة متكاملة في العمق والاتساع تكبد القوات الميكانيكية المهاجمة خسائر شديدة وتسلبها فرصة تحقيق النصر الخاطف او السريع ، فيصل سهمها المدرع المتقدم في نهاية الامر فاقدا لقوته وسرعة اندفاعه فتستطيع القوى الاحتياطية الضاربة المحدودة القدرات التقنية او الكمية ان تنزل هزيمة حاسمة بها في نهاية المطاف ، وهذا ما كان يمكن ان يحدث في سيناء عام ١٩٥٦ او ١٩٦٧ ، حتى في صورة الحرب النظامية التي كانت سائدة خلالهما ، لو ان مواقع الخط الثاني او الثالث مثلا كانت منظمة جيدا ولديها نية القتال والصمود مثل مواقع الخط الاول ، ولكن الذي حدث انه بمجرد ان كان الخرق المعادي يتحقق في مواقع الخط الاول ، وهو أمر ممكن دائما نظريا بسبب اخذ العدو للمبادرة الهجومية التي توفر له ميزة تحقيق تفوق محلي في نقاط الخرق ، فان مواقع الخط الثاني كانت تتفكك بسرعة بسبب عدم اعدادها مسبقا بصورة جيدة ونظرا لسيطرة فكرة الانسحاب الاستراتيجي على القيادة العامة اثر احساسها بفقدان السيطرة الجوية ونجاح العدو في اختراق دفاعات الخط الاول الثابتة قرب الحدود ، ولذلك كانت هذه القيادة تبادر بسحب قوات الخط الثاني والاحتياطي المتحرك فتعرضها بصورة اكثر خطورة لقصف الطيران المعادي المسيطر ولمطاردة مدرعات العدو ، التي كان يمكن ان تتعرض لخسائر فادحة وربما لهزائم اذا ما اشتبكت معها مواقع الخط الثاني في معارك شديدة مثل تلك التي واجهتها عند الخط الاول ، واذا ما دخلت معها حشود المدرعات الاحتياطية في معارك متلاحمة يصعب فيها على الطيران المعادي التدخل الفعال خاصة اذا ما تمت هذه المعارك خلال الليل . وفي هذه الحالة كان العدو سيضطر الى تغيير خططه للاستيلاء على سيناء في مرحلة عملياتية واحدة ، الامر الذي يفقده ميزة انهاء القتال بسرعة ويعرضه بالتالي لامكان فقد هامش حرية العمل المحدود نسبيا الذي كفلته له المناورة الخارجية التي يقوم بها عشية واثناء هجومه الخاطف . لقد خسرت القوات المصرية خسائر شديدة دون مقابل في اثناء انسحابها السريع بصحراء سيناء (خاصة في ممر متلا) وكان يمكن بقدر اقل من هذه الخسائر تحقيق نتائج افضل لمجرى القتال فيما لو قاتلت هذه القوات في عمق سيناء بمثل ما قاتلت به من صلابة وصمود عند « ابو عجيلة » و« رفح » .

---

١ ــ Kimche, Jon, David, *Both Sides of the Hill*, London, Secker & Warburg, 1960, p. 243.

٢ ــ Kursman, Dan, *Genesis 1948*, New York, World, 1970, p. 643.

٣ ــ Hart. Liddel, Strategy, *The Indirect Approach*, Appendix II, London, Faber, 1967, p. 407.

٤ ــ لورينج، نتنال ، **احداث حرب الاستقلال** ،

بالعبرية ، تل ابيب ، ١٩٦٦ ، صفحات ٤٧٦ ، ٤٧٧ .

٥ ــ **المراجع السابق** ، ص ٤٨٠ ، ٤٨١ .

٦ ــ **المرجع السابق** ، ص ٤٨٣ .

٧ ــ عبد المنعم ، محمد فيصل ، **أسرار ١٩٤٨** ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٨ ، ص ٥٩٢ .

٨ ــ **المرجع السابق** ، ص ٥٩٤ .

٩ ــ كيرزمان ، دان ، **المرجع السابق** ، ص ٦٦٠ .

١٠ ــ لورينج ، نتنال ، **المرجع السابق** ، ص ٤٩٧ .

١١ ــ **المرجع السابق** ، ص ٤٩٨ .

١٢ ــ Dayan, Moshe, *Diary of the Sinai Campaign*, London, Weidenfeld & Nicolson, 1960, p. 220, 221.

١٣ ــ O' Ballance Edgar, *The Sinai Campaign 1956*, London, Faber, 1959, p. 95.

١٤ ــ ديان ، موشي ، **المرجع السابق** ، ص ٨٥ .

١٥ ــ Love, Kennett, *Suez the Twice-Fought War*, London, Longman, 1970, p. 538.

١٦ ــ ديان ، موشي ، **المرجع السابق** ، ص ٩٣ .

١٧ ــ ديان ، موشي ، **المرجع السابق** ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

١٨ ــ لوف ، كينيت ، **المرجع السابق** ، ص ٥٣٩ .

١٩ ــ بالانس ، ادجار ، **المرجع السابق** ، ص ١٤١ .

٢٠ ــ **المرجع السابق** ، ص ١٢١ .

٢١ ــ ديان ، موشي ، **المرجع السابق** ، ص ١٠٥ .

٢٢ ــ **المرجع السابق** ، ص ١٠٧ .

٢٣ ــ بالانس ، ادجار ، **المرجع السابق** ، ص ١٢٩ .

٢٤ ــ ديان ، **المرجع السابق** ، ص ١٢٠ .

٢٥ ــ بالانس ، ادجار ، **المرجع السابق** ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .

٢٦ ــ لوف ، كينيت ، **المرجع السابق** ، ص ٥٤١ .

٢٧ ــ ديان ، موشي ، **المرجع السابق** ، ص ١٢٣ .

٢٨ ــ **المرجع السابق** ، ص ١٢٤ .

٢٩ ــ **المرجع السابق** ، ص ١٢٦ .

٣٠ ــ لم تنشر حتى الان أي كتابات رسمية او شبه رسمية من كلا الجانبين الاسرائيلي والمصري توضح تفاصيل القوات المشتركة في الحشد لدى الطرفين مثلما هو الحال بالنسبة لحرب ١٩٥٦ حيث تعتبر « يوميات موشي ديان » بمثابة تقرير اسرائيلي شبه رسمي ويعتبر كتاب « كينيت لوف » « حرب السويس التي اشتعلت مرتين » تقريرا مصريا شبه رسمي ، ولذلك فان معلومات ميزان القوى عن حرب ١٩٦٧ ذات طابع تقريبي .

٣١ ــ O' Ballance Edgar, *The Third Arab-Israeli War*, London, Faber, 1972, p. 101.

٣٢ ــ **المرجع السابق** ، ص ١٣٣ .

٣٣ ــ **المرجع السابق** ، ص ١٢١ .

٣٤ ــ Churchill, R, W.S., *The Six Day War*, London, Heinemann, 1967, p.119.

٣٥ ــ بالانس ، ادجار ، **المرجع السابق** ، ص ١٣٣ .

٣٦ ــ **المرجع السابق** ، ص ١٣٣ ، ١٣٢ .

٣٧ ــ **المرجع السابق** ، ص ١٤٩ .

٣٨ ــ **المرجع السابق** ، ص ١٣٤ .

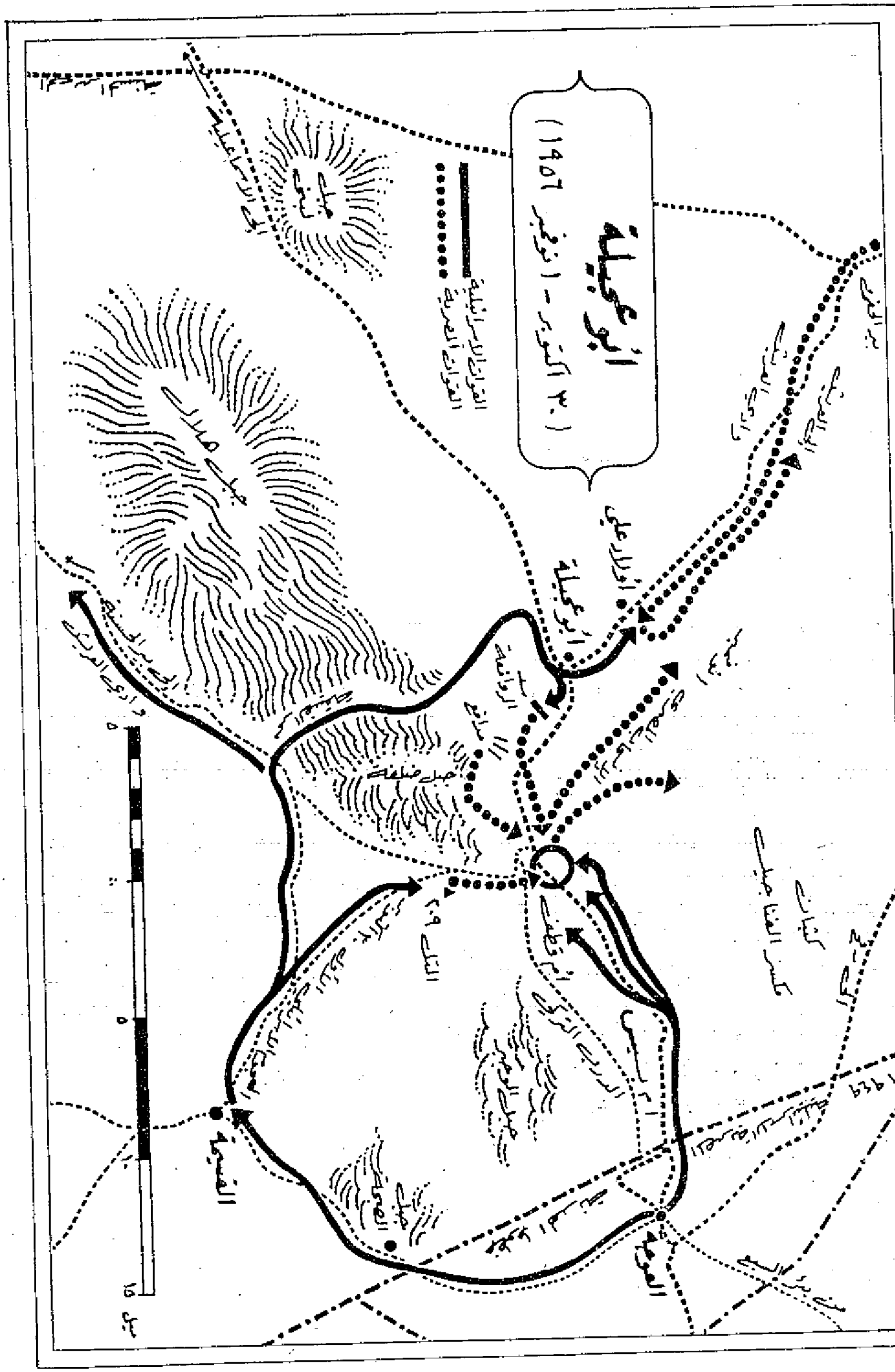
أبو عجيلة
(٣٠ أكتوبر - ٢ نوفمبر ١٩٥٦)
القوات الإسرائيلية
القوات المصرية
القسيمة
أبو عجيلة

معركة ابو عجيلة ١٩٦٧

مرحلة الانتقال في الادب الاسرائيلي المعاصر

الدكتور رشاد الشامي

تنشر « شؤون فلسطينية » في هذا العدد القسم الاول من دراسة الدكتور رشاد الشامي وهو عن « أيام تسيكلاج » وسوف تنشر القسم الثاني والاخير من الدراسة في عدد قادم .

(١) « أيام تسيكلاج » لسيملانسكي يزهار وأدب التخبطات والشكوك

ان محاولة وصف « الانتقال » من الادب العبري الذي كتبه ابناء « جيل البلاد » الذين كانت باكورات انتاجهم في الاربعينات واستمرت خلال الخمسينات ، الى نثر جيل « الموجة الجديدة » الذي كانت باكورات انتاجه في اواخر الخمسينات وما زالت مستمرة حتى الان ، هذه المحاولة تنطوي على صعوبات كثيرة . وأولى هذه الصعوبات أن هذا التيار الادبي الاسرائيلي المسمى « الموجة الجديدة » ما زال في طور التكوين ، وهو الامر الذي يجعل التعميم في محاولة وصف الصورة ينطوي على بعض المبالغة أو على قدر من الخطأ — ولكن على الرغم من ذلك فان الصورة المتكونة حتى الان تسمح ، مع بعض التجاوز ، بالتعميم الذي يكفي لاعطاء صورة شاملة هي بالتحديد الملامح الاساسية لادب هذا الجيل ، وعلى اي حال ، فاننا سنحاول ان نضيء من خلال هذا العرض لمرحلة الانتقال في الادب الاسرائيلي المعاصر جوانب مختلفة في « جيلي » الادب : « جيل البلاد » و « جيل الدولة » (« الموجة الجديدة ») ، ونفحص ديالكتيك نمو الاجيال الادبية في اسرائيل .

السمات المشتركة بين ادباء حرب ١٩٤٨

هل هناك صفات مشتركة للادباء أمثال يجال موسيشون ، وموشي شامير ، وأهارون ميجد ، وناتان شاحام ، وحانوخ برطوف ، وسيملانسكي يزهار(١) وغيرهم من ادباء « جيل البلاد » ؟ ما هي الصفة المشتركة التي تجمع الاعمال الادبية : « فصول اليك » لموسيشون ، و « ذاهب في الحقول » لشامير ، و « حدفا وأنا » لميجد ، و « ديجن وعوفارت » لشاحام ، و « الحساب والنفس » لبرطوف ، و « أيام تسيكلاج » ليزهار ؟

قبل ان نخوض في هذا الموضوع يجدر بنا أن نحيط بالمناخ العام الذي ميز الادب الاسرائيلي في تلك الفترة .

لقد كان الموضوع الذي دخل به الادب الاسرائيلي الى هيكل الحياة الادبية في الفترة الحديثة ، والذي اكتسب به طابعه الخاص ، هو الصراع الاجتماعي — السياسي ضد سلطات الانتداب البريطانية ، وحرب عام ١٩٤٨ ، أو بدقة أكثر ما يسمى بالصراع مع مجموعة القيم القومية والاجتماعية التي تجلت في ذلك الوقت في الايديولوجية

الصهيونية »(٢). وبعد اعلان قيام اسرائيل ، لم يتوقف الادباء عن تناول هذه الموضوعات وذلك بمثابة « لاوعي » يؤدي اليه اي انعكاس معقول أو ملائم — واذا اعتبرنا ان النقطة الفاصلة بين أدباء جيل « البالماخ » وأدباء جيل « البلاد » هي حرب ١٩٤٨ ، فانه من المؤكد أن حرب ١٩٤٨ ، لم تكن مجرد موضوع مناسب للوصف والقص فقط ، بل كانت حدثا غير الى حد غير قليل من ملامح الشخصية المبدعة في الادب الاسرائيلي . وعلى هذا الاساس تتحدد أهمية حرب ١٩٤٨ في التأثير على الموضوعات التي تناولها الادب العبري اعتبارا من الخمسينات ، وعلى الجيل الاسرائيلي الذي شكلت الحرب بالنسبة له المحك الاول ، الشخصي والعام ، لاختبار القيم والمثاليات التي غذته بها الحركة الصهيونية .

الاساس الاجتماعي

ومن أجل فهم هذا يجدر بنا أن نقف على الاساس الاجتماعي لمجموعة الشبان اليهود الذين ولدوا في فلسطين وشكلوا طليعة الادباء الاسرائيليين الذين ناقشوا القيم التي لم تكن من قبل قابلة للمناقشة . أولا ، لقد كانت هذه المجموعة عبارة عن مجموعة من الفتيان من أبناء الاسر الموسرة ان قليلا او كثيرا ، أسر من مهاجري اوروبا ، كان بامكانها ولديها الرغبة في أن تتيح لابنائها فرصة التعليم المنتظم . وكانت معظم هذه الاسر ، من عناصر الهجرتين الثانية والثالثة التي قامت بجهد كبير في تدعيم الاستعمار الصهيوني استيطانا وايديولوجيا في الارض السليبة . ولهذا السبب فانهم كانوا يسعون طوال ايامهم الى الا يجعلوا ابناءهم يمرون بمعاناة التكيف التي مرت بهم ، وكانوا يسعون كذلك الى منعهم من التخلي عن الامنيات الشخصية ، مثل الثقافة ، والحرفة والمستقبل الحياتي . وبالاضافة الى هذا سعى الاباء بجهد زائد الى تلقين أبنائهم عناصر ما يسمى بالايديولوجية الصهيونية والاشتراكية ، ولم يستطيعوا ان يقفوا في طريقهم حينما خرجوا بعد سنوات الدراسة الى « التطبيق » . وبالرغم من انه لم تكن هناك محاولة لتحديد طريق حياة الابن الى هنا او هناك بصورة قاطعة ، الا أنه كان من الواضح ، ان جيل الاباء كان يعمد الى اطالة فترة اعداد الفتى من اجل الحياة، وتجنيبه التعرض لهوان حرب الحياة وعبء ضرورة اتخاذ قرارات شخصية قاطعة وهو على عتبة فترة الشباب . لقد كانت العجلة في نظرهم من شأنها ان تثير الندم . ولذلك فقد أتيح للفتى ان يحصل على خبرة حيثما يشاء دون ان يلتزم بصفة نهائية بأي شيء . ومن هنا ذلك الاحساس الذي يميز هذه الجماعة ، وهو احساس واضح في انتاجهم الادبي ، وهو انهم غير ملزمين باتخاذ قرار ، وانهم لهم الحق في الحيرة وخوض « التخبطات » ، وان كل خطوة يخطونها في طريقهم ، في هذه الفترة بالذات التي تصوغ سنوات الشباب ، ليست خطوة الزامية . وعلى هذا الاساس ، فقد كان هؤلاء الشباب شركاء في كل المشروعات والاحداث الصهيونية ذات الاهمية في فلسطين ، وأدوا دورهم فيها « باخلاص » وتفان . وعلى الرغم من ذلك ، فان هذا الامر لم يكن فيه ما يحدد طريقهم ويصوغ بصفة نهائية شخصيتهم بوجهات نظرها ومشاعرها . اذن يمكن القول ، بأن هذا الامر ، كان بمثابة « غزل » مع طابع الحياة ومع المثالية الاجتماعية القومية ولكنه لم يكن يشكل ما يمكن ان نسميه حبا حقيقيا . لقد كان ينقصهم هنا الالتزام النهائي الذي يصاحبه القرار القاطع والالتزام بالمسؤولية ، على الرغم من الحماس الصادق والاقتناع العقلاني . لقد كان بيت الآباء المستعد دائما للمساعدة موجودا في المؤخرة ، وكان منه ينبثق الاحساس بأنه على الرغم من كل هذا ، لم يتخذ أي قرار حاسم ، وأن الاحتمالات المختلفة ما زالت موجودة كما هي .

ولم يكن منزل الآباء فقط هو الذي يثير هذا الاحساس . لقد كانت « الحركة » التي وجدت هذه الجماعة طريقها اليها ، والتي وصلت بواسطتها الى الاعداد المجند ، والى

حياة الكيبوتس ، مسئولة الى حد بعيد ايضا عن هذا ، وعلى الرغم من انه يبدو ، أن الخروج نفسه الى « التطبيق » ، ومغادرة بيت الآباء ، ينطوي على ما هو بمثابة قرار وعلى الاعتماد على النفس ايضا ، الا انه ليس فقط ان القرار لم يكن نهائيا ، بل كان كذلك الاعتماد على النفس وهميا هو الاخر . لقد كان اطار الاعداد المجند يعمل هو الاخر بمثابة حاجز بين الفرد وبين محنة مستلزمات الحياة . ولهذا السبب ، فان سنوات الاعداد المجند والسنوات الاولى لحياة الكيبوتس لم تكن هي الاخرى سوى مهلة اخرى لفترة التمعن والاعداد ، وبمثابة دهليز يستمر أكثر من اللازم للحياة التي تبدأ « بعد ذلك » بشكل غير محدد وبدون معنى . وكان هناك كذلك جانب آخر لتأثير حركة الشباب الصهيونية على هذه المجموعة . لقد كانت غاية هذه الحركة هي منح وجهات نظر ومناهج حياة ، بوسائل تعليمية تخلط التعليم والاقناع العقلاني بالبهجة الروحية للشباب التي تأسر اللب . ولم يكن الفتى « عضو التنظيم » في صفوف حركة الشباب سوى متلق ومحل اهتمام ، دون أن يكون ملزما بطرح وجهات نظره من خلال تجربة حياته المباشرة ، وكذلك دون أن تتاح له الفرصة ليحصل على تجربة مستقلة في الحياة ، يمكنه عن طريقها ان يوجه نقدا أيا كان . انه يقتنع بسهولة ويحصل على أيديولوجيته وعلى طريقه في المجتمع وفي السياسة نتيجة لتجربة حياة تمرس بها الاخرون واستنتج منها الآخرون استنتاجاتهم . ولذلك ، فليس هناك ما يدعو للدهشة ، اذا ما بدا الايمان والتفاني الصادقان في حد ذاتهما ، للفكرة ولمنهج الحياة ، بمثابة غزل وليس حبا . لقد كان هناك حماس ، وكان هناك صدق ، ولكن لم يكن هناك التقرير الشخصي الذي يأتي نتيجة للتجربة الحية وللمواجهة المباشرة . وبالطبع ، فان مثل هذه الحالة غير محتملة الا حينما تكون الايديولوجية طابعا مفروضا على تجربة الحياة المستقلة للفرد ، وهو ما ينطبق على الصهيونية وموقفها من هذا الجيل اليهودي ، جيل الابناء .

أثر الحرب

وعلى هذا الاساس ، يجب فهم مغزى حرب ١٩٤٨ ، لدى هذه المجموعة من الادباء والشعراء الاسرائيليين الذين ولدوا في فلسطين . لقد كانت هذه الحرب على الرغم من فترتها القصيرة بمثابة التجربة المستقلة الاولى من الناحية الشخصية ومن الناحية العامة . ان الجدية المطلقة في مواجهة الموت وجها لوجه قد أحدثت خللا في قواعد اللعبة ، وأصبح الغزل الموجه للهدف ولمنهج الحياة ، على الرغم من انه لم يكف عن أن يكون غزلا ، أصبح خطيرا ومتعدد المسئوليات . لقد كانت هذه هي المرة الاولى التي يستيقظ فيها وعي مسئولية الفتى عن نفسه ، وهو الامر الذي أدى الى صدام صريح مع الميول الشخصية والرغبات الشخصية . وعلاوة على ذلك : صحيح ان الحرب لا تضع الفرد أمام قرارات حاسمة لها أهمية في تحديد نهج حياته في المستقبل ، ولكنها تضع الفرد أمام قرارات حاسمة بالنسبة للموقف الذي يتعرض له . وهذه المواقف الفورية تكون أحيانا مصيرية بالفعل : الحسم في المعركة التي تنطوي على الجراة والتضحية الشخصية ، او الحسم الاخلاقي في السلوك تجاه صديق أو تجاه عدو ، وفي عمليات الحسم هذه ، والتي تكون فيها المسئولية الشخصية المباشرة عبئا ثقيلا للغاية، لا يكون لدى الفرد ما يستند اليه سوى نفسه . انه يدفع الى اكتشاف شخصيته في محك الحسم وان كان يجب بالطبع الا نتوقع منه في هذه الظروف انعكاسا لا راديا عقلانيا يؤدي في النهاية الى صياغة مستقلة لايديولوجية . والشيء نفسه ينطبق على المستوى العام ، مستوى المجموع . ان حرب ١٩٤٨ ، على هذا النحو ، كانت هي الحدث الذي أتاح للفتى الاسرائيلي الذي ولد على أرض فلسطين ، الفرصة الاولى للوقوف في مواجهة اتخاذ قرار مصيري وحاسم ، ولتذوق طعم المسئولية المباشرة .

وهذه العناصر واضحة تماما في الموضوعات الاولى للادب الاسرائيلي الفتي وفي جملة المشاكل التي كان يعاني منها في طوره الحديث الاول . لقد كان هذا الادب منذ البداية أدبا ذا موضوعات واضحة امامه . ويرجع هذا الى انه كتب في ذروة حدث تاريخي ، واستقى من هذا الحدث بصورة مباشرة معظم موضوعاته ، وبدقة أكثر .. لقد فرضت عليه موضوعاته ، دون ان يتاح للاديب فرصة الاختيار . ولهذا السبب فان الحبكة الروائية للقصص الاولى كانت مبلورة في غالب الاحيان . ولم يكن سبب هذا التبلور هو التصوير الفني الموجه فحسب، بل الواقع الاجتماعي السياسي الذي كانت عملية فرض « القيم » واضحة فيه ولا مجال للحيدة عنها ، وفي مقابل هذا ، فان طابع الابطال الموصوفين في هذه القصص كان ضعيفا وغامضا ، ولم يكن تدخل الاديب في الحبكة الروائية المقصوصة يبتعد عن مجمل الاراء المثالية الشائعة عن مشاكل الفرد والمجتمع، وهي الآراء المستعارة من « ايديولوجية » مألوفة تعلم على أسسها كل من الاديب وأبطاله ، على الرغم من الميل الى النقد المتردد لما هو موجود .

وبالفعل فان هاتين الصفتين : الحبكة الروائية التي تفرض نفسها بميلها الواضح ، ووهن الشخصية التي ينجرف في سياق هذه الحبكة دون أن تحظى بأن تكون عنصرا صائغا للاحداث — هما اللتان تخلقان باندماجهما معا الطابع الخاص للادب العبري خلال الخمسينات والستينات . ان هذا الادب هو أدب « تخبطات » ليست لديه لا الجراة على الانقضاض النقدي المباشر ضد التجربة الاجتماعية المثالية المفروضة عليه، ولا القوة كذلك على التسليم بها من خلال الاستجابة الشخصية والاقتناع الشخصي بها بصورة كاملة . ان الادباء وابطالهم يعترفون وهم في حيرة من أمرهم ، تكاد تتحول بمرور الايام الى احساس بالذنب ، باستقرار ما يسمى « بالقيم الاجتماعية والقومية »، التي تعلموا على اساسها في بيت الاباء ، وفي المدارس ، وفي حركة الشباب والاعداد ، ويعترفون كذلك بحيوية الاهداف الاجتماعية والقومية التي يصفون الصراع من أجل تحقيقها . ولكنهم على الرغم من هذا يطوون في قلوبهم رغبات أخرى - وآمالا أخرى ، بعضها كان الصراع نفسه ، دون أي ارتباط بأهدافه ، يرضيها ، وهي رغبات فترة الصبا المنصرمة وآمالها (الصداقة والحب والجراة والمغامرة) ، ولم يكن البعض الاخر ، يرضيها الصراع ، وذلك لانه كان يدفع جانبا ويهمل (الرغبة في الثقافة ، والعمل الفني ، وفي طابع حياة اكثر خصوصية) . ولذلك ، فانه لا عجب ، في أن الشخصية التي تظهر في هذه القصص ، هي شخصية ابعد ما تكون عن النضوج . ان هذا الادب ليس الا صوت صراخ خافت لحيرة منطوية على نفسها سرعان ما تصبح « قيمة » أدبية ، بمثابة جرعة مخلوطة بالشفقة الذاتية وبالوعي بميزة القيمة العقلانية، لا تحتاج الى قرارات ، ومن الممكن العب منها حتى الثمالة .

وهذا هو حسبما يبدو ، المناخ الروحي ، الذي تشكل فيه انتاج س. يزهار بتخبطاته وترددات ، والذي ينمو فيه بطله المميز الذي لا يملك لا قوة التقرير ولا حتى الرغبة في اتخاذ القرار . انه يرسم له بشكوكه الدائرة المألوفة ، تلك الدائرة التي يدور في فلكها بأمان . انه يبرر بشكوكه انعزاله ويسلم ببيئته ، التي لم يتمرد عليها حينما حافظ على الحق في الوقوف في وسطها جانبا . ان حق اتخاذ القرار هو أبدا من حق البيئة الخارجية (المجتمع ، والمجموع والقائد) ، ولكن الفرد ليس له الحق الا في التخبط حينما يستجيب لهذه القرارات .

ونحن نقرأ مثلا في « قافلة منتصف الليل » (١٩٥٠) ليزهار فقرة تكشف عن هذه الرغبة الجامحة في التملص من اتخاذ القرار عن طريق القاء العبء على المجموع « ثارت رغبة في أن يكون في قلب كل الاعمال التي ستتم هنا ، وأن يأخذ ، وينظم ، ويعمل .

لن يسبق بتأييد أي عمل ، ان ينغمس في التيار المأمول بجوار التل ، قبل ان يمر ويشق طريقه . أين أضع هذا ؟ دار شخص ما بالقرب منه . وأجابه باختصار « أترك هذا فوق » . صوت عمل آخذ في التكوين ، ها هنا تبدأ الاشياء »(٣) ان المتعة الواضحة ، لان يكون في « قلب الاعمال » والاحساس بالتجاوب الايجابي مع المجموع — هما قيمتان تعلم عليهما هذا الادب . ان « القافلة » ، المجموعة الاجتماعية ، أهم في نظر هذا الادب من الفرد ، لانه في مجمله أدب « مجند » أو تعبير اخر « أدب موجه » . وحتى حينما يكون الفرد متشككا ، ومترددا ، فانه تكون هناك قيم اجتماعية يستمتع الفرد بالتضحية بنفسه من أجلها وفي وسطها ، « قال تسيليا في نفسه : ان معظم الاشياء التي في العالم هي محل شك لدي ، ليس واضحا ما اذا كانت هذه حيرة أم عجز — ولكن لدى القافلة فان هذا شيء آخر ، انها تسير مباشرة فوق الشكوك والترددات والعجز ، وتعبر وتصل آمنة ، فسأبقى في قافلتي وستصل الى هدفها »(٤). ان المجموع يعفيه تماما من لحظة الحسم واتخاذ القرار ويجعله يتخلص من أحاسيس الشك والعجز ، ولذا فانه يجد أنه من الاحسن له أن ينجرف وسط القطيع ، ويصبح جزءا منه ، لانه بلا شكوك وبلا عجز ، ولانه لا يناقش القيم ولا يخضع المثاليات للحكم على ضوء التجربة أيا كانت .

وقصص يزهار ، على الرغم من انها تعبير مميز بصفة خاصة لهذا المناخ الروحي ، الا أنها ليست الوحيدة في هذا المجال ، فبصورة لا تقل عنها ، يمكن ان نفسر على هذا الاساس ، الانتاج الاولي لادباء مثل : يجال موسينسون (من مواليد ١٩٢٠) ، الذي يميل الى نقد الواقع ، دون أن يهز بناء ما يسمى « بقيم » هذا الواقع في حد ذاته، ولكنه يميط اللثام عن الجانب الاخر من الحياة الجارية، ومثل ناتان شاحام (من مواليد ١٩٢٥)، الذي يميل الى تأييد الواقع الموجود ، لانه يجد في الصراع ذاته تحقيقا للرغبات الشخصية ، التي ليست لها صلة حتمية بأهداف الصراع ، وكذلك مثل موشي شامير (من مواليد ١٩٢١) ، الذي يعتبر واقع التخبطات والاحزان النفسية غريبا عنه في كتاباته الاولى ، ان بطل « ذاهب في الحقول » الواثق بقراراته والمبلور بطابعه هو الاخر يعاني (وان كان دون ميل للانعكاس الارادي) من التوتر بين المطالب العامة والميل الشخصي الغريزي ، وهي المطالب التي تتشابه للحظة فقط . وفي اللحظة التي يتكشف فيها الصدام بين الميل الشخصي وبين المطلب الاخلاقي للمجتمع في حقائق لا يمكن التخلص منها ، يتضح للقارىء انه ليس بعد امام شخصية متطورة ، ذات طابع مبلور بما فيه الكفاية ، بل هو في أغلب الاحيان امام خليط من الدوافع الاولية غير المتوازنة التي يظهر فيها بوضوح ضعف ووهن خط الذاتية — وهو الخط الذي يتحطم لدى ارتطامه بالموقف المعقد . ان أي محاولة تخرج عن نطاق المألوف وتحتاج الى اتخاذ قرار شخصي مسؤول — هي محاولة تفوق قدراته .

وهذه الصفات تظهر بوضوح في أدب حرب ١٩٤٨ . ان الحرب تبلور مواقف تواجه فيها الشخصية المترددة عملا صارما في اوامره وفي متطلباته . ولكن من الممكن ان نميز فيه مع كل هذا تغييرا ما . وبالطبع ، فاننا يجب الا نتوقع من القصص التي تكتب في ذروة الاحداث الكبيرة ، او بعد فترة زمنية قريبة منها ، تمييزا منظوريا للعمل .

ان الاعمال تفرض الان نفسها على الاديب ، لدرجة انه يبدو ، انه ليس هناك فارق بين القصة وعرض الاحداث الذي يذكر الحقائق على النحو الذي حدثت عليه سوى التعبير عن مشاعر حادة تصاحب المقاتل وقت القتال . وحيث أن المقاتل لا يجد مجالا لنقد ضرورة الحرب ، والاحتجاج عليها بشكل ايجابي ، فانه يرتد الى داخل نفسه وينطوي على ذاته ، ولا يكون هناك طريق له للخلاص بتوجيه تهمة كبيرة الى القيادة . ولكن مع ذلك ، فان هذا الاهتزاز الذي يصيب شخصية بطل أدب حرب ١٩٤٨ ، كان

فيه ما يرغم الفرد على التحرر ، ولو لفترة بسيطة ، من الاطار المفروض عليه والذي تكونه مجموعة « القيم » التي لقنه اياها الآخرون .

وقد اصطلح نقاد الادب الاسرائيلي المعاصر لدى بحثهم هذا الموقف من جانب بطل ادب حرب ١٩٤٨ على تفسيره بأنه صراع أو صدام بين مجموعة « القيم » التي تحتويها الايديولوجية الصهيونية وبين الواقع المرير الذي جابهته لدى محاولتها اغتصاب فلسطين من أهليها ، والسلوك المشين اللاأخلاقي الذي أجبرت من لقنتهم هذه « القيم » على أن يقوموا به من أجل تحقيق أطماعها . وعرض الامر على هذه الصورة يجعل المرء يقع في أحبولة أن « القيم » في حد ذاتها انسانية ومثالية ، بينما الخطأ كل الخطأ قد وقع في أثناء محاولة بلورة هذه « القيم » أو ما تدعو اليه من واقع حي ملموس ، من خلال منطق « اللاخيار » الذي لا يكفون عن ترديده لتبرير هذا الذي يسمى بالصدام بين « القيم » و« الواقع » .

وهذا الصدام المصطنع الذي يعرض بين « القيم » والواقع في الادب ليس في حاجة الى تعمق زائد من أجل ادراكه . انه يلمس على الفور ويصاغ بسهولة بواسطة الاصطلاحات العادية لدى الاديب ، ولذلك فان أدب هذه الفترة يزخر بالنقد الجريء والصارخ . ولكن من السهل أن نشعر كذلك بأن الاهتزاز الاخلاقي يعبر عن تغيير شخصي أشمل . ويمكن الوقوف على ذلك من خلال اتجاه النقد ، الذي لا يوجه في أكثر ظواهره حدة (كما في قصة « خربة خزعة » و « الاسير » للكاتب س. يزهار ، وقصص ن. الوني القصيرة ، وقصة متاي ميجد « البرج الابيض » الى الخارج بل يتم من خلال السعي لاتهام الذات (الماسوشية) الذي تتداخل فيه الحيرة التي تدعو الى الدهشة مع الجرأة الاخلاقية . ان الحرب تجعل الاديب وأبطاله يكتشفون أنفسهم بضوء لم يتوقعوه على الاطلاق : في ضعفهم ، وفي وهن قوة جسمهم ، وفي الاحساس بانعدام الصلاحية الشخصية وفي قوة الغرائز التي تخرس صوت ضميرهم . اذن فليس فشل وجهة النظر التي تعلم عليها البطل التقليدي لأدب حرب ١٩٤٨ هو ما يصفه هذا الأدب وهو ما ينبري لمهاجمته . أن النقد الذي يعبر عنه هذا الادب ليس فيه الا الكشف الاولي ، غير المتوازن وغير الواضح ، لهزة اللقاء المباشر للبطل مع شخصيته هو ، ذلك اللقاء الذي يدرك فيه ، على أساس الاحساس بالفشل الاخلاقي ، اختلافه عن جيل آبائه وعن معتمديه . انه ليس حسب عقيدتهم ، ولا هو حسب عقيدته هو وأمنياته . ان حياته موجهة في اتجاه آخر ، وان كان لا يعرف أن يسمي هذا الاتجاه باسمه ويحدد اتجاهاته. ان معيار نقده تجاه الخارج هو بقدر معيار الاحساس بالذنب واللاشفافية تجاه الداخل، ولكنه مع كل هذا يقبل في النهاية بكل ما لقنوه اياه ، على الرغم من كل التشنجات والتخبطات . وحتى في أقصى حالات الاختبار تطرفا ، لا يكون هناك مجال بعد للتحدث عن تعبيرات الشخصية المستقلة الواضحة في كتابات الادب الاسرائيلي بعد حرب ١٩٤٨. ان هذه الشخصية تظل خاضعة للفعل الخارجي ، الذي قدرته على كشف حياة البطل الداخلية ضئيلة للغاية ، وهي الحقيقة التي تحدد كذلك قيمة الانجاز الفني .

أدب حرب ١٩٤٨ وملامحه الجديدة في مرحلة الانتقال

يرى ايلي شبير أنه ، « من الاشياء الواضحة في أدب حرب ١٩٤٨ ذلك الانتظام الشخصي المستقل تجاه « القيم » وتجاه الاعمال التي تستوجبها هذه « القيم » ، ولكن هذا الاستقلال لم يبرز الا حينما وضع الشخص في الاختبار خلال موقف متطرف ، **ولم يتجل الا في التلويح ضد الايديولوجية التي لم تستطع أن تبرر الاعمال التي قامت بها لكي تحقق أهدافها** »(٥). وهذا الذي يقوله ايلي شبير هو ترديد لما سبق أن أشرت اليه ، من أنه النغمة السائدة بين النقاد الاسرائيليين لدى التعرض لنماذج أدب حرب ١٩٤٨ . ان

شبير يصور الانتظام الشخصي المستقل للفرد وكأنه قد حدث نتيجة لتعارض قيم الايديولوجية الصهيونية مع الاعمال التي أجبرت هذه الشخصيات على القيام بها لتحقيق أهداف هذه الايديولوجية . والسؤال هنا ، هو أي تعارض ذلك الذي حدث بين « القيم » المشار اليها وبين الاعمال ؟ الم تدع الصهيونية الى اغتصاب الارض الفلسطينية ؟ الم تدع الصهيونية الى طرد الانسان الفلسطيني من أرضه ومن دياره ؟ الم تكن تدعو الصهيونية الى اقامة دولة يهودية خالصة في فلسطين؟ اذن أين التعارض ، وأين الصدام هنا ؟ ان الصدام أو التعارض ، حسبما يصوره المستوى الادبي لهذه الفترة يكمن في الهزة العنيفة التي تعرض لها الفرد المغتصب نتاج الفكر الصهيوني من هول ما أجبر على ممارسته لتحقيق أهداف الصهيونية ، ولكن الامر لم يتعد الهزة النفسية الداخلية الى اطار الاحتجاج الخارجي بأي حال من الاحوال . وعلى أي الحالات ، فاننا على مستوى الدراسة لهذا التيار الادبي ، سنسلم جدلا ، بحدوث مثل هذا الصدام ، لنتتبع مسيرة هذا البطل المميز لأدب حرب ١٩٤٨ ، ولنر الى أي مدى يذهب في تخبطاته وشكوكه .

وقد كانت النتيجة الاولى لهذا الاتجاه هي النقد الاجتماعي اللاذع ، الذي زاد كثيرا في هذه السنوات ، ورفض تقريبا أي موضوع آخر . وهنا حل التمرد مكان الانحياز ، والرغبة في الذاتية مكان الجماعية . وكان المتمردون بشتى أنواعهم مرتبطين بالفعل بمحور الفترة وقد جاءت ثورتهم نقلا عن قيم الماضي ، ولكنها كانت آخذة في التبلور ، وآخذة في التحقق .

« أيام تسيكلاج »

لقد كان كتاب أدب حرب ١٩٤٨ ، ممن كتبوا الكثير عن انطباعاتهم عن أحداث هذه الفترة ، وبالذات عن المعارك ، يكتفون في غالب الاحيان ، بالتعبير عن قطاع أو جزء من قطاع فقط من الاحداث ، والحوادث والاهتزازات التي مرت بهم على الجبهات . ولم يقم هؤلاء بأي محاولة لشق غمار العالم الروحي النفسي للانسان اليهودي خلال خوضه لحرب ١٩٤٨ ، وخلال (ما اصطلح على أنه) صراع بين ما يسمى « بالقيم » التي لقنت له والواقع الذي بدا وكأنه يتنافى مع مجمل هذه « القيم » ، وهو الامر الذي تكشف — ان سلمنا به جدلا — عن تناقض مريع انعكس في الصراعات النفسية والروحية للانسان اليهودي الذي وجد نفسه يتحول الى جزء من آلة اغتصاب الارض وقتل الانسان لتحقيق « قيم » كان يؤمن بمثاليتها وانسانيتها (مع التحفظ أساسا من مثالية وانسانية هذه القيم) . وقد سار س. يزهار في بداية انتاجه الادبي في هذا الطريق تقريبا ، ولكنه في عام ١٩٥٨ ، وبعد أن تبلورت في داخله كل الانطباعات التي انطوت عليها هذه المرحلة الممتدة من عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٥٨ ، وهي فترة بعد عن الاحداث كانت كفيلة بتنقية ردود الفعل من أي شائبة قد تعلق بالحدث في أعقابه مباشرة، كتب روايته الكبرى « أيام تسيكلاج » التي تعتبر التعبير الحي عن التطور الايديولوجي الذي حدث في موقف الادباء والابطال مما يسمى بالقيم الاساسية للوجود الاجتماعي الاسرائيلي ، وهي القيم التي وضع أمامها يزهار علامة استفهام ، بالرغم من ان أبطاله كانوا مخلصين بالفعل ، وكان كل واحد منهم يحققها وفق طريقته الخاصة رغما عن المراجعة واعادة النظر . وهذه الرواية تصف الاحتلالات الثلاثة للتل ٢٤٠ الذي اضطر بعض اليهود الى العودة والقيام بها في الايام السبعة من نهاية أيلول وبداية تشرين ١٩٤٨ — ١٩٤٩ . وهذا التل يوجد في جنوب فلسطين في الطريق الى النقب ، وكان مصيره من شأنه ان يحدد مصير مطار ، قام بدور حيوي في معارك عام ١٩٤٨ ، ومن هنا كان الجهد العنيد للسيطرة عليه وعدم التفريط فيه . ولكن ليست العمليات العسكرية وتطورها هما الاساس والمضمون اللذين تقوم عليهما « أيام تسيكلاج » . ان أساس الرواية هو وصف العالم النفسي

الروحي لهؤلاء اليهود ، وكل ما هو مقصوص في الرواية المتعددة الابعاد ، والعالم الخارجي بأحداثه ومناظره ، مرتبط كله بالعالم الداخلي لابطال الرواية والروح التي تسود هذا العالم .

بيت الآباء والمعلمون والقيم اليهودية

ان رجال تسيكلاج يجرون بأفكارهم ومحادثاتهم ، في قصصهم وأوصافهم بعيدا عن الاستحكام الذي يتمركزون فيه ، وبعيدا عن الفترة القصيرة التي دارت خلالها المعركة ، والكتاب مكدس ومليء بالرجال والاعمال ، وبالمناظر والاحداث ، وبوجهات النظر والامزجة ، التي تضم العالم بأسره . لقد كان عام ١٩٤٨ هو عام دخول محاربي تسيكلاج الى الحياة ، وبداية اتصالهم بالواقع في العالم على ما هو عليه ، دون حاجز المدرسة ومنزل الآباء . وكان هذا اللقاء الاول الذي يتم دون وساطة مع العالم هو اساسا بالفعل لقاء مع القتل والتخريب في الحرب ، ومع الموت الذي يضع وجودهم وحياتهم نفسها على كف الميزان في كل وقت وفي كل لحظة . وابطال الرواية الشبان يعودون بذكرياتهم وبمناقشاتهم في كل مرة الى الآباء والمعلمين ، الذين كانوا يحتمون في ظلهم ، ويمنحونهم الامان والحماية ، تلك الحماية التي اصبحت تنقصهم الآن في تلك المعركة الخطيرة . وهذا الابتعاد عن منزل الاباء ، يجعل الرؤية بالنسبة للاشياء أكثر حدة ، ويجعل الاحساس بها موضوعيا وأكثر صحة عما كانت عليه في الايام الغابرة . وهكذا فان القيم والمثل التي لقنها الآباء للابناء من خلال الطليعية التي عاشوها في الارض المغتصبة بعد مجيئهم اليها مما يسمى بالمنفى ، والاسس الايديولوجية التي حرص المعلمون على أن يمسك بها هؤلاء الفتيان لتكون لهم زادا لدى انخراطهم في سلك العمل الصهيوني ، كل هذا يتعرض لاهتزاز قوي ولمراجعة شاملة تحت هدير المدافع ، وعلى صوت أزيز الرصاص ، ولدى رؤية الاصدقاء والرفاق وهم يلفظون أنفاسهم الاخيرة ، وهم في وسط كل هذا في حيرة من أمرهم .

ومن بين الاشياء التي تثير التأملات والافكار الصعبة للغاية في قلب أبطال « أيام تسيكلاج » ، ذكرى التعليم الذي حصلوا عليه في المدرسة — بأن الموقف النقدي تجاه الاب والام قد أضعف الى حد غير قليل من ذلك الحب العميق الذي كانوا يكنونه لكل من الاب والام . وليس الامر كذلك بالنسبة للمعلمين: « هل تقولون المعلمين ؟ تلك الوجوه ! ما الذي لم تقتله لنا ؟ « العهد القديم » ، بياليك العلوم الطبيعية ، كل شيء وبموضوعية: اننا لن نعود الى فتح هذا مرة أخرى ولن ننظر اليه . لقد انتهينا منه ... ان كل ما هو موجود بنا موجود بنا بالتعليم وبدونه ، بل على العكس ، فانه اذا كان هناك بنا شيء حقيقي — فانه موجود بنا بالذات على عكس ما أرادوه منا » (ص ٣٧٣ — ٣٧٤) .

تساؤلات ؟ ما هو الشعب اليهودي ؟

وس. يزهار يطرح الكثير من الاسئلة التي أزعجته وأزعجت ابناء جيله في عام ١٩٥٨ على لسان أبطاله بالنسبة لاشياء ومفاهيم وقيم كانت من المسلمات والبديهيات التي تربى عليها جيل يهودي سابق ولقنها للجيل التالي له ، وهو الجيل الذي يمارس الآن في حرب ١٩٤٨ ، حيث تدور أحداث الرواية ، مهمة اغتصاب الارض الفلسطينية ، وعملية قتل الانسان العربي . ومن هذه التساؤلات ذلك التساؤل الخاص بكنه الشعب اليهودي . ان يهود الشتات (الدياسبورا) هم الغالبية العظمى من اليهود ، وكان من المستحيل الا يتحول الاستهزاء بهم في الكثير من الحالات الى استهزاء باليهودية بأسرها . وهنا نقرأ تلك السطور التي تعج بالتساؤلات المحيرة لابطال يزهار : « حب الشعب اليهودي ! آه ، حقا ، تعالوا لنتحدث لحظة في هذا . الشعب اليهودي ! اي شعب يهودي ؟ حب الشعب اليهودي ! من يحبه ؟ ألسنا نهرب مثل ذوي العاهات من كل ما هو يهودي ...

اننا نحتقر كل ما يمت بصلة الى هذا . ابتداء من دروس التاريخ اليهودي ، مع كل الضائقات ، وحتى الاكلات والتنهدات اليهودية ، وكل ما هو ذو نطق خاص بالمنفى ، وعادات المنفى ، وباليديش بأسرها ، تلك الدعاية التي يسمونها اليديش بأنغامها والحانها ، بوجهها الذي لم تلوحه الشمس ، والتي تكشف عن أسنان مرمحة بالفضة والذهب ولعاب ذكريات من بلدتهم هناك ، وكل أقوال التوراة والحكمة الخاصة بهم ، تلك التي أحضروها من مدرسة « تريوت » الخاصة بهم ، أو من « سمنار » المعلمين في « جردونا » ، أو من أي مكان كان ... باختصار : لسنا نحب أكثر من اللازم من هو ليس ، بالضبط ، خاصا بنا ومثلنا ومعنا » . (ص ٣٧٤ — ٣٧٥) .

وهذه المناقشة التي تدور حول الموقف من اليهودية ومن القيم الروحية المختلفة ، غالبا ما يلجأ س. يزهار الى انهائها بموقف يجعل هناك مجالا للشك في أن هذه الجمل والتعبيرات المتسائلة لا تحمل بالفعل تعبيرا دقيقا وكاملا عن المشاعر الحقيقية للمتناقشين والمتحدث نفسه كذلك .

« دين العمل ... والمستقبل »

وبالنسبة للمستقبل يضع يزهار تحت الفحص صلاحية « حركة الشباب » المحاربة . وانطلاقا من هذا فانه يناقش على لسان أبطاله فلسفة « دين العمل » ، تلك الفلسفة التي ابتدعها « أهارون دافيد جوردون » ، وكانت الشعار الذي رفعته الهجرة الثانية والثالثة لبناء الدولة اليهودية : « عن قطع الاعشاب اسأل — اهي عبودية ؟ أم حرية ؟ هل هناك أيضا تتكون العلاقة الرائعة بين الانسان والعمل ، بين الرجل والطبيعة ، علاقة حية وخصبة ، علاقة غنية وطيبة — أم أنهم يتغنون بذلك فقط في الاغاني ؟ » (ص ٧٧٠) . أما بالنسبة للمستقبل فان مقاتلي تسيكلاج كانوا يسعون من حين لآخر لنقل أفكارهم ومحادثاتهم من الماضي والحاضر الى مسألة حياتهم في المستقبل عسى ان يرفع روحهم المحطمة ويوقف نزيف دمهم ذلك الامل فيما سيأتي بعد الحرب . فرافي مثلا كل مناه هو أن يعود مع نهاية المعارك الى بيت الآباء ويأخذ زمام ادارة المزرعة التي أقامها والده . وهو يؤمن ، بأنه يستطيع بناء حياة مريحة ورغدة وأجمل في رأيه من حياة والده : « لست أعرف ما اذا كان لا بد من تقدير والدي على قوته ، ومثابرته ، وعناده ، وعلى أنه يبكر في كل يوم في بدء الحرب من حيث توقف بالامس ، كما لو كان لم يصنع شيئا على الاطلاق — تفاني أبي ، واستقامته ، وورعه الكبير ، أم .. أم انه يجب الثورة ، وعدم الموافقة ، وعدم التخلي وشن الحرب ، وبناء كل شيء على نحو آخر ؟ انني أفكر ليل نهار في هذا . مزرعة مدعمة أخرى . علاقات أخرى .. ما أجمل هذا . دون مذلة . دون بخل . دون صورة عبد مهمل ... » (ص ٣٤٧) . ولكن رغبة رافي هذه شاذة ، ورفاقه يرفضون هذا الطريق الذي يريد أن يسير فيه : « ما الذي لك هناك — قال ياكوش — ستعود وتقترب ، وستفزع : كم هي قديمة ... الحرب ؟ ما الذي يسوؤك في الحرب ؟ هل فكرت مرة : ماذا بعد الحرب ؟ هل سيكون من الممكن ببساطة محو الغم والعودة الى « امالا » ؟ فكر لحظة : هل من الممكن ؟ ان « امالا » حية وستعيش سنوات كثيرة — ولكن بالنسبة لك لم تعد هناك « امالا » بعد ... ما الذي ينتظرك ؟ والدك ؟ لكي تعمل لديه بالمجان ، لتكون له كثور معافى للعمل ؟ أم فتاة بجديلتين مع مؤخرة حمقاء ، تتحول بعد سنتين الى بقرة خالصة سمينة بلهاء ! من ينتظرك هناك؟ الآفاق الكبيرة ؟ الاعمال العظيمة ؟.. هل تعلم انني أخاف مما بعد الحرب أكثر من الحرب . ما الذي في الحرب ؟ اننا على الاكثر نموت ، نموت مرة واحدة فحسب . وهناك ؟.. ربما ، كالعادة : تبدأ في الخطف ، حتى يرتفع كرشك سريعا وتنمو بسرعة ، وتصبح مهما بصورة أسرع . وبسرعة ستتعلم كيف تتحسر ، وتتعلم كيف تتهم ، وتتعلم

الوعظ ، والاكتفاء بالقليل ، بكل ذلك القليل الذي يحصلون عليه دون الذهاب بعيدا . . . وبسرعة ستشيخ ، وتصبح يابسا . وتقرأ الجريدة يوم السبت . وتنسى التنزه . وستكون دون آمال . . . ستكون فارغا . ستكون مملا . ستكون مثل والدك . جمال . ومن أجل ماذا ؟ » (٤٩٣ — ٤٩٤) .

وفي هذه المناظرة الشيقة حول ذلك السؤال المعضلة : ثم ماذا بعد الحرب ؟ تصطدم وجهتا النظر : وجهة نظر رافي الذي يأمل في حياة وادعة هانئة ، ووجهة نظر ياكوش الذي لا يرى أملا باديا في المستقبل والذي يرى كل شيء عدما . ان الحياة بالنسبة لياكوش قد تحطمت عنده على صخرة الحرب ؟ لان الحرب حطمت في آتونها كل مجمل « القيم والمثاليات والعادات » التي لقنوه اياها وربوه عليها . وتصل ذروة الحوار بين الاثنين حول النظرة الى المستقبل ، حينما يثور رافي على أدلة ياكوش ، ويجد من الصعب أن يكون مخلصا للطريق الذي حدده لنفسه ، فيفضل وقف المناقشة ، ولكن ياكوش يواصل تعرية نفسه الداخلية ويحاول ان يطرح طريقا خاصا به من أجل المستقبل ، ولكن القوة والمقدرة التي كانت له في المناقشة ضد مشروعات رافي ورغباته لم تعد متاحة له حينما حاول أن يناقض مزاعم رافي ضد وجهات نظره ورغباته هو نفسه . بل على العكس : قال رافي : « ان من يرى الامر كذلك ، مثلك ، يراه على هذا النحو في أي مكان . ليس لديه ما يذهب اليه . . . ليس من المفروض ان تقفز حتى السماء — بل عليك ان تقول ما الذي يجب عمله هنا ، الان . . . ماذا تريد مني ؟ — ثار ياكوش — ما الذي يعنيك اذا ما قفزت الى السماء . اذا ما شئت ذلك فسوف أقفز . ان هذا من شأني ، وعلى حسابي ، لست أريد أن أصلح شخصا ما ، أو شيئا ما . . . لست ملزما بالحلول لانني لا أدري ، وليس لدي ما أذهب اليه . لكل مكان ، ولاي مكان . بقدر ما أستطيع . . . ربما أذهب للبواخر . للبحر . لم لا . نجتاز البحار والبلاد . وربما أصطاد الحيتان ؟ ماذا ؟ او ربما في غابة ؟ أريد أن أكون أنا فقط هو الذي يقرر بشأن أيامي وحياتي ، وبشأن المساء وبشأن الغد . أن أعيش الحياة بالطريقة التي تبدو لي أفضل من كل الطرق . وحتى لو كان هذا انعدام طريق . . . لست موجها ، ولست معلما لجيل . انني أرهن كل شيء بحريتي . . . وربما . . ربما قد أكون طيارا ؟ — أريد أن أطير ! . . — الطيران ! — قال رافي هامسا . — لا طائل من هذا مطلقا . أحاديث . » ونظر ياكوش . وبعد ذلك ابتلع ريقه وقال — « صحيح لا طائل من كل هذا على الاطلاق » . وتغلغل التجهم الذي في الفضاء عميقا في القلب — « كل شيء أحلام » ، قال ياكوش هامسا ، « هذا في الواقع لا شيء على الاطلاق ؟ اذن فماذا ؟ . . وصمت » . (٥٠٤ — ٥٠٦) .

وبعد ذلك يأتي دور يودكا ليتحدث عن طريقه بعد الحرب . ان يودكا انسان مستسلم يرى ان عليه أن ينفذ ما يوكل اليه على نحو طيب وحسب : « علي أن أفعل كل ما يجب أن أفعله جيدا . . . أن أنتهي من هنا ، وأنتقل للبدء فيما سيأتي بعده . وفق نظام ، وهكذا بلا نهاية . في هذا البلد نحن في كل مكان في البداية — وهذا ما هو ملقى على عاتقنا » — لسنا نفهم . — « ما الذي يجب أن نفهمه . لا بد فقط من أن نعمل . ان المسألة مسألة يدين وليست مسألة فهم . . . » (٨٤٦) .

ان الشك حسبما يبدو ، هو شبه شامل . ان يودكا نفسه ليست لديه ثقة ، في أنه وأشباهه يمكنهم أن يستمروا وقتا طويلا بعد الحرب في النشاط وفي عمليات التضحية دون أن يفهموا على النحو الواجب مضمون الاشياء التي من أجلها يضحي الانسان بما يضحي به . ومرة أخرى يظهر ياكوش في الحوار بقسوته ليعري لهم الحياة . . . تلك الحياة التي يحلمون بها : « آه ، رافي » ، يشير ياكوش في احدى المناقشات المؤلمة ،

« اذهب ومر ودق على أبواب الشبان الذين تزوجوا منذ فترة قريبة ورتبوا حياتهم جيدا، كل تلو الآخر : مساء الخير ، ايها الاصدقاء الشبان ، ما هـي أعمالكم ؟ بماذا أنتم مشغولون ؟ بماذا تعيشون ؟ هل الحياة بهيجة بالنسبة لكم ؟ هل ما حلمتم به حصلتم عليه؟ هل هو طيب ان تجرون من يوم لاخر ؟ هل ترغبون في ان يكون هناك غد؟ وتنقل من منزل لآخر ، واسأله ، واسألها ، تلك المرأة الشابة التي نضجت فورا ... » (٥٠٦) .

ولم يكن هناك أحد في الجماعة لديه القدرة على مجـادلة ياكوش ومناقضة أقواله القاسية ، عن الفراغ النفسي ، وعن الشيخوخة الروحية والملل واللامبالاة التي تحل بالشبان ، الذين كانوا بالامس القريب مثاليين ومتفانين روحا وقلبا مـن أجل قضية لقنوهم مبادئها .

ان أهوال الحرب قد هزت هؤلاء الشبان وجعلت هناك حاجزا نفسيـا بينهم وبين المجتمع الذي فرض عليهم أن يقتلوا باسمه وأن يكونوا على استعداد للقيام بالاغتصاب والسلب والنهب من أجله ، وأصبحوا لا يرون كيف يمكنهم أن يندمجوا في الحياة في أيام السلام .. تلك الايام التي يحلمون بها . ان الامل في العثور على السعـادة والاهتمام بقضية عادلة ليست محل استفهام ومراجعة بالنسبة للمجتمع قد تعرض لاشياء عجيبة وحل محله الاحساس بالاختناق بين الفراغ في الماضي وانعدام الطريـق نحو المستقبل بالنسبة للفرد .

أمي ، لقد قتلت !

لقد عمدت الحركة الصهيونية في فلسطين الى تربية الفتيان اليهود أبناء المهاجرين القدامى داخل اطار « حركات الشباب » الصهيونية تربية عسكرية ، وذلك بدعوى ان « اليشوف » اليهودي في فلسطين في حاجة الى اطار عسكري خالص لحمايته من أهل البلاد الاصليين ، من الفلسطينيين . وعلى هذا الاساس فان المقاتلين الرئيسيين في «أيام تسيكلاج » كانوا من ذوي الخبرة القتالية على الرغم من أنه لم تكن لديهم أية خبـرة في الحياة . لقد دفع ببعضهم الى آتون المعارك تقريبا بصورة مباشرة من المدرسة ، وكان بعضهم قد سبق نشاطه في الدفاع عن اليشوف مرحلة انتهائه من دراسته . وعلى الرغم من الخبرة التي خبروها في الحرب فان بلوغهم السريع لم يكن كاملا ، وقـد أبرزت الاهتزازات التي مرت بهم ، وارهاقهم الدائم من العمليات ، والوقوف الشاق وهم شاكو السلاح في اثناء عمليات القصف المتكررة ، كل هذا أبرز بصورة واضحة أكثر كونهم أطفالا : « مجموعة مبرقشة ومنوعة الى حد ما ، ترتدي من كل ما يصل الى أيديها ، ومحياهم ، لسبب ما ، يبدو مثل منظر أطفال منبوذين أكثر مما يبدون كجنود » (ص ١٥) ... « لقد حل بي وهن ... ان حياتي لم تبدأ بعد . ما الذي فعلته حتى الان . ماذا أنا كلي . ما الذي لي بي ... انني أبكي في الحال من الحـزن ... لا أريد أن أموت ... أريد فقط أن يكون من الممكن أن أعيش حياة جميلة ، دون فراق ، ودون خوض للمعارك ... » (٤٠٢ — ٤٠٣) .

وهؤلاء الجنود يخوضون المعارك ويقومون بواجبهم كمقاتلين محنكين وذوى خبرة ، ولكن فجأة يطل من الثياب العسكرية في اثناء المعركة وفي ذروتها ، ذلك الفتى الصغير ، شبه الطفل : « توقف جندي وانبطح الطابور ... وفجأة يتضح أن عيون رافي زرقاء سماوية . وكان يبدو مثل طفل صغير ، وكان من الانسب له من كل شيء ان يلعب معه الكرة أو لعبة الاستغماية »(٥)... « السنا جميعا شبانا وصغارا للعناية ، اليس كذلك ... اليس الواقع أننا لم نضاجع امرأة قط بعد ... وأمنا تبكـي دون تعزيـة ، تبكي وتبكي دون نهاية .. »(٥٠٩) . « أريد أن أجري الان الى المنزل : يا امي ، لقد قتلت، لقد قتلت أنا كذلك. كفى...» (ص ٦٢٨). لقد وصلوا الى الجبهات في ذروة أيام البلوغ،

وهم مفعمون بغريزة الوجود وشهوة الحياة تفيض في داخلهم ، والموت الذي يتربص بهم من كل جانب ينقض على حياتهم في ايام زهوتهم نفسها . لقد انتقل هذا الفتى من رعاية الوالدين وحماية المعلم في المدرسة ازاء كل ما يتربص به الى تلك المواجهة المريرة والمريعة للموت في كل لحظة ، والى الاحساس بالعزلة المميتة التي تحل بالانسان عادة في ميدان القتال ، وهو الامر الذي جعل ابطال يزهار يعانون من الانسحاق والرعب والشعور بالعجز .

لا تذهبوا للحروب

بلا حول ولا قوة للتغلب على الاحساس بالاهوال المريعة وعلى الخوف من الموت ، تطرح بكل حدة وبكل تجرد مسألة الحرب بأسرها ، ثورة حادة وعنيفة على نفس ضرورة ممارسة القتل والتعرض للقتل ، وكذلك صراع مؤلم وعاجز ازاء هذه الثورة . « انني أكره الحرب ، الحروب — كل الحروب أيا كانت — كل الحروب قذارة . انني أقول لكم . لا تذهبوا ، أيها الشبان ، الى الحروب . اسمعوا لي . لا تبينوا لي الحرب وكأنها ليست قذارة .. أنا أقول لكم . (وحينما يخرجون للدفاع عن المنزل — هل هي كذلك حينذاك ؟) لا . اذا كان الامر كذلك ، بالذات ، من يدري ؟ ربما أيضا كذلك حينذاك . ليس لانهم يدافعون ، بل لانهم يقتلون ... أوه ، لست أدري . انا في حيرة . خذوا الكل ، كل شيء . وفقط دعوني أنام ... » (ص ٢٩٣ — ٢٩٤) . وفي مكان اخر تبدو معالم الثورة على الحرب والموت والدمار مهما كانت المثالية التي من أجلها يجري هذا : «لا تثق : ليس طيبا ان تموت وليس صحيحا . ليس بارادتك ، على أي حال . استمع الي : ليس هناك معنى ، على الاطلاق ليس هناك معنى .. استمع لي ،ويجب ان تكون ، اخيرا ، شجاعا ومستقيما ، وان تقول ذلك بصوت عال . ليست هناك اية مثالية عن طريق الموت ... يجب الا تهرب منه في المعركة — ولكنه ليس فيه عدالة لدرجة البطولة او اي فخر خاص . انني اكفر ، اكفر بكل هذا . أكفر بتمجيد الموتى . انني أعرف فقط الخسائر ، والاباء ، وصديقاتهم ، وعالمهم الذي خسروه . يا للاسف لانهم ماتوا . أيها الشبان ، قوموا وانسفوا كل علم يدعو الى الموت . اسحقوا كل من ينادي للموت ، باسم أي نبوءة كانت ، في مصحة المجانين او في السجن — ان الحرب هي مهنة جزارة ملوثة — جزار ملوث بدم انسان . من المخجل ان تكون جبانا قذرا . ولكن كذلك محظور ان تكذب على الموت ، كما لو لم يكن هناك شيء . اسألوا الامهات . انهن يعرفن . هن يقلن لكم . فوق اي كبح للجماح ، ووجوه جامدة ولا بكاء . اسألوهن . ولكن أيضا حينئذ ... والحقيقة هي ، انه لا مناص أحيانا من الخروج للقتال . وممنوع أن تخفي حياتك ، كما لو كانت هي الشيء الغالي والاساسي في العالم ... ممنوع . واذا لم يكونوا هم ، ماذا ؟ وهل اله ابراهيم الذي امر بالتضحيه باسحاق ، هو الاساس ؟ مريع ، لدرجة انه من المستحيل ... وممنوع ان ننسى ، وممنوع ان نعتاد ، ومضطرون لوضع حد لكل هذا ! للسير المنتصب ، الضاحك ، الى الموت ، كما لو كان هذا مجرد رياضة .. او قل « ختان » هنا — انه مشاركة في جريمة ، أساس كل بلاء ... ممنوع ان نعيش في « ختان » . ممنوع ان نحارب « الختان » . ممنوع ان نموت في « الختان » ... هناك ! احصاء كامل لمتوسط الضحايا التي لا يمكن تجنبها » . (٣٠٩ — ٣١٠) .

وتصل هذه النغمة ذروتها في التمرد على كل ما هو مقدس يمكن ان يضحى بالحياة من أجله : « وما كتبته « طوبى للكبريت الذي احترق وأشعل اللهب » ، انني أعرف ، ولكني لا احب ، لان هذا اثم . أن أكون كبريتا يحترق . انني اثور على هذا . من المستحيل ان يكون الذهاب الى الموت هو حسن حظ . سعادة لمن ؟ » (٤٠٥) .

وهؤلاء الذين يثورون على الحرب في « أيام تسيكلاج » لا يصلون هم ايضا الى رأي شامل وقاطع في المسألة . بل على العكس . ان هـذه الثورة حتى في اكثر اللحظـات مرارة وعذابا لا تعدو اكثر من ثورة لحظية ومؤقتة ، وسرعان ما يحل محلها جهد اخر بالاجابة على السؤال الخاص بما يجب عمله تجاه سيطرة الشر والاجرام في العالم ازاء خطر الدمار والابادة . واحيانا تلح الحاجة من اجل ايجاد مخـرج بالقاء التهمة علـى شخص ما ، وفجأة يطل اتجاه لاتهام الكبار بكل هذا واعتبار ان الكارثة والطامة الكبرى هي بمثابة تخل من الآباء عن الاطفال ، ولكن هذه المسألة سرعان ما تنتهي هي الاخرى، لتصبح الحيرة وليصبح الضياع والشعور بالعدمية المطلقة مريعا ومؤلما في داخل نفوس هذه الشخصيات . وهكذا يبدو ان المشاعر المتناقضة بشأن الحرب هي من نصيـب كثيرين ، وهي العملية التي تصاحبها جهود للتغلب على الازدواج النفسي ، ومن هـذه الشخصيات ، شخصية زابيك ، قائد الفصيلة الثالثة ، الذي يذهب الى ما هو أبعد من ذلك ـــ انه لا يهاجم فقط الشكوك ووجهات النظر المسالمـة ، بل يهاجم كذلك ضرورة التخبط في مسألة الحرب : « واحد مثلي ليس له ان يسأل اسئلة . لان واحدا مثلـي اولا ليس في حوزة نفسه ، بل مجند ، والمجندون لا يسألون اسئلة ، بل يفعلون اعمالا ... واحد مثلي ، مجند منذ ان ذكر نفسه ، من سن الثالثـة عشر ... انه دائمـا في الطريق الذي يرسلونه اليه ... وهو لا يشترط شروطا ... نحن جيل الحروب .. » (٤٩٦ ـــ ٤٩٩) . ولكن طالما ان زابيك يثير أهمية وحتمية قبول السيادة دون تردد ـــ فانهم لا يعترضون على حديثه . ولكن لا يكون الامر كذلك حيثما تطرح بما يتناقض مـع رأيه الخاص بضرورة العمل دون تفكير ، مسألة ما هي جدوى القضية : « ومع كل هذا ـــ قال ياكوش ـــ كيف تعرف ما هو الشيء الطيب ؟ ـــ كيف تعرف ؟ كيف يعرف من ارسلونا ان ما هو طيب عندهم احسن مما هو طيب عندي ، على سبيل المثال ؟ ـــ « يا حبيبي ، هذه فلسفة » ـــ قال زابيك بنفاد صبر ... وصاح زابيك ـــ ملحاح ! لا معنى للمناقشة مع مثلك !.. » (٤٩٩ ـــ ٥٠٠) .

ولكن مرة اخرى يتضح ان كل ما يجري من حوار وكل ما يعبر عن الصراع والتناقض والحيرة والضياع وكل التمزقات الداخليـة ان هي الا أحاديث ... مجـرد أحاديث ، وفورا بعد المناقشة يدخـل ياكوش الى مهمته كقائد لجماعـة من جماعات الفصيلـة « وبقسوة بقدر ما وجد ، وبصرامة ، كمن انهك من التماسك ، صاح في رجاله المددين المصعوقين من نهاية المناقشة ، وذكرهم بايجاز حاد ان ليس هنـا حمام للرقاد ... وعادوا الى الادغال لاستبدال من هم هنـاك ، وواحد اثنين ، هـذا هو ، وانتهـت السينما » . (ص ٥٠٠) .

وهكذا ، لا يصبح في هذه اللحظة هناك اي فارق بين ياكوش المتمزق داخليا وبين زابيك المستسلم للاوامر والمنفذ لما يوكل اليه دون تفكير ، في حمل العبء الثقيل . ولكن لدى لقاء ياكوش مع كوبي اثناء دورية الاستطلاع ـــ لا يستطيـع ياكوش ان يتمالـك نفسه ويعود ويثير في محادثة خاطفة عجزه عن طرد الافكار والشكوك من قلبه : « وماذا حينما يأتي أحدهم ويريد ان يقرر . منذ البداية ؟ على الرغم من كل الاشياء ـــ أيقرر من خلال خياره الخاص ؟ » (٥٠١) .

وهكذا لا ينجح المتأملون والمتخبطون اطلاقا في محاولاتهـم من اجـل أن يوضحـوا لانفسهم المشاكل التي تزعجهم ولكي يجدوا لها حلا ـــ ولكنهم عـلى الرغم من ذلـك يضحون في النهاية ويخاطرون بحياتهم من أجل القضية التي يضعون علامات الاستفهام أمامها ، ويموت بعضهم دون حسم لما أقلقه ولما مزقه داخليا قبل أن تمزقـه رصاصات الحق والعدل .

وهذا التناقض بين مستوى الشك في مجمل ما يسمى « بالقيم » والمستوى الخاص بالعمل ليس مقنعا دائما من الناحية الفنية والنفسية ، ولكنه أمر مميز وشائع الى حد ما في أدب « فترة الانتقال » ، الذي يتأرجح فيه الادب الإسرائيلي مثل السفينة في العاصفة ، ويجعل التناقضات الداخلية التي في مضمون الاشياء تؤدي الى تمزقات فنية وبنيوية .

لقد ميز الصراع بين حق الفرد وحق المجموع ، انتاج يزهار منذ قصته « افرايم يعود الى اسفسات » ، وهو الصراع الذي ميز الفترة التي بنيت من افراد تخلوا عن ذاتيتهم من أجل المجموع ، ولكن كلما كان المطلب الاجتماعي يقل كان الصراع يعمق ويزداد قوة — ويبدو ان يزهار لم يصل الى موضوعية كاملة في معالجة الصراع في روايته « أيام تسيكلاج » ، لانه لم ينجح في خلق مسافة بينه وبين أبطاله ... ان بنية الرواية تميط اللثام عن صراع المؤلف ولا تحقق بالفعل هذا الصراع في اعمال الابطال ، الذين لم يعملوا على الاطلاق عمل امتداد الرواية ، وفقا لافكارهم المتمردة ، وكانوا يفصلون بين تمرداتهم وبين الدور الذي يقومون به كما لو كانوا مؤمنين خالصين بالفكرة لم يخوضوا اي نوع من التخبطات او الشكوك ، ولذا فان تمرداتهم تقف عند حد التمردات النفسية الداخلية فحسب ، ولا تذهب الى أبعد من ذلك .

هناك نقطتان مؤكدتان بصفة خاصة في « أيام تسيكلاج » ويعكسان الصفة المميزة للبطل النموذجي لادب حرب ١٩٤٨ الاسرائيلي . **اولا** — النزعة الشخصية للابطال . ان هؤلاء يعرفون انفسهم وهم في أتون المعركة على نحو يختلف عن ذلك الذي اعتقده الآباء والمعلمون ، وعلى نحو يختلف عما كانوا يريدون هم انفسهم ان يقدروا شخصيتهم على غراره . انهم يرفضون بعد خوضهم للتجربة المستقلة الاولى في حياتهم ، تجربة الحرب ، ان يجعلوا من حياتهم اداة لتحقيق اهداف ثبت لهم سخفها ، سواء الاهداف الاجتماعية أم الاهداف القومية (ويجب ان نلاحظ ان هذا كان على مستوى المناقشة وتبادل الاحاديث وليس العمل ، اي التمرد الذي لا يتجاوز مرحلة الاحتجاج الكلامي) . ان نموذج ابائهم يثير في قلبهم نقدا حادا ، وهم لا يعارضون فلسفة الاباء والمعلمين ، بل ينفرون من ذلك الانجاز الحقير لحياتهم . انهم لا يريدون ان يعيشوا كأبائهم ، على الرغم من انهم غير قادرين ولا يعرفون كيف يفكرون على نحو اخر يختلف عنهم . ومن هنا **النقطة الثانية** : ان ابطال يزهار يتوقون الى شيء اخر ، لا يعرفون كيف يصفونه او يحددونه الا بمغازيه المنخفضة . انهم يرفضون الحياة من أجل شيء ما . وهم يريدون أن يعيشوا . يريدون ان يستنفذوا كل لحظة من لحظات الحياة . والحياة تعني الاستمتاع بكل ما يحتمل الاستماع فيها . ولكن ابطاله وخاصة العقلانيين منهم ، كانوا يعرفون أن هناك في كل لحظة من لحظات الحياة ما هو اكثر من المتعة . هناك الارتباط بشيء ما تفقد الحياة اساسها بدونه . ولكنهم في بحثهم عن هذا الشيء يصبح من الصعب ومن العبث التوصل الى شيء واضح . ان ما يسيطر عليهم في رحلة بحثهم هذه هو اللعثمة، والحيرة ، وعدم القدرة على الحسم ، وعدم الرغبة في الالتزام بشيء ، والسعي وراء حرية ثكلى والانتظار المثير للدهشة لحدوث معجزة . يقول بطل يزهار : « لست أعرف بعد . دعوني أبحث . لا تطلبوا مني ان التزم . لست مؤهلا لهذا » . اذن فهنا يوجد تعبير سلبي وحائر يتمنطق بالشك ويتحصن به ، وهو الامر المميز تماما لقصص يزهار منذ بدايتها ، ولكن الحيرة هنا تتجاوز ذلك المجال المحدود الخاص بالمشكلة الاجتماعية، ولذلك فانها تصبح على حافة مأساة تتصف بالعمق . ان بطل يزهار يقف على حافة المجهول عنه ويسعى بكل قوته لتحقيق واقع سامي — ولا يستطيع .

الحواشي :

١ — **سميلانسكي يزهار** (س. يزهار) : ولد عام ١٩١٦ بمستعمرة رحوبوت . درس في مدرسة المعلمين ثم في الجامعة العبرية . كان عضوا في الكنيست من قبل حزب المباي في الكنيست الاول ، ثم عضوا في الكنيست السادس من قبل رافي ، وقد استقال منه . نشر قصته الاولى « أفرايم يعود الى اسفسات » عام ١٩٣٨ . من بين قصصه وروایاته المعروفة : « خربة خزاعة » ، و « قافلة منتصف الليل » و « الاسير » ، و « الدغل فوق التل » ، و « أيام تسيكلاج » (١٩٥٨) و « قصص ميشور » . حصل على جائزة بريتر للادب عام ١٩٥٨ ، وجائزة اسرائيل عام ١٩٥٩ . حظي انتاجه منذ يومه الاول لاهتمام كبير بين شباب الطليعة الاسرائيلي . تعبر قصصه عن التخبطات الروحية لهذا الجيل من الشباب الاسرائيلي اكثر من معظم الكتابات الاخرى للادب الاسرائيلي المعاصر . تحتل الحبكة الخارجية عنده بصورة عامة مكانا ضئيلا في انتاجه الادبي . ولذلك فانه يهتم بالاحداث في العالم الداخلي لابطال قصصه اكثر .

٢ — ايلي شبير ، « عناء الجذور المقطوعة » **ماسيف** (مجلة عبرية ادبية نقدية وفكرية) العدد الثالث (١٩٦٢) ص ١٠٨ .

٣ — س. يزهار : « **قافلة منتصف الليل** » (اربع قصص) — دار نشر الكيبوتس الموحد تل أبيب ١٩٦٩ ، ص ٥٠ .

٤ — **المرجع نفسه** ، ص ٨٥ .

٥ — ايلي شبير ، **المرجع السابق** .

٦ — س. يزهار : **أيام تسيكلاج** ، دار نشر « عم عوفيد » ١٩٥٨ .

صدر عن مركز الابحاث في العام ١٩٧٠

كتاب

الفكرة الصهيونية : النصوص الاساسية

٣٧ كاتبا ومفكرا وزعيما صهيونيا كتبوا ٣٧ مقالا مطولا عن الصهيونية ترجمها مركز الابحاث لتكون مادة دسمة الى الباحثين والكتاب العرب لمعرفة نواة الفكر الصهيوني .

٤٨٨ صفحة من القطع الكبير .
سعر النسخة ١٠ ل.ل. يضاف اليها أجور البريد الجوي :
١ ل.ل. في العالم العربي ، ٢٥٠ ق.ل. في اوروبة ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول .

أطلبه من مركز الابحاث — قسم التوزيع
ص.ب ١٦٩١ — بيروت

مشاكل البحث الميداني في القضية الفلسطينية

فارس المنصور

تلعب الشهادات الشخصية التي ترد في كتب السيرة (ذاتية أم غير ذاتية) والمذكرات والذكريات والتقارير الصحفية والرسائل الخاصة ، دورا أساسيا في تدوين التاريخ الذي هو بمجموعه لا يتألف فقط من شهادات الاشخاص البارزين ذوي الادوار القيادية ، وانما ايضا من شهادات أناس عاديين شاءت الظروف ان تضعهم وسط احداث مصيرية ، فكانوا على درجة كافية من الوعي والثقافة لتجعلهم يسجلوا ما شهدوه او شاركوا فيه.

ومما يؤسف له ان الشهادات الشخصية ما زالت نادرة في حقل القضية الفلسطينية ، مما دعا « شؤون فلسطينية » في عددها رقم ٢٦ (تشرين الاول ١٩٧٣) الى توجيه الكلمة التالية الى قرائها : « اننا نشجع بشكل خاص التعليقات والايضاحات والاضافات (وخاصة الشهادات الشخصية) على الموضوعات المتعلقة بتاريخ النضال الوطني الفلسطيني وبحرب ١٩٤٨ ذلك ان المصادر العربية عن هذين الموضوعين محدودة ومعظمها لا يزال غير مدون وغير مدقق » .

والواقع ان مكتبة القضية في جناحها العربي تعاني فقرا واضحا في الشهادات الشخصية والذكريات ، سواء كان ذلك على صعيد الاحداث،او على صعيد الشخصيات البارزة التي لعبت دورا فيها . فالمكتبة ما زالت تخلو من سيرة وافية لمناضل كبير مثل عبد القادر الحسيني ، مع أن عددا كبيرا من الذين عرفوه معرفة وثيقة هم احياء ، بل أن القارىء العربي يعجب عندما يجد ان الكتاب « يا اورشليم » الذي ألفه كاتبان غربيان متحيزان ضد العرب ، يحتوي على معلومات عن عبد القادر الحسيني وابراهيم ابو ديه وغيرهما من المناضلين لا توجد في أي كتاب عربي . اما ما نشر عن مناضلين اخرين مثل عز الدين القسام وسعيد العاص وحسن سلامه ، فلا يتجاوز بضع صفحات، علما بأن كل عام يمر ، يقل فيه عدد من عرفوا الشيخ عز الدين القسام الذي استشهد قبل اربعين عاما .

فاذا تركنا الاشخاص الى الاحداث ، وجدنا ان القحط يمتد اليها أيضا . مثلا: الوصف المفصل الوحيد للهجرة الجماعية الفاجعة لاهالي اللد والرملة في ذلك اليوم الاسود من تموز ١٩٤٨ ، نعثر عليه في كتاب لم يدونه قلم عربي . انه « الطريق الى بئر السبع » الذي ألفته الاديبة الارلندية اثيل مان . ومع أن هذا الكتاب الممتاز يستقي معلوماته من شهود العيان الذين عصفت النكبة بحياتهم ، ومع انه يرسم صورة صادقة لا يرقى الشك الى صحتها ، الا انه على كل حال رواية خيالية ، وليس كتاب تاريخ .

هذا كله يطالبنا بطرح السؤال التالي : هل مشكلتنا هي مشكلة باحثين ، ام مشكلة شهود يرفضون لسبب من الاسباب ، الادلاء بشهاداتهم ؟

سنحاول في هذا البحث الرد على هذا السؤال الذي يزداد الحاحا كل يوم .

لنبدأ بالباحث . ان كتابة البحوث التاريخية بشكل منظم شامل حول قضايا معاصرة (كالقضية الفلسطينية) هو بالنسبة لعرب القرن العشرين علم جديد لا يتجاوز عمره سنوات معدودة . بل يمكننا القول بأنه قبل تأسيس مركز الابحاث في منتصف الستينات، لم يكن هناك نشاط منظم على هذا الصعيد . فكتابة البحوث تعتمد هي أيضا على قانون العرض والطلب ، والطلب في السنين الواقعة بين ١٩٤٨ و١٩٦٥ كان عموما ينصب على القصائد الحماسية وليس على البحوث التاريخية .

ثم بدأت الدراسات الجادة اثر تأسيس مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، ونشوء جيل جديد من المثقفين المصممين على دراسة القضية دراسة علمية عصرية ، فنشرت الدراسات القيمة ، وصدرت المجلات المختصة ، وبدأ العرب اخيرا يعرفون عدوهم من خلال دراستهم العلمية لمجتمعه واستراتيجيته الخ.. الا انه بالرغم من هذا التقدم المطرد الذي احرزته كتابة البحوث الفلسطينية، فالثغرات ونقاط الضعف ما زالت تبدو واضحة لمن يدرس ويتتبع بعناية الجهود المبذولة في هذا المضمار . فالباحث العربي ما زال يستند في الدرجة الاولى على الكتب والصحف وليس على الشهادات الشخصية في انجاز دراساته . انه دوما يبحث عن المصادر المكتوبة على حساب المصادر البشرية الحية ، علما بأن المصادر المكتوبة منشورة بأغلبيتها بلغة أجنبية ، وجزء كبير منها دونته اقلام مغرضة . انه طبعا يقترب منها بحذر في البداية ، بيد أن طبيعة عمله الاكاديمي تجعله بعض الاحيان ينسى حذره المبدئي اثر انغماسه في المطالعة والكتابة ، فيعجز عن غربلة المعلومات وتقييمها على الوجه الصحيح قبل الاستشهاد بها في بحثه .

ولا بد من الاشارة هنا الى حقيقة بديهية بالنسبة للعاملين في حقل الكتابة ، وهي ان للكلمة المطبوعة مفعولا يكاد يكون سحريا في نفس قارئها . فلاسباب سنترك امر تحليلها للسيكولوجيين المختصين ، يميل القارىء العادي ، فطريا ، الى تصديق الاخبار التي يقرأها في الكتب او الصحف . انه ينسى كون الكاتب بشرا مثله ، عرضة للخطأ او قد يجول في خاطره ان هذا الكاتب قد تعمد التضليل لغرض في نفسه . ولا ريب ان الكاتب الصهيوني جون قمحي كان يدرك هذه الحقيقة عندما **طبخ** في مجلة نيو ميدل ايست قبل أعوام مقالا نسبه الى مجلة الهدف .

ومما لا شك فيه ان الباحث المتخصص في القضية الفلسطينية هو أكثر تمحيصا وتدقيقا في قراءاته من القارىء العادي . ومع ذلك ، هناك خطأ شائع يقع فيه بعض الباحثين وذلك بسبب الاهمال الناشىء عن الكسل ، او بسبب الثقة الزائدة التي يمنحونها لكتاب يزيدون استقاء المعلومات منه . وفيما يلي مثال على هذا الخطأ : في سياق قراءته لكتاب يقع في نطاق بحثه ، يعثر الباحث على تصريح لابا ايبان يذكر مؤلف الكتاب ان وزير الخارجية الاسرائيلي قد ادلى به الى صحيفة « جيروساليم بوست » التي نشرته في عددها الصادر بالتاريخ الفلاني . وفورا يستعيد الباحث نص هذا التصريح مع تاريخه ومصدره ويشير اليه في بحثه ، ثم يتضح فيما بعد أن المؤلف الذي نقل عنه هذه المعلومات لم يكن دقيقا ، او ربما لم يكن نزيها . فالتصريح المنسوب الى ايبان قد يكون مخترعا من أساسه ، او محورا ، او ناقصا بشكل يغير من معناه . او قد يتضح بأنه لم ينشر في « الجيروساليم بوست » وانما في صحيفة اخرى ، او قد يظهر بأن تاريخ الصدور خاطىء . بل يحدث في بعض الحالات ان الذنب يقع أصلا على الطباعة ، عندما تؤدي غلطة مطبعية صغيرة الى تغيير المعنى جذريا .

والباحث العربي قد يكون بحكم اختصاصه معصوما ضد التصديق الفوري لما يقراه

في صلب الكتاب ، لكنه أقل مقاومة عندما يأتي الامر الى المصادر المثبتة في نهاية الكتاب أو على هامش الصفحات ، مع ان مسؤولية الخطأ تقع أيضا عليه وليس على عاتق المؤلف الاول فحسب . فمهمة الباحث ان يغربل معلوماته ويتثبت من صحتها قبل الاستعانة بها في بحثه . فالخطأ المقصود او غير المقصود يجب الا يتفاقم في البحوث التي اخذت عن المصدر الاول ، ولذا المطلوب من الباحث ان يضع المعلومات تحت مجهر الفحص بدلا من منح الثقة العمياء للمرجع الذي بين يديه .

سبق أن ذكرنا تفضيل الباحث العربي للمصادر المطبوعة على المصادر الحية . فهو اجمالا يرتاح الى الكتابة عن مقررات الامم المتحدة ، وسياسة امريكا تجاه القضية ، وصادرات اسرائيل الخ .. لان هذا النوع من البحث لا يحتم عليه اكثر من مراجعة الكتب والصحف . أما المواضيع التي تتطلب الحصول على شهادات شخصية ، فانه يتردد في خوض غمارها ، وهذا ما يفسر لنا غياب كتب من نوع « يا اورشليم » من المكتبة العربية . على انه انصافا للباحث العربي ، يجب الاشارة الى اختلاف ظروفه عن ظروف الكتاب الاوروبيين والامريكيين . فالشعب الفلسطيني مشتت في ارجاء الوطن العربي ، وفي دول عديدة خارجة ، وليس من السهولة على الباحث ، بموارده المالية المحدودة ، التنقل من قطر الى قطر لمقابلة أصحاب الشهادات . اما بالنسبة للمؤلف الاوربي او الامريكي ، فدار النشر التي التزمت بنشر كتابه العتيد تتكفل بتغطية نفقاته أثناء جمعه للمعلومات ، وهي التي تضمن له التفرغ اللازم . ثم ان دور النشر الغربية ليست مصادر التمويل الوحيدة للباحث ، فهناك ايضا الجامعات والمؤسسات الثقافية والدوائر الرسمية التي تقدم المنح للمؤلفين وتتيح لهم تنفيذ مشاريعهم الكتابية، اما لخدمة الثقافة بوجه عام ، او للتوصل الى اغراض سياسية معينة .

ما هي مشاكل الباحث مع صاحب الشهادة ؟

المعروف عن المواطن العربي انه عموما لا يكره الكلام ، كما ان الصراحة لا تنقصه . الا انه يصمت عندما يرى امامه قلما على وشك تدوين حديثه. انه يصاب بخوف غريزي يعقد لسانه ويجعله يلوذ بالسكوت حتى وان كانت معلوماته من النوع الذي لا يمكن أن يجلب له أي أذى . هذا هو المواطن العادي ، فكيف بالسياسي او المسؤول ؟!

وقد يظن الباحث في البداية ان خوف الناس من نشر حديثهم ناشىء عن خشيتهم من تعرضه للتحريف عند النشر ، فيحتاط لذلك ويحمل معه جهاز تسجيلي الى مكان المقابلة. الا انه يفاجأ عندما يجد ان فكرة التسجيل تضيف الى ذعرهم ، باعتبار ان تسجيل الحديث معناه قطع خط الرجعة عليهم فيما لو ندموا على « صراحتهم » فيما بعد ، وقرروا نفي بعض ما ورد على لسانهم ، او حتى نفي المقابلة كلها ، جملة وتفصيلا . واجمالا ، يتردد اصحاب الشهادات حتى في التوقيع بامضائهم على الصفحات التي نقل اليها حديثهم ، وذلك للسبب نفسه .

اذن فالحصول على الشهادات الشخصية يتطلب الكثير من الدبلوماسية والمرونة ، ونجاح المقابلة يعتمد في نهاية المطاف على التجاوب بين الطرفين ، عندما يثق صاحب الشهادة في امانة الباحث واهمية عمله ، وينطلق في الحديث دون تهيب .

وفيما يلي بضع نقاط رئيسية يمكن للباحث ان يسترشد بها في اداء مهمته :

اولا — من الضروري جدا أن يتقيد الباحث بقواعد المهنة واخلاقيتها . وهذه تحتم عليه الاتي :

أ — يتولى ابلاغ صاحب الشهادة من البداية ان حديثه سينشر ، ويطلب اذنا بذلك منه . اما استدراجه الى الحديث دون اخباره بان ما سيتفوه به سينشر ، فأمر مرفوض تماما .

ب ــ عدم افشاء هوية صاحب الشهادة اذا طلب الاخير ذلك من الباحث . وهذا هو مبدأ مقدس ومن صميم اخلاقية المهنة ويجب عدم التفريط به بتاتا .

ت ــ اذا طلب صاحب الشهادة من الباحث عدم نشر جزء من حديثه وانما الاستفادة منه لمعلوماته الخاصة وكخلفية للصورة ، فيجب التقيد بهذا الشرط ، حتى وان كان هذا الجزء هو أهم ما في الحديث (كما يحدث في كثير من الحالات) .

ث ــ عدم تحوير الحديث وانما نقله بامانة كاملة .

ج ــ من المستحسن عرض نص الحديث على صاحب الشهادة عند اعداده للنشر . ويحدث احيانا أن يندم الاخير على أشياء قالها ويطالب بحذفها ، مع انه لم يكن اشترط ذلك اثناء المقابلة ، في هذه الحالة يجب التوصل الى اتفاق مرض بين الطرفين .

ح ــ قد يحدث ان يتورط صاحب الشهادة في امور قد تجلب له الاذى وتجعله تحت طائلة قانون القذف ، او تجلب له الملاحقة ، ولذا على الباحث ان ينبهه الى ذلك .

ثانيا ــ من الضروري ان يدرك الباحث ان شهادة السياسي او المسؤول مهمة وتستحق التدوين حتى وان لم تتضمن شيئا جديدا (كما يحدث أحيانا) فهي تسجيل لموقف هذا الرجل ، ومهما كانت المعلومات الواردة فيها عائمة ، فانها تحمل بصمات أصابعه وسيحتاج اليها المؤرخ .

ثالثا ــ مع أن الباحث يتقمص شخصية الصحفي في المقابلة ، الا ان هذا التقمص الوقتي يجب الا يدعه يخلط بين المهنتين .فاذا كان الاسلوب الصحفي يعتمد على عنصري السبق والاثارة في سرد الاحداث الانية ، وتقديمها داخل كبسولة سريعة للقارىء ، فان الباحث العربي الملتزم بالقضية الفلسطينية يكتب للتاريخ ، وعليه ان يتذكر دائما بان شهوده الفلسطينيين هم ليسوا اناسا وقعت امامهم جريمة فجاءوا ليشهدوا عليها ، وانما هم أنفسهم الضحايا .

رابعا ــ يجب ان يراجع الباحث بدقة نص الشهادة عند اعدادها للنشر ، ويقارنها بالمعلومات الاخرى المتوفرة لديه ، سواء كانت هذه المعلومات قد وردت في الكتب والصحف ، او في شهادات شخصية اخرى من ملفه . ولا بد من التدقيق في التواريخ والارقام واسماء الاماكن والاشخاص .

أما بالنسبة لصاحب الشهادة فالمطلوب منه ان يقدر الاهمية الكبيرة لعمل الباحث ويدرك أنها لمصلحته كعربي ، فلا يبخل بالمعلومات . وطبعا لا بد من الصدق والامانة في رواية الاحداث ، والتجرد قدر الامكان من العواطف عند التحدث عن الاشخاص ، وعدم تضييع وقت الباحث في الاحاديث الحماسية ، وانما الاقتصار على سرد الوقائع. وفي حالة عدم وجوده في بلد واحد مع الباحث ، فانه يسدي خدمة كبيرة للقضية فيما لو رد عن طريق البريد على أسئلة الباحث ، او تطوع للكتابة اليه اثر قراءته لاعلان في الصحف يطلب الشهادات الشخصية .

وسيجد الباحث ان أصحاب الشهادات ينتمون الى فئات كثيرة . فهناك اولا الفئة التي تخاف ان تتحدث ، وان تحدثت لا تذكر كل ما تعرفه . وفي هذه الحالة يجب على الباحث ان يتفهم ظروف هذه الفئة ، وعليه أن يضع نفسه مكانها قبل القاء حكم سلبي عليها . ثم هناك الفئة التي لا يفقه افرادها معنى البحث العلمي واهميته ، وينظرون الى اي شيء له علاقة بالفكر نظرة ازدراء ، وهذه الفئة ليست بالضرورة مؤلفة من الاميين وانصاف المتعلمين ، بل قد تضم كبار الساسة والمسؤولين . ثم هناك الفئة التي جبل افرادها على البخل حتى في المعلومات ، فهم يعتبرون شهادتهم نوعا من المساعدة

الشخصية لا يجب اسداءها الى غريب ، ولذا فانها عادة تموت معهم . وطبعا توجد أيضا فئة المتهيبين الذين يجدون صعوبة في الانطلاق بالحديث امام الاغراب .

أما « الايجابيون » ، فبينهم الشيوخ الذين لا يستطيعون رواية الاحداث حسب تسلسل منطقي بسبب طعنهم في السن . اذ أن ذاكرتهم قد تكون مليئة بالاحداث التاريخية التي شهدوها ، وهم على استعداد لسردها ، الا ان ارتباكاتهم الذهنية متشابكة ومتشعبة ، ويصعب على الباحث متابعتها وتسجيلها بوضوح . وعموما سيجد الباحث ان العرب يميلون الى المبالغة في الارقام (لا تكاد توجد عاصمة عربية قديمة لم يخبرنا مؤرخوها الكلاسيكيون انها تحتوي على أقل من الف حمام) والى العاطفية التي تفسد مقدرتهم على تحليل الاحداث تحليلا موضوعيا سليما ، والى تصوير الاشخاص بلون واحد : أما أسود او ابيض .

الا ان ذلك كله يجب الا يثبط من عزم الباحث على تسجيل الشهادات الشخصية للتاريخ ، فالتجربة الفلسطينية يجب ان تدون على أوسع نطاق ممكن ، وهناك عشرات وعشرات من الشهادات المهمة ما زالت غير مكتوبة ، فمتى سيدرك أصحابها ان للقضية دين في اعناقهم ، في هذا العصر الذي توسعت فيه مدارك المواطنين العرب وارتفع مستواهم الثقافي ، لم يعد الباحث المختص يعمل لزميله الباحث المختص فقط ، كما كان الامر قبل سنوات قليلة ، عندما لم تكن هناك الا نخبة صغيرة من المثقفين تقرأ البحوث الجدية عن القضية . ان الوطن العربي يمر حاليا في مرحلة انتقال يمكن اعتبارها نقطة تحول رئيسية في تاريخه . وسيثمر عن النمو الحضاري في الوعي والثقافة زيادة في تصميم المفكرين والباحثين العرب على كسر الاحتكار الغربي ـ الصهيوني في كتابة البحوث وتدوين التاريخ .

ان المرحوم عارف العارف قد أسدى خدمة كبرى للقضية عندما عكف على تسجيل تطوراتها في مذكراته اليومية طوال سنين عديدة ، فكان شاهدا واعيا للتاريخ يستحق تقدير كل باحث اقتضى أثره . ثم لا بد من الاشادة بالجهود الرائدة لمركز الابحاث الفلسطينية ، فهو لم يخدم القضية الفلسطينية فقط ، بل انه أيضا خلق الظروف الملائمة لجيل كامل من المفكرين العرب كي يتفرغ للبحث . وهذا الانجاز لا يقل اهمية في حد ذاته عن الانجاز المباشر لهذا المركز عندما أخذ على عاتقه تعريف العالم بالتاريخ الحقيقي للقضية الفلسطينية ، فاليوم سيأتي الذي فيه تحل القضية الفلسطينية ويعود الفلسطينيون الى ديارهم ، الا ان البذرة التي غرستها القضية في نفوس المثقفين العرب عندما دفعتهم بتحدياتها الفكرية الى البحث والدراسة ، هذه البذرة ستنمو وتترعرع في عهد زاهر سيستعيد فيه العرب حبهم التاريخي الشهير للمعرفة والاستقصاء .

والمطلوب الان من المؤسسات الاقتصادية الكبيرة في الوطن العربي ان تساهم في هذا الاتجاه وتعاون الباحثين ، علما بأن القضية الفلسطينية هي ليست القضية الوحيدة في هذا الجزء من العالم التي تستحق البحث . ولا يجب ان يترك الميدان للجهات الرسمية وحدها كي تحتضن هذا النشاط الفكري وترعاه ، فليست الجامعات والمعاهد العليا في اوربا وامريكا هي الوحيدة التي تخصص المنح والزمالات للباحثين كي تشجعهم على التفرغ للبحث والتأليف ، بل هناك أيضا المؤسسات المالية وكذلك الافراد ، وهؤلاء جميعا باستطاعتهم ري نبتة المعرفة ورعايتها . وختاما ، فاذا كان العرب مقبلين على عصر ذهبي جديد ، فليتذكروا ان عصر المأمون لم يعتبره المؤرخون قمة في التاريخ لمجرد ان الامبراطورية العربية بلغت اوجها فيه ، وانما لانه أيضا عهد التمع فيه العالم بضياء الفكر العربي .

سقوط صفد

محمد هشام العظم

هذا جزء من مذكرات عن حرب فلسطين ١٩٤٨ يعدها الكاتب العسكري العربي محمد هشام العظم الذي اشترك في هذه الحرب كضابط في جيش الانقاذ ثم شغل بعد ذلك العديد من المناصب العسكرية في الجيش السوري .

مقدمـــة :

اطلعت في العدد ٢١ من مجلة شؤون فلسطينية على مقال كتبه الاخ جادو عز الدين حول سقوط صفد سنة ١٩٤٨ . وبالرغم من أن الكاتب قد دعا في مقاله جميع الاحياء ممن حضروا المعركـــة او شاهدوا المأساة الى المبادرة لتوضيح ما غمض عليه . ولتصحيح ما أغفلته الذاكرة . فقد رأيتني مستجيبا لهذه الدعوة بدافعين : اولهما : انني كنت ممن خاضوا غمار هذه المعركة ، لا بل كنت في قلبها ، اي في قلب المدينة لا خارجها . وثانيهما: دافع الحقيقة والتاريخ . فلا بد من اجلاء الامور ولا بد من توضيح المسائل .

وأراني مضطرا الى الاعتراف بأن اعتمـــادي على الذاكرة في هذا الموضوع كان كاعتماد الاخرين عليه . ولكن شهود العيان هم دائما أذكر للمشاهد واكثر معرفة بالحوادث ومجرياتها ، بحكم وجودهم فيها ، ومعاناتهم لها .

على هذا التقدير فقد اغنانا الاخ جادو عزالدين في الشرح بما شاهده ووقف عليه خارج المدينة . فأتى على ذكره باسهاب وتفصيل لا يحتاجان الى مزيد . وان كانت لنا عليه بعض الملاحظـــات كما سيأتي .

وعلى هذا الاساس فانني ادعو القراء الـــى معاودة الاطلاع على مقال الاخ جادو عز الدين على سبيل استكمال المعرفة لا على سبيل المقارنة . لانه قد أتى في شرحه على كثير من الامور في داخل المدينة أيضا ، بما يتوجب على المشاهد ان يذكرها على حقيقتها خدمة للتاريخ .

وقد يكون لكل موضوع عدة أشكال من العرض لا تختلف باختلاف وجهات النظر المتفاوتة فحسب ، وانما باختلاف طرق العرض أيضـــا . وان أدت بالنتيجة الى هدف واحد . وما دامت الذاكرة هي مرجع الاثنين معا فليعذرني الاخ جادو اذا أضفت شيئا ، او نفيت أشياء ، او ركزت على امـــور لم يتطرق اليها في مقاله .

تمهيـــد :

دخلت فلسطين في منتصف شهر كانون الاول سنة ١٩٤٧ . مع سرية أدلب . وكنت معاونـــا لآمر السرية الرئيس الاول (الرائد) عبد الغفـــور حميدان . وقد تشكلت هذه السرية من عنـــاصر عسكرية سبقت لها الخدمة في جيش الشرق ايام الفرنسيين في سورية . وقد جمعهـــا السيد غالب العياشي نائب ادلب وأتي بها الى معسكرات قطنا. حيث كنا فيها ندرب هؤلاء المتطوعين الوافدين اليها من كافة الانحاء السورية والعربية . وبما ان هذه العناصر كانت لها خدمة عسكرية سابقة ، فقـــد اكتفت القيادة بتوزيع التجهيزات والاسلحة والذخيرة عليها . وأمرت بتشكيلها نظاميا بعد التحاقي بها، ثم طلب منها التحرك بها فورا للالتحاق بفوج المقدم أديب الشيشكلي في الجليل .

وبعد ثلاثة أيام كانت السرية مستكملة تشكيلها وتجهيزاتها واسلحتها وعتادها . فتحركت سياراتها الى الحدود اللبنانية ، حيث رافقها ضابط ارتباط لبناني الى مرجعيون . ومنها تقدمت الى صيدا وصور ثم الى رميش وهي قرية لبنانية علـــى الحدود الجنوبية . حيث ترجلت السرية وتابعت سيرها على الاقدام مستعينة بدليل كان ينتظرهـــا

على الحدود . ولقد سلك الدليل بها طريقا وعرة بين طربيخا غربا وديـر القاسي شرقـا باتجـاه سحماتا . متحاشيا في ذلـك السير على الطرقات العامة تجنبا للاصطدام مع الدوريات الانجليزية .

وفي سحماتا استقبلنا المقدم شيشكلي . فتعرف على السرية وافرادها . ثم قادنا الى قرية كفر سميع ومنها الى **دير الاسد** . فأقمنـا فيهـا مدة من الزمن ، كانت ضرورية للتعرف على الارض ، والانسجام مع الجو الذي كان يسود البلاد انذاك. ثم ما لبثنا ان استدعينا في مهمة عاجلة للانتقـال سيرا على الاقدام الى الكديرية . فأجتزنا منطقـة الزيتون في دير الاسد والرامه والفرادة حتى دخلنا منطقة الكديرية وهي منطقة جبلية وعرة ذات صخور مدببة حادة تارة او مسطحة مسنونة كحد السيف تارة اخرى . علاوة على أن بضع خطوات تفصل ما بين رجلين كانت كافية لقطع الاتصال وحتـى الرؤية في بعض الاماكن . وكانت هذه المنطقة مطلة على بحيرة طبريا ، ومشرفة على طريق صفد — طبريا . وذات مناخ دافىء في الشتاء . وهي تجاور غربا منطقة الزنفارية المقابلة للبطيحة السورية . وما لبث الشيشكلي ان لحق بنا مع سرية القيادة واقام معنا في تلك القرية .

كانت مهمتنا تنحصر في حرب العصابات . فكنـا نرابط على الطريق ونتعرض الى القوافل المعادية. ثم ننسحب بسرعة الى القرية معتصمين بهـا وبوعورتها خشية الاصطدام مع الجيش الانكليزي. ومع ذلك فقد اشتبكنا مع الانكليز ثلاث مرات عندما كانوا يتدخلون لانقاذ القوافل .

ثم انتقلنا الى بيت جن في جبال الجرمق بعد معركة حامية مع الانكليز حيث أقمنا فيها مدة مـن الزمن انتقلنا بعدها الى قرية السموعي ، الواقعة على السفح الشرقي لجبال الجرمق ، ومواجهـة لهضبة صفد . وكانت هذه القرية مطلـة علـى الطريق العام صفد — الفرادة — عكا . فاقمنا فيها مدة كنا نتابع فيها مهمتنا الاولى في ضرب القوافل على طريق طبريا — صفد. رغم بعد الشقة ووعورة الطريق . اذ كانت جميع تنقلاتنا سيرا على الاقدام ذهابا وايابا .

معركة صفد :

بدأت صفد تستأثر باهتمام القيادة نظرا لموقعها الستراتيجي الهام . ولكونها قلعة الجليل وعقدة مواصلاته المشرفة على عقد مواصلات اخرى فـي الشرق والغرب . فكانت بالنسبة الى العـدو مشرفة بموقعها وبجبل كنعان الملاصق لها علـى سهل الحولة والمستعمرات القريبة كالجاعونة . ومتحكمة بطريق طبريا — الحوله . ومسيطـرة بحكم الارتفاع على كافة ما حولها من المناطق .

كانت المدينة منقسمة الى قسمين : الحـي العربي الى الشرق والحي اليهودي الى الغرب. وكان جبل كنعان مشرفا على الحيين معا الى جهة الشمال . وكانت القلعة تفصل في جزء من المدينة الحيين عن بعضهما بعضا . وكان يقع على سفح جبل كنعان الى الجهة الجنوبية ، اي ما بينه وبين الحي العربي من المدينة ، مركز البوليس وكان بيد الجيش الانجليزي .

كان جبل كنعان بيد العدو. وكان مشرفا ومتحكما بالمنطقة والمدينة ، وخاصة علـى طريق التموين الرئيسية وهي طريق صفد — الجاعونه — طبريا. وكان للعدو في هذا الجبل مستعمرة بيريا القوية . وكان الى أسفل منها قرية بيريا العربية وهي قرية صغيرة محدودة القوى الدفاعية .

وعلى السفح الغربي منه كانت تقوم قرية عين زيتون العربية ، والى غربها مستعمرة عين زيتيم اليهودية . ويحيط بها على شكل قوس القـرى العربية التالية : دلاتا ، وطيطبا ، وقديثـا ، والصفصاف . وكان الاتصال بالحـي اليهودي تموينا واتصالا وانما يجري تحت اشراف الجيش الانكليزي .

كان العرب يحتلون الحي العربي الى الشرق من المدينة . وكانت الجهة الشرقية مـن المدينة مكشوفة تماما وليس وراءها قرى عربية تسترهـا وتحميها من الشرق . أما في الجهة الغربية فكانت عين زيتون وبيريا المعربيتين غير مشغولتين بقوات من الانقاذ ومكتفيتين بالمسلحين من اهالي القريتين وهم قليلون نسبيا . وكان القوس المؤلف مـن القرى المحيطة بصفد محتلا بقوى فوج اليرمـوك الثاني ومشرفا على الطريق الغربية المؤدية من صفد الى عكا ، ومن صفد الى الناصرة (عند قريـة الفرادة الى الجنوب) .

يلاحظ من هذا التقسيم ان المنطقتين كانتـا موزعتين كما يلي : المنطقة الشرقية بيد العـدو (باستثناء المدينة) ، والغربية بيـد العرب ،

(باستثناء عين زيتيم) ولكن النقطة الحاكمة الهامة ، وهي جبل كنعان ، كانت بيد العدو ، ويتصل بمستعمرة عين زيتيم التي كانت تشكل مخفرا اماميا قويا للدفاع عن صفد من جهة الغرب .

بدء المعركة :

بدأت معركة صفد عمليا من خارجها . فكان لزاما على القيادة ان تحكم الطوق حول المدينة . فأمرت سريتنا ان تنتقل الى قرية دلاتا ، فشكلت بذلك الطرف الايسر للقوس المضروب حول المدينة من الغرب . ولكن مستعمرة عين زيتيم كانت تقف حائلا دون التمكن من التأثير المباشر على الحي اليهودي من المدينة . ولقد قام المقدم شيشكلي بعدة محاولات لاحتلال المستعمرة ، وجرت حولها عدة معارك محلية صغيرة ، ولكن جميع المحاولات باءت بالفشل ، وقصفت المستعمرة بالهاون ٨١ مم عدة مرات ، وكان من نتيجة القصف ان زادت التحصينات الداخلية والخارجية في المستعمرة كما أفاد الاستطلاع المستمر .

كان الملازم الاول احسان كم الماز (من الجيش السوري) في صفد ، فقد هرب من الجيش حماسة ونخوة ، واصطحب معه عدة عناصر من رتباء الجيش ومن تلامذته ، ودخل مدينة صفد . فأحبه الاهلون واستلم قيادتهم . فكان يقود في المدينة جميع المناوشات والاشتباكات المستمرة مع اليهود من جهة ، ومع الانكليز من جهة ثانية في بعض الاحيان . ولكن هذه المناوشات لم تكن الا لاثبات الوجود العربي في المدينة ، ولم يكن لها تأثير حاسم ولم تحقق اي غرض عسكري سوى احتلال مركز البوليس .

وفجأة اعلن الانكليز اخلاءهم لمدينة صفد . وبدأوا باغراء الفريقين العرب واليهود للتسابق الى احتلال المركز واختطافه من الفريق الاخر . فقامت عناصر التغطية الانكليزية (حسب الرواية العربية المتواترة) تضرب الفريقين معا في آن واحد حماية لانسحابها، ولكن الرواية العربية تضيف بأن الجيش الانكليزي كان يركز في ضربه على العرب اكثر من اليهود ، حتى يتاح لليهود السبق في الاحتلال . ولكن الملازم الاول احسان كم الماز استطاع بحيويته وشجاعته وبما جمعه حوله من المجاهدين الصفديين ان يسبق الى الاحتلال والتمركز ، وان يدافع عن المركز ضد الفريقين في البدء ثم ضد اليهود في النهاية . وبقي المركز بيد العرب . فأكسبهم ميزة دفاعية جيدة، وحسن كثيرا من قوة دفاعهم . لان مركز البوليس كان يشرف على الحي العربي اكثر من اشرافه على الحي اليهودي ، وان بقي جبل كنعان مشرفا عليه . وبهذا الاحتلال فاتت على اليهود فرصة ثمينة جدا في كسب المعركة بل في تأخير هذا الكسب مدة أطول .

قلب هذا الوضع الطارىء خطط المقدم شيشكلي رأسا على عقب . فبينما كان مستمرا في تحضيراته للاستيلاء على مستعمرة عين زيتيم لتضييق الحصار على الحي اليهودي وايقاعه بعد احتلال المستعمرة تحت تأثير الضرب المباشر من قبل القوات العربية، نراه يرجىء هذا الامر الى موعد اخر ، ويسرع في نجدة حامية صفد داخل المدينة . لانها ان اختلت وسقطت المدينة لم يعد بوسعه البقاء حولها (كما حدث فيما بعد) . ناهيك بفقد الموقع الستراتيجي الهام . وليؤمن المقدم شيشكلي تنفيذ مهمته جمع القوات التالية :

١ — السرية الاردنية بقيادة النقيب ساري الفنيش . وكانت متمركزة في ترشيحا على ما أذكر .

٢ — فصيلة من سرية القيادة (متطوعون سوريون) وزمرة هاون ٨١ مم (مدفع واحد) بقيادة آمر السرية الملازم عبد الحميد سراج .

٣ — فصيلة وحضيرة من سرية ادلب بقيادتي .

جرت هذه التحركات ليلا الى مخفر الظاهرية . ثم منه سيرا على الاقدام في وادي الطواحين ثم صعودا الى المدينة من الجهة الجنوبية . وكان الوادي شديد الانحدار وعرا ذا شجر كثيف ولا يصلح الا للسير بالرتل الاحادي وبكل تؤدة نظرا لضيق الدرب ، وخشية الانزلاق على الاراضي المبتلة من المطر . ودخلنا صفد مع الفجر ثم لحقنا الاردنيون . (اذكر أن تاريخ هذا التحرك انما كان في اواخر النصف الاول من شهر نيسان عام ٤٨) ثم جرى توزيع المهمات كما يلي :

١ — كلف الملازم حافظ (اردني) باحتلال مركز البوليس والدفاع عنه بقوة تتألف من فصيلة من

السرية الاردنية ومتطوعين فلسطينيين .

٢ ــ كلف الملازم سراج باحتلال القلعة وعمارة الحاج فؤاد . بقوة تضم حضيرتين للقلعة، وحضيرة واحدة للعمارة ومتطوعين فلسطينيين .

٣ ــ كلف الملازم هشام العظم بالدفاع عن شرقي المدينة بما في ذلك المستشفى (وكان الشرق مكشوفا كما أسلفنا) وتأمين الاتصال مع مركز البوليس بواسطة النظر . وكانت قواته تتألف من فصيلة وحضيرة من المتطوعين السوريين (سرية ادلب) .

٤ ــ كلف الملازم الاول اميل جميعان بالدفاع عن مركز القيادة (مقر رئاسة البلدية) بالاضافة الى مهمته كمعاون لقائد الحامية .

٥ ــ زمرة الهاون ٨١ مم تحت تصرف قائد الحامية . وكان مركزها الى الشرق من مقر الرئاسة (ما بين الجبانة ومقر القيادة) وكان آمرها الرقيب محمد قاسم الطوقتلي وهو وافراد زمرته من المتطوعين السوريين من سرية قيادة فوج اليرموك الثاني . وكان هذا المدفع هو سلاح الاسناد الوحيد في صفد .

٦ ــ التموين : كان واقعا على عاتق القيادة التي استخدمت البغال لتأمين التموين عبر وادي الطواحين .

٧ ــ المواصلات : كانت جميع المراكز الدفاعية مرتبطة بشبكة سلكية ، وكان الاتصال الهاتفي مستمرا مع جميع المراكز ، اما الاتصال بالقيادة فكان يتم بواسطة جهاز لاسلكي في المركز . وبواسطة عناصر التموين .

تم توزيع هذه المهمات شفويا وبسرعة . وكان الاعتماد في التنفيذ على بداهة الضباط وفطنتهم ، دون ان يكون لقيادة الحامية اي اشراف على التمركز او أي تدخل في تعديله او اقراره او حتى التفتيش عليه . ناهيك بعدم وجود اي مخطط للدفاع بشكله النظامي المعروف . مما جعلنا نعتقد أن مجيئنا الى صفد انما كان للتعزيز واستمرار الوجود العربي فيها . وكنا انذاك ضباطا صغارا، لا نملك حرية التصرف ولا نجد مجالا لقلب الفوضى الى نظام . فقد كانت هذه المسألة من أعقد الامور. اذ لم يستطع حتى قادتنا ان يؤثروا فيها او يجدوا لها حلا . ومع ذلك فقد تم التمركز بأسرع ما يمكن . واستؤنفت المناوشات المستمرة ، بل شاركت العناصر الجديدة بالمناوشات والدفاع بشكل مجد وبسرعة مما أعاد الاطمئنان الى النفوس واعاد الثقة بقوة الدفاع .

وقبل أن امضي في وصف المعركة لا بد لي من التوقف هنيهة عند التموين ، فقد كانت مشكلته من أكثر المشاكل تعقيدا . وبالرغم من أنها لم تواجه بما يليق بها من العناية ، الا ان الوسائط المتيسرة ، والواقع العسكري قد حكماها بشدة مما جعلها مدعاة للشفقة . ذلك أن الواقع العسكري جعل كلا الطرفين المتحاربين يعتقد خطأ ان كل واحد منهما يحاصر الاخر . ولكن الحقيقة ان العرب كانوا هم المحاصرين او شبه المحاصرين. فقد كان اليهود يؤمنون طريق التموين الى الحي اليهودي عن طريق الجاعونه ــ صفد . وعندما سقطت عين زيتون العربية ، أصبحت الطريق مفتوحة تماما أمام قوافلها الالية .

أما نحن فقد كانت جميع الطرق مسدودة امامنا، باستثناء مسلك وادي الطواحين . وهو مسلك لا يصلح الا للراجل الواحد والدابة الواحدة . ويتعرض السائر عليه لمخاطر الانزلاق والتردي الى الوادي .

وقد استخدم المقدم الشيشكلي البغال والدواب لايصال المؤن والذخيرة ، ولكن احتدام المعركة واستمرارها في الليل والنهار ، جعل احتياطي الذخيرة معدوما في أغلب الاحيان . فما يكاد يجري توزيع الذخيرة على المراكز حتى تبدأ طلبات التموين . ثم استغنينا عن الاحتياط العام في المركز ، ووزعناه كاحتياط خاص جزئي في المراكز الدفاعية .

أما الاطعام فقد كان متيسرا ولكن الى حين . وقد خفض من اهميته احتدام المعركة واكتفاؤنا باليسير منه ؛ ناهيك بوجود المؤن عند الاهلين كما كانت تقضي بذلك العادات العربية . ولكنني لا اعتقد بنجاح هذا الاسلوب من التموين لو استمر الحصار طويلا بعد نفاد المؤن من البيوت واضيف على كاهل القيادة عبء تموين الاهالي بالاضافة الى الجنود ، والى ما تتطلبه المعركة من ذخيرة وعتاد .

وكانت الخدمات الطبية مؤمنة بشكل متوسط، وبواسطة المستشفى . ولكن الحاجة كانت تزداد

تباعا الى المواد الطبية والى المصل والدم كلما اشتدت المعركة وكثر عدد الجرحى . فقد قضى الكثير منهم من قلة الدواء وبقية المسواد الطبية وانعدام وجود الدم بعد أن نفد احتياط المستشفى.

كان تصرف قائد الحامية قبل المعركة اشبه ما يكون بتصرف الحاكم العرفي ، فلم تكن المهمة الرئيسية تستأثر باهتمامه ، فكان أبعد ما يكون عن المهام العسكرية . ولقد انصرف بكل اهتمامه الى النواحي المدنية . فكان يستعمل الجنود الاردنيين كرجال شرطة للقبض على هذا وللضرب على يد ذاك ولم نكن نعرف سببا لذلك . واستمرت هذه المعاملة السيئة . وكانت تشتد كلما رافقتها حالات التذمر والتقاعس عن الخدمة ، والمرابطة في مراكز الدفاع ، حتى ضج الاهلون ، واعتقدوا بأنهم أمام قوة محتلة وحاكم محتل ، لا امام نجدة عربية قادمة للدفاع عنهم ومساعدتهم . مما ولد في نفوسهم انعكاسات سيئة على روح القتال، وضرورة المواظبة على الدفاع . حتى ان هذه المعاملة قد أحدثت فيهم انقساما خطيرا والمعركة على أشدها . فانقسموا ما بين مؤيد ومناهض . وسادت في نفوسهم وافكارهم تلك الانقسامات التي كانت جذورها تعود الى الاجتهادات السياسية السائدة في المنطقة العربية انذاك . ولم تمنع المعركة ، ووجود العدو ، والخطر القريب من ظهورها . وكان من نتائج تلك المعاملة أن فوجئت بقدوم احدى الشخصيات الصفدية الي وهو على رأس جماعته من المسلحين من عائلته وممن انضم اليها بالاتجاه السياسي وبالنفوذ العائلي معلنا وضع نفسه ومسلحيه تحت قيادتي وتصرفي (بصفتي سوري) تاركا بذلك مراكز الدفاع المعينة له شاغرة . مما كان له في نفسي أسوأ الوقع . حتى ان تلك الشخصية قد حاولت اقناعي في التجاوب لتلك الاصداء . ولكنني لم آبه لها ولم أعرها أي جانب من الاهتمام . انصرافا مني الى المهمة الرئيسية ، وتقديمها على كل اعتبار . ونصحت الشخصية المذكورة بالعودة الى المراكز الدفاعية . فالعدو قابع في البلاد وخطره قريب . وكل شيء ما عدا الدفاع والقتال انما هو من الترهات . فاستجاب الى طلبي وعادت جماعته الى مراكزها . ولكن الاثار بقيت عالقة في النفوس، وقد انعكست كلها على روح القتال والحماسة . وأدت بالضرورة الى التقاعس عن الخدمة والقيام بواجبات الحراسة والقتال . وقد كانت الروح المعنوية في صفد من أقوى ما لمسناه في عمسوم الجليل . ولكنها تردت نتيجة المعاملة السيئة . أما جنود الانقاذ من بقية العناصر فقد كانوا بمعزل ومنجاة عن هذه المعاملة، نظرا لاهتمامهم بالقتال، وقلة احتكاكهم مع الاخرين .

وكان من آثار تعيينه كقائد للحامية خسارة الحامية للملازم الاول احسان كم الماز . ولم يكن الملازم الاول كم الماز تابعا لقيادة الشيشكلي آنذاك . وانما كان حرا يتصرف بالقتال في المدينة كيفما شاء . وعندما اقتضت الضرورة ادخال التعزيزات من قيادة منطقة الجليل في اعقاب جلاء الانكليز عن المدينة كان الملازم الاول مسرورا بهذه التعزيزات سيما وان عناصرها الاولى كانت سورية وضباطها من تلامذته . ولكن ما أن دخلت العناصر الاردنية وعلى رأسها من هو اعلى منه رتبة حتى تبدلت نفسيته بعض الشيء . اذ كان يقدر أن يكون قائد الحامية ، وكان معه الحق بذلك ، لانه كان اعرف بالمدينة عسكريا واجتماعيا . فقد أحبه الاهلون وشاهدوا من شجاعته واندفاعه ما زادهم حبا واعجابا به . وقد توج اعماله القتالية في صفد باحتلال مركز البوليس وانتزاعه عنوة من أيدي اليهود . ولكنه كان حاد الطبع عصبي المزاج . فلم يرق له البقاء في صفد تحت امرة غيره فغادرها غاضبا . ولقد أثر ذهابه على الروح المعنوية الصفدية . ولمسنا ذلك ظاهرا على نفوس الصفديين . وتردت الروح اكثر من ذلك عندما لاحظوا تبدل المعاملة والانتقال فيها من صعيد المساواة والاخوة الى صعيد الحاكم والمحكوم ، مما كان له أسوأ الاثر على دوافع القتال والروح المعنوية .

وقد كان من الممكن، بل من الاولى، ابقاء الملازم الاول كم الماز في صفد استفادة من عدة ميزات حققها بها وكما تقضي الحاجة الملحة والضرورات العسكرية . ولكنه لم يستطع لحدة طبعه وشدة نزقه المكوث اكثر من ثلاثة أيام ، حاول فيها ان يقنعني بترك المدينة ، والمرابطة على طريق صفد الجاعونه . كأنه يطلب مني ان اترك مواقعي الدفاعية وان انفصل عن قيادتي لتحقيق اغراض قتالية ربما كانت منسجمة مع الوضع العام ولكنها ليست منسقة مع خطط القيادة وأفضلية الدفاع عن المدينة . فغادر المدينة مودعا من قبل الاهلين

بحرارة وأسف ،والتحق بالجيش السوري ، وما لبث أن استشهد في معركة سمخ .

المعركـة :

المعركة ذات جانبين : داخلي وخارجي — أما في الداخل فقد بدأت حامية ضارية منذ اليوم الاول من دخولنا الى صفد ، واستمرت على ضراوتها طوال سبعة وعشرين يوما ، لم تذق فيها طعم الراحة والنوم الا نادرا . وقد بدا الهزال من نتيجة التعب والسهر على وجوه الجميع . ولاحظ ذلك المقدم شيشكلي والدكتور فيصل الركبي (وكان طبيب الفوج ولم يكن تحت قيادته وحدة مقاتلة كما جاء في مقال الاخ جادو) . وبقيت هذه الوحدات طوال هذه المدة بدون تبديل ، وخاصة تلك التي كانت في الخطوط الامامية وهي من عناصر سريتي(١). فكانت تقاتل ليل نهار . اما الاهالي فكانوا يترددون الى بيوتهم فيصيبون فيها شيئا من الراحة ، ثم يعودون الى مراكزهم في الليل الا اذا استدعت الضرورة سرعة الالتحاق .

أما الجانب الخارجي . فقد اثرت على معركة صفد العوامل التالية لمصلحة العدو :

١ — سقوط حيفا . وكان ذلك بعد قيام الرئيس الاول (الرائد) شكيب وهاب ، والذي جاء مددا للشيشكلي ، بمهاجمة ثلاث مستعمرات مجاورة دفعة واحدة من قاعدة انطلاقه في شفا عمرو . مما ألحق به وبقوته خسائر فادحة . ومما اضطر الشيشكلي الى نجدته بالقوات والذخيرة الاحتياطية التي كانت لديه (ومعركة صفد في اوجها) وقد كان الحديث الدائر انذاك والمتردد على الالسنة ان الرئيس الاول (الرائد) وهاب انما قام بهجومه ذلك بدون علم الشيشكلي ، او بدون موافقته، مما أحدث ارتباكا ظاهرا في قيادة منطقة الجليل ، وانعكست اثاره فورا على معركة صفد فتوقفت التعزيزات والامدادات بالذخيرة .

٢ — سقوط عكا : وقد تلا سقوط حيفا بقليل .

٣ — سقوط طبريا : وقد كان قبيل سقوط صفد ببضعة أيام .

٤ — سقوط عين زيتون العربية واتصال جبل كنعان بالحي اليهودي .

كان لسقوط هذه المدن بالتوالي آثار سلبية ظاهرة على المعنويات العربية ، واثار اخرى ايجابية على الحشد الاسرائيلي والتموين اللذين انصبا بكثافة في الايام الاخيرة على صفد ومنطقتها بعد التفرغ لها . وقد أفادت المراصد ووسائط الاستطلاع ان توافل العدو بقيت مستمرة طوال الايام التي سبقت سقوط المدينة تتدفق عليها .

ميزان القوى :

ان حساب ميزان القوى يشير سلفا الى سقوط المدينة قبل بدء الهجوم عليها ، وقبل استعراض القوات عددا وتسليحا ، يمكنني الجزم بأن سقوط المدينة لم يكن مفاجئا كما جاء في مقال الاخ جادو، وانما كان متوقعا . ولعل الاخ جادو قد عالج الموضوع بالتصورات السابقة في أيام المعركة . وقد اشاركه في هذه المعالجة تحت تأثير تلك التصورات لولا الحقيقة والواقع ومشاهدة العيان.

واذا استعرضنا القوات المتحاربة ، وبدأنا بالعدو ، لوجدنا التفوق الظاهر الملموس في كافة أنواع الاسلحة وخاصة الاسناد والالية في مصلحة العدو . فغزارة الدعم الناري ، وغزارة الاسلحة الالية كانت اقوى بكثير من غزارة نيراننا الفردية والالية(٢) ومن المعروف ان الهجوم هو النار التي تتقدم وان الدفاع هو النار التي تؤخر او توقف، ظهر لنا الواقع جليا بدون الحاجة الى المقارنة .

أما المواقف البطولية التي وقفها المدافعون في المدينة فهي أجل من أن توصف . ولقد لعبت دورا كبيرا في تعديل ميزان القوى المادي ولكنها لم تستطع قلب هذا الميزان لصالح القوات العربية .

وثمة ناحية اخرى عن نفي سقوط المدينة بصورة مفاجئة وهي ان العدو لم يقم بالهجوم الاخير

---

١ — استدعي السراج بعد ثلاثة أيام الى مركز القيادة ، وضمت فصيلته هي وزمرة الهاون الي . فأصبح تحت قيادتي فصيلتان وزمرة هاون ٨١ مم وعدد من عناصر التموين ، ولا يتجاوز العدد الكلي خمسا وثمانين .

٢ — كان تسليح السرية رشاش خفيف واحد لكل فصيل . فكان في السرية من ٣ — ٤ رشاشات خفيفة حسب تشكيلها والباقي بنادق فردية . أما اسلحة الاسناد التي بحوزتنا فهي مدفع هاون واحد عيار ٨١ مم ، وبقي زميله في القيادة خارج صفد .

الوحيد على المدينة حتى سقطت بصورة مفاجئة ، وانما قام أيضا بهجوم كبير جدا في ليلة السادس من أيار ، وفشل فيه فشلا ذريعا . وكل من شهد المعركة وحضرها من الاهلين والعسكريين يذكر ذلك.

انه لمن المؤسف حقا ان يكون التفوق لصالح العدو عددا وسلاحا . ولو كنا نخضع في ذلك للتصور ابان المعركة . ولكن معركة فلسطين (دون النظر الى خلفياتها) لم تمهلنا نحن السوريين خاصة وانها جاءت فورا في اعقاب الاستقلال ، فلم تسمح الظروف المتعددة والمتشابكة والطارئة بان نتسلح لهذه المعركة ، او ان نعد لها الاعداد والتسليح الكافيين . ولم يكن في تصور القيادة والمسؤولين انذاك الصورة الحقيقية من المعركة ومتطلباتها . ولقد استهلك جيش الانقاذ اكثر من نصف ذخيرة الجيش السوري وقسما لا بأس به من سلاحه قبل أن يدخل الجيش السوري القتال، فلما دخله أصبح محتاجا الى الذخيرة يبتاعها من المهربين ومن الاهلين وبأثمان باهظة جدا .

ولقد كان توزيع القوات العربية داخل صفد كما يلي :

١ ــ **القلعة القديمة** : وهي واقعة في منتصف البلدة وتفصل في الجزء الشمالي الشرقي الحي اليهودي عن الحي العربي ، وكانت مقسومة الى جزئين ، جزء مع اليهود من الشمال وجزء مع العرب من الجنوب وكان يدافع عنها حضيرتان سوريتان بامرة الرقيب مسعد سراج ، يضاف اليهما المتطوعون الصفديون وعددهم غير ثابت .

٢ ــ **عمارة الحاج فؤاد** : وهي عبارة عن مخفر أمامي متقدم باتجاه العدو وتحتلها حضيرة سورية بامرة رقيب ، وكان ينضم اليها ليلا المتطوعون الصفديون وعددهم غير ثابت .

٣ ــ **الجهة الشرقية** : المستشفى ــ المدرسة ــ الوادي : ويحتلها فصيل سوري مع حضيرة سورية اضافية ، وكانت المدرسة مركز قيادة السرية(٣).

٤ ــ **مركز البوليس** : وكان يحتله المتطوعين الاردنيون من السرية الاردنية بامرة الملازم حسافظ (فصيلة اردنية مع عدد من المتطوعين الصفديين، ولا يتجاوز عدد الجميع المائة) .

٥ ــ **مقر رئاسة البلدية** : (او مقر القيادة) ويقوم بالدفاع عنه فصيلة اردنية مع عناصر التموين . (وكانت تبيت ليلتها ثم تعود لجلب التموين) .

٦ ــ **فندق الحاج داوود** : كان يدافع عنه فصيل اردني على ما اذكر بالاضافة الى المسلحين الصفديين .

٧ ــ **زمرة الهاون ٨١ م** : اي المدفع الوحيد. وكان متمركزا في عدة مواقع تبادلية تقع ما بين المقر والجبانه، وأفراد الزمرة سوريون بامرة الرقيب محمد قاسم الطوقتلي .

كان عدد القوات لا يتجاوز : ١٠٠ اردني ، ٨٥ سوريا (فقد منهم ٣٧ قتيلا ــ ١٦ جريحا) ، ٣٠٠ فلسطيني (أي ما مجموعه حوالي ٥٠٠ مسلح).

من هنا يتضح أن هذا العدد لم يكن كافيا للدفاع عن المدينة ، خاصة وان القتال في المدن انما يتطلب أعدادا كبيرة من المقاتلين لأمور كثيرة لا مجال لتعدادها الان وليس كالقتال في الاراضي العادية.

الهجوم الاول :

في الساعة الواحدة من يوم ٦ أيار سنة ١٩٤٨ قام العدو بهجوم ليلي قوي على جميع المراكز في المدينة مستخدما لهذه الغاية نيرانا كثيفة جدا من مدافع الهاون ٣٢٥ بوصة وراجمات الالغام (التي شهدنا استخدامها ضدنا لاول مرة) وأسلحة آلية كثيرة وغزيرة . وكانت النيران تنصب بغزارة على مركز البوليس والقلعة ومقر القيادة . وبعد مدة وجيزة اتضح من الاشتباك واصوات النيران المتبادلةان الهجوم انما كان يستهدف مركز البوليس بالدرجة الاولى ، والقلعة ، وعمارة الحاج فؤاد، لان المركزين الاخيرين كانا حجر عثرة امام أي تقدم الى داخل المدينة .

تدافعت الحاميات جميعها دفاعا مجيدا . وبخاصة حامية القلعة وعمارة الحاج فؤاد . فأبدتا ضراوة وشراسة منقطعتي النظير ، حتى انني رأيت بأم عيني كفي رامي الرشاش الخفيف محترقتين لكثرة اطلاق النار والتهاب حديد

---

٣ ــ بعد أن وضعت مفرزة السراج تحت قيادتي لم يجر اي تعديل على الوضع الدفاعي من قبل قيادة الحامية ، فبقيت أنا مع الفصيل معزولا عن الجبهة الشرقية ، وبقيت العناصر الاخرى في الجهة الغربية معزولة عني وليس بيني وبينها أي ارتباط الا بالهاتف وزيارات التفتيش .

الرشاش(٤) وبالرغم من اصابة آمر القلعة الرقيب سعد سراج اصابة قاتلة ، وتعدد موجات الهجوم، فان الحامية ثبتت في اماكنها ولم يستطع العدو ان يزحزحها عن مواقعها . وقد وصلت طلائعه الى الخنادق وسقط قتلاه امامها ، ولم يستطع ان يجرها كما هي عادته في اخلاء جرحاه وقتلاه .

بعد ان تبين محور الجهد الرئيسي لهجوم العدو أمرت مدفع الهاون (٨١ مم) الوحيد المتوفر باجراء الرمايات المعلمة حسب اتجاهها المحضر سابقا . وخصصت بها القلعة ومواجهة عمارة الحاج فؤاد . واما القلعة فلم نستطع ان نرصد شيئا من القنابل لوقوعها وراء الاشجار الموجودة في القلعة . ومن عمارة الحاج فؤاد أفادنا الرصد بأن القنابل قد انفجرت بين التجمعات العدوة وعلى مسافات قريبة من العمارة فاحدثت في صفوفها خسائر جسيمة ، وقد كان قصف العدو على مقر القيادة يستهدف شل القيادة وتدمير المدفع . ولكن المرابض التبادلية حالت دون تدميره اذ نقلته الزمرة من منطقة الخطر الى موضع تبادلي اخر .

استمر الهجوم حتى الفجر اي حوالي ثلاث ساعات ، وباءت جميع محاولات العدو بالفشل ، وألحقت به خسائر كثيرة . اما خسائرنا فكانت أقل بكثير من خسائر العدو ولم أعد اتذكرها على الضبط .

الهجوم الثاني :

كانت تحشدات العدو مستمرة وقوافل تموينه متوالية . اما نحن فلم يقع اي تبديل على مراكز قواتنا او على عددها الا في اليوم الاخير حيث تدمت الى صفد السرية المشؤومة كما سيأتي . وقد اجرينا عدة تبديلات لملء النقص الحاصل في القتلى والجرحى ، ولكن على حساب بقية المواقع. وطرأت على الموقف في صفد فترة هدوء لم نتمتع بمثلها طوال اقامتنا في المدينة ، ولكنها كانت باعثة على القلق وشدة التيقظ واستمرار السهر.وقد كنا ألفنا اطلاق النار فتعودنا على النوم لفترات قليلة. ولكن الهدوء كان ينفي عنا النوم انتظارا لما يخبئه القدر .

وتغيب قائد الحامية بعد الهجوم الاول فورا ، اي في صبيحة اليوم الثاني، واصطحب معه الملازم الاول اميل جميعان بحجة طلب المدد والنجدات ، ومناقشة القيادة في الوضع العسكري العام . فاستلمت انا قيادة صفد لمدة اربع وعشرين ساعة تقريبا . فانتهزت فرصة الهدوء ، واجريت تفتيشا سريعا على احتياطي الذخيرة فهالني ما رأيت . وتواردت علي طلبات التموين . فاتخذت قراري بتوزيع الذخيرة الاحتياطية فورا ، ونقلت بذلك الاحتياطي العام الى الاحتياطي الخاص للوحدات الامامية ، كي يكون في متناول أيديها اثناء المعركة المرتقبة ، نظرا لصعوبات التموين اثناء القتال . وابرقت الى القيادة طالبا امدادي بالذخيرة . وكانت صعوبة التموين لا تقف عند حد القلة فحسب ، وانما في تنوع الاسلحة وعدم استطاعتنا توحيدها في كل مركز لتعدد العناصر المشتركة . وبعد ساعات معدودات حضرت الذخيرة على ظهور البغال الموجودة في مركز القيادة وكنا قد فقدنا بعضها وبعض عناصر التموين اثناء القصف في الهجوم الاول .

حضر المقدم شيشكلي في صبيحة الهجوم الثاني، فأجرى مقابلات سريعة مع الضباط ، واطلع على الوضع العام ، وقفل راجعا الى مركز القيادة . وهنا لا بد لي ان اذكر القارىء بالرجوع الى المقال الذي شرح فيه الاخ جادو اهتمام القيادتين العامة وقيادة الجليل بتطورات المعركة .

وفي اليوم التالي حضر الملازم الاول اميل جميعان بمفرده الى صفد فاستلم القيادة وبقي ساري الفنيش متغيبا . وقام الملازم الاول جميعان يوزع البشائر ، ويعدنا بالنجدات السريعة القادمة . ووردت النجدات بالفعل . ولكن في نفس اليوم الذي بدأ فيه الهجوم الليلي الكبير . وكان قوام هذه النجدات سرية بامرة الملازم الاول عز الدين التل وهو ضابط اردني ، وافرادها متطوعون لبنانيون من طرابلس (وليست اردنية كما جاء في مقال الاخ جادو) وكان يلوح على افرادها انهم اغرار ومتسلحون ببنادق كندية جديدة ، ثم اتضح انهم ما زالوا جميعا تحت وطأة زرقة التيفوئيد التي تعطى عادة للجنود في مستهل خدمتهم ، ولما يمض على زرقهم فيها ثمان واربعون ساعة ثم كثر اللغط حول هذه السرية حتى قيل فيما بعد ان بعض افرادها ما زالت اسلحتهم بشحمها ، لم تنظف ولم

---

٤ ــ وهو السيد سعيد الصباغ ، وقد أصبح ضابطا في الجيش السوري فيما بعد .

تعد للاطلاق فانفجر بعضها في يد اصحابها اثناء المعركة .

اتخذ قائد الحامية قرارا فوريا باجراء التبديل للاماكن التالية : عمارة الحاج فؤاد والقلعة وفندق الحاج داوود . وما ان حل الظلام حتى كانت جميع العناصر مبدلة ، واستلمت السرية الجديدة تلك المراكز ، واتخذ آمرها فندق الحاج داوود مقرا له ، وانسحبت العناصر الأولى ملتحقة بقياداتها .

لقد كان التبديل ضروريا في اعقاب هذه المدة الطويلة . وكانت حجة القائد ان العناصر القديمة (وهذا واقع واكيد) قد بلغ بها الاعياء مبلغه . وأضر بها الجهد والتعب ولا بد من تبديلها بعناصر جديدة ومرتاحة ودفعها الى الخلف لتشكل احتياطا تكتيكيا للقوات الجديدة .

تنفيذا لهذا الامر ابقيت عناصري في مراكزها الخلفية كاحتياط . اذ كانت هناك بعض الابنية الخلفية مستعملة من قبلها كأماكن للنوم والراحة اثناء النهار وفترات الهدوء . وبعد انتهاء الاستلام والتسليم عدت الى مركز قيادتي في السرية وكلي يقين بأننا مقدمون على معركة ثانية اشد من الاولى واعنف .

في تمام الساعة ٢٢ر١٥ من ليلة ٩ــ١٠/٥/٤٨ فتحت النيران بكثافة اشد من سابقتها في الهجوم الاول، فشملت جميع أنحاء المدينة، ثم ما لبثت ان تركزت على مركز البوليس، والقلعة، وعمارة الحاج فؤاد ، ومقر القيادة . وكانت نيران الاسلحة الالية تشكل دويا مستمرا ، اما رمايات الهاون وراجمات الالغام فكانت غزيرة جدا ، واستهدفت القلعة بصورة خاصة .

ولم تستطع سرية الاغوار الصمود امام كثافة النيران الهائلة ، اذ انها لم تتعود من قبل على هذا الجو القتالي العنيف ولم يكن لها سابق خبرة عسكرية ولا تعود على جو المعارك مهما كان بسيطا ، فأسقط في أيديها . وانسحبت على الفور وتبعثرت بشكل غير منظم . واستطاع العدو ان يحتل القلعة بسرعة نظرا لقرب المسافة الفاصلة ، وراح يمطر عناصرها الخلفية بوابل رشاشاته الالية، وقد حاولت عناصرنا عبثا استرداد القلعة مستعينة بخنادق المواصلات ، ولكنها لم تستطع ذلك ، وسقط منها عدد لم أعد أذكره ما بين قتيل وجريح . اما السرية الجديدة فلم يعد احد يرى لها أثرا ، وكأنها عرفت الطريق فعادت من حيث أتت .

كانت الاحوال الجوية غير مساعدة للرؤية . وكان الجو ماطرا . والجو في هذه الحالة يساعد المهاجم اكثر من المدافع . واستطاع العدو التسلل والتقرب الى مسافات قريبة حتى وصل ، تحت حماية النيران ، الى مسافة الانقضاض ، فانقض على الخنادق دون ان يقاومه احد .

وفشلت الهجمات المعاكسة والبسيطة (على مستوى حضيرة أو اقل) التي قام بها افراد السرية القديمة لاستعادة الخنادق وتمكن العدو بالتالي من الاحتفاظ بالقلعة واجراء الرمايات المباشرة على الاهداف الواقعة وراءها .

ثم سقطت عمارة الحاج فؤاد وفندق الحاج داوود ، فاضطرب عندها الموقف، واختلط المقاتلون بالاهالي . والنساء والاطفال بالرجال وانتقل تركيز الهجوم المعادي الى مركز البوليس . وما لبث قائد الحامية ان انضم الي في الجهة الشرقية واعلمني بأنه أمر الملازم حافظ بالانسحاب واخلاء المركز . فسقط المركز بيد العدو ، وقد كان من اقوى المراكز بناء وأشدها تحملا لوطأة أي هجوم مهما كان شديدا ، حتى ولو وصل العدو الى جدرانه فنسفها بالديناميت (اذ لم تكن هناك اسلحة ضد الدروع وضد التحصينات) .

وفي حوالي الساعة الثانية والنصف من صباح العاشر من ايار التقيت بقائد الحامية عند مربض الهاون ٨١ مم (وقد نفدت ذخيرته) فتقرب مني قائد الحامية وبيده ورقة قال انها برقية من القيادة تأمره بالانسحاب جوابا على برقيته التي يؤكد فيها للقيادة انه لم يبق في صفد الا انا والملازم هشام.

كان منظر المدينة في الحقيقة مؤثرا للغاية ، فلقد سقطت المراكز الدفاعية في صفد الواحد تلو الاخر ، ولم تعد اية مقاومة مجدية امام الاشراف الطاريء من هذه المراكز المحتلة على جميع الطرق والمنافذ المؤدية الينا ، اما حقيقة الانسحاب من المدينة فقد بدأ قبل صدور الاوامر به كما تدل عليه البرقية الجوابية السابقة .

وكنت الضابط الوحيد الذي انسحب ومعه جنوده(٥) بعد أن أمرتهم بالانسحاب حضيرة اثر

٥ ــ وكان ذلك حوالي الساعة ٤ر٣٠ صباحا حيث لم يبق جنود ولا اهلون وبخاصة المسلحين.

الاخرى . وبقيت مع مفرزة الهاون حتى كنت آخر من انسحب من صفد بعد اتلاف او طمر كل شيء لم نستطع حمله او نخشى عليه الوقوع بيد الاعداء.وكنت قد كلفت رفاق الرقيب مسعد سراج الذي اصيب في الهجوم الاول برأسه ان يحملوه معهم اثناء الانسحاب ، فمنعهم الطبيب من حمله لان حالته خطرة ومئوس منه ، وقد بقي في المستشفى حتى شفي ثم اطلق سراحه .

الانتقادات والدروس :

١ ـ **الوضع الداخلي في المدينة** : فقد استعرضناه فيما سبق واستعرض بعضه الاخ جادو ، ولا ارى داعيا هنا للتكرار .

٢ ـ **القوات المدافعة** : كانت قليلة ولا تكفي للدفاع المجدي عن ناحية منها ، فضلا عن المدينة بأكملها . واذا قدرنا عددها بـ ٥٠٠ مقاتل فان الذين كانوا يتغيبون عن المراكز ، والذين كانوا لا يقاتلون بكفاءة ، انما كانوا ينقصون ذلك العدد الى اقل من ٤٠٠ رجل .

اما السرية الجديدة فقد كانت نكبتنا فيها اعظم بكثير من فرحتنا بمجيئها . على انني لا أعد مجرد التبديل الذي جرى قبيل الهجوم خطأ ، ما لم يكن مقصودا ، وهذا ما استبعده ايضا ، لانه لو كانت الامور جارية على مثل هذا الصعيد ، لما استطاعت صفد ان تقاوم طوال تلك المدة . ولكن لو استطاعت السرية الجديدة ان تتمالك نفسها بعض الوقت ، لانضم اليها الاحتياط التكتيكي ، ولاستطاعت النجدات (القليلة طبعا) ان تصل اليها وتعزز مراكزها فتؤخر النتيجة او تقلل ما امكن من فداحة الكارثة .

اما الجهة الشرقية من المدينة فقد كانت خالية الا من فصيل واحد ، كان توزيعه اقرب ما يكون الى نقاط الحراسة منه الى مواقع الدفاع . فهو ينتشر على خط يمتد من المستشفى جنوبا حتى الوادي الذي يفصل بين المدرسة ومركز البوليس . ولو حدث اي هجوم او تسلل من هذه الناحية لما استطاع الفصيل الدفاع ، ولستقط معظمه بين قتيل وجريح .

انني استغربت في السابق عندما كنت استعرض الموقف في صفد وما زلت استغرب حتى الان كيف ان العدو لم يهاجم المدينة من جهة الشرق . بل راح يناطح بشدة وبعدة محاولات مراكزها الحصينة من الغرب . ولعل عقيدته العسكرية تؤيد له المحاولات المتكررة في الهجوم حتى تتحطم معنويات المدافعين .

٣ ـ **التموين** : وقد أتينا على ذكره فلا موجب للتكرار .

٤ ـ **التفوق** : كان مختلا جدا وبخاصة بالوسائل النارية . فقد كان سلاحنا الآلي قليلا جدا . وكان السلاح متنوعا بصورة تزيد صعوبة تموينه . اما اسلحة الاسناد فهي معدومة (مدفع هاون ٨١ مم واحد) .

٥ ـ **الذخيرة** : كانت توزع على المقاتلين فور وصولها من مركز القيادة فليس لها احتياطي عام.

٦ ـ **الانضباط** : حسب الوحدات ولكن انضباط النار كان معدوما .

٧ ـ **الوضع الخارجي** : كان وضع القوات العربية خارج المدينة جيدا من ناحية الانتشار للقتال ، اذ كانت تحيط بالمدينة من الجهة الغربية ، الا ان الجبة الشرقية والطريق المستخدمة للتموين بقيتا مهملتين ومفتوحتين امام القوات المعادية للتعزيز والتموين . ولو تيسرت قوات اخرى لتقطع الطريق لاكمل الحصار على صفد .

. . .

يتضح من ذلك ان معركة صفد الحقيقية كان يجب ان تقع خارج صفد لا داخلها . وهنا يكمن سر تحكم القادة في استدراج العدو الى المعركة المؤاتية . فقد كان من الضروري فصل صفد عن الجاعونة في الشرق لقطع الطريق على التموين والنجدات ، واحتلال عين زيتم في الغرب للوصول الى الضغط المباشر على الحي اليهودي .

ولقد جابهت بهذين الانتقادين المقدم شيشكلي فيما بعد . ولكن الحقيقة كانت تتعلق بالقوات المتيسرة لديه . ومع ذلك فاذا شفعت له قلة القوات بالنسبة الى الشرق فلا تشفع له بالنسبة الى الغرب ، ومع ذلك فقد ذهب في استراتيجيته الى ابعد من ذلك ، فهاجم مستعمرة الهراوي ، وهي واقعة الى الشرق من المالكية في اقصى الشمال ، بغية تخفيف ضغط العدو على صفد . ولكنه لم يفلح في احتلالها . وبقي حجم القوات المتيسرة يتحكم بقرارات القائد . وكانت رغبته في الابقاء على

القوات سليمة للمعركة الحاسمة تستأثر في الترجيح لديه . ومع ذلك فلم يحرك منها شيئا ابان الهجوم، ولو بالنار على الاقل .

أما الهجوم على الحي اليهودي مساء كما أورده الاخ جادو فأحسب انه كان لتخفيف الضغط اكثر منه للاحتلال والقضاء على المقاومة ، نظرا لقلة القوات المعينة له . فهو اشبه ما يكون بالهجوم التظاهري ، الا اذا كان المقصود به استدراج القوات العدوة الى خارج المدينة . وفي هذه الحالة ، كان من الافضل مهاجمة المستعمرة (عين زيتيم) واحتلالها مهما كلف ذلك من ثمن ، وخاصة اثناء هجوم العدو على المدينة ، الامر الذي كان من الممكن ان يقلب خططه رأسا على عقب .

ومن الجدير بالذكر ان هذه الانتقادات هي بعض من كل . فلم نتطرق مثلا الى مستوى التدريب والانضباط ، ولا الى اسناد المهمات الدفاعية الصعبة الى جيش كجيش الانقاذ ، لم يكن تشكيله او تسليحه او الهدف الذي انشىء من اجله مؤاتية لما قام به واسند اليه . ولعل خسارة الجليل فيما بعد ناجمة عن تكرار لنفس الخطيئة التي ارتكبت من قبل في هذا المجال .

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب

مقالات في الدعاية الصهيونية وحرب اكتوبر

والكتاب عبارة عن ثلاث مقالات : الاولى عن الدعاية الاسرائيلية والحرب العربية الاسرائيلية الرابعة (اذاعة اسرائيل كحالة للدراسة) بقلم محمد علي العويني . والثانية عن آثار حرب اكتوبر على الرأي العام في اسرائيل بقلم السيد عليوه حسن . والثالثة والاخيرة أضواء على الاعلام الصهيوني في شهري نوفمبر وديسمبر بقلم سمير كنعاني .

٦٢ صفحة من القطع الكبير بثلاث ليرات لبنانية . تضاف اليها أجور البريد الجوي : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١ ل.ل. في أوروبا ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول .

اطلبه من : مركز الابحاث ، قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

مراجعات

عباس مراد ، الدور السياسي للجيش الاردني ١٩٢١ — ١٩٧٣
(مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٣)

واجهت الحركة الوطنيـــة في الاردن — منـــذ البداية — معضلة أساسية لم تواجهها اي من الحركات الوطنية في الاقطار العربية الاخرى ، وهي المؤسسة العسكرية الاردنية . ولقد حكمت هذه المعضلة الحركة الوطنية في الاردن ، ولا تزال تحكمها وتؤثر في قدرتها على انجاز مهامها الوطنية والديموقراطية . والغرابة لا تكمن في وجود هذه المعضلة ، بل في عدم تلمس الحركة الوطنية لها مبكرا . والدليل على ذلك ان أيا من القـــوى الوطنية الاردنية لم تناقش هذه المعضلة ولم تطرح حلولا لمجابهتها منذ البداية . فأدبيات القوى الوطنية في الاردن خلال الربع قـــرن الاخير — باستثناء السنوات الثلاث الاخيرة — تخلو من أي دراسة او تحليل للمؤسسة العســكـــرية الاردنية وكيفية التعامل معها في ضوء وضعها الخاص وفي ضوء ما مثلته في تاريخ الاردن السياسي ، كما ان برامج هذه القوى — بلا استثناء — خلال الفترة نفسها تفتقر الى أي تحديد لوضع هذه المؤسسة وطبيعتها وظروف نشأتها ، وبالتالي ما هو مصيرها في حال قيام حكم وطني ديموقراطي . ان عدم تلمس الحركة الوطنية لهذه المعضلة بشكل مبكر ، اوقعها في خطأ كبير لا تزال تعاني منه ، وتدفع ثمنه فشلا وراء فشل. ان احدى الاخطاء الاساسية للحركة الوطنية في الاردن انها نظرت الى الجيش الاردني من المنظار نفســه الذي نظرت منه الحركات الوطنية العربية الى جيوش بلدانها ، غير آخذة بالاعتبار ظروف نشأة الجيش الاردني وتركيبته الطبقية والمهام التي أنشـىء من اجلها ، والتي تختلف عن ظروف نشأة الجيوش العربية وتركيبتهـــا الطبقية . فجيوش البلدان العربية وخاصة تلك التي استقلت عقب الحرب العالمية الثانية نمت وتوسعت في ظل مظاهر الاستقلال الوطني ، بغض النظر عن طبيعة هذا الاستقلال ، اضافة الى ان عملية التوسع التي مرت بها اثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها ، فسحت المجال لاطارات لا بأس بها من البورجوازية الصغيرة ومثقفي المدن ان تشكل جزءا لا يستهان به من الكادرات الاساسية لهذه الجيوش. في الوقت الذي كانت مقصورة فيه هذه الكادرات على ابناء « الذوات » وابناء الاقليات خلال الثلاثينات ومـــا قبلها . لقد نقلت هذه الاطارات معها الى داخل هذه الجيوش اهتماماتها ومواقفها السياسية من المشاكل التي تعاني منها مجتمعاتها ، مما اوجد ارضية اجتماعية لبروز حالة وطنية داخلها عبرت عن نفسها بمواكبة الحركة الوطنية في الاطـــار المدني اما بالانضمام كأفراد الى الاحزاب الوطنية ، او بقيام تكتلات وتنظيمات عسكرية مستقلة قادت عملية التغيير في مجتمعاتها بالانقلابات العسكرية التي قامت في الخمسينات من هذا القرن في اكثر من بلد عربي . ولسنا هنا بصدد مناقشة صحة او خطأ الانقلابات العسكرية ومدى تأثيرها في الحركة الوطنية ، بل نحن بصدد مناقشة موضوعة محددة وهي الحالة الوطنية العامة التي مثلتها هـــذه الجيوش ومحدودية او هامشية هـــذه الحالة في الجيش الاردني وكون هذه الحالة بفعل عوامل خارجية اكثر منها داخلية اي من داخـــل المجتمع الاردني . ان ذلك يعود بشكل اساسي الى التركيب الاجتماعي للجيش الاردني الذي يختلف عن التركيبة الاجتماعية للجيوش العربية ، فهذه الجيوش تمثلت في صفوفهـــا القوى الاجتماعيـــة المختلفة مـــن بورجوازيين صغار وفلاحين ومهنيين بكل آرائهـــا ومفاهيمها السياسية المختلفة ، والتي هي انعكاس لما يجري داخل مجتمعاتها ، مما جعلها اكثر تجاوبا مع ما يجري في مجتمعاتها ، واكثر قدرة على تلمس

مشاكلها . اضافة الى ذلك ، فان هذا الوضع ولد حالة من عدم التماسك السياسي داخل هذه الجيوش ، عبرت عن نفسها في عدم قدرة السلطة السياسية في احكام قبضتها وسيطرتها على الجيوش العربية . ان الجيش الاردني لم يمثل هذه الحالة سواء في بنيته الاجتماعية او على المستوى السياسي ، ذلك انه نشأ ضمن ظروف خاصة ولمهمات محددة هي مهمات قمعية وفي قلب مجتمع العنصر الغالب فيه هم البدو . مما حدد بالتالي وضع هذا الجيش والدور الذي سيلعبه منذ البداية وحدد بالتالي امكانية فرز حالة وطنية من حجم معقول قادرة ان تمثل المظاهر الوطنية نفسها التي مثلتها الجيوش العربية في بلدان عربية اخرى كمصر وسوريا والعراق . ففي بداية تأسيس امارة شرق الاردن في أوائل العشرينات من هذا القرن كانت المهمة المباشرة أمامها هي القضاء على تمردات العشائر واخضاعها للسلطة المركزية وتأمين حالة من الاستقرار النسبي في منطقة شرق الاردن، وبالتالي فقد كانت القوة العسكرية التي شكلت آنذاك والتي عرفت بالقوة السيارة متناسبة من حيث بنيتها الطبقية وحجمها مع هذا الدور . فقد كانت عبارة عن ثلاث سرايا فرسان ، وسريتي مشاة ، وبطارية مدفعية ، وسرية رشاشات ، وفئة اشارة ، واضيفت اليها قوة الدرك التي اوجدتها الحكومة الفيصلية قبل تأسيس الامارة وكانت هذه القوة بقيادة ضباط استقلاليين ، وهم من الضباط الذين اشتركوا في ثورة الشريف الحسين بن علي ضد الاتراك ومن الذين شكلوا النواة العسكرية الاولى للحكومة الفيصلية في سورية . اما معظم افراد هذه القوة فكانوا من الحضر (ص ١٨ — ١٩) . الا انه في الفترات اللاحقة وبشكل خاص ابتداء من الثلاثينات ، اصبح على هذه القوة العسكرية ان تلعب دورا أكبر من هذا الدور المحدد والجزئي وان تواجه مهمات من نوع آخر ولا سيما بعد ان تم تأمين حالة من الاستقرار النسبي باكتساب ولاء معظم شيوخ العشائر . لقد اصبح من مهامها ان تواجه الحركة الوطنية التي اخذت بالنمو داخل الاردن ، وان تواجه ايضا الحركة الوطنية في الاقطار المحيطة بالاردن في فلسطين والعراق بالتحديد وان تساعد في تعقب الثوار السوريين الذين قد يلجأون الى الاردن . ان مواجهة هذا النوع من المهمات هو الذي شكل ولا يزال يشكل العامل الاساسي في تحديد طبيعة المؤسسة العسكرية الاردنية وحجمها وفي تعاظم الدور السياسي المضاد الذي تلعبه في الحياة السياسية في الاردن . ومن هذه النقطة بالذات فان توجه الادارة البريطانية في اوائل الثلاثينات الى تشكيل قوة عسكرية محض بدوية لم يكن وليد ضمان ولاء العشائر فقط بل كان وليد المهمات المنوطة بالقوة العسكرية الاردنية . فالقوة السيارة التي كان يسيطر عليها الاستقلاليون وذات البنية الحضرية ، لم تعد تتناسب لمواجهة الحركة الوطنية على الصعيدين الداخلي والخارجي ، وقد أبدت هذه القوة معارضة للقيام بمثل هذه المهام ، وبالتالي فقد صفي الاستقلاليون ، وشكلت قوة عسكرية جديدة ، هي « قوة البادية » التي دعمت «بقوة البادية الميكانيكية لمطاردة الثوار الفلسطينيين ومنعهم من استخدام الاردن كقاعدة لهم (ص ٣١ — ٣٥) . لقد كان لاعتماد البدو كقوة اساسية في الجيش الاردني اثره البعيد في الدور السياسي للجيش الاردني ، ذلك ان المجتمع البدوي بحكم دوره المحدود جدا في الانتاج — لا يقوم الا على تربية الماشية — يعيش على هامش الحياة السياسية ، ويفرز قوى بشرية تشكل احتياطا كبيرا للقوى المضادة للثورة لانها تعيش خارج نطاق عملية الانتاج المباشر وشبه عاطلة عن العمل ، اضافة الى ذلك فان المجتمع البدوي المنغلق على نفسه بقيمه وتقاليده والقليل التفاعل مع المجتمع الحضري بحكم محدودية انتاجه ، وغير الملتصق بالارض ، لان ارضه ووطنه حيث العشب والماء ، يكون مغلقا في وجه الحركة الوطنية ، والحالات التي يمكن تجنيدها وطنيا من هذا المجتمع ، هي الحالات التي تخلصت من اسار هذا المجتمع اقتصاديا ومن اسار علاقاته الاجتماعية . ولقد شكلت المجتمعات البدوية في العصر الحديث ، احتياطا بشريا كانت تستخدمه الطبقات الرجعية في ضرب وقمع القوى الوطنية ، واوضح مثال على ذلك « القوزاق » في روسيا القيصرية .

لقد جاءت احداث ايلول ١٩٧٠ في الاردن لتثبت هذه الموضوعة وتؤكدها ، ذلك أنه بالرغم مما مثلته حركة المقاومة من حالة وطنية وحالة جماهيرية مسلحة ، فان النظام الاردني استطاع ان يحافظ على تماسك مؤسسته العسكرية وان يوجهها لضرب حركة المقاومة . صحيح ان هناك أخطاء سياسية

أساسية ارتكبتها حركة المقاومة وتقف وراء هزيمتها في أيلول ١٩٧٠ ، الا انه من الناحية الاخرى ، فان هذه الهزيمة ، جاءت لتوضح الوضع الخاص للمؤسسة العسكرية الاردنية، ولتضع هذه المعضلة على رأس الموضوعات الاساسية التي يجب على القوى الوطنية في الاردن ان تعالجها بجدية وهي تناضل لاقامة حكم وطني ديموقراطي في الاردن . ولقد عكست الفترة التي تلت ايلول ١٩٧٠ اهتماما ملحوظا لدى القوى الوطنية الاردنية بهذه الموضوعة ـ المعضلة .

ويدخل الكتاب موضوع المناقشة ضمن هذه المحاولات التي عالجت هذه القضية وألقت الاضواء عليها . ان اهمية هذا الكتاب انه أتى في فترة برز فيها دور الجيش الاردني لا في حياة الاردن السياسية فقط ولكن في حياته الاقتصادية ايضا . اضافة الى انه يشكل الى جانب الكتاب الاخر « النظام الاردني والمقاومة الفلسطينية » الصادر عن مركز الابحاث الفلسطينية ، اول محاولة من نوعها تتصدى لهذه الموضوعة ، وبالرغم من انه كان من الافضل معالجة الموضوع بشمولية اوسع وعمق اكبر مما ورد في الكتاب «موضوع البحث ولو تطلب ذلك وقتا اطول ، فانه شكل محاولة ستفتح الطريق أمام محاولات اخرى تغطي الجوانب الناقصة وبشكل خاص الدور الاقتصادي غير المنتج الذي يلعبه الجيش الاردني وتأثير كل ذلك على التنمية الاقتصادية في بلد قليل الموارد كالاردن ، وكذلك تأثير هذا الدور على البنية الطبقة للمجتمع الاردني . والكاتب لا يعالج هذا الجانب بما يستحقه من اهتمام وبما له من تأثير ، لقد تطرق فقط للوضع الاقتصادي المتميز للجيش الاردني (ص ١٣٦ ـ ١٤٠) وبشكل هامشي دون ان يدرس تأثير هذا الوضع الاقتصادي المتميز على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في المجتمع الاردني ، ذلك ان تجنيد ما يقرب من ١٠٠ الف جندي في بلد لا يتجاوز تعداده ٢ر٥ مليون نسمة أي نسبة ٤ ٪ من السكان وكجيش مختلف وبرواتب عالية وامتيازات اقتصادية متعددة يؤثر تاثيرا كبيرا لا على اقتصاده فقط ولكن على اوضاعه السياسية والاجتماعية ايضا ، ففي الاردن لا يبرز هذا التأثير فقط من خلال نسبة الانفاق على الجيش التي تعادل ٧٢ ٪ من النفقات الجارية كما يورد الكاتب ، ولكن يبرز ايضا من خلال ما يعنيه تجنيد هذا العدد الكبير من افراغ الريف الاردني من قواه المنتجة ، ومن خلال جعل الشرق اردنيين يعتمدون في حياتهم الاقتصادية على مدخولاتهم من الجيش الاردني . ولا توجد احصاءات رسمية حول عدد الشرق اردنيين في الجيش ونسبتهم الى القوى المنتجة من المجتمع الشرق أردني ، الا انه اذا اخرجنا الاناث من القوى المنتجة ، فانه استنادا الى مشاهداتي الشخصية لاكثر من قرية اردنية وتقديري حول نسبة عدد الملتحقين في الجيش منها، فانه يمكن القول ان ما يزيد عن نسبة ٦٠ ٪ من القوى المنتجة في الريف الاردني تعمل داخل الجيش ، وان ٤٠ ٪ الباقية موزعة على الاعمال الزراعية وعلى قطاع الخدمات (وهي قليلة) وعلى العمل الوظيفي الحكومي . ان هذا الوضع لم يؤثر فقط على مدى انتاجية الريف الاردني ومدى مساهمته في الدخل القومي ، بل خلق ايضا حالة غير طبيعية ، وهي وجود قوى منتجة خارج عملية الانتاج ، عاطلة عن العمل ، وتعيش على انتاج الاخرين .. فمجال ارتزاقها الوحيد هو خدمة النظام والدفاع عنه ، لانها مرتبطة اقتصاديا به ، وما حركة التمرد الاخيرة في الجيش والتي شكل موضوع الغلاء والمطالبة برفع الرواتب والمزيد من الامتيازات الاقتصادية ، أحد دوافعها المعلنة ، الا تعبيرا عن هذه الحالة غير الطبيعية ، والتي لا تشهدها الا الجيوش التي تحترف الجندية كوسيلة للارتزاق والتي لا تعكس وضعا وطنيا او ارتباطا بالارض والوطن . اضافة الى ذلك فان هذا الوضع الشاذ اوجد وضعا اجتماعيا خطيرا ولد نتائج سياسية لا يستهان بخطورتها ، فوجود نسبة كبيرة من الشرق ـ اردنيين خارج عملية الانتاج ودون القيام بأي عمل انتاجي ، افضى بها الى ان تشارك في نهب فائض الانتاج ، والذي تقوم به القوى المنتجة الحقيقية في المجتمع الاردني والتي تشكل الجماهير الفلسطينية الغالبية العظمى منها. فكون الجيش شبه مغلق امامهم ، فان مجال ارتزاقهم الوحيد ، اما العمل في عمليات انتاجية سواء في قطاع الانتاج المباشر زراعة ، صناعة ، ام في قطاع الخدمات ، او في العمل خارج الاردن في الاقطار العربية الاخرى . لقد أرسى هذا الوضع الشاذ الاساس الاقتصادي للتفرقة الاقليمية بين فلسطيني وأردني ، هذه التفرقة التي غذاها النظام الاردني لا بالدعاية والتثقيف السياسي فقط، ولكن بوضع الاساس الاقتصادي لها ، بالاضافة

الى ذلك فان هذا الوضع نتج عنه ما نلاحظه من تفاوت كبير في الولاءات السياسية والوطنية بين الجماهير الشرق ــ أردنيــة وجماهــير الشعب الفلسطيني .

ينقسم الكتاب موضوع البحث الى مقدمة وخاتمة وسبعة فصول في ١٦٦ صفحة . يعرض الفصل الاول (الجيش والمهمات الاولية لتأسيس الامارة ١٩٢١ ــ ١٩٣٩) ، البدايات الاولى لتأسيس « الجيش العربي » وبداية اتخاذه وضعا محددا بعد تصفية الاستقلاليــين واعتماد البدو كقــوة أساسية فيه ، وبروز دور جلوب في التحكم به منذ قدومه الى الاردن في أواخر العام ١٩٣٠ ويلاحظ هنا ان توسيع الجيش ارتبط بتنوع المهام المنوطة به ، وهذه القاعدة هي التي ستتحكم بعدد الجيش الاردني في الفترات القادمــة ، فعلى ضوء نمو الحركة الوطنية في فلسطين ولا سيما عقب اندلاع ثورة ١٩٣٦ تم تشكيل « قوة البادية الميكانيكية » من ٣٥٠ رجلا بالاضافة الى سريتي خيالة لمطاردة الثوار الفلسطينيين والذين كانوا يسلمون الــى السلطات البريطانية في فلسطين فور القاء القبض عليهم ، كما جرى مع القائد المجاهد يوسف ابو دره ، والذي نفذت فيه بريطانية حكم الاعدام بعد محاكمة سريعة ، اما الفصل الثاني : الحــرب العالمية الثانية ودور الجيش العربي (١٩٣٩ ــ ١٩٤٨) فيبرز الدور الذي لعبه « الجيش العربي » في خدمة السياسة البريطانية في المنطقة وفي خدمة مجهودها الحربي في مناطق اخرى . وكان ابرز ما قام به هو مساعدة بريطانية في القضاء على حركة رشيد عالي الكيلاني ايــار ١٩٤١ في العراق ، بالاضافة الى ذلك فقد بدأ يتعاظم دور الجيش وزيدت وحداته حتى وصلت الى ٨٠٠٠ جندي ، ولذلك فقد اهتمت بريطانيا باحكام قبضتها عليه ، وتغليب العنصر البدوي فيه ، وتطهيره من اية عناصر وطنية . الفصل الثالث : الجيش العربي ومعارك فلسطين ١٩٤٨ ــ ١٩٥١ . لقد ركــز الكاتب هنا على توضيح الدور الذي لعبه الجيش العربي ، وبالتالي كشف الصور الزائفة التي روج لها النظام الاردني عن معارك وهمية خاضها جيشه ، مستغلا ما جرى في باب الواد وكفار عصيون .. لقد كان دخول الجيش العربي الى فلسطين يوم ١٥ ايار ١٩٤٨ ، بناء على خطــة مرسومة وباتفاق تام مع بريطانية ، ولم يكن دخول الجيش العربي الى فلسطين بهدف الدفاع عــن عروبتها ، بل بهدف الاستناد على دخوله لكي يضم الملك عبدالله الــى امارته الاجزاء البــاقية من فلسطين ، ويتضح ذلك من استعراضنا لما جرى تلك الفترة ● قبل دخول الجيش ، اعلمت الاردن بريطانية ان منطقة عمليات الجيش العربــي لن تتجاوز الجزء المخصص للعرب من فلسطين بموجب قرار التقسيم ١٩٤٧/١١/٢٩ . ● قامت الاردن بسحب وحدات الجيش المتواجدة في فلسطين قبل انتهاء الانتداب البريطاني ، في الوقت الذي كانت فيه المعارك محتدمة بــين المقاتلين الفلسطينيــين والصهيونيين وقد أدى انسحــاب مفرزة الجيش العربي المتواجدة في الطيرة قرب حيفا ، الى تمكين القوات الصهيونية من السيطرة على مدينة حيفا . ● حاولت الحكومة الاردنية اقناع الدول العربية ان يتولى الجيش العربي مهمة القتال لوحده شريطة مساعدة الدول العربية له ماديا وذلك بهدف ضمان تحكمه بمستقبل الاجزاء المتبقية مــن فلسطين . ● القوات التي دخلت الى فلسطين كان يسيطر عليها الضباط الانجليز سيطرة تامة وبشكل خاص وحدات المدفعيــة والمدرعات ، ومــن اصل ٥٠ ضابطا كان فقط ٨ ضباط عرب . ● قامت القوات الاردنية باخلاء العديد من المناطق (اللد ، الرملة ، عين كارم ، المالح) مما سهل وقوع اللد والرملة في أيدي القوات الصهيونية ، بالاضافة الى ذلك فقد قامت هذه القوات في المناطق التي تسيطر عليها من فلسطين بمطاردة المقاتلين الفلسطينيين وتجريدهم من سلاحهم . ● رفضت القيادة الانجليزية لوحدات الجيش ان تقوم بأي هجمات تكتيكية ، وفرضت عليها موقفا دفاعيا ومعارك باب الواد ، وكفار عصيون ، كــانت دفاعية وفرضت علــى الجيش فرضا . ● سلم الاردن منطقة ام الرشراش (أيلات حاليا) للقوات الاسرائيلية، فأثناء محادثات الهدنة في رودوس ١٩٤٩ تقدمت قوات اسرائيلية باتجاه ام الرشراش ، فبدل ان يقــوم الاردن بالتصدي لهذه القوات المتقدمة ، أمر جلوب قائد الجيش السرية الموجودة هناك بالانسحاب وعدم التصدي للقوات الاسرائيلية .

الفصل الرابع : فترة الانتعاش الوطني (١٩٥١ ــ ١٩٥٨) شهدت هذه الفترة حالة نهوض وطني عام في الاردن ، امتدت آثارها داخــل الجيش نفسه ، وكانت هذه الحالة بفعل عوامل عدة منها :

● النكبة وما أحدثته من ردود فعل في الاوساط الجماهيرية التي اشتدت نقمتها على الحكومات العربية ومنها حكومة الاردن التي اتضح دورها الخياني للقضية الفلسطينية . ● الحاق الضفة الغربية بأمارة شرق الاردن بعد مسرحية ما سمي بمؤتمر أريحا ، وما استتبع هذا الالحاق من وجود قاعدة جماهيرية واسعة ضد الحكم الرجعي في الاردن . ● زيادة عدد الجيش بشكل ملحوظ وخلال فترة قصيرة حيث بلغ عدده في العام ١٩٥٦ نحو ٢٥٠٠٠ جندي . لقد استتبعت هذه الزيادة في عدد الجيش ، ادخال اعداد لا بأس بها من الضباط العرب الى الجيش ، وبالرغم من انه روعي الاعتماد على الضباط البدو وترفيع صف الضباط السابقين في الجيش الى ضباط ، فان الضرورة فرضت الاستعانة بضباط مثقفين ومن خريجي الكلية العسكرية . وقد روعي ان لا يكون هؤلاء الضباط في الوحدات المدرعة ، بل كانوا مركزين بشكل أساسي في وحدات المدفعية والهندسة . ولقد ارتفع عدد الضباط من ٣٠٠ ضابط في العام ١٩٤٨ الى ١٥٠٠ ضابط في العام ١٩٥٦ . ان وجود هذا العدد الكبير من الضباط ومن اصول اجتماعية بورجوازية وبورجوازية صغيرة وفي ظل مناخ وطني عام، خلق لاول مرة حالة وطنية عامة في صفوف الجيش.ولقد تعاظمت هذه الحالة بعد طرد جلوب ومجموعة الضباط الانجليز في العام ١٩٥٦ وهيمنة الضباط الجدد على اوضاع الجيش،ان السؤال الذي يفرض نفسه هنا ، ولم يتعرض له الكاتب ، هو لماذا هذا الازدياد السريع في عدد الجيش ؟ لقد كان واضحا من الطريقة التي اتبعتها بريطانيا في زيادة عدد الجيش الاعتماد على البدو ، فصل الوحدات البدوية عن الوحدات الحضرية ، قصر الوحدات المدرعة على البدو .. الخ . ان زيادة عدد الجيش بهذا الشكل لم تكن تستهدف الا قمع الحركة الوطنية ، فلقد شهدت تلك الفترة « منذ النكبة حتى اوائل العام ١٩٥٧ » قيام مجموعات فلسطينية بالتسلل عبر الخطوط الاردنية وضرب اهداف داخل الارض المحتلة ، فكان لا بد من جيش كبير لمراقبة الحدود ومنع هذه العمليات ، وفي هذه الحالة لا يمكن الاعتماد على افراد الحرس الوطني ، الذي شكل لامتصاص النقمة الشعبية امام اشتداد الغارات الاسرائيلية على قرى الحدود ، اضافة الى ذلك فانه بات على النظام الاردني ان يواجه حركة وطنية محلية اقوى واكثر اتساعا وعمقا جماهيريا من اي فترة مضت ، وهذه تحتاج الى أداة قمع بمستواها . ان المخاطر التي نجمت عن زيادة عدد الجيش استطاع النظام الاردني تطويقها باعتماده على وحدات ضاربة من البدو ، وباصراره على عدم دمج هذه الوحدات مع وحدات الجيش الاخرى . وفي اللحظة المناسبة استخدم « النظام » هذه الوحدات لقمع الحركة الوطنية ولانهاء الحكم الوطني تحت ستار الادعاء بوجود انقلاب ضده . بالاضافة الى ذلك فهناك ملاحظات اساسية لا بد منها : لم يوضح الكاتب اسباب فشل الحكومة الوطنية وقدرة الملك على اقالتها بعد فترة قصيرة جدا من الزمن . ولا يجد سببا لذلك الا لكونها اعتمدت اسلوب الشرعية الدستورية . وهذا ليس سببا بل نتيجة لاسباب اعمق ، منها ما يتعلق بالبنية الطبقية لقيادة الحركة الوطنية آنذاك ، ومنها ما يتعلق بتصورها السياسي لوضع الملك حسين هل هو جزء من النظام ومؤسساته ، ام معزول عنها ، وبالتالي هل تحاكمه على هذا الاساس او ذاك ، ومنها عدم قدرتها على تلمس التغيير الذي حصل مع بداية بروز الدور الاميركي في المنطقة ، وبالتالي اتباعها سياسة تراجعية امام ضغط الملك والضغط الاميركي بدل المواجهة وتصعيد الصدام . بالرغم من ان هذه الفترة شهدت بروز أخصب الحالات الوطنية داخل الجيش طوال تاريخه ، فان الكاتب لا يتعمق في دراسة هذه الحالة ، عوامل بروزها ، منشؤها الطبقي ، مدى عمق ارتباطها الوطني ، لماذا كان من السهل اجهاضها والقضاء عليها ؟ ولا يجد سببا يبرر سهولة القضاء عليها الا لان « القيادة الوطنية للجيش [لم تعمل] خلال حالة المد الوطني الظاهر في العام ١٩٥٧ اكثر من محاولة تحييد الجيش وتخليه عن ذلك الدور التقليدي البغيض [قمع الحركة الوطنية] ، ولم تتجاوز دائرة النضالات الوطنية والديموقراطية للاحزاب » ويضيف « في وقت كان في مقدور القيادة الوطنية للجيش الاطاحة بالملك » (ص ٩٦) كيف ؟ وعلى اي اساس ؟ هذا ما لا يوضحه الكاتب . وهنا في الواقع ينفي الكاتب ما يحاول ان يثبته خلال كل عرضه السابق واللاحق ايضا ، من ان الجيش الاردني منذ نشأته وتكونه شكل وضعا خاصا ومتميزا عن باقي الجيوش العربية ، وبالتالي بدل ان يصل بالقارىء الى تأكيد هذا الوضع الخاص وصعوبة قيام ظاهرة انقلابية

على غرار بعض الجيوش العربية ، يصل به الى نفي هذا الوضع الخاص وتأكيد قيام مثل هذه الظاهرة . اضافة الى ذلك فان ايراد هذا السبب الوحيد والعام جدا لسهولة القضاء على الحالة الوطنية داخل الجيش ، يأتي على حساب تجاهل عوامل اخرى اعمق تتعلق بمدى عمق الارتباط بالقضية الوطنية لغالبية هؤلاء الضباط ، والفترة الزمنية القصيرة التي برزت خلالها هذه الحالة الوطنية والتي نتجت عن الخلل الآني والمحدود الذي أصاب المؤسسة العسكرية بعد تعريب الجيش ، وكونها كانت بفعل عوامل خارجية (الوضع العام في المنطقة) اكثر منها داخلية ، اضافة الى عامل اساسي هام وهو الوضع الخاص للمؤسسة العسكرية الاردنية . ● ملاحظة اخرى ، وهي الخلط الذي وقع فيه الكاتب بين موقف الغالبية العظمى من الضباط الوطنيين من انقلاب الملك ، وموقفهم من الانقلاب على الملك (ص ٩٦ و٩٧) . كان بديهيا ان تنكر الحركة الوطنية بجناحيها المدني والعسكري ادعاء الملك انها كانت تدبر انقلابا ضده وللاطاحة بعرشه ، ولا سيما انه استند على هذا الادعاء لضرب الحركة الوطنية واقالة الحكومة الوطنية ، الا ان هذا لا يعني انه لم يكن هناك تفكير بالانقلاب على الملك ، لقد كان هناك تفكير واعداد لمثل هذا الانقلاب لدى معظم الضباط الوطنيين وبشكل خاص البعثيين منهم ، ولا سيما بعد بروز التناقض بين الملك والحكومة الوطنية على ضوء بروز الدور الاميركي في المنطقة . الفصل الخامس : قمع الحركة الوطنية وبروز التأثيرات الاميركية (١٩٥٨ — ١٩٦٧) : لقد شهدت تلك الفترة تراجع الحركة الوطنية وقصور اساليب عملها عن مواجهة اعباء المرحلة بعد الضربات الشديدة التي وجهت اليها ، الا ان هذا لم يمنع قيام انتفاضات جماهيرية في ظروف معينة. فقد قامت هبة جماهيرية عمت مدن الاردن جميعها عقب صدور بيان ١٧ نيسان ١٩٦٣ باعلان الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق . كما قامت انتفاضة جماهيرية عقب الاعتداء الاسرائيلي على قرية السموع ليلة ٦٦/١١/١٣ ، واستمرت الانتفاضة عدة ايام ، ذهب ضحيتها عدد كبير من القتلى والجرحى . لقد كانت هذه الانتفاضات تعبيرا عما تختزنه الجماهير من قدرة وطاقة على التحرك فيما لو توفرت لها قيادات وطنية قادرة على توجيهها الوجهة الصحيحة . غير انه بالرغم من هذه الانتفاضات التي كانت وليدة ظروف معينة فقد كانت الحركة الوطنية في حالة ركود ، أثرت في اضعاف دور خاص على الجيش وجعلت من الانقلاب العسكري السمة البارزة والمميزة للحركة الوطنية في هذه الفترة . لقد شهدت الفترة التي أعقبت العام ١٩٥٧ بروز اكثر من محاولة انقلابية ، الا ان هذه المحاولات كانت هشة ومحدودة وكانت بسهولة تكتشف وتجهض . والملاحظ هنا ان الكاتب لم يحاول ان يتعمق في بحث هذه الظواهر الانقلابية، طبيعتها ، عمقها الوطني ، مدى ارتباطاتها بالحركة الوطنية في الاردن ، هل كانت بفعل عوامل داخلية ام بفعل عوامل خارجية . مدى تأثيرها داخل الجيش ، لماذا كانت هذه الحالات تبرز فقط في وحدات المدفعية والهندسة والطيران — الى حد ما — ولم تكن تظهر في الوحدات المدرعة . على ماذا يدلل فشل هذه الظواهر الانقلابية المتعددة ؟! ان الكاتب لا يرى الا سببا اساسيا لفشل هذه الانقلابات وهي انها « جاءت في وقت تعاني منه الحركة الجماهيرية في الاردن حالة من الحصار الشديد » (ص ١٠٤) . وهنا مرة اخرى ينفي الكاتب العوامل الاساسية وينفي تحليله عن الوضع الخاص للجيش الاردني ، ومن الاسباب الاخرى التي يوردها كملاحظات « ان القيادات الوطنية والمعارضة داخل الجيش من الضباط لم تضع في اعتبارها ضرورة اشراك الجندي وضباط الصف وتهيئتهم ذهنيا له » (ص ١٠٤) . ان هذا التصور في الواقع يطبع كل الانقلابات العسكرية لان طابعها تآمري ومجال نشاطها يكون محدودا وضمن اوساط محددة ، ان اشراك الجندي والاطارات الواسعة من رتب الجيش الصغيرة لا يمكن ان يتم الا من خلال وجود حركة وطنية يكون اساس عملها العمل الجماهيري ويدخل نشاطها ضمن الجيش باعتباره احدى تشكيلات المجتمع التي لا بد من تجنيدها في العمل الوطني وليس باعتباره أداة التغيير الاساسية بالقيام بانقلاب عسكري . بالاضافة الى ذلك فانه يرى ان « التنافسات والانقسامات القبلية في صفوف الضباط الوطنيين بين شمالات ووسط وجنوب [كان لها] آثار سيئة على تحرك تلك المجموعات » (ص ١٠٥) ، وهنا يقع الكاتب في تناقض ظاهر ففي الوقت الذي يؤكد فيه ان الضباط الوطنيين كانوا من « ابناء القرى والمدن » وانه لم

يشارك في تلك التيارات المعارضة الا عدد ضئيل من الضباط البدو الذين نالوا قسطا من التعليم وتفاعلوا مع تلك التيارات » (ص ١٠٤) يجد في التنافسات والانقسامات القبلية سببا لفشل هذه الانقلابات . وتقديري ان وقوع الكاتب في خطأ البحث عن الاسباب الفرعية يكمن في عدم تلمسه العامل الحقيقي لفشل هذه الانقلابات ، هذا العامل الذي يبرز من خلال سياق عرضه وهو الوضع الخاص للجيش الاردني . اضافة الى ذلك فان غلبة العنصر البدوي على الجيش بقيمه وتقاليده لم تكن عامل تفريق وتمزيق له ، بل كانت عامل وحدة استخدمها النظام الاردني في تأمين الولاء المطلق له ، ويؤكد هذه الحقيقة الاستاذ خليل هندي في دراسته — التعبئة الاردنية ضد المقاومة الفلسطينية قبل هجمة سبتمبر ١٩٧٠ — فيقول : « ولا ينبثق ولاء البدو للجيش من ضمير مهني نما لديهم عبر انتمائهم للجيش وخدمتهم الطويلة فيه ، بل ينبثق من تصورهم للجيش قبيلة كبرى تضم كل العشائر في الاردن ... ويتدرج ولاء البدو صعودا من الجيش الى النظام فالملك الذي يلعب دور زعيم « قبيلة الجيش » »(١).

لم يعتمد النظام الاردني في مواجهة هذه الحالات الانقلابية بالعمل فقط على كشفها واجهاضها قبل قيامها ، بل اتجه لاعادة بناء الجيش على اسس تحول بالاساس دون قيام مثل هذه الحالات ، وتدفع بالحفاظ على ولائه الكامل له ، ولا سيما ان ضرورات توسيع الجيش وشموله وحدات كالطيران والهندسة تتطلب ادخال قطاع من المثقفين من أبناء القرى والمدن ، ويورد الكاتب هنا ثلاثة اسس ، وهي تبني نظرية الجيش المحترف، التثقيف الفكري بعزل الجيش واخضاعه لعملية تثقيف خاصة ، جعل الجيش شريحة اقتصادية واجتماعية متميزة عن المجتمع (ص ١١١ و١١٢) . وهناك اساس رابع لم يورده الكاتب وهو جعل الوحدات المدرعة مقتصرة على البدو وبشكل خاص بدو الجنوب ، فالاولوية المدرعة الاساسية لا يدخلها الا افراد قبائل معينة ، سواء على مستوى الضباط ام الافراد من الرتب المختلفة ، وذلك لضمان ولائها المطلق للنظام .

ان تطوير النظام لاساليبه لم يكن فقط على صعيد الجيش ، بل طور اساليبه ايضا في مواجهة الحركة الوطنية ، فبالاضافة الى اعتماد سياسة القهر والقمع ضد الحركة الوطنية كمظهر اساسي ، فقد اخذ يتجه الى الحالات المترددة والمتذبذبة في صفوف الحركة الوطنية ويعمل على شرائها وربطها مصلحيا به . لقد نجح النظام نتيجة هذه السياسة في الاستحواذ على ولاء مجموعات كبيرة من الضباط العسكريين الذين شكلوا في السنوات السابقة القيادات الوطنية في الجيش . وان نجاح النظام بهذه السرعة وبهذا الاتساع يدلل على هشاشة ارتباط هذه القيادات بالحركة الوطنية كما يدلل على سطحية قناعاتها الوطنية . وليس أدل على ذلك من اعادة النظام الى الخدمة العسكرية معظم الضباط الذين جرى اعتقالهم في نيسان عام ١٩٦٦ بعد فترة اعتقال لم تزد عن شهرين ، وهم من الضباط « الحزبيين » من حركة القوميين العرب ومن حزب البعث . وعدم انتهاج النظام لتنفيذ الاعدام « بالضباط الانقلابيين » لم يكن وليد مرونته السياسية في التعامل مع الحركة الوطنية ، بل كان وليد ادراكه لهشاشة ارتباط امثال هؤلاء الضباط بالحركة الوطنية ، بدليل سياسة القبضة القوية التي كان يواجه بها الحركة الوطنية باستمرار . وفي الحالات التي كان يستشعر بها النظام خطرا من اي حركة او قوة وطنية ، فانه لم يكن يتورع عن ارتكاب ابشع الجرائم والمجازر دفاعا عن وجوده كما حصل في ايلول ١٩٧٠ ، وفي الاعدامات التي نفذها بعد ايلول . اضافة الى ذلك فان الوزن السياسي الكبير الذي تمثله العشائر داخل النظام ، جعل الملك يأخذ بعين الاعتبار هذه الحالة لدى خروج بعض افراد العشائر عن الولاء للنظام ، فتنفيذ حكم الاعدام بحق افراد من العشائر سيولد بلا شك حساسيات عشائرية تحدث خللا في حالة التوازن بين العشائر التي يحرص عليها الملك باستمرار ، وحيث ان مثل هذه الحالات التي كان يواجهها النظام كانت محدودة وليست خطرة ، فانه كان يتعامل معها بمرونة سياسية ، ولكن في الحالات التي يستشعر منها خطرا كان يبطش بها وأوضح دليل على ذلك قتله غيلة لهاجم الهنداوي عقب حوادث ايلول ١٩٧٠ مباشرة . غير ان هذا لا ينفي ان النظام منذ اوائل الستينات وبشكل خاص منذ بروز دور محمد رسول الكيلاني كمدير للمخابرات العامة ، اخذ بسياسة

---

١ — **شؤون فلسطينية** ، العدد ٤ ، سبتمبر ١٩٧١ .

القبضة القوية ، وسياسة شراء ضعاف النفوس . وقبل أن أختم الحديث عن هذا الفصل تجدر الاشارة الى بعض الاخطاء التي وردت في الكتاب ، فاعتقالات الضباط الحزبيين (قوميين عرب وبعثيين) التي يقول الكاتب انها جرت بعد الاعتداء على قرية السموع اواخر ١٩٦٦ (ص ١١٩) ، جرت قبل هذا التاريخ بأشهر ، حيث جرى اعتقال هذه المجموعات في نيسان ١٩٦٦ مع جملة الاعتقالات التي شملت كل القوى الوطنية آنذاك ، الا ان هذه المجموعات لم تمكث طويلا في السجن ، فقط بين شهرين وثلاثة اشهر ، واعيد معظمها الى مراكز عملها في الجيش بعد الافراج عنها ، كذلك فان مجموع المعتقلين السياسيين الذين خرجوا بموجب قرار العفو في نيسان ١٩٦٥ لم يتجاوز الـ ٥٠٠ معتقل ، وهذا الرقم اقل بكثير من الرقم الذي أورده الكاتب ٢٠٠٠ معتقل (ص ١١٨) وبالرغم من قرار العفو فقد بقي عدد بسيط من المعتقلين ولم يفرج عنهم الا بعد عدوان ١٩٦٧ .

الفصل السادس : الجيش والمقاومة الفلسطينية (١٩٦٧ — ١٩٧٠) . وفيه يعرض الكاتب بشكل سريع الاخطاء السياسية لحركة المقاومة الفلسطينية في استيعاب طبيعة تواجدها على الساحة الاردنية وما يمكن ان يولده هذا التواجد من تناقض بينها وبين النظام . وبالتالي قصورها عن مد تأثيراتها التي اوجدتها في اوساط الجماهير لتشمل قطاعات واسعة داخل الجيش . وهذه النقطة بالذات — التأثير على القطاعات الواسعة داخل الجيش — هي التي كان يجدر بالكاتب ان يركز عليها ويتعمق في اسباب عدم قيام المقاومة بهذا الدور ، فالقضية هنا ، ليست فقط في ان منظمات المقاومة طرحت او لم تطرح موضوعة اسقاط النظام الاردني واقامة حكم وطني ديموقراطي ، بل ايضا وبالدرجة نفسها من الاهمية ، كيف استوعبت الوضع الخاص للمؤسسة العسكرية الاردنية وما مثلته وما زالت تمثله في الحياة السياسية في الاردن ، ان تصور منظمات المقاومة جميعها عن تلمس طبيعة المؤسسة العسكرية ووضعها الخاص ، اوقعها في الخطأ نفسه الذي وقعت فيه الحركة الوطنية الاردنية في الخمسينات وأوائل الستينات ، وهو المراهنة مجددا على قيام انقلاب عسكري . وهذا هو احد الاسباب الذي حكم اساليب عمل المقاومة داخل الجيش ، فمراهنتها على الانقلاب العسكري ، جعلها تتجه الى القوى المؤثرة في الجيش لاحداث هذا الانقلاب اي الضباط الكبار وذوي الرتب المتوسطة ، وأبدت قصورا واضحا في العمل التحريضي والدعاوي في صفوف الجيش . في حين لو ادركت المقاومة هذا الوضع الخاص للجيش الاردني ، لتأكد لها ان السياسة الوحيدة الناجعة ضد مراهنة النظام على تماسك الجيش ووقوفه الى جانبه ، هو تفتيت هذا الجيش ، باكتساب ولاء اوسع الجنود واستنهاض ولاءاتهم الوطنية وهذا يتطلب عملا تحريضيا ودعاويا وتنظيميا مستمرا ودؤوبا ، في صفوف الجيش وعلى اوسع نطاق ، ولقد كانت الفرصة مهيأة لذلك . فوجود قواعد الفدائيين جنبا الى جنب مع معسكرات الجيش ، وفي ظل حالة وطنية عامة ولدها النضال ضد العدو القومي ، كل ذلك كان يشكل ارضية مناسبة لعمل ثوري في صفوف الجيش ، لو توفر ، لتوجهت الامور في الاردن وجهة اخرى . الفصل السابع : تركة ايلول ومؤشرات الدور السياسي القادم . بالرغم من ان عنوان هذا الفصل يوحي للقارىء انه امام استنتاجات معينة استخلصها الكاتب على ضوء عرضه السابق ، الا ان القارىء يفاجأ ان هذا الفصل جاء مسلوقا . فالنتيجة الاولى التي يؤكدها الكاتب صعوبة قيام انقلاب بعد ايلول « ان مسألة قيام انقلاب عسكري على الملك في مرحلة ما بعد أيلول ظلت قضية بعيدة التحقيق » . يفهم من ذلك ، وكأن امكانية قيام انقلاب عسكري في فترة ما قبل ايلول ممكنة ، وهذا ليس صحيحا كما أوردت . والاستنتاج الثاني ربط الاتساع الكبير الذي طرأ على الجيش بعد أيلول بدوافع قيامه بمهمات خدمة السياسة الاستعمارية خارج الحدود السياسية للاردن ، وهذا صحيح ، الا ان هناك اسبابا اخرى وراء توسيع الجيش وبهذه الاعداد الكبيرة ، وهي مرتبطة بالاوضاع داخل الاردن ، وقد أشرت اليها في بداية مناقشتي عندما تحدثت عن الدور الاقتصادي غير المنتج للجيش وأثر ذلك على مجمل الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمجتمع الاردني . وثمة ملاحظة هامة اخرى ، فالكاتب يؤكد استمرار النظام في انتهاج « النمط الاميركي » في التعامل مع الحركة الوطنية و« القائمة على الارهاب النفسي ثم الاحتواء بالربط المصلحي والاقناع الذاتي » (ص ١٥٢) ويستدل على ذلك بالاعدامات القليلة !! التي نفذت بعد ايلول وتتابع حركات العفو !! وهنا اختلف كليا مع

الكاتب ، ذلك ان الفترة التي اعقبت ايلول ١٩٧٠ كانت اشد الفترات ارهابا وقمعا واضطهادا في تاريخ الاردن وعلى ما يبدو ان اعدام ١٥ مناضلا ، بعد مجازر ايلول ومجازر الاحراش ليس كافيا لاثبات ذلك ، اضافة الى اعتقال الالاف من المواطنين الذين لا ذنب لهم الا كونهم تبرعوا للمقاومة في فترة من الفترات ، ثم حالة الارهاب والاضطهاد التي سادت الاردن طوال سنوات ١٩٧١ و١٩٧٢ و١٩٧٣ ، كل ذلك يدل على ان النظام كان يستخدم القبضة القوية ، والقوية جدا. اضافة الى ذلك فان حالات العفو الجزئي التي كانت تجري بين فترة واخرى ، كانت بهدف امتصاص النقمة الشعبية ، وبهدف تخفيف عدد المعتقلين الذي وصل حدا فاض عما يمكن ان تستوعبه السجون الاردنية . بالاضافة الى ذلك فانه يجب ربط مجمل ممارسات النظام تجاه المعتقلين بالوضع العربي العام ، وبالوضع العام لحركة المقاومة الفلسطينية ، فالمقاومة الفلسطينية كانت تتمتع بعطف عربي عام ، اضافة الى انها كانت قادرة على الفعل والتأثير ولم تنته ، وليس أدل على ذلك من ان النظام لم يستطع ان ينفذ حكم الاعدام بأبي داوود ورفاقه بالرغم من أنه كان يرغب في ذلك . وناحية اخرى ، ان النظام اتخذ من المعتقلين وسيلة للمساومة وللخروج من عزلته العربية .

اما حالات الشراء والافساد السياسي ، فهذه حالات تواجهها كل الحركات الوطنية ، وان كان بنسب متفاوتة ، والحالات التي ينجح النظام في استقطابها هي الحالات المترددة وغير العميقة في ارتباطها بالقضية الوطنية ، وهي غالبا ما تكون حالات هامشية .

وقبل أن أنهي العرض ، اود ان اشير الى ملاحظة عامة تتعلق باستعمال الكاتب لتعبير حركة المعارضة الوطنية بدلا من الحركة الوطنية او القوى الوطنية . وقد اطلق هذا التعبير على الحركة الوطنية في الاردن في كل مراحلها وحتى وهي كانت تحمل السلاح وتقاتل النظام . ان هذا التعبير لا يعبر حقيقة عن الحالة التي مثلتها الحركة الوطنية في الاردن ، فهي لم تكن حركة معارضة ، اي اتجاه سياسي يعبر عن نفسه من داخل النظام وعبر شرعيته ، بل كانت حركة معادية للنظام تناضل لتغييره بأساليب مختلفة ، وجوازا يمكن اطلاق هذا التعبير على بعض الحالات التي كانت تبرز من داخل النظام وتتخذ مواقف وطنية ضد ممارسات او مواقف معينة يقوم بها النظام ، وهذا التعبير يطلق عليها في هذه الحالات المحددة فقط ، اما ان يطلق تعبير « حركة المعارضة الوطنية » على كل الحركة الوطنية وعلى كل ما مثلته فهذا خطأ، وفيه مسخ للحركة الوطنية في الاردن .

غازي الخليلي

عصام محفوظ ، **دفتر الثقافة العربية الحديثة** ،
(دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٣)

من أصعب الامور التي تواجه الممارسة النقدية، هو القيام بنقد النقد . فمعالجة الاثار النقدية ، تطرح دائما المستوى الايديولوجي — المنطلقات في زاوية من الجدل المباشر ، اي القفز فوق التحليل وصولا الى اعتبار النتائج الجزئية نقاط انطلاق . وعندما يكون النقد تطبيقيا في سمته العامة ، كما في كتاب عصام محفوظ « دفتر الثقافة العربية الحديثة » فان الصعوبة تزداد ، لان المحلل مطالب باستخلاص نقاط المنطلق النظرية من النص التطبيقي عبر وضعه داخل الاطار العام النظري الذي ينتمي اليه الكاتب . والواقع ان هذه الصعوبة تزداد مع البلبلة النظرية التي تواجه الممارسة النقدية . واذا كان محفوظ قد استطاع عبر قيامه بتحليلات عميقة لبعض النصوص والتجارب الشعرية على وجه الخصوص ، ان يتجاوز هذه البلبلة ، فانه سقط في المقدمات النظرية التي صاغها لمقالاته القصيرة في انتقائية واضحة . ليست هذه الانتقائية في آخر تحليل سوى صدى لغياب التحديدات الصارمة عن ممارساتنا العلمية، وخاصة على المستوى النظري . أي ان محفوظ حين يقع في ما يشبه هذه الانتقائية فانه يعبر عن ظاهرة عامة بحاجة الى تحليل خاص ، يستطيع ان يقوم بتصنيف منهجين للممارسات النظرية في الميدان الادبي .

الوثيقة الشاملة : يقدم كتاب محفوظ وثيقة شاملة لاهم التيارات الادبية في حياتنا المعاصرة . وأهمية هذه الوثيقة في كونها شهادة من الداخل . فمحفوظ ساهم ويساهم في هذه الحركة الادبية التي اراد ان يكتب وثيقة عنها . لذلك جاء كتابه في حجم الشهادة التي لا تؤرخ بشكل اكاديمي ، بل تتبع سيرورة العمل الادبي من داخل المعاناة نفسها . أي ان النقد يتحول هنا الى شهادة ذاتية تتجاوز التحليل الذاتي بالمعنى الضيق للكلمة لتحاول ان تكشف عن معاناة الانتاج الفني داخل عملية الانتاج نفسها . من هنا يصبح اخضاع هذا الاطار الوثائقي للنقد المنهجي عملية بالغة الصعوبة . فالشهادة تؤخذ كما هي بوصفها شهادة وتصبح اطارا مرجعيا يسمح للدراسات الشاملة بأخذها كأحدى نقاط الانطلاق الممكنة . لذلك جاءت شهادة محفوظ واسعة جدا تريد الشمول . من الشعر العراقي المعاصر وصولا الى الفنون التشكيلية في لبنان . والكتاب يضع نفسه في اطار مرحلة انقضت . لذلك يؤكد على مفهوم **الحداثة** بوصفه مفتاح قراءة التجارب الفنية الجديدة ومقياسها في آن . غير ان النقطة التي تستلفت النظر هي في بعض الغيابات الكبيرة من هذا الكتاب . فأدونيس في قصائده الاخيرة التي استطاع ان يفتح بها ابوابا جديدة كل الجدة في شعرنا المعاصر . غائب بشكل كامل . والحقيقة انه يصعب فهم وثيقة شاملة تتجاوز ادونيس بشكل غيابي دون مناقشته جديا . فالمعاناة الادونيسية التي تحاول ان تقوم بممارسة فنية تهدم بشكل كامل لتؤسس بنية جديدة للقصيدة العربية ، تستحق الوقوف طويلا ، ليس بوصفها فقط لعبت دورا هاما في المرحلة التأسيسية « مجلة شعر » ولكن بوصفها تحمل بذور تجاوز لهذه المرحلة باتجاه القصيدة المتشابكة داخل مفاهيم التحول . كما يلاحظ غياب بعض التجارب القصصية الطليعية في مصر (تلك الرائحة على سبيل المثال) وتشديد على لبنان في المسح والفن التشكيلي . غير ان هذه النواقص أو الغيابات على أهميتها الكبرى لا تنزع عن الكتاب صفته الشمولية فهو يحمل هما واضحا ، يريد من خلال النقد ، ان يصل به الى لحظة الاحاطة بالنتاج الادبي في سبيل تخطيه من خلال العلاقة بجراحات الوطن داخل مفهوم مساواة الفن والحياة . « ان المقياس النقدي المقبل يجب ان يكون ايضا ضرورة لدعم وتركيز المفهوم الطليعي للتعبير في المرحلة الحياتية الحاسمة المقبلة ، بتفصيل ومباشرة صارم لمفهوم مساواة الفن والحياة، حيث التأكيد على الفن كأداة معاونة تأتي من الداخل وليس أداة تأملية تأتي من الخارج » .

المقدمات النظرية : رغم ان محفوظ يصنف كتابه في باب النقد التطبيقي ، فانه قد صاغ لهذا الكتاب بعض المقدمات النظرية ، وضمنه الى جانب المقالات القصيرة التي تحمل انطباعا حارا بالاثر الادبي ، دراسات طويلة ، تؤكد على مقدماته النظرية من خلال تطبيقها بشكل دقيق على بعض النماذج الفنية ــ الشعرية ، كمحاولة لدراسة الاثر من داخله . أي ان الموضوعات تستخلص من بنية هذا العمل ــ ما نصطلح على تسميته بالاسلوب ــ دون اللجوء الى لصق دراسة بنية القصيدة على دراسة الموضوعات التي يقف عندها الانتاج الشعري . تؤكد هذه المقدمات على ثلاث نقاط :

١ ــ ان نمو الاشكال الجديدة يتم من خلال العمل الفني نفسه . وبمرونة « رافقت وترافق التطور الحياتي المنعكس في الفن الذي ازداد ويزداد تعقيدا مع ازدياد التعقيد الحضاري لعلاقة الفرد بالمجتمع » . فالنظرية النقدية لا تشكل خارج هذه المعاناة بل داخلها .

٢ ــ ان ما يميز الشعر هو « الحس الداخلي الذي يربط بين الصورة والنغم ويمنح القارىء مفتاحا للتذوق » . والقصيدة الحديثة هي «مجموعة من الرموز الصغيرة تنتهي بالقصيدة الى فضاء الشعر الرحب » .

٣ ــ يشير محفوظ في مقدمة الكتاب الى « التطور الحياتي المنعكس في الفن » أي ان هنا علاقة وثيقة بين الفن وهذا التطور تؤدي بالفن الى عكسه في شكل جديد وضمن فاعلية مختلفة . لكنه في بيانه المسرحي رقم «١» يجعل لهذه العلاقة الانعكاسية شكلا انسانيا شاملا ، فهو يؤكد على كون التجربة المسرحية اللبنانية او العربية جزءا من التراث العالمي : « هناك تراث انساني واحد يخص المواطن العالمي ... وقصته تمتد من الفتوحات الاولى قبل الميلاد الى الفتوحات الاخيرة بعد الميلاد » .

لذلك حين نصل الى تطبيق نظرية الانعكاس ، نصطدم بكون شموليتها الواسعة جدا ، تمنع

هذا التطبيق . هذا الانتساب الى التراث الانساني الذي هو حقيقة لا نناقشها من حيث المبدأ ، لا يمنع خصوصية التجربة بالمعنى المحدد . أي ان الثقافة العربية لا تتبع نفس قوانين التطور الذي تتبعه الثقافات الاخرى . وهذا يعود الى جملة من الاسباب وليس الى مفهوم الانعكاس بمعناه الميكانيكي الذي يلغي التجربة الاجتماعية حين يدعي نقلها كاملة الى المستوى الثقافي . تبدأ هذه الاسباب ببنية اللغة وتنتهي بالانقسامات الطبقية التي تحمل خصائص مختلفة تبعا لاختلاف انماط الانتاج . ان هذا المفهوم الشمولي الذي نجده عند محفوظ ينتمي تاريخيا الى حقل نظري أكدته تجربة مجلة « شعر » في ممارساتها النقدية : مفهوم الحداثة . فالحداثة هنا تستوعب كل شيء لتظهر في نهايتها كمحطة في مسار الفكر العربي الحديث الذي يحكمه منطق الهيمنة الامبريالية . أي ان هذا الجنوح في سبيل التطور امام مثال من خارج آلية داخلية ، يؤدي الى تبلبل مفهوم الحداثة ليصبح مفهوما ايديولوجيا يجب وضعه في سياق أشمل حتى نستطيع محاكمته . ومحفوظ لا يقوم بهذا العمل فهو في دراسته عن المسرح يقبل المسرح كمعطى من معطيات هذه الحداثة ويقوم بتركيز النقاش حول المسألة اللغوية . واذا كانت هذه المسألة عميقة الجذور وتشكل أحد مفاتيح دراسة الممارسة المسرحية التي حجرتها وجمدتها الفصحى، فانها تبقى واحدة من المشاكل الكثيرة التي لا بد من معالجتها ونحن ندرس الظاهرة المسرحية . ما هي علاقة المسرح بالشكل الذي تأخذه المدينة العربية ؟ آلية نشوء الحركة المسرحية العربية وعلى أية ارض تقف ؟ لماذا المسرح وكيف يستطيع ان يتحول الى فن أصيل في بلادنا ، أي ارتباط بأي مراجع واقعية ؟ هذه الاسئلة الاولية ، لا يطرحها محفوظ ، بل ينتقل مباشرة الى الوصف والرؤية المستقبلية المتكئة على مفهوم الحداثة . لذلك فالمسرح بديهة ثقافية . ونقاشها لا يتم الا من داخلها.

ان الاطار النظري العام الذي وضعه محفوظ في كتابه ، يسمح لتحليلاته الفنية بحرية واسعة . فالتحديدات العامة تسمح بالسقوط سريعا في افخاخ الانطباعية . لكن محفوظ يتجاوز هذه الافخاخ عبر قدرته على الكلام عن التجربة من داخلها . لا يقوم باستاطات مجانية على الاثر . بل يجهد نفسه في فهمه من الداخل . ولعل المقطع الذي درس فيه شعر السياب هو من أفضل ما كتب عن الشاعر ، لانه يتجاوز سيكولوجية الشاعر ليدرس تحولات الشعر دون اهمال لدور الشاعر الفرد في شعره. غير ان النواقص الكبيرة في الكتاب تحيله الى جزء من دفتر الثقافة العربية الحديثة ، لان دفتر هذه الثقافة لا بد وان ينغرس بعمق أكثر خارج الاطار اللبناني في المسرح والفنون التشكيلية .

الانطباعية السريعة والشعر : في المقطع النقدي الذي كتبه محفوظ عن شعر محمد الماغوط ، نكتشف المفتاح الذي يحمله الناقد ، في سبيل الوصول الى نتائجه . انه محاولة الدخول الى النص نفسه ، استنطاقه ، وقفة شعرية حول الشعر . لذلك يأتي النقد هنا تفتيحا لابواب النص المغلقة . فمحفوظ يترك النص يتكلم ويقول ما يريد ان يقوله . وهو عندما يصل الى الصفاء النقدي هذا نحس ان الشعر لم يعد بحاجة الى نقد . وهنا جوهر اللعبة النقدية ومأساتها في آن . فالنقد الانطباعي الذي لا يطمح ان يشكل دراسة علمية ، يصبح اما مجرد استاطات سيكولوجية او فكرية نحس انها تثقل النص وتغلق ابوابها . أو يدخل النص ويفتح ابوابه وهنا ينتفي بوصفه نقدا. ولقد استطاع محفوظ في بعض المقاطع ان يصل الى هذا الصفاء الناقي .

الادب الفلسطيني : يخصص عصام محفوظ ثلاثة مقاطع لدراسة الادب الفلسطيني المعاصر . يتوقف اولا عند محمود درويش في مجموعتيه الاخيرتين : « العصافير تموت في الجليل » و«احبك أو لا احبك » ، ثم ينتقل الى سميح القاسم في مجموعتيه « الموت الكبير » و « مراثي سميح القاسم » . بعد هذه الوقفة امام الشعر ينتقل الى القصة ، ليتوقف عند غسان كنفاني في آخر نتاجه « الاعمى والاطرش » و « برقوق نيسان ». كما ان هناك التفاتة الى ثلاث مجموعات شعرية « وسام على صدر الميليشيا » لخالد ابو خالد و « حكاية الولد الفلسطيني » لاحمد دحبور و « وشم على ذراع خضرة » لوليد سيف . السؤال الاول الذي يتبادر الى الذهن هو في الغيابات . معين بسيسو غائب وتوفيق زياد غائب هو الاخر . ثم ماذا عن اميل حبيبي و « سداسية الايام الستة ». هل تخضع انتقائية محفوظ لاسباب فنية أم انها تأتي هكذا عرضا تبعا لمقتضيات العمل الصحافي . فالصحافة تذبح الادب ، لانها تخضعه

لمستلزمات ليست من طبيعته ! اذا تركنا جانبا قضية الاختيارات فاننا نصل الى انطباعية تريد ان تتجاوز اطاراتها المحدودة جدا لتحاول الايحاء باحاطة شاملة للموضوع . ففي نقاشه لشعر محمود درويش يبدأ قائلا « لا يتميز محمود درويش بأسلوب خاص » ثم ينتقل بسرعة الى دراسة سيكولوجية الشاعر بعد خروجه من الارض المحتلة، تاركا للنصوص حرية واسعة في الحركة . ان الوقوف أمام تعميمات لها هذا الطابع الشامل دون دعمها بقراءة دقيقة ، تسيء الى النقد والى الدور الحقيقي الذي يستطيع ان يلعبه . فأسلوبية درويش أو غيره من الشعراء العرب ، ليست فقط قضية لها علاقة عضوية بموضوعاته . انها الموضوعات نفسها . واذا كان لبعض تحليلات محفوظ من قيمة حقيقية فهو لانها لا تفصل بشكل تعسفي بين الاسلوب والمضمون ، بل تدرسها بشكل متداخل. يستتبع هذه الملاحظة الاولى جملة من الملاحظات : فوضع الشعر الفلسطيني في اطار العلاقة مع العدو لا تكفي وحدها لفهم محاور هذا الشعر. انه بحاجة الى المناقشة من خلال تاريخه، وعلاقته بالشعر العربي . وهذه النقطة غائبة ايضا بشكل كامل . فمحفوظ يكتفي بوضع هذا الشعر في اطار المواجهة مع العدو ، ليسمح لنفسه بعد ذلك بتحليله من خلال هذه الارضية المفترضة .

أما في مناقشة شعر الشعراء الفلسطينيين الشباب (أبو خالد ، دحبور ، سيف) فاننا نقع أمام تعسفية نقدية لا نجد لها مثيلا . النقد هنا هو مجرد انطباع اولي . « فقيمة وليد سيف ضعيفة اجمالا مع استثناءات قليلة » . هذه الاجمالا ماذا تعني وكيف نستطيع ان نقبضها . فاذا كان النقد يفتح ابواب النص فانه لا يستطيع ان يقوم بهذا العمل بشكل سريع كما هي الحال هنا . واذا كانت هذه المرحلة « التي يتطلب ابناؤها من الفنانين ليس الاعمال الفنية بل المعونة » . فما هو المطلوب من النقد ؟

أما في مناقشته لادب كنفاني ، فاننا نحس المحاولة النقدية المخلصة التي تريد الوصول الى النص لربطه بالواقع . فمحفوظ يقسم انتاج كنفاني بحسب مراحل النضال الفلسطيني . انه انتاج يتداخل مع الثورة الجماهيرية بشكل لا يماثله الا تداخل كنفاني المناضل مع قضية شعبه الوطنية الى الدرجة التي وصل فيها الى قمة اللقاء بالارض عبر الانفجار في داخلها . لكن الغائب الكبير هنا هو مناقشة تطور بنية الرواية الكنفانية . هذا التطور الذي تعادل قيمته على الاقل التطور الاخر في طرح الموضوعات الكبرى الملاحق لتطور القضية نفسها . ولو قام محفوظ بدراسة علاقة هذا التطور بالادب القادم من الارض المحتلة — اميل حبيبي — لقدم لنا لوحة متكاملة نسبيا عن الرواية الفلسطينية المغروسة على حافة حد السكين . لكنه توقف امام ابواب هذه الاحاطة الممكنة دائما .

انطلقت معالجتنا لهذا الكتاب من تثميننا للدور الهام الذي يستطيع ان يلعبه النقد الخارج من داخل المعايشة الابداعية لذلك حاولنا ان نبدي مجرد ملاحظات حول كتاب يشكل الى جانب أبعاد الموضوعية والوثائقية . بعد شهادة . فهو أحد الكتب القلائل الذي لا يزال يصر على نقطة المنطلق (مجلة شعر) بعد ان اختفى « مركز الحركة » كما يقول محفوظ . لذلك هو على حق حين يصف كتابه بأنه وليد مرحلة انتهت . لكننا نستطيع ان نطرح على هذه المرحلة بعض الاسئلة . فلماذا وضع ذلك المقطع القصير عن شعر السبعينات (بركات ، العزاوي ، سعادة) فهو لا يقدم نقديا رؤيا جديدة ، ولا يسمح لنصوص الشعر الجديدة ان تتنفس بحرية . عدا عن ان هذه الالتفاتة تهمل وعلى غير حق الكثير من التجارب الشعرية التي ظهرت في العراق (مجلة الكلمة) وتمركزت في مجلة (مواقف) . هل يستطيع الجزء الثاني من هذا الدفتر ان يعيد النظر في معاملة هذا الادب « الجديد » الذي لم يتبلور بشكل نهائي بعد ؟

حين يضع النقد نفسه في داخل مسائل النضال الوطنية والطبقية ، فانه في الواقع يقوم بمغامرة كبيرة . اذ ان تجاوز السائد لا يتم داخل الحركة الثورية بشكل سحري . انه نتيجة ارهاق في سبيل ابراز وانتاج ما يريد السائد طمسه ومسحقه دون ان تتحول الى مجرد دعاية سياسية لا قيمة لها . لذلك تبدو بشائر المرحلة المقبلة بالغة الصعوبة . فالمخاض الجديد يريد ان يتجاوز الاطارات القديمة — التحديث — ليصل الى الثورة .

الياس خوري

سـلوم سركيس : **المآسي المعاصرة والمصير العربي** ،
(بالفرنسية والعربية) ، مكتبة لبنان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت ١٩٧٣ .

« هذا الكتاب ثمرة تأملات في سبل الحرية وما يعترض اليوم حياة الانسانية وحياة الامة ... »

« ... ويدرك القارىء معزتنا لفلسطين اذا علم اننا عشنا فيها طويلا . وعندما أتكلم عن فلسطين لا يسعني ان افكر الا بالفلسطينيين وهم أغلى بكثير من القدس والاماكن المقدسة . فهل شهدت اقذر من هذا التعنف الذي ينادي بتدويل القدس ويتناسى شعب فلسطين وقد حرم من كل حق ؟ ان الراغبين في الاطلاع والقادرين على الفهم لا أدلهم على شيء مثل ما أدلهم على تاريخ الجحيم الفلسطيني ، لان الغزاة في هذا القرن شر بما لا يقاس ممن سبقهم من الغزاة الصليبيين لانهم اكثر « تمدنا » . فاليوم ، كما كان فيما غبر ، يتذرع المفسدون بالتعصب « الديني » . فهل يرتاب احد في العاقبة ؟ ستأتي ساعة ، كما حدث فيما سلف ، لا يفيد فيها الاثم ويعود الفلسطيني الى ارضه . ولكن ربما لن يكون ذلك آخر العذاب ، لان الجحيم الفلسطيني ليس الا واحدة من مآسي هذا القرن ومن ابلغ ما نرى من دلائل على تعفن القيم .. ومن ثم كان عنوان هذا الكتاب » .

بهذه الكلمات القليلة والمعبرة يحاول المؤلف — وهو كاهن كاثوليكي مارس التعليم فترة طويلة من الزمن ثم انصرف في النهاية الى التأمل والتأليف — ان يلخص او بالاحرى ان يضعنا في جو كتابه الخاص الثائر على كل ما هو امتهان لكرامة الانسان وحريته في كل زمان ومكان وبشكل خاص في ارض فلسطين . ان هذا الكتاب هو بالدرجة الاولى « شهادة ارضاء للضمير » وصرخة مدوية يرفعها المؤلف لان « اقدس القيم (بما فيها العروبة) ممتهنة ملوثة يتجر بها لصالح قيم يسمونها جديدة ويعتبرونها اصيلة ، ونرى ان السكوت في هذا الحال معناه الرضى » .

ويتوزع هذا الكتاب في اربعة فصول ثلاثة يغلب فيها النقد والاخير يغلب فيه التساؤل: اما الظواهر التي يتركز عليها فكر المؤلف فهي ثلاث : واقع الحضارة والثقافة ثم الازمة الدينية واخيرا المعضلة الفلسطينية .

اما وحدة الموضوع فتقوم ، في رأي المؤلف ، في ان ليس لنا ، على المستوى القومي ، الا قيمتان أصيلتان : الدين الاخلاقي والحرية السياسية . اما العالم المعاصر الذي يسعى الى تحطيمنا فلا يعترف الا بقيمة واحدة هي المال ...

الا ان الذي يستوقفنا في هذا الكتاب هنا هو الفصل المخصص للقضية الفلسطينية والذي وضعه المؤلف بعنوان : ابن البغضاء : اسرائيل . ويمكن ان تلخص الافكار الاساسية التي عولجت في هذا الباب كما يلي : السامي واليهودي والصهيوني والاسرائيلي ، مناقضة اليهودي ظاهرة غريبة ، الصهيونية وليدة التعصب ، الصهيونية غمست اليهودية في السياسة ، الخطأ في انشاء دولة اسرائيل ، عار الذين يرون في دولة اسرائيل بعدا دينيا ، حبوط اسرائيل وتناقضاتها ، المأساة الفلسطينية وابعادها العربية والعالمية ، المصالح الاجنبية وأزمة العالم المعاصر ، الناحية القدسية في القضية الفلسطينية ، وجهها الثوري ، دولة فلسطين العلمانية الديمقراطية ، الابعاد الانسانية في الواقع الفلسطيني ، جوهر المقاوم الفلسطيني ورسالته على مستوى الحقوق .

طبعا ان التوقف بالتفصيل أمام كل فكرة من هذه الافكار يحتاج منا حيزا مكانيا واسعا خاصة وان المؤلف يلجأ هنا الى اسلوب في التعبير خاص به وبمنهجه الصارم والمتشدد والمكتسب من خلال تجربته الطويلة في تعليم الفلسفة والمنطق والعلوم الانسانية الاخرى اي بعبارة اخرى الى اسلوب التعبير عن اكبر قدر ممكن من الافكار بأقل قدر ممكن من الالفاظ . والمقولة الاساسية والمركزية والتي تدور حولها معظم الافكار في القسم الاول من هذا الفصل هي الصهيونية وحقيقتها ومضامينها وابعادها ومضاعفاتها .

ينطلق المؤلف من نجاح احد الصحفيين الفرنسيين في اجراء لقاء خلال اربع وعشرين ساعة امام التلفزيون الفرنسي بين صحفي مصري وصحفي اسرائيلي وأعلن ذلك حدثا تاريخيا لم يشهد منذ ثلاث وعشرين سنة وحيا في ذلك بشائر السلام ...

وكيف انه في نهاية اللقاء يسأل الصحفي الفرنسي المصري : « أأنت مناهض للسامية ؟ » فيجيب : لا . ثم يسأل الاسرائيلي : « أأنت مناهض للعرب؟» فيجيب : لا .

ويعلق المؤلف على هذه الحادثة بقوله : « وليس في كل ذلك شأن سوى عجيج وسائل الاعلام التي فيها يغرقون الناس ، ويعادل عجيج الاعلام سخافته وكذبه . ففي اذاعة سبقتها دعاية كبيرة يسألون عربيا هل يناهض السامية فلا يفطن لما في السؤال من حماقة . وعلى هذا النحو يتعدون يوميا على ضمير الملايين من الناس **فيعادلون بين اليهودية والصهيونية واسرائيل ، وفيها يحصرون السامية** » .

ويعتقد الاب سلوم ، وعلى حق ، ان الصهيونية لا يمكن ان تفهم الا اذا وضعت ضمن هذا الاطار ، اي ضمن اطار الحضارة الغربية القائمة على ما يسمى بالرأي العام الذي يسير ويكيف وفق مصالح خاصة بعيدة كل البعد عن طلب الحقيقة . انها حضارة غرب قائم على الكذب والرياء فلا يتلفظ الا بالحرية والديمقراطية ، حريته وديمقراطيته هو لا حرية الاخرين . وكلام الغرب عن ذاته وعن « حضارته » و« اشعاعه » و« رسالته الشمولية » فقد كل حياء وكل هيبة فلم يعد يصلح الا لدك الذكاء .

بعد ذلك يعود المؤلف الى التاريخ فيذكر كيف جاء اليهود الى فلسطين (وكانت حينئذ ارض كنعان) فقضوا على أهلها واستقروا مكانهم . « وبعد خمسة عشر قرنا من تاريخ مشحون بالاحداث لم تنقطع فيه الخصومات الداخلية أصبحت البلاد مستعمرة رومانية » . آنذاك ظهر المسيح حاملا رسالة اخلاقية انسانية شاملة تحتقر السياسة وتناهض شكلية الديانة القائمة وتعصبها وجمودها . « ناضطهده قومه وأسلموه الى السلطات الرومانية واقاموا الشكوى عليه بأنه مفسد فحكم عليه بالموت . واتصلت القلائل من بعده وقامت محاولات ضد الرومان فقسوا وبددوا السكان » .

وكان من نتيجة ذلك ان ولد ما عرف باسم « الشتات » (Diaspora) . وقد عاش اليهود آنذاك على هامش الامبراطورية الرومانية والدين الجديد يفصلهم عنه تعصبهم بالرغم من سقوط روما وتحولها الى الدين المسيحي . ثم ساد الاسلام فعامل اليهود معاملة النصارى . « **أما في الغرب فولد الجيتو** » ، ومحاكم التفتيش وكل موجات العداء للسامية واليهودية التي نعرفها والتي تفسر بشكل رئيسي بسبب الدور الاقتصادي الذي كان يؤديه اليهود اذ ان الكثيرين منهم قد لجأوا الى التجارة فاغتنوا : « والذين اغتنوا منهم لم نبيعهم الدراهم اذ اصبحوا لا يستغنى عنهم فزادت الدراهم على وصمتهم وصمة الربى » . أما الذين بقوا فقراء فلم تشفع يهوديتهم فيهم لدى الاغنياء من اخوانهم وكان هؤلاء يستفيدون منهم « **فدام الجيتو وساء وضعه بفعل القائمين عليه** ». وهكذا فالمؤلف لا ينظر الى المسألة اليهودية من خلال العنصرية او الدين بل يحللها من زاوية مرتكزاتها الاقتصادية ومن زاوية الاستغلال الذي يمارسه اغنياء اليهود على فقرائهم لربطهم بشكل دائم بالجيتو وبعلاقات الاضطهاد والاستغلال التي تمارس ضمن حدوده . ويتابع المؤلف سرده للتاريخ اليهودي فيذكر كيف ان الاسواق التي فتحها اكتشاف اميركا وما احدثه الاصلاح والحروب الدينية من تفسخ في المجتمع الغربي ، قد ساعدت في ظهور نخبة يهودية ومساهمتها في الثقافة بصورة فردية وكيف استفادت تلك النخبة من التسامح الذي تلا الثورة الفرنسية . الا ان يقظة القوميات في القرن التاسع عشر أرغمت اليهود على التكتم او الهامشية ، « وحيثما تجرأوا على التطلب او المعارضة كانوا يثيرون الحذر او الاضطهاد ».

من هنا ، يقول المؤلف ، نشأت فكرة جمع اليهود في وطن قومي ، أي ضمن اجواء الشوفينية الغربية وضمن اجواء الافكار الاستعمارية التوسعية وقد فكروا بفلسطين ، مستغلين الشعور « الديني » لاغراض سياسية ، فكانت الصهيونية.

والشيء الطريف الذي يورده الكتاب هنا هو ان اختيار الصهاينة لاسم « ارض اسرائيل » (ايرتس اسرائيل) بدلا من فلسطين له دلالته . فالكلمة تعني حرفيا : « أرض من يحارب الله » . ومسؤولية بريطانيا في كل هذا كبيرة وكبيرة جدا . فبسبب الحرب والمتاعب المالية وانعدام الضمير لدى الحكام الانكليز نشأت أولى مآسي هذا العصر واول مآثمه من خلال وعد بلفور المشؤوم . « ويدوم هذا الاثم لا يتغير بل يعيد نفسه ويعظم يوما بعد يوم بازدياد الذين يساهمون فيه منذ

ما ينيف عن اربع وخمسين سنة ... » من كل هذا يصل المؤلف الى عدة استنتاجات منطقية مؤداها :

ـ ان العربي (وبعد كل ما حصل) لا يعتبر ان اليهودية تطرح سؤالا او تشكل معضلة . والجيتو في نواحيه السمجة ليس شرقيا او عربيا بل هو وليد الغرب وحضارته وتاريخه .

ـ ان تحالف المسيحية الغربية واليهودية الصهيونية ضد الاسلام العربي له دلالة خطيرة جدا ، « فهم لا يغفرون للاسلام العربي ان يكون شيد امبراطورية من أعجب وأخصب ما عرف التاريخ . ولا يغفرون له ان يكون بعث من رماده وفرض ذاته فيما طمست قيم المسيحية الروحية بجشع ارباب الاموال منهم . (ص ١٥٢) .

ـ ان محاولة صبغ الظاهرة الصهيونية بألوان القومية لا اقناع فيها . فالقومية واقع جماعة تعيش تقليديا على أرض نشأت فيها ولكن حقوقها اغفلت في وسط جماعة أوسع تضم أجناسا مختلفة ، فهي تدرك دعوتها ، أعني ميزاتها وشخصيتها تدريجا ثم تعمل على ان تعترف بها الدول فيكون حكمها من الداخل . وذلك يفترض تلازم أركان كثيرة منها الاقامة التقليدية في ارض وجملة ثروات (في عدد السكان والاقتصاد والثقافة) تتيح للجماعة ان تستقر وتدوم . ويعني ذلك بالايجاز مستقرا مشتركا وثروات مشتركة وروحا واحدة . (ص ١٥٢) . أما الواقع الصهيوني من خلال تطوره التاريخي والحالي فيفتقد الى كثير من هذه العناصر الاساسية . « والاسرائيليون الذين يجهرون اليوم في اظهار قضيتهم بمظهر القضايا المألوفة انما يتصرفون تصرف المعقدين ويلفتون الانتباه الى تناقضاتهم فيسلحون أعداءهم بأسلحة ما كانوا ليفطنوا اليها » .

ـ ان عبقرية الصهاينة لم تقم منذ ثمانين سنة الا على اغتنام الفرص لحمل الدول الاستعمارية على الرضى الاثيم او المساهمة المفرضة . بيد ان المظالم المتلاحقة لا تنتهي بأن تكوّن حقا ، والمساهمة المفرضة لا تنتهي الا بالارتهان . ولا تكون الانتهازية سياسة وانما تقضي على سياسة . وليس اسرائيل حتى اليوم سوى حجر في لعبة الدول . فلا يقوم الا بارادة الذين يستفيدون من وجوده وضد ارادة الذين لا يبقى بدون رضاهم . **اذن فوجوده شرطي مؤقت** . « ولم يوجد ليبني وانما ليجرح ويصد عن الوعي ويحول دون التوحيد ويعوق حضارة » . (ص ١٥٨) .

ـ ان القضية الجوهرية بالنسبة الى الامة العربية جمعاء هي ان تكون من القوة بحيث تتصدى لما يهددها جمعاء . « ومن هذا القبيل فكل دولة على حدة عاجزة أيا كانت نظمها . فالغاية القصوى انما هي الوحدة بأي شكل . ولا بد من تسمية الاشياء باسمائها وتوجيه الجهود لتذليل العقبات التي تعترض الوحدة » .

وهنا يعترف المؤلف بمركزية النضال الفلسطيني ويعتبره بوتقة لا مثيل لها في بلورة عملية الوحدة العربية وترجمتها الى واقع محسوس . ثم يتعرض لمفهوم الدولة العلمانية الديمقراطية (قيل هذا الكلام قبل حرب اوكتوبر) فيناقش كل عبارة بمفردها . « فلا العلمانية ولا الديمقراطية التي ينادون بها (الفلسطينيون) منسوخة منقولة » فالثورة الفلسطينية علمانية « لا انتسابا ولكن بطبيعة الحال » فهي لا تستطيع « فهم الدولة الا من زاوية المواطنة او القومية أي من زاوية ما هو مشترك يربط الفرد بالمجموع » .

ونفس المقياس ، يمكن استعماله في مناقشة الارادة الديمقراطية . ولكن السؤال الذي قد يتبادر الى ذهن بعض « الواقعيين » هو قولهم ان الاقتراح الفلسطيني بشأن العلمانية او الديمقراطية فيه من الثورية ما يجعل المرء يرتاب في صدقه وانه حيلة يقصد منها كسب المؤيدين . الا ان كل هذه الاعتراضات لا تستند على واقع ملموس فمعنى هذا الاقتراح من الناحية العربية هو وعي وتحرر . وهو يشكل من الناحية اليهودية دعوة الى الوعي والتحرر . فيوم عزم الفلسطينيون على الشهادة « عرفوا من هم وما هو العالم المعاصر وما عليهم ان يعملوا فيه » .

ان رؤيتهم وعزمهم وتجربتهم تبني عالما خاصا بهم وتكشف لعالمنا واقعا جديدا وتفتح أعين الذين بقيت لديهم طاقة على الرؤية . (ص ١٨٣) .

والنتيجة الاخيرة التي يصل اليها الاب سلوم سركيس في ختام بحثه الفلسفي ـ السياسي تمتاز بالبساطة التي تكتنز في طياتها أكثف المعاني وأخطرها وأجلها . انه يرى ان **القضية الفلسطينية هي علامة هذا الزمان** . « وكل صفحة من التاريخ

الفلسطيني منذ الثاني من تشرين الثاني ١٩١٧ ستبقى مفتوحة لمن يريد الاطلاع على رصيد المدنية. وهم يودون اليوم الانتهاء من تلك الورطة التي تفاقم أمرها . ولكن الفلسطيني لن ينفك قائما يوما بعد يوم يخط بلحمته بدمه وحيدا جليلا ، قاهرا . وسيقرؤها أناس عرب ويهود وغرباء . أما العرب فيقرؤونها كما تقرأ الكتب المقدسة . ويتعلم فيها اليهود ان اليهودية تنتهي حيث تبدأ الصهيونية . ويرى فيها الجميع علامة الفصل بين عالم ينكر وقد أفسده المال واستسلم الى المعاصي، وعالم قوي كالروح يؤكد وهو جالس فوق الرماد».

هذه الجملة الاخيرة تكاد تلخص كل الكتاب وتكاد تضعنا في المناخ الفكري العام الذي يتوجه المؤلف من خلاله الينا . والحقيقة ان حكمنا على هذا العمل الفريد من نوعه في المكتبة العربية لا يمكن الا ان يكون ايجابيا ، ان لم نقل مؤيدا ومشجعا . فبالرغم من بعض الاراء التي وردت في هذا الكتاب والتي يمكن ان تفسر ، اذا اخذت في غير محلها ودون تحليل دقيق لها ، وكأنها آراء مغرقة في المثالية والتجريد ، وبالرغم من بعض المواقف العنيفة ضد المدنية الصناعية والتي هي أقرب ما تكون الى الصوفية منها الى التحليل الموضوعي البارد ، بالرغم من كل هذا فان الكتاب يكشف عن انتاج عربي فكري حقيقي وعن مساهمة اكيدة في اغناء التراث النضالي العربي . وليس من الصعب على القارىء ان يكتشف ان المؤلف يبتعد ، عن سابق تصور وتصميم ، عن كل القضايا الاقتصادية والسياسية المباشرة ويهتم بشكل أساسي بالابعاد الفكرية والحضارية للانسان العربي المعاصر وينظر الى الصراع العربي الصهيوني من منظار تاريخي فوقي . من هنا جاءت المعالجة سليمة في خطوطها العريضة وفي تصوراتها للمستقبل وجاءت في المقابل ضعيفة في بعض التفاصيل الا ان هذه الثغرات لا تنتقص شيئا من قيمة الافكار المطروحة خاصة اذا حكمنا عليها من خلال الموقع الاجتماعي الذي يحتله هذا الكاهن الجريء . انه يطرح افكاره بدون مجاملة او خوف او تهرب وحتى بدون رابط ظاهري فتأتي كأنها انفجارات في وجه الظلم والاستغلال والمدنية اللاانسانية . بالاضافة الى كل هذا ، هناك الاسلوب الذي صيغت به هذه النظريات وهو أسلوب لا يهتم بالناحية الشكلية بقدر اهتمامه بتأدية المعاني والافكار . من هنا جاءت وسائل تعبيره صعبة وتتطلب الكثير من التركيز لتتبعها وتفهمها شأنها في ذلك شأن كل وسائل التعبير الفلسفية . واخيرا قد يكون من الظلم التركيز في هذا الكتاب على الفصل الذي يتحدث فيه المؤلف عن قضية فلسطين وحسب . فالكتاب في الحقيقة يطمح الى أبعد من ذلك . وكما يقول الاب سركيس فمعالجة كل القضايا التي يطرحها هذا الكتاب بصورة وافية ليست هي الهدف كما أنها ليست ممكنة . « فأن تلفت الانتباه الى وجود المشكلة ومعطياتها أهم وأنفع من أن تعرض روايتك وحلولك . **وهنا الفرق بين مهنة السياسة والفكر السياسي** . فالاولى تبسط وترتجل وتجازف . فيما يهتم الفكر بالدقائق ويدعو كل واحد الى النضوج والمساهمة » .

طبعا مهنة السياسة بعيدة كل البعد عن هذا الكتاب اما الفكر السياسي فهو جوهره وكل مضمونه . وهو على كل حال فكر سياسي مثالي — بالمعنى الايجابي للكلمة — يجمع بين ارفع مستويات الشجاعة الادبية وبين أعلى صرخات الاستنكار للاستغلال اللاحق بالانسانية سواء أكان هذا الاستغلال قائما على مؤسسات قمعية ام على ممارسات سياسية فاضحة كما يجري علنا فوق أرض فلسطين . وليس أدل على هذا الموقف من عنوان الكتاب نفسه « المآسي المعاصرة والمصير العربي » . فالمؤلف يكاد يلخص كل موقفه في هذه الجملة التي يختتم بها كلامه عن فلسطين : « وليس من باب الصدف ان تعاصر المأساة الفلسطينية ما تفخموا في تسميته بالمدنية . وليس من باب الصدف أن كانت المأساة الفلسطينية فاتحة مآسي هذا القرن وهي تتكاثر في كل بقعة من ارجاء الدنيا يشعر فيها شعوب بدهوتهم الى الحرية . وليس من باب الصدف ان تكون المأساة الفلسطينية بين مآسي هذا القرن هي التي يتهالكون في طمس رموزها المقدسة بمظاهر انسانية واكاذيب سلمية وذرائع قانونية » . ولحسن حظنا فان المؤلف ، رغم رؤيته النافذة لمآسي هذا العصر ، يمتاز ايضا بتفاؤل تاريخي وحدس عميق بأن انتصار الحرية في كل ارجاء العالم وبشكل اخص في فلسطين امر واقع لا محالة رغم كل الدلائل الظاهرة .

ماجد نعمه

مناقشات

[١]
الفطرسة الاسرائيلية : جذورهـــا وابعادهـــا

لقد اعتدنا في السنوات الاخيرة على سمـــاع عبارة « غطرسة اسرائيل » من أصدقائها واعدائها على السواء ، من اعدائها كصفة مـــن صفـــات اسرائيل الشريرة ، ومن أصدقائها كخطر يهددها مرارا . وتجد الفئة الثانية مصداقا لمخاوفها من الضربة الاخيرة التي تلقتها في اكتوبر الماضي . فقد ذهب الخبراء الى ان غطرسة تل ابيب وثقتهـــا المفرطة بنفسها كانت من أسباب نجاح العرب . والواقع ان اللواء احمد اسماعيل سبق أن صرح بأن التخطيط العربي اخذ بنظر الاعتبار الغطرسة الاسرائيلية كأحد العناصر الرئيسية في جـــانب العرب .

لقد أشرنا في العنوان الى جذورها لان هـــذه الظاهرة النفسية ليست مجرد نتيجة للانتصارات الصهيونية المتوالية خلال ربع القرن الماضي كما يبدو للبعض . ولا هي مجرد امتداد للاستعـــلاء العنصري الاوروبي كما رأى نزيه قورة في بحثـــه القيم (شؤون فلسطينية ، يناير ١٩٧٤) عن نفس الموضوع . لقد ذهب ذلك البحث الى ان الغطرسة الصهيونية هي اولا جزء من الاستعلائية الاوروبية وثانيا وثانويا امتداد او استثمار لفكرة الشعـــب المختار . في رأينا ان العكس هو الصحيح تماما. والدليل على ذلك هو أن الاوروبيين انفسهم طالما عبروا عن تذمرهم مما أسموه بالغطرسة اليهوديـــة حتى قبل أن تظهر الحركة الصهيونية الى الوجود، كما سنأتي الى ذكره ادناه . هناك جذور طويلة لهذه الغطرسة تمتد ما امتدت الثقافة العبرية في التاريخ ، وفكرة الشعب المختار هي العبارة التي توجز هذا الموقف جوهرا وقالبا . ولكـــن لهذه العبارة على قدمها جذورها الابعد منها .

الحياة ـــ حياة الفرد والمجتمع معا ـــ ما هـــي الا سلسلة ديناميكية (او دايلكتيكية ان شئت) للاحوال وردود الفعل عليها . ونجد في هذا الشأن حالة الذلة والعبودية التي عاشها في فجر تاريخهم المدون ، الحالة التي وصفها العبريون انفسهم والاغيار من المصريين . ولا بد ان العبريين تحلوا كقبيلة سامية بما تحلى به العرب وجميع البدو من شعور عميق بالكرامة والاعتداد بالنفس . بيد أن العرب استطاعوا أن يحافظوا على كرامتهم ببقائهم في معقلهم الجزيرة العربية . وعندما خرجوا الى الامصار خرجوا كأمة عظيمة فاتحة مزودة بايمان يزيد من فخرها واعتزازها . على عكس ذلك جاءت قصة العبريين . فقد نزحوا من معاقلهم الطبيعية في البادية وخرجوا الى مصر دون ان تكون بيدهم قوة العرب او ايمانهم . وبدلا من اخضاع مصر لهم خضعوا هم لحكمها . وبدأت قصة مذلتهم . الرأي السائد هنا ان مأساتهم في مصر قد حلت لان الفراعنة وجدوهم اجانب فاستعبدوهم . ولكننا قد نكون اقرب الى الحقيقة اذا قلنا ان العبريين كبدو من الجزيرة لم يستطيعوا اهدار كرامتهـــم وفرديتهم ومشاركة ابناء النيل في عبوديتهم لفرعون والخضوع لحكمه المركزي المطلق .

ما الذي جعلهم يتركون موطنهم الاصلي مسألة ظلت غامضة وكذلك ظلت مسألة موطنهم الاصلـــي الحقيقي . غير أن الاراء تجتمع على أن تخـــوم بادية الشام كانت المسرح الذي ظهروا عليه اولا . وفي مثل هذا الحزام شبه الصحراوي بين الحضارة والبداوة تتجمع عناصر المجتمع المنبوذ ـــ او ما يسميه علماء الاجتماع بالبارية ـــ المجتمع الذي نظر اليه أصحاب المدن نظرة الخوف والاستهجان كجزء من البداوة البدائية ونظر اليه البدو نظرة

الاحتقار كجزء من المدنية المنحطة . هناك مثل هذه المجتمعات المنحطة المحتقرة ما زالت بيننا في الشرق الاوسط منها على سبيل المثال المغدان في العراق والنور في فلسطين . ومن المحتمل ان العبريين قد امتهنوا التجارة بين البادية والحضارة في هذا المفرق من الطرق مما جلب عليهم السخط المألوف على اصحاب التجارة .

وسواء في بادية الشام ام في مصر ام في فلسطين ، فان من الواضح ان العبريين قد جابهوا احتقارا ومذلة واستعبادا في مولد حياتهم القومية كشعب . ولا بد لهذه الحالة من رد فعل لها . العزة والكرامة التي ترددت على لسان الرئيس الخالد جمال عبد الناصر لم تكن ديماجوجية خطابية ولا فكرة مثالية . انها في اكثر الاحيان موازية للخبز والماء في اهميتها . الخبز وسيلة الانسان للحياة ولكن جدارته كانسان هي غاية الانسان ، عليها تتوقف كل آلية بقاء الاصلح والنشوء والارتقاء . وعندما تهدر الكرامة او تثبت عدم الجدارة ، يسرع صاحبها الى الاعذار والحيل ليعلل ما حدث . وعندما تتعذر الاعذار والتعليلات يصل النقطة الانتحارية التي تنعدم فيها قيمة حياته او غايتها .

تحت ظل العبودية والمذلة التي عاشها بنو اسرائيل ، لم يمكن لهم أن يعيشوا بدون تعليل ما لحق بهم ، بدون تبرير جدارة حياتهم . وكلما ازدادوا غرقا بالمذلة كلما ازدادت حاجتهم الى مقادير أكبر وأكبر من التبريرات حتى وصلوا درجة من الهوس الذهاني انهم تصوروا أنفسهم شعب الله وابنائه ثم مضوا في نسج سلاسل مركبة من التعليلات والتبريرات من هذا المنطلق لكل ما حدث لهم .

ان معظم الشعوب قد ولدت في فرحة وبهجة وفي انطلاقة شامخة جبارة . هكذا بدأت حياة الامة العربية والافريقية والرومانية والبريطانية . ولكن الشعب العبري يكاد يكون الشعب الوحيد الذي بدأ حياته كشعب في ألم وعبودية . وعاد نقضى القرون من تاريخه بين الامم فيما وصفه القرآن ببلاغته المعتادة « وضربت عليهم الذلة والمسكنة ».

لقد انقرضت او ذابت — او قل انتحرت قوميا — المجموعات البشرية التي تعرضت لمثل ذلك الضغط. ولم يكن لبني اسرائيل الاستمرار في البقاء لولا الحقن المتواصلة التي غذاهم بها زعماؤهم . يكرس الحاخام ازيدور ابنشتاين في كتابه « اليهودية » فصلا عن « انتخاب اسرائيل » من قبل الرب فيعلق على كلمات سفر الخروج « فالان ان سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون خاصة لي من بين البشر فان لي كل الارض وانتم تكونون لي مملكة كهنة وامة مقدسة » ، فيقول : « ان يهوه قدر لبني اسرائيل حياة خاصة ، حياة من القدسية تبرزهم كشعب متميز عن بقية شعوب العالم » (ابشتاين ، ازيدور ، **اليهودية** ، بليكان، ١٩٥٩ ص ٢٠) وبالنظر لقدسية اسرائيل فقد انفردت بالعصمة . وهكذا وجدنا زعيم الفطرسة الصهيونية ديفيد بن غوريون يجيب على تبرير فضيحة لافون بأنها كانت هفوة فرد عليه قائلا « ان اسرائيل لا تقع في هفوة » . ولا تحسبنا أحوج الى مثال أفضل من هذا .

وفي ضوء هذا المفهوم عللت مآسي اسرائيل بكونها احداث من عمل يهوه . اراد يهوه مثلا من السبي تشتيت اليهود ليصبحوا مصابيح تستنير بها الشعوب . في ضوء ذلك أيضا نشأت الافكار الشوفينية والعرقية . على اليهود الا يمتزجوا مع بقية الشعوب . لماذا ؟ لان اليهود أنظف وانبل والاخرين قذرون ويأكلون الاقذار . على اليهودي ان يقتصر على اكتساب الحكمة من التوراة والمشنة والتلمود . لماذا ؟ لانها احتوت كل ما يحتاجه الانسان من معرفة .. تماما مثلما يدرسون التلاميذ في اسرائيل على أساس ان جغرافية اسرائيل هي كل ما يحتاج التلميذ معرفته . أما التاريخ فما هو الا سلسلة من انجازات اليهود واضطهاد الاغيار لهم .

واذا شاء الله ان يتبنى شعبا من الشعوب ويسميه شعبه المختار وابنه المصطفى فلا بد من أن يختار هذا الشعب من انبل الشعوب واذكاها واقدرها واجملها وو...الخ . من صفات التفضيل وقضى اليهود تاريخهم في هذا الازدواج بين واقع الذل والمسكنة وخيال العظمة والسمو وعاشوا كذلك حتى القرن التاسع عشر .

النقطة الحرجة هنا كانت الثورة الفرنسية التي اطلقت اليهود من عقالهم . وتوالت على اثر ذلك سلسلة من الاحداث التي كان لها اعمق الاثر على قصة اليهود في العصر الحديث . فبعد الصراع الطويل بين نابليون وانكلترا ظهرت حاجة الطرفين

الى المال وتوجها الى روتشيلد الذي تأمل في الامر مليا قبل ان يقرر في الاخير قرض انكلترا . اصبحت نقوده من الاسباب التي كفلت لها النصر . كان من المفروض في أي عصر غير العصر الليبرالي الحديث ان يبعث الامير بعساكره الى المرابين اليهود في مقاطعته ليأتوه منهم بما يريد . أصبح احترام القانون في العصر الليبرالي أعظم نصر حققه اليهود في تاريخهم . من الان وصاعدا أصبح على الراغب في مالهم ان يخطب ودهم . وجاءت نقطة التحول الجديدة في ثورة ١٨٣٠ عندما انتزع لويس فيليب الحكم بمساعدة الجنرال لافييت الذي صرح علنا «من الان وصاعدا سيكون الحكم بيد الصيارفة».

من الان وصاعدا اصبح على ساسة اوروبا ان يأخذوا بنظـــر الاعتبار رأي واهواء روتشيلد وزملائهم . العصر الحديث هو عصر رأس المال الذي يقاس كل شيء فيه بالارصدة والنسب المئوية. وأصبح من الطبيعي لاغنيـاء اليهود ان يمسكوا بزمام امور مثل هذا العالم . ولعل من اولى الوثائق الدبلوماسية التي أشارت الى نفـوذ اليهود في الميدان الدولي وكشفت عن التفات ساسة الغرب الى هذا النفوذ ما كتبه اللورد بالمرستون الى السفير البريطاني في الاستانة ملوحا الـى مصلحة السلطان في كسب ود اليهود كأصدقـاء متنفذين . واصبحت التفاتة بالمرستون الفكرة التي راودت ذهن معظم السـاسة المقبلين على انتخابات او حروب دامية .

ومن الناحية الاخرى ادى الحصـول علـى الحريات المدنية الى انهمار شباب اليهود على كل مهنة مرموقة فتضخمت نقابات المحاماة والطبابة والفنون والعلوم بنسب عالية منهم . وبعد قرون من الحرمان والكبت ، بز اليهود زملاءهم الاغيار ولمعت اسماؤهم في معظم الميادين من الفيزياء الى الموسيقى والادب .

لاح لهم عندئذ ان ما قاله اجدادهم عن الشعب المختار وصفاته الفريدة شيء حقيقي . لقد ازال العصر الرأسمالي الليبرالي تلك الهوة بين الواقع والخيال التي أشرنا اليها . وما كان لهم بهـذه النعمة الجديدة الا ان يتصرفوا كأي حديث نعمة ، فملأوا الاوساط الراقية من المجتمع الغربي بشتى المظاهر البراقة الفجة ، وراحوا يدخلون ما كان محرما عليهم ارتياده من قبل فيملأون المكان ضجيجا ناهين وآمرين . اضخم انواع السكار ، المـع المجوهرات ، اثقل الاساور ، اطـول الفـراء وهلمجرا . من القصص التي رواهـا لويد جورج ان ساسون اهداه مرة باقة من اوراد حديقته . وفعل ذلك بأن جاء الى بيت لويد جورج بالورد وبالبستاني الذي زرعه وقدمه الى رئيس الوزراء. وقد أعرب حتى هرتزل نفسه عن تقززه من مناظرهم في يومياته ، ولكنه هو شخصيا كان ضحية لهـا فقد كان اعداد ملابسه عملية عسكرية كاملة . وراحوا يصرون على حقوقهم المدنية حيث لزمتهم وحيث لم تلزمهم . ويكيلون الويل للمسؤولين عند أي اخلال بها . وما زلنا نتلقى صورا من هذا السلوك في مقاضاة نوادي التنس والكولف الانكليزية التي لم تسمح لليهود بعضويتها ، في احتجاج عمال البريد اليهود في نيويورك على وضع شجرة عيد ميلاد في الدائرة لم تضع الشمعدان اليهودي في اعياد اليهود .

وقد أثار السلوك المتغطرس سخط العاطفين على اليهود والمعادين لهم على السواء . وبينما حذرهم اصدقاؤهم من مغبة ذلك راح اعداؤهم يهدرون كراماتهم قصدا لتأديبهم ، كما كانوا يقولون . وتألفت في المانيا والنمسا « جمعيـة مكافحـة الغطرسة اليهودية » لهذا الغرض . ودأب الطلبة في الاوساط الجامعية على كسر هيبة التلميـذ اليهودي المتغطرس باهانته ثم دعوته الى المبارزة. ولما كان استعمال السلاح ما زال فنا بعيدا عـن الحياة اليهودية ، فقد أهدرت كرامات وكرامات . وأمام هذه المذلة الجديدة ، نشط القوميون اليهود بالدعوة الى تعلم المبارزة.وكان المسعى اول خطوة تخطوها الحركة الصهيونية نحو عسكريتها الحالية. وقد خر كثير من الشبان اليهود ضحايا المبارزات نتيجة حداثة عهدهم بالسيف والغدارة في مواقف درامائية اثارت شجون الكثير .

ولكن جمعية مكافحة الغطرسة اليهودية نهت أعضاءها من منازلة اليهود ، لان المبارزة عمل من اعمال الشرف ولما كان اليهودي لا شرف له فليس مما يشرف الالماني منازلته .

بيد أن النزال بين اليهود واعدائهم في اوروبا الوسطى استمر على النطاق الاوسع الى أن وصل نتيجته الاخيرة في نهاية الحرب العالميـة الثانية . لم تكـن نتيجـة هذه الحرب ابـــادة بضعة ملايين من اليهود وانما ابادة اعداء الساميـة

في اوروبا . لقد نظر الصهاينة الى هذه الحرب لا كنزاع بين الفاشية والديمقراطية وانما كنزاع بين اليهود واعداء اليهود . هكذا تدرس في المدارس الاسرائيلية . ورأوا ان هذه الحرب الهائلة انتهت بانتصار اليهود وهتفوا بفخر « اليهودي سيقف دائما على قبر مستعبد » ، ورأوا ورأى العالم اسيادهم بالامس يتوسلون على جرعة من السم في زنزانات نورنبرغ . وبانتهاء الحرب أسسوا لنفسهم الدولة التي اعتبرها الجميع اضغاث احلام . ثم خاضت هذه الدولة ثلاث حروب مصيرية ضد شعوب اكثر منها عددا ومساحة وتاريخا عسكريا وانتصرت . ولا شك ان تخاذل القوة العسكرية العربية في السنين الفائتة ركز في ذهن الاسرائيليين شعورهم بالمناعة المطلقة: « الجيش الذي لا يندحر » ، وهو نفس الشعور المتغطرس الذي عاشته المانيا الهتلرية حتى كسر شوكتها الجيش الاحمر . وتلقي اسرائيل بالنازية هنا أيضا في أن الغطرسة النازية جاءت كذلك بعد فترة من الذلة القومية عاشها الشعب الالماني، بعد معاهدة فرساي .

ارادت اسرائيل الحصول على اليهود السوفييت فأثارت العالم برمته ضد الكرملن حتى اجبرت ثانية الدول العظمى على الاذعان وفتح الابواب . سدني وب ، ارنست بفن ، جيمس فورستل ، جورج براون ، شارل دي غول ، واحدا بعد واحد من عمالقة السياسة انهار بعد أيام من الوقوف في وجه الامالي الصهيونية . وتداولت الهمسة بين السياسة الطموحين : اذا اردت المستقبل احذر من الوقوف في وجه اليهود .

لقد شبه احد المراقبين اسرائيل بانكلترا في القرن التاسع عشر ، الفترة التي اغرق الانكليز بها العالم بنشاطهم يوم كانوا قادرين على تحقيق اي شيء ونيل اي مطمح . ولكن ليس وجه الشبه الاخير الوحيد . في القرن التاسع عشر سيرت بريطانيا اسطولها لمحاصرة الموانيء الاجنبية لمجرد اعتقال اي بريطاني في أية جريمة او جنحة . وعاشت كافة الدول في ذعر من مس اي مواطن من مواطني صاحب الجلالة . هذا هو الوضع الذي يعيشه الاسرائيليون الان . وما الضجة الهائلة التي اثيرت حول شلة من اسرى الحرب الاسرائيليين الاجانب من هذا الموقف .

ويجد الانسان الان وسائل الاعلام الغربية تكرس صدورها لاي يهودي يصاب بأذى مضايقة في حين يهلك مئات من الناس جوعا في الهند واثيوبيا دون كلمة من هذه الوسائل الاعلامية . لقد امتلأت واجهات الصحف البريطانية في نوفمبر بالمقالات الطوال عن مشكلة بانوف وزوجته . المشكلة الوحيدة هي ان السلطات السوفياتية رفضت اعطاء الزوجين تأشيرة خروج الى اسرائيل . والواقع ان متصفحي الجرائد الغربية لا يحتاج بحثا طويلا للمس هذه المكانة الممتازة التي تعطى لمن تحتضنهم الحركة الصهيونية . وقد تصفحت شخصيا واعتباطيا بعض هذه الجرائد عند كتابة هذه المقالة ووجدت ان الديلي تلغراف اعطت ٥٠ سطرا في ٣١ يناير لنبأ اضراب بانوف عن الطعام . ولكن نفس الجريدة المحترمة لم تذكر حرفا واحدا عن اضراب ١٥ شابا ايرانيا عن الطعام قبل يوم واحد فقط امام كنيسة سان مارتنز في قلب لندن احتجاجا ضد عقوبة الاعدام التي اصدرتها حكومة الشاه بحق نخبة من المثقفين الايرانيين . وكذلك لم تشر التايمس الى نفس الخبر . وكذلك لم تذكر الديلي تلغراف اي شيء عن عقوبات الاعدام التي صدرت ضد ٦٢ مغربيا في ٢٩ منه . ولم تذكر التايمس شيئا في ٢٨ منه عن المجاعة التي اكتسحت قسما من الهند وأدت الى هيجان تمخض عن مقتل ٤٠ مواطنا جائعا برصاص الشرطة .

لقد اتصل احد الصحفيين الانكليز بمنظمة العفو العالمية للسجناء السياسيين في السنوات الاخيرة متسائلا عن أية اخبار جديدة عن السجناء في العراق . وعندما بدأت الموظفة باعطائه ما عندها واكتشف انهم لم يكونوا من اليهود قاطعها قائلا « عرب ؟ انا لم اسأل عن العرب . من يعبأ بالعرب ؟ اريد اليهود فقط » .

وربما وصل التأثير الصهيوني اوجه الدولي في مسك يد نيكسون عن التعاون مع موسكو . ها هنا امام اعظم دول العالم تسعيان بعد سنين من الجهود للوصول الى تفاهم ووفاق لحمته التعاون الاقتصادي فاذا بهما تتعثران على عتبة ذلك الوفاق عندما يصر الكونغرس على منع الرئيس الامريكي من مد يد الصداقة كاملة الى موسكو ما لم تتعهد موسكو بفتح الهجرة الى اسرائيل . « الصيارفة يحكمون العالم » هي كلمة لافاييت التي لا تقل جدارة بمكان في قاموس السياسة

المعاصرة من كلمات « يا عمال العالم اتحدوا » او « النقود الرديئة تطرد النقود الجيدة » .

وعندما نضع هذه السطوة والقدرة والمكانة ازاء الذلة التي عاشها المستوطنون اليهود في فلسطين « حثالة الكرة الارضية » كما كان الانكليز يسمونهم، وعندما نتذكر السرعة التي انقلبت بهـا المقادير والمقاييس يتعين علينا ان نخرج عن قالب البشرية المعتاد اذا طلبـا من الاسرائيليين ان يتحلـوا بالتواضع ويبتعدوا عن الغطرسة .

لمس العالم العربي هذه الغطرسة في التصرفات العسكرية والتصريحات السياسية لزعمـاء تـل ابيب . ولكنني اشك قليلا في أن يكون العرب اول من لفت النظر الى هذه الظاهرة . بل وربما كانوا قد انتبهوا اليها بعد اشارة الغربيين لها . وترد الى الذهن هنا كلمات الجنرال دي غول كمثال . لا يخلط العرب عادة بالاسرائيليين او يرونهم على الشاشة ولكن الغربيين يرونهم امامهم كل يوم . وفي كل يوم يكشف الاسرائيليون عـن غرورهـم وغطرستهم في كل رمشة عين وحركة اصبع . ولن استغرب مطلقا اذا رأيت باحثا صهيونيا يحاول تتبع اوليات الحديث عن الغطرسة الصهيونية الى رواسب ايديولوجيات المعادين للسامية في اوروبا. قصة الغطرسة الاسرائيلية قصة تمتد وراء مسرح النزاع العربي الاسرائيلي وقد ذاقت اصنافا منها اوروبا قبل ان شعر بمرارتها على السنتنا . انها مرارة المرض الذي ينبغي ان يبعث في النفوس من الشفقة بقدر ما يبعث فيها من التقزز .

خالد القشطيني

[٢]
تعقيب من مؤلف

تلقت شؤون فلسطينية هذه الرسالة من مؤلف كتاب«الجديد في العسكرية الاسرائيلية» الذي سبق للمجلة ان نشرت مراجعة له في العدد التاسع والعشرين . ونحن ننشـر الرسالة بنصها الحرفي :

اتفق ان استهديت في العدد (٢٩) من « شؤون فلسطينية » على قبسا من « أنوار » هشام عبدالله ومحمود عزمي المسلطة على كتابي « الجديد في العسكرية الاسرائيلية » ، هذا القبس من النور الذي على شحوبه وما يشعر به من علل فيشله ، ينبغي ان يصهر ويصفى لننتصر على ظلمة الجهل وسوء النية . لان القضية التي نعاني نتطلب منا تجنيد جميع جهودنا ، لتجعل جريمة لا تغتفر من تصرفاتنا غير المسؤولة ، ومنها اصدار الاحكام المتهوسة على ما يسهم به بعضا عن جديـة وموضوعية فتشوه معناه .

وآمل من هذه الزاوية ، وخدمة لتلك الغاية ، ان تنشروا رسالتي هذه في « شؤون فلسطينية ».

اوجه هذه الرسالة الى هشام عبدالله ومحمود عزمي صاحبي التعليق على كتابي « الجديد في العسكرية الاسرائيلية » .

ان المتصفح لمراجعة كتابي « الجديد » يلمس التجني على الواقع حيث صب السيدان عبدالله وعزمي جام غضبهما على الكاتب والكتاب معا عندما تصيدا الاخطاء المطبعية لاتهامي بسـوء الامانة في النقل عن المصدر تارة وبالسطحية وعدم الدقة تارة اخرى ولينصبا انفسهما رسلا في المواعظ والارشاد .

وقبل الشروع في الحديث ارى من واجبي تثبيت الحقائق الاتية :

١ ــ ان هناك عدة اخطاء مطبعية في الكتاب موضوع المراجعة والتي لا يخلو منها كتاب مطبوع وذلك لاسباب فنية لا نظن احدا يجهلها .

٢ ــ لقد جمعت معلوماتي من اربعة اركـان الارض لاجعل من عملي متكاملا (تقريبا) . ومن البديهيات ان اعتمد على المراجع العربية الجادة.

٣ — لم أكتب في يوم من الايام ليقال عني كاتب او عظيم ، بل كتبت لخدمة القضية التي نناضل جميعا من أجلها ، ولايماني بأن سجق هذا العدو الصهيوني سحقا تاما هو الشرط الاساسي لوجود شعبنا .

لهذا فاني التزم بالرد على تلك المراجعة لكتابي « الجديد في العسكرية الاسرائيلية » اظهارا للحق.

ان المتصفح لمراجعة الكتاب يلاحظ ان الاصدقاء عبدالله وعزمي يتجنيان علي كثيرا بادعاءات باطلة لا صحة لها ... حيث يتهماني بعدم ذكر المصادر التي اعتمدت عليها مع العلم ان من يطالع الجديد يلاحظ انني ثبت اسماء المصادر التي اعتمدت عليها جميعها وفي مقدمتها : « العسكرية الاسرائيلية » لمحمود شيت خطاب ، و « اخطار التقدم العلمي في اسرائيل » ليوسف مروة ، و « المساعدات العسكرية الالمانية الغربية لاسرائيل » لحسن مصطفى ، و « في الاستراتيجية الاسرائيلية » للدكتور محمد فاروق الهيثمي ، و « المذهب العسكري الاسرائيلي » لهيثم الكيلاني ... الخ.

وبناء على ذلك لا بد من توضيح الامور الاتية :

اولا : ليس سرا ما أعلنه بأنني في كتاباتي العسكرية عن العدو الصهيوني قد سرت على خطى الاستاذ الكبير محمود شيت خطاب الذي اول من دعى في الوطن العربي الى تعميم الثقافة العسكرية بين المدنيين والعسكريين على حد سواء . وهذا مصدر فخر واعتزاز بالنسبة لي .

ثانيا : يدعي السيدان عبدالله وعزمي بأنني نقلت فصل « السلاح الذري » عن كتاب الاستاذ شيت خطاب . والحقيقة انني اعتمدت في هذا الفصل على المرجع العلمي الوحيد في هذا الموضوع وهو كتاب : « اخطار التقدم العلمي في اسرائيل » للاستاذ يوسف مروة ، والذي اعتمده الاستاذ شيت خطاب في كتابه وهذا أمر غير معيب لاي باحث . فالصفحات ٦١ الى ٨٠ من كتاب « اخطار التقدم » تقابل الصفحات ٢١٣ الى ٢٢٨ من كتابي . ومن يطالع الكتاب يلاحظ تثبيت المصدر « أخطار التقدم » في هوامش الصفحات ٢١٦ و٢١٧ و٢١٩ و٢٢١ و٢٢٢ و٢٢٥ و٢٢٧ و٢٢٨ من كتابي « الجديد » .

وهنا تجدر الاشارة انني والاستاذ شيت خطاب قد اعتمدنا نفس المصدر « أخطار التقدم » لانه المرجع الوحيد عن السلاح الذري في «اسرائيل»، وذلك بغية ان يقدم كلانا عملا متكاملا (تقريبا)...

ثالثا : يدعي الاصدقاء انني نقلت فصل «التنظيم العسكري» من كتاب هيثم الكيلاني « المذهب العسكري » . والحقيقة انني اعتمدت كتاب « في الاستراتيجية الاسرائيلية » للدكتور محمد فاروق الهيثمي . فالصفحات ١٦٩ الى ١٩٥ تقابل الصفحات ١٠٣ الى ١٠٩ من كتابي « الجديد » . وكتاب الدكتور الهيثمي مثبت ضمن قائمة المراجع الاساسية لكتابي « الجديد » .

رابعا : يدعي الاصدقاء بأن فصل « صناعة الاسلحة » منقول عن كتاب الاستاذ شيت خطاب ، والحقيقة انني اعتمدت في هذا الفصل من كتابي على كتاب الاستاذ يوسف مروة، « أخطار التقدم » كما هو مثبت في الصفحات ٢٦٦ و٢٦٧ و٢٦٨ و٢٦٩ و٢٧٢ من كتابي « الجديد ».

خامسا : لم يكتشف الاصدقاء عبدالله وعزمي شيئا على الاطلاق عندما اعلنا ، انني اخذت عن كتاب الاستاذ هيثم الكيلاني فقرة حول استخدام سلاح الطيران في حرب حزيران ١٩٦٧ ، وذلك لان الاستاذ كيلاني رائد في هذا الموضوع من ناحية ، ومن ناحية اخرى لان كتاب « المذهب العسكري » مثبت ضمن قائمة المراجع الاساسية لكتابي .

سادسا : يدعي الاصدقاء ان فصل « الاسلحة الكيماوية والبيولوجية » منقول عن كتاب « العسكرية الاسرائيلية » دون ذكر أي اشارة لذلك . والحقيقة انني اعتمدت في هذا الفصل على كتاب « المساعدات العسكرية الالمانية الغربية لاسرائيل » للاستاذ حسن مصطفى . فالصفحات ٧٣ الى ٨٩ من كتاب المساعدات تقابل الصفحات ٢٢٩ الى ٢٤١ من كتابي « الجديد » . هذا مع العلم انني قد ثبت المصدر في الصفحات ٢٢٩ و٢٣٣ و٢٣٤ و٢٣٦ و٢٤١ من كتابي .

سابعا : اعتمد الاصدقاء اسلوب التشهير وذلك حينما تعمدا اصطياد الاخطاء المطبعية والتي لا يخلو منها كتاب مطبوع ، حيث قالا في مزاعم مراجعة الكتاب :

« فهو يشير مثلا الى ان السوبرميستر تحمل

٥٥ قذيفة جو ــ جو ، حين تحمل المقاتلات الاحدث من السوبرميستير صاروخين اثنين فقط ».

« اماكن لتجمع ثلاثمائة عجلة عربية » بينما الاصل « أماكن لتجمع ثلاثمائة عجلة حربية » .

« كما نقل كلمة « الحرب الاشعاعية » في البند ب صفحة ٢٧٩ خطأ وجعلها كلمة الحرب الكيماوية » رغم كتابته الكلمة بالانجليزية المقابلة لها » .

وبالتالي من هذه الفقرات نرى الاصدقاء عبدالله وعزمي يعمدان الى الشبهات ويأخذونها من الوجهة التي يرغبونها متباعدين عن الواضح الجلي منها ليقذفوا الشكوك والاوهام في العيون والقلوب والخواطر والافكار .

ثامنا : المصطلحات العلمية ملك للجميع واقتباسها وتداولها واستخدامها امرا ليس مستغربا على الاطلاق .

وهنا لا بد من الاشارة انه لا يمكن التقليل من أهمية الجهد المبذول والمركز للواء الركن محمود شيت خطاب الذي كانت له اليد الطولى في نشر الثقافة العسكرية عن العدو الصهيوني في الوطن العربي . وهذا ما أهمل سرده في تعليق السيدان عبدالله وعزمي ، ولم يسقط سهوا .

تاسعا : في الصفحة ١١١ من كتابي « الجديد في العسكرية الاسرائيلية » صورة لجندي « اسرائيلي » يدعي الاصدقاء عبدالله وعزمي بأنها تمثل رجلا عاديا يرتدي ملابس شبه عسكرية بدون شارات قد يرتديها أي حمال في أي مرفأ في العالم.

والحقيقة انها صورة لجندي صهيوني مأخوذة عن كتاب Weapons and Equipments Recognition Handbook, page 363. صفحة ٣٦٣ . وتجدر الاشارة الى ان كتابي « الجديد في العسكرية الاسرائيلية » يحتوي على كافة شعارات المؤسسات العسكرية «الاسرائيلية» التي تنشر لاول مرة في الوطن العربي في كتاب مطبوع .

وبعد :

قد يكون في كتابي « الجديد في العسكرية الاسرائيلية » بعض الاخطاء ، ولكن ما هكذا تورد الابل ... اذ انه من المؤكد ان الهدف من هكذا مراجعة هو افتراس الجهد المبذول والغاية هي التحطيم لا النقد ، لانني أعلم علم اليقين بأن شأن الناقد الحصيف ان يتناول المسائل بالحوار السليم ثم يعطي النصائح البناءة ... ويعطي التوجيهات الرشيدة التي تضيء وتنير والا لتحول نقده الى هدم وسلبية ... وحقد وكراهية .

ولا ادري ما سبب حملة الاصدقاء عبدالله وعزمي علي ؟ ألانني ابن مخيم مثلا ؟ أم لانني ابن قضية ملتزم بها حتى الشهادة والموت ؟!

هذه التساؤلات راودتني بعد قراءة مراجعة كتابي في مجلة « شؤون فلسطينية » الغراء .

ولكن المواطن العربي ليس كما يظن الاصدقاء عبدالله وعزمي جاهلا او ساذجا ، او بسيطا ... فلقد أصبح الان على دراية واسعة وبعد نظر وسداد فكر ... لا يخدعه بريق الالفاظ .

معين أحمد محمود

تقارير

[١]
قضية احمد بوشيكي

بدأت بأوسلو في ٨ كانون الثاني ١٩٧٤ اكبر محاكمة في النرويج في فترة ما بعد الحرب ، منذ العملية ضد فدكون كيسلنج (رئيس الـــوزراء النرويجي ، الذي تعاون خلال الحرب العـــالمية الثانية مع قوات الاحتلال النازي ، وفي ١٩٤٥ حكم عليه بالاعدام) .

كان الستة المتهمون في قضية ليلهامر ــ اغتيال احمد بوشيكي ــ يحاكمون . وكان المكان الـــذي جرت فيه المحاكمة ، « ابولونيا ستودي سنتر » ، محروسا بمئة من رجال البوليس المدججين بالسلاح والواقفين حول البناية وعلى السطوح ــ وهـــو منظر غير مألوف في النرويج ، حيث يكون البوليس عادة منزوع السلاح . وقد اجريت المحاكمة تبعا لقسم الخيانة في القانون النرويجي .

وفيما يلي مقتطف مـــن الصحيفـــة النرويجيـــة الاسبوعية الشيوعية « فريهتن » ، كتب بعد بضعة ايام من الاغتيال في ليلهامر . « صفي المواطـــن المغربي ، احمد بوشيكي ، في شوارع ليلهامر من قبل جماعة ارهابية اسرائيلية موجهـــة بأوامـــر المخابرات الاسرائيلية . وهناك عوامل عدة تشير الى ذلك : اعترافات بعض المتهمين ، وحقيقة أن اثنين من المعتقلين قد القي عليهما القبض في مقر الاقامة الرسمي للدبلوماسي الاسرائيلي ، ضـــابط الامن بيفال ايال .

« لقد تحرك البوليس النرويجي بسرعة وحزم . واشارت بعض الصحف الى ان الارهابيين كـــانوا مجموعة من الهواة . هراء ! اذ أنهم لو كـــانوا كذلك لما جاء رئيس دائرة العدل في وزارة الخارجية الاسرائيلية على جناح السرعة الى النرويج فـــي محاولة لعقد صفقة مع السلطات النرويجية . ان هؤلاء الارهابيين هم جميعا ، وبشكل او بآخر ، في تماس مباشر مع مستخدميهم في الحرب السريـــة القاسية ــ وانه لمن الواضح ان وزير الدفـــاع موشيه دايان مسؤول في هذه القضية ، وليس لديه اي تردد في ازهاق الارواح البشرية ، الامر الذي غالبا ما اثبته سـابقا .

« وطالما وصلت « يد اسرائيل الطويلة » اخيرا الى النرويج ، لدينا كل الاسباب لطلب تحقيق كامل وايضاح لهذه القضية بغض النظر عن مضامينهـــا السياسية .

(.....) ان المنفيين من اوطانهم يقومـــون بجهود يائسة لجلب انتباه الرأي العام العالمي . ونحن لا نوافق دائما على السبل التـــي تنتهجهـــا حركة التحرير الفلسطينية ، ولكننا لا نستطيـــع لومهم . لقد فرضت عليهم اسرائيـــل ، ودعـــم الولايات المتحدة لها ، وضعهم الصعب ، ونحـــن لا نقبل على الاطلاق اية مقارنة بين حركة المقاومة العربية والارهابيين الاسرائيليين » .

وفيما يلي مقتطفات من بيان The Socialist Election League (عصبة الانتخابات الاشتراكية) .... « تطالب العصبة السلطة النرويجية بارسال احتجاج رسمي شديد اللهجـــة الـــى الحكومـــة الاسرائيلية . كما وتطالب بأن تأمر اسرائيل فورا مخابراتها بعدم اساءة استعمال الاراضي النرويجية لاعمالها الارهابية والتجسسية ... وعلى الحكومة النرويجية ان تعمل من أجل انسحاب اسرائيلي فوري ، ومن أجل سلام عادل في الشرق الاوسط».

لقد تابعت صحف اسكندنافية عديدة قضية اغتيال احمد بوشيكي بطريقة ايجابية ، مبرهنة على تورط المسؤولين الاسرائيليين فيها ، وكان الاستياء في صفوف الشعب النرويجي واضحا .

« ابطال » عملية ليلهامر وغيرها

ابراهام جهمر (الاسم المستعار: لسلي اوربوم): حتى قبيل المحاكمة في اوسلو بقليل ، صدق البوليس النرويجي الشخصية المزيفة ، لسلي اوربوم ، امين مكتبة مدرسة في انجلترا ، ولكن احد المتهمين الاخرين اخبر البوليس بعد اعتقاله عن رجل الاتصال في المخابرات الاسرائيلية (موساد) ورجل الاتصال هذا كان ابراهام جهمر (الاسم المستعار لسلي اوربوم)، الذي كان ملحقا ثقافيا لبضع سنوات، ومنذ ١٩٦٥ السكرتير الاول في السفارة الاسرائيلية بباريس ، حيث كان اسمه لا يزال حتى المحاكمة على القائمة الدبلوماسية .

وتبعا لاقوال دان ايربل ، فان ابراهام جهمر هو أحد العملاء القياديين في الدائرة الاوروبية لموساد ويبدو انه كان مسؤولا عن جزء مهم من العملية ، التي نتج عنها تصفية احمد بوشيكي . ابراهام جهمر هو الرجل الذي اعطى المجموعة الارهابية المسماة غضب الرب اوامر بالمغادرة من مطار اللد وكان مسؤولا عن مراقبة الرجل المعتقد انه وراء عملية ميونيخ ، علي حسن سلامة .

دان ايربل : وهو مواطن دانماركي ذو جنسية مزدوجة : دانماركي / اسرائيلي . غادر الدانمارك عام ١٩٦٢ ليقيم في اسرائيل مع عائلته ، حيث افتتح شركة « دان فورم » ، وعاش ايضا في باريس وكولون ومدن اخرى حيث كان له « اتصالات اعمال » . ومنذ ١٩٦٣ كان له اتصالات بالمخابرات الاسرائيلية من خلال عميل سابق ، الماني غربي متمرس ، يدعى مايك واسمه المستعار جورج مانر. كان لدان ايربل عنوان دائم في اسرائيل ، ولكن عندما القي عليه القبض في اوسلو ، تبين من رخصة السوق الدولية ان عنوانه في باريس حيث كان له مكتب وشقة .

وكان له ايضا مكتب في كوبنهاجن قرب مكتب التلفونات المركزي ، تحت اسم مزيف . وقد انتقل من ذلك المكتب الى شركة مارتايم فروت كريرز ، حينا ليمتد في أوسلو ، التي كانت وراء خطف خمسة زوارق من ميناء شيربورج في فرنسا الى اسرائيل ، في كانون الاول ١٩٦٩ . (.....) وقد زار ليبيا عدة مرات في رحلات عمل ، وزار كذلك الاردن ولبنان .

يتكلم دان ايربل عدة لغات بطلاقة وقد سافر في كل انحاء العالم . وزار ايضا النرويج عام ١٩٧١ والسنة الماضية في زيارات خاصة . وقد طلب من الوكالة اليهودية ان « يفقد » جواز سفره الدانماركي واستطاع خلال السنوات الخمس الاخيرة الحصول على سبعة جوازات سفر دانماركية جديدة .

عندما غادر اسرائيل كان رئيس التصدير في شركة صناعات اغذية اوسن . واخبر زوجته انه كان ذاهبا في رحلة عمل الى اوروبا وانه قد يعود في ٣١ تموز / يوليو . وفي التاسع من تموز ١٩٧٣، غادر دان ايربل تل ابيب الى ستوكهولم برفقة غوستاف بستاوزر وجين لوك سفير .

ماريان جلادنكوف ، عمرها ٣٠ سنة، سويدية المولد ولكنها عاشت في اسرائيل خلال السنوات الثلاث الاخيرة ، عملت في شركة لصناعة الطيران حيث قطعت لها عهدا بالسرية . وفي الثاني من تموز ١٩٧٣ ، شاركت في « درس سري » في مكان محروس باسرائيل .

وفي ١٧ تموز من السنة الماضية اتصل بها رجل غير معروف (الهوية) في تل ابيب ، وسألها ان كانت ترغب في تنفيذ مهمة عسكرية للدولة الاسرائيلية . وافقت على ذلك ، وفي ٨ تموز أخذت الى مطار اللد حيث قابلت باتريشا روكسبورج (الاسم المستعار سلفيا رفايل) . وغادرتا معا الى النرويج .

باتريشا روكسبورج (الاسم المستعار : سلفيا رفايل) : عمرها ٣٦ سنة ، مصورة غير دائمة وهي تبعا لاقوال الصحف النرويجية احدى اهم العملاء المزدوجين الاسرائيليين .

وحسب اقوال صديق صحفي بريطاني من الديلي ميل، فان لها تحت اسم باتريشا روكسبورج علاقات صداقة حميمة جدا مع ملك الاردن حسين « لقد أصبحت مصورة في البلاط الملكي . وكلما ذهبت الى عمان انتظرتها سيارة لنقلها الى القصر . عاشت في باريس حيث اعتاد الملك على زيارتها في شقتها » . والذي يفترض انه لا يعرفه هو ان باتريشا روكسبورج المزيفة ذات جواز السفر الكندي هي يهودية مولودة في جنوب افريقيا وان المخابرات الاسرائيلية هي التي تدفع ايجار شقتها ، أو هل ان المخابرات الاردنية كانت

تعرف ذلك — وهل كان هنالك نوع من التعاون ؟. وكانت باتريشا روكسبورج ايضا ، حسب اقوال الصحفي البريطاني ، صديقة حميمة لشاه ايران .

يوجد هناك باتريشا روكسبورج حقيقية في كندا . ولم تفقد جواز سفرها ابدا ، ولكن طلب منها مستخدمها مرة ، وهو مكتب محاماة يهودي في مونتريال ، ان تسلمه اياه لبضعة ايام . وليس من الصعب تخمين ما حصل لجواز السفر بعدئذ .

وقبل بضعة أيام فقط من المحاكمة في اوسلو اكتشفت شخصية سلفيا رفايل الحقيقية — ان اخاها من جنوب افريقيا هو الذي كشف ذلك ، ولكنه ما زال سرا كيف حمله البوليس على فعل ذلك ؟ أخبرت سلفيا رفايل البوليس النرويجي انها حصلت على جواز سفرها المزيف في ٨ تموز/ يوليو من مايك (الاسم المستعار لجورج مائر)؛ ولكن تبين من جواز السفر انها دخلت فرنسا في ١٦ حزيران / يونيو ، واكتشف البوليس الفرنسي ان شقة استأجرت بأسم باتريشا روكسبورج منذ ايار / مايو ١٩٧٣ . كانت سلفيا رفايل في باريس عندما قتل المناضل الجزائري بوديا بقنبلة في سيارته في ٢٨ حزيران / يونيو . ولها اتصالات وثيقة بابراهام جهمر ودان ايربل في باريس ، وهنالك دليل قوي ان السفارة الاسرائيلية تشكل هيئة اركان الارهابيين الاسرائيليين في اوروبا .

زوي ستانبرج : عمره ٣٠ سنة ، مولود في ريو دي جانيرو . له جنسيتان : اسرائيلية وبرازيلية ، ولكنه عاش في النرويج تحت اسم فالدمار هنريك ستانبرج وقدم نفسه كرجل اعمال، وهو في الواقع ، سائق سابق في السفارة الاسرائيلية بباريس في الوقت الذي كان فيه ابراهام جهمر السكرتير الاول في السفارة . لكن زوي ستانبرج انكر معرفته بابراهام جهمر ولم يعط اية معلومات عن حياته السابقة. لقد كان امين صندوق عملية ليلهامر باكملها ، واعتقل بصحبة ميشيل دورف في شقة ضابط المخابرات الاسرائيلي ، بيغال ايال .

ميشيل دورف : رفض أن يدلي بأية معلومات حول نفسه ، فيما عدا انه طالب وعامل تلفون . لكن البوليس النرويجي اكتشف انه كان في روما وباريس وقت اغتيال وائل زعيتر وباسل الكبيسي. بعثت اسرائيل رسميا اروين شمرون ، وهو مدعي عام سابق ، الى اوسلو من اجل نصح المحامي النرويجي موكل زوي ستانبرج وميشيل دورف .

غوستاف بستاوزر : هو تبعا لاقوال دان ايربل، القائد الاصلي لعملية ليلهامر بمجموعها ، سافر بجواز سفر نمساوي — اغلب الظن ان هويته مزورة . يبلغ من العمر حوالي ٥٠ سنة . ويبدو انه شخص مهم في المخابرات الاسرائيلية ، وله مكتب في تل‌ابيب . في التاسع من تموز غادر الى ستوكهولم برفقة دان ايربل وايضا برفقة : **جين لوك سفنير** : الذي سافر بجواز سفر فرنسي . هرب سفنير من النرويج بعد تصفية أحمد بوشيكي . ويبدو انه وجوناثان انجلبي الذي سافر بجواز سفر بريطاني مزيف ، هما القاتلان الفعليان .

غادر غوستاف بستاوزر ليلهامر قبل عملية التصفية عندما مرض .

مايك (الاسم المستعار لازوارد لاسكير ، جورج مائر) : أحد العملاء السريين الاسرائيليين الرئيسيين وهو مواطن الماني سابق ومتمرس في عالم العملاء . عندما مرض بستاوزر في النرويج ، انتقلت الى جورج مائر قيادة عملية ليلهامر . استطاع الهرب من النرويج ويجري البحث عنه في كل انحاء اوروبا ، ولكنه بالطبع ، يجب ان يكون قد ذهب مباشرة الى اسرائيل .

راوول كوسين الملقب بداني : ويجري البحث عنه من قبل البوليس تحت هذا الاسم . وهو في الواقع [تبعا لاقوال عميل اسرائيلي « سابق » اجرت صحيفة « افتنبلادت » ستوكهولم مقابلة معه] **جاكيس دانيال** ، المولود في المغرب . سافر بجواز سفر ارجنتيني وقد شارك بعمليات اخرى ، كما تروي صحيفة « السويدش ديلي » .

ماريا تامار هي عضو آخر في المجموعة الارهابية الاسرائيلية التي استطاعت الهرب . اسمها الحقيقي مريام ز. عمرها ٢٥ سنة وهي مستخدمة رسميا في نفس صناعة الطيران التي تعمل بها ماريان جلادنكوف .

لورا هفنر ، واميل لافوند ورولف بيير ، هربوا من النرويج بعد عملية الاغتيال . سافروا جميعا بجوازات سفر مزيفة (افتنبلادت ٧٣/١٢/٤) .

هؤلاء الخمسة عشر شخصا هم الاعضاء المعروفون في المجموعة الارهابية الاسرائيلية المسماة « غضب الرب » التي نفذت عمليات في ليلهامر ، واغلب الظن ايضا في باريس واوروبا وربما بيروت .

« عميل اسرائيلي سابق »

تبعا لاقوال العميل الاسرائيلي « السابق » احضر الارهابيون الاسرائيليون الذين قتلوا كمال ناصر وكمال عدوان وابو يوسف وزوجته خلال الغارة على بيروت عدة وثائق معهم الى اسرائيليين من بينها قائمة مكتوبة باليد عليها ٣٥ اسما. وكان اسم احمد بوشيكي على القائمة مع بعض المعلومات حول مكان سكنه ولمن يعمل . لكن ليس هناك ما يشير الى ما اذا كانت الاسماء على القائمة هي أسماء « عملاء » فلسطينيين او مجرد اشخاص أرادت حركة المقاومة ان تجري معهم بعض الاتصالات للمساعدة في الاعلام .

اخبر العميل الاسرائيلي « السابق » — وهو سويدي — المجلة السويدية المسائية افتنبلادت حول الغارة على بيروت ، والتي ساهم هو فيها : « جندت كعميل لـ « شين بيت » و« الموساد » عندما كنت ادرس العبرية في مؤسسة التعاون الدولي بتل ابيب . واعرف ان بعض العملاء الذين ارسلوا الى النرويج قد جندوا بنفس الطريقة ».

وقع عقدا لمدة سنة ونصف ، وأكد له انه لن يشارك في اي عمليات حيث تكون فيها ارواح بشرية معرضة للخطر . « قمت بانجاز خمس مهمات مختلفة للشين بيت . في اواخر آذار (مارس) ١٩٧٣ ، حصلت على جواز سفر مزيف واوامر بالذهاب الى بيروت . وكان علي في بيروت ان أستأجر سيارة . وفي الساعة الثانية من صباح العاشر من نيسان (ابريل) ان اكون منتظرا بالسيارة على شاطىء جنوب العاصمة اللبنانية . استأجرت سيارة بيجو زرقاء من محل « **لنت أ. كار** » . كنا ثمانية عملاء لا يعرف أحدنا الاخر ، ننتظر في سياراتنا.وعندما نزل رجال الكومندوس الاسرائيلي من قواربهم المطاطية ، تحركت بهم السيارات نحو بيروت ، ولكنه كان على مجموعتي ان تذهب ١٢ كيلومترا الى الجنوب الى مصنع اسلحة سري . كنت اقف ناظرا الى المصنع عندما تفجر وأيقنت ان اناسا عديدين قتلوا . بعد الغارة صعدنا القوارب المتوجهة الى اسرائيل ، ولكني قررت ألا أجدد عقدي مع « الشين بيت » ، التي لم تحفظ وعدها لي ... »

يا له من ولد طيب هذا العميل الاسرائيلي السابق مثل احد المتهمين في عملية ليلهامر الذي قال : « لو علمنا ان شخصا سيصفى لما كنا قد شاركنا ابدا » . هل يعتقد هؤلاء العملاء فعلا بأن الحرب السرية الاسرائيلية هي لعبة اطفال ؟

وعلى اي حال ، فانه لمن المشكوك فيه ان تكون القائمة المذكورة موجودة حقا ، او ان العميل الاسرائيلي السابق ادلى بهذه المعلومات لكي يلقي بالشكوك حول احمد بوشيكي !

« متزفاه الوهيم » — غضب الرب

ابتدأت عملية ليلهامر في النصف الاول من تموز (يوليو) ١٩٧٣ ، عندما سافرت مجموعة ارهابية اسرائيلية من ١٥ شخصا الى النرويج . لقد سافروا بطرق مختلفة ، بعضهم بمفرده ، وبعضهم معا ، ولكنهم استلموا جوازات سفر مزيفة ، ما عدا مريان جلادنكوف السويدية المولد ودان ايربل. وقد اكتشف البوليس الفرنسي ان لخمسة من المجموعة جوازات سفر فرنسية .

ارسلت المجموعة من قبل المخابرات الاسرائيلية (الشين بيت) ، وهي تنتمي الى متزفاه الوهيم (غضب الرب) وهذه هي دائرة العمليات المباشرة والخطرة ، ويوجهها اهارون ياريف ، الجنرال الاسرائيلي الذي تفاوض مع القادة العسكريين المصريين حول وقف القتال بعد حرب تشرين (اكتوبر) !! وقد ارسلت المجموعة الى اسكندنافيا بناء على فلسفة مائير (القائلة) : « سنقاتل الارهابيين حيثما نجدهم » . وقد نجحت المجموعة فعلا بتصفية رجل هو احمد بوشيكي ، ولكنه لم يكن الرجل المطلوب . فقد ثبت خلال المحاكمة انه لم تكن له نشاطات سرية .

أعلمت الموساد المخابرات الاسرائيلية ، بأن علي حسن سلامة ، المفترض ان يكون مسؤولا عن عملية ميونيخ ، كان في ستوكهولم . وعندما وصل دان ايربل وجين لوك سفنير وغوستاف بستاوزر الى ستوكهولم في التاسع من تموز (يوليو) ، استأجرا شقتين هناك ، وعملوا لهما ستة مفاتيح . وفي الوقت نفسه وصل اعضاء آخرون

الى اوسلو ، حيث لاحقوا الجزائري كريم بن امين الذي اعتقدوا انه عضو قيادي في منظمة ايلول الاسود وحلقة اتصال مع حسن سلامة . كان كل العملاء الخمسة عشر معا في اوسلو في ١٩ تموز (يوليو) ، حيث عقدوا اجتماعا . وأقاموا في فنادق وشقق مختلفة . ولكن هيئة اركانهم كانت في شقة مستأجرة بـ « باروم » في ضواحي اوسلو ، يمتلكها الميجر جنرال النرويجي لونديجا رد ، الذي كان في حينه بشمال النرويج . وكان رجل اتصال المجموعة في اوسلو هو ضابط الامن بيغال ايال في السفارة الاسرائيلية .

بن أمين

تبعا لمصادر المخابرات الاسرائيلية جاء بن امين الى النرويج من ايرلندة الشمالية ، وذهب الى ليلهامر حيث قابل احمد بوشيكي بالصدفة يوم ٢١ تموز (يوليو) .

لاحقت ماريان جلادنكوف وابراهام جهمر وآخرون من المجموعة بن امين من اوسلو ، وفي ليلهامر استعرضوا جميعا صورة يفترض ان تكون صورة حسن سلامة . وفي وقت سابق من اليوم ذاته كانت نورا هفنر قد رأت بن امين يطلع عربيا آخر (احمد بوشيكي) على بعض الوثائق ، في مطعم ، وبالرغم من ان اعضاء عديدين من المجموعة شكوا في ان يكون هو « الرجل المطلوب » . فقد تسببت هذه الملاحظة في حكم بالموت على احمد بوشيكي .

وهكذا ، اتصلت المجموعة بعد ظهر السبت ببيغال ايال في اوسلو واخبرته بأنهم رأوا بن امين يتصل بعربي في ليلهامر ، ولكن هذا العربي لا يشبه حسن سلامة — وطلبوا اوامر لاحقة . وحسب رواية صحيفة الـ « اكتولت » اليومية الدانمركية الاشتراكية الديمقراطية ، اتصل ايال فورا برؤسائه في تل ابيب . وبعدئذ جاءت التعليمات : « اطلقوا النار على العربي تحت اي ظرف » .

الاغتيال

مساء السبت ، ٢١ تموز (يوليو) ، ذهب احمد بوشيكي وزوجته توريلد الى السينما ، دون ان يعرفا بأن مجموعة الاغتيال الاسرائيلية تنتظر مستعدة في الخارج ، وأجهزة **التوكي ووكي** في سياراتها . قالت توريلد بوشيكي في المحكمة :

« لم يشعر احد منا باننا ملاحقان . واول مرة تحققنا فيها من الخطر كانت قبل بضع ثواني من مقتل أحمد أمام بيتنا . عندما ترجلنا من الباص ، لاحظت سيارة مازدا بيضاء واقفة واضواؤها مشعة . قطعنا الشارع وبدأت السيارة بالتحرك . وقبل ان تصلنا قفز منها رجلان . تحرك احداهما نحونا شاهرا مسدسه وبدأ باطلاق النار على احمد ، فسقط احمد على الارض وسقطت أنا ايضا . اصيب احمد بعدة طلقات ولكنهم واصلوا اطلاق النار عليه بعد سقوطه . ورأيت الرجلين يبتعدان في السيارة » .

« ان فرنسيس (الاسم المستعار لجين لوك سفنير) هو الذي علمني استعمال التوكي ووكي قبل بضع ساعات من تصفية احمد بوشيكي » . هذا ما قالته سلفيا رفائيل في المحكمة . (وبالتأكيد انها تعلمت ذلك منذ زمن بما انها عميلة محترفة وخبيرة) .

أخبرت ماريان جلادنكوف البوليس بعد اعتقالها انه عندما أعلن انتهاء العملية بواسطة التعليمات من التوكي ووكي « كل السيارات تنصرف » . سمعت احد الاجهزة في سيارتنا قائلا : « لقد أخذوه » . وقال دان ايربل في جلسة مغلقة ان سيارة كبيرة تحمل شارة قنصلية ، ربما كانت سيارة مرسيدس ، ذهبت ايضا الى ليلهامر . وقد مرت أمامنا عندما راقبنا البيت حيث دخل العربي « ذو الشاربين الكبيرين » (احمد بوشيكي) . ومن المعلوم ايضا ان سيارة مرسيدس تقودها امرأة هي ماريا تامارا ، كانت تنتظر خارج ليلهامر في مساء يوم العملية ، وانطلقت بالثلاثة الذين يفترض ان يكونوا هم الذين قتلوا بوشيكي . ويعتقد انهم جوناثان انجلي وجين لوك سفنير ورولف باهر . ولم يعتقل احد منهم . وقد غطى فرارهم شخصان آخران في سيارة وهما مايك (الاسم المستعار لجورج مانر) ونورا هفنر وقد استطاعا هما أيضا الفرار من النرويج بعد الاغتيال .

اعتقال الستة

بعد قليل من تصفية احمد بوشيكي بدأ البوليس مطاردة القتلة ، ولكن تسعة من المجموعة الارهابية استطاعت الهرب خارج النرويج . وفي اليوم التالي وجد البوليس احدى السيارات في مطار فورينبو بأوسلو وبجانبها ماريان جلادنكوف . وبعد

قليل رجع دان ايربـــل الى السيارة . واعتقل الاثنان . واخبر دان البوليس عن الشقة التي في باروم خارج اوسلو ، وهناك اعتقلت سلفيا رفايبل وابراهام جهمر . وقد وجد البوليس رقم تلفون في جواز سفر ايربل وبواسطته اكتشف العملاء الذين اتصل بهم من ليلهامر . وعندما اغار البوليس على المنزل وجدوا انه لضابط الامن بيفال ايال ، الذي طالب دون جدوى بالحصانة الدبلوماسية لشقته ، لكن البوليس اقتحمها (كان المنزل في الواقع مستأجرا باسم شركة العال) واعتقل زوي ستاينبرج وميشيل دورف . طرد بيفـــال ايال لاحقا مـــن النرويج ، كأول دبلوماسي اسرائيلي يخرج بطرد من اي بلد غربي .

المحاكمة

اقترح المدعي العام هاكون وايكر بشدة خلال اليوم الاول من المحاكمة ان « اغتيال المواطن المغربي احمد بوشيكي قـــد نفذته عصابة اغتيال محترفة ، عملت بأوامر المخـــابرات الاسرائيلية الرسمية الموساد والشين بيت » . وبالاضافة الى ذلك فقد اقترح المدعي العام ان مجموعة الارهاب من خمسة عشر عضوا هي المسؤولة في الغالب أيضا عن العمليات الشبيهة في روما وباريس . وأكد هاكون وايكر ان احد المتهمين ، وهو ابراهام جهمر ، مرتبط مباشرة مع الموساد . وقد كشف النقاب في النهاية عن هوية جهمر الحقيقية من خلال عدد كبير من البراهين . واعترف في المحكمة باسمه الحقيقي ، ولكنه استمر في اصراره على انه طالب اقتصاد وعلوم سياسية ... وأصر على ان اول مرة سمع فيها ان رجلا قتل كانت في اليوم التالي لاعتقاله ، وان اول مرة سمع فيها باسم احمد بوشيكي كانت خلال الاستجواب وانكر ايضا معرفته بزوي ستاينبرج قبل ان يقابله في مطار فورينبو في الثامن عشر من تموز (يوليو) ، (كان ستاينبرج سائقا في السفارة الاسرائيلية بينما كان جهمـــر السكرتير الاول فيها !!) او انه رأى على الاطلاق صورة الرجل المفترض فيهم ان يجدوه . وعندما سأله القاضي عن مهمته في النرويج قال انهـــا « جمع معلومـــات حول خطط العـــرب لخطف الطائرات » .

واخيرا قال له القاضي « ان لك ذاكرة قوية جدا فيما يتعلق باشياء غير مهمة ، مثل ما تناولته من طعام على الغداء الخ يوم الاغتيال ، ولكن عندما نأتي الى أشياء مهمة فانك بكل بساطة لا تذكر ـــ يا للغرابة ! »

وعلى اي حال فقد استطاع البوليس تصور ما حصل فعلا ، في ليلهامر من خلال كشف هويـــة ابراهام جهمر .

اعلن الستة المتهمون جميعا انهم ابرياء من قتل احمد بوشيكي او التخطيـــط لاغتياله . ولكنهـــم اعترفوا انهم عاشوا او كانوا قد عاشوا فـــي اسرائيل ، واعترف اربعة منهم انهم دخلوا النرويج بجوازات سفر مزيفة .

طلب مجلس الدفاع ان تكون المحاكمة سرية من اجل امن المتهمين لكن المدعي العام هاكون وايكر رفض ذلك القول « يجب ان يطلع الجمهور على هذه **القضية القذرة** . يجب ان نفتح امين الناس على كيف تلعب اللعبـــة السياسيـــة بالارواح البشرية » . ولم يتم سوى جزء من المحاكمة في جلسات سرية نظرا « للعلاقات مع البلدان الاجنبية» (اسرائيل) .

اثبت هاكون وايكر انه كان لاعضاء عديدين من المجموعة اتصالات مع بعضهم بعضا في اوروبا خلال السنوات القليلة الاخيرة . واقاموا في كل من روما وباريس عندما اغتيل هناك وائل زعيتر وباسل الكبيسي ومحمود الهمشري واحمد بوديا . ولم يعثر على القتلة ابدا . واغلب الظن ان السفـــارة الاسرائيلية في باريس قاعدة العمليات للمجموعة . ولقد تأكد ان دان ايربل وسلفيا رفائيل قد تعاونا من قبل مع جهمر ونفذوا بعض المهمات . واقترح وايكر ان لديه اعترافات اثنين من المتهمين تثبت بجلاء علاقة الموساد والتصفيات في روما وباريس .

« عرفت سلفيـــا رفائيل تحت اسم باتريشـــا روكسبورج خلال العام ١٩٦٩/٧٠ ، عندما كنت مسؤول مكتب صحيفة « الديلي ميل » في باريس». هذا ما قاله الصحافي البريطاني جيمس ماشـــر كشاهد في المحكمة . « لقد عاشت هناك وعملت كمصورة لصحيفة الديلي ميل والديلي سكتش . ظننا جميعا انها كانت كندية » . لقد اعتادت ان تملك نقودا كثيرة وتقوم برحلات كثيرة الى الخارج بالطائرة . في احدى المرات أرتني البوما فيه صور عرب عديدين ، معظمهم اردنيين (...)

بعد المعلومات التي تلقاها البوليس النرويجي ، عثر البوليس على شقة في باريس تعود الى زوي ستانبرج . وفي هذه الشقة عثر على ١١ مفتاحا تعود الى عناوين لعملاء اسرائيليين . كان على المفاتيح علامات واسماء سينمات ومسارح ، ولكنها في الواقع تعود الى شقق في الجوار . احد المفاتيح وعليه العلامات « ايفل » يعود الى شقة سلفيا رفائيل (٠٠٠) تقع الشقة قرب برج ايفل. وفي تلك الشقة عثر ايضا على دفتر ملاحظات يحوي ارقام شيفرة. حل البوليس الشيفرات وكانت النتيجة عدة أرقام تلفونية تعود الى شقق في باريس ، احداها لجوناثان انجلبي الذي هرب من النرويج واغلب الظن انه احد القتلة ، وشقة اخرى تعود الى ابراهام جهمر ، وقد أعلم هاكون وايكر المحكمة بأن الشقق السبع جميعا ربما كانت تعود الى « مجموعة ليلهامر » . وكانت امرأة من البوليس النرويجي ، اسمها ماجينهايلد ارنستاد ، في باريس للتعاون مع البوليس الفرنسي وقد قدمت المواد التي جمعتها ، مثل بعض الاوراق المكتوبة بالعبرية . واستجوب زوي ستانبرج وميشيل دورف بشأن هذه الوثائق ، لكنهما رفضا التعليق عليها .

يبدو ان لدى الادعاء براهين كثيرة على أن نفس المجموعة التي عملت في النرويج شاركت ايضا في تصفية ممثل فتح الرسمي في روما وائل زعيتر في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٢ .

هناك اوجه شبه كثيرة بين العمليتين فالمسدس المستعمل في قتل وائل زعيتر هو من نفس نوع المسدس الذي استعمل في قتل احمد بوشيكي . كما أن كليهما قد قتل باثنتي عشرة رصاصة، وقد اكتشف البوليس الايطالي ان احدى السيارات استأجرتها امرأة تحمل جواز سفر كنديا . وفي كل من ليلهامر وروما عمل حوالي ١٥ شخصا في سيارات مستأجرة . وقد كشف القاضي الايطالي فرنسيسكو أماتو ان اربعة عشر من الخمسة عشر متهما او مطلوبا في عملية « ليلهامر » مشبوهون باغتيال وائل زعيتر في روما . وقد يطالب بتسليمهم! كما وتأكد خلال المحاكمة ان عددا من المتهمين كانوا في باريس عندما اغتيل الدكتور العراقي باسل الكبيسي ممثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، في ابريل (نيسان) ١٩٧٣ تحت ظروف مشابهة . (اكتشف البوليس الفرنسي ان خمسة اعضاء في مجموعة ليلهامر يحملون جوازات سفر فرنسية) .

لكن السؤال ما زال مطروحا حول ما اذ كان كل المتهمين في قضية ليلهامر قد شاركوا مباشرة في بلدان اخرى . لقد أضاع دان ايربل جواز سفره سبع مرات خلال خمس سنوات ، وهكذا يمكن على سبيل المثال ان تكون هوية دان ايربل ، وليس الشخص ، هي التي تقوم بأعمال الارهاب في روما وباريس !

ماريان جلادنكوف ودان ايربل : اكثر من زود البوليس بالمعلومات بناء على ما تقوله صحيفة اكسترا بلادت الدنماركية المسائية ، فان ماريان جلادنكوف اخبرت البوليس بعد اعتقالها بوقت قصير انها انضمت دون نية منها الى مجموعة في تل ابيب كانت مهمتها ايجاد وقتل عضو في ايلول الاسود في النرويج . وخلال استجواب البوليس لها قالت مريان انها ظنت ان عملية النرويج التي طلب منها المساعدة فيها بسبب معرفتها للغة ، يتم تنفيذها من قبل منظمة مخابرات مضادة في اسرائيل.

وخلال اليوم الاول من المحاكمة ، اخبرت البوليس انها اشتركت في اجتماع عقد في اسرائيل مع عدد من المتهمين الاخرين حيث تكلموا حول العملية في النرويج ، وعرضت عليهم صورة لرجل . ولكنها اكدت في المحكمة انها لم تكن تعلم ان شخصا ما سيقتل . واعترفت انها انضمت الى العملية باكملها فيمراقبة احمد بوشيكي واحمد بوديا،ولكنها اخبرت بستاوزر وراؤول بقناعتها ان احمد بوشيكي ليس هو الرجل الذي يطاردونه . وفي وقت سابق اخبرت البوليس انها سمعت في السيارة على الطريق الى اوسلو ان احمد بوشيكي قد صفي ، لكنها غيرت رأيها خلال المحاكمة وقالت ان اول علمها بالتصفية كان بعد اعتقالها .

الكشف عن شبكة عملاء اسرائيلية في جلسة مغلقة

كشف العميل الاسرائيلي دان ايربل بعد فترة وجيزة من اعتقاله معظم عملاء مخابرات اسرائيل في اوروبا . وقد سمى الشخصيات الاساسية ومقراتهم ، خلال استجواب اجراه معه مفتش المباحث ستينار رافلو الذي اعطى ايربل وعدا بالكتمان .

لكن المدعي العام هاكون طلب من المحكمة تحرير رافلو من ذلك الوعد . وافقت المحكمة على ذلك ،

وخلال جلسة مغلقة لم يحضرها سوى القاضي هاكون وايكر والمتهمين الستة ومجلس الدفاع ، كشف رافلو القناع عن شبكة عملاء الموساد في اوروبا : الشيفرات وهوية الذين نفذوا العمليات الارهابية ضد الفلسطينيين في روما وباريس . وقد صنفت كل المعلومات فورا كمعلومات « غاية في السرية » ، ولكن السؤال ما يزال مطروحا حول مدى ثقة الموساد وتل ابيب بالا تتسرب تلك المعلومات الى الخارج .

وقد علق خبراء الامن النرويجيين على تلك الجلسة المغلقة قائلين : « سيكون على الموساد ، أغلب الظن ، ان تعيد تنظيم كامل شبكة عملائها في اوروبا » .

وجاء في شهادة ستينار رافلو في المحكمة : « لقد استجوبت دان ايربل بعد اعتقاله بفترة قليلة ، وقال انه عرف مسبقا بمخططات تصفية احد العرب ، وان مهمته كانت المساعدة في العملية . وقال انه ظنها عملية سياسية ضد منظمة ايلول الاسود ، وان الحكومة الاسرائيلية تتحمل المسؤولية » . وعندما سئل عن ماذا سيحصل لاعضاء ايلول الاسود الذين تتعقبهم مجموعته ، اجاب دان ايربل : لا اعرف ، ولكن من المحتمل ان يقتلوا او يخطفوا .

لقد دون رافلو كل شيء خلال الاستجواب ، ولكن عندما قرأه فيما بعد ، رفض ايربل الاعتراف به قائلا ان ما قيل ليس صحيحا . « كان انطباعي ان ايربل خاف فجأة من مضاعفات ما قاله ، ورفض بالتالي افادته السابقة » ، هذا ما قاله رافلو امام المحكمة . لقد كان ايربل متأكدا ان القضية برمتها ستحل بصمت في حال اتصال البوليس النرويجي بالسلطات الاسرائيلية . وقال مباشرة انه سيتم عندئذ شرح كل شيء .

حتى ان ايربل طلب من رافلو الاتصال برقم تلفوني في تل ابيب يعود الى المخابرات الاسرائيلية، الموساد ، والسؤال عن مايكو الذي كان يعمل في نفس مكتب ابراهام جهمر والذي سيؤكد ان ايربل قد ارسل رسميا . وعندما ذكر رافلو رقم التلفون ٢٥٥٢٣٠ في المحكمة ، اصر ايربل على انه يعود في الواقع الى شركة مواد غذائية كان يعمل لديها.

لقد استجوب دان ايربل ثلاث عشرة مرة قبل المحاكمة . ومما قاله في المحكمة : « بعد اعتقالي مباشرة كنت معنيا بتأكيد ان القضية كلها لها علاقة باسرائيل الرسمية ، لاعتقادي ان البوليس النرويجي سيقوم بناء على ذلك بالاتصال بسفارتنا في اوسلو ، ويطلق سراحي » . وقد ناقض نفسه مرارا عديدة حتى ان القاضي الرئيسي ، ايرلنغ هوجن ، خلص الى ما يلي : « يبدو انك تكيف ايضاحاتك لتلائم حاجاتك الفورية » .

وخلال جلسة مفتوحة ، سأل المدعي العام هاكون وايكر ايربل حول اجتماع كان قد اخبر البوليس سابقا انه عقده مع ابراهام جهمر بعد مغادرة اسرائيل بقليل ، لكنه انكر ذلك في المحكمة. وقد اخرجت شواهد لها علاقة بأحداث داخل اسرائيل من وراء الابواب المغلقة سابقا ، فاعترض ايربل على طرحها في محكمة علنية قائلا : « كأي شخص آخر في اسرائيل ، لا يمكنني الدخول الى وزارة الدفاع » . وكانت زلة لسان ايربل الظاهرية في الاشارة الى وزارة الدفاع هي اول تلميح عن وظيفة جهمر الحقيقية في اسرائيل ، وان المخابرات العسكرية (موديعين) قد تكون وراء تصفية أحمد بوشيكي . وفي هذه الحالة سيتحمل موشيه دايان الذي يرئس موديعين المسؤولية السياسية للعملية (...)

أحمد بوشيكي

ثمة مجموعة نقاشات حول ما اذا كان احمد بوشيكي منخرطا في اية جماعة عربية مناضلة ، مثل منظمة ايلول الاسود . وكتبت الصحيفة الدانماركية المسائية « اكسترا بلادت » خلال المحاكمة : « لم يكن هنالك ادنى قدر من البراهين على ان للعملاء الاسرائيليين اي سبب لتصفية أحمد بوشيكي . لقد اقتنعنا جميعا بذلك في المحكمة عندما قالت سلفيا رفائيل انه حتى يوم القتل لم تكن المجموعة تعرف شيئا عن احمد بوشيكي . لقد راقبوه ، فقط لانهم اعتقدوا بامكانية كونه عدوا محتملا » .

وقد قال حمو احمد بوشيكي في المحكمة : « لا استطيع فهم ان اسرائيل لا تعرف انه عند وقوع جريمة قتل في مجتمع كالمجتمع النرويجي ، فان القاتل سيعثر عليه وبدان ... كان أحمد شخصا لطيفا جدا ، منفتحا وموضع ثقة . لا أصدق انه كان متورطا في عمل سياسي سري . لقد كان جل

اهتمامه منصبا نحو الجنس البشري ، ولم يكن شيء يثير الشبهات حول نمط حياته . عائلتنا تسأل: لماذا قتلوه ؟ والجواب الوحيد الذي نجده ، ان ذلك كان عملا سخيفا » .

وقالت توريلد بوشيكي : « كان احمد نشطا في حرب التحرير الجزائرية ضد فرنسا ... لم الاحظ أية نشاطات خاصة في أيام ما قبل اغتياله ...».

وكتبت صحيفة « فريهتن » الاسبوعية النرويجية، الشيوعية : « قال المدعي العام هاكون وايكر في كلمته الافتتاحية ان احمد بوشيكي قد انضم الى حركة التحرير الجزائرية، واصبح فيما بعد سكرتيرا نقابيا « مناضلا » في المغرب . كما واورد مقتطفات من مذكرة للمعارضة المغربية حول موقف أحمد بوشيكي المعادي للصهيونية . ان هذه الخلفية تؤكد وجود عمل سياسي وعمل بعيد المدى يتعلق بنضال الشعب العربي من أجل تحرره الوطني ونضال العمال من أجل حقوقهم ، أكثر مما يتعلق بحلول سهلة من خلال أعمال ارهاب فردي » .

قرار الحكم

وفي نهاية المحاكمة تلقى المدعي العام هاكون وايكر-ورئيس قسم الجنايات رولف جهرمان تهديدات بالقتل .

وقد قال هاكون وايكر امام المحكمة بعد اسبوعين من توالي الاحداث : « ان العملاء الاسرائيليين الذين اعتبروا احمد بوشيكي فدائيا عربيا متخفيا، قد توصلوا للرجل الخطأ ، وقتلوا شخصا بريئا ».

واصر وايكر ان الموساد تقف وراء عملية الاغتيال. وقال مع انه لا يستبعد ان يكون بوشيكي شخصا مهما ، لم يكن ثمة ما يدعو لاعتباره عضوا في « ايلول الاسود » .

وقد أفاد ان مجموعة عملاء « الموساد » كانت تطارد زعيم « أيلول الاسود » علي حسن سلامة، واورد مقتطفات مما قالته رئيسة الوزراء جولدا مائير ووزير الخارجية ابا ايبان خلال اسبوع الهجوم في ميونيخ تنص على « ان الارهابيين العرب سيلاحقون ويصفون اينما وجدوا » . (....)

وطالب هاكون وايكر بالسجن ست سنوات ونصف لماريان جلادنكوف وزوي ستانبرج وميشيل دورف ، وست سنوات لسلفيا رفائيل ، وتسع سنوات لابراهام جهمر ودان ايربل .

وقد ورد في قرار الحكم النهائي ان المخابرات الاسرائيلية كانت وراء تصفية أحمد بوشيكي . واعربت المحكمة العليا في جلسة مغلقة عن رأيها في علاقة مجموعة العملاء بمخابرات اسرائيل الرسمية . ولم يذكر في المحاكمة المفتوحة اي من التنظيمات الاسرائيلية كان وراء العملية، لكن ذلك جاء ضمنا، «لقد كانت العملية التي تشتمل على ١٥-١٧ عميلا كبيرة وجيدة الاعداد وكلفت اموالا طائلة بحيث لا يمكن الا ان تكون المخابرات الاسرائيلية وراءها ، الامر الذي اعترف به بعض المتهمين ايضا». ولكن لم تتم ادانة اي من المتهمين لاقترافه بالفعل جريمة القتل . وقد قالت المحكمة ان القتلة هم جوناثان انجلبي وجين لوك سفنير اللذان ما زال البحث جاريا عنهما.وقد حكم على ماريان جلادنكوف بالسجن سنتين ونصف ، وعلى سلفيا رفائيل وابراهام جهمر خمس سنوات ونصف، وعلى دان ايربل خمس سنوات . وتمت تبرئة ميشيل دورف ، وحكم على زوي ستانبرج بالسجن سنة واحدة ، لكن أطلق سبيله .

الحكومة النرويجية تحتج الى اسرائيل

سلم وزير الخارجية النرويجي يوم ٥ شباط (فبراير) احتجاجا شفويا الى السفير الاسرائيلي يتسحاق كينان ، مؤكدا ان حكومته لا تستطيع ان تسمح او تحتمل استعمال الاراضي النرويجية لاعمال كهذه ، بغض النظر عن الدوافع او المنطلقات .

ان هذا الاحتجاج أكثر من ضعيف ويتمشى مع قول لاحق لرئيس الوزراء ت. براتلي بأنه لا يعتقد ان ما يسمى قضية ليلهامر « ستؤثر ، من حيث الاساس ، على العلاقات الودية بين النرويج واسرائيل ».

ويجدر التأكيد ان رئيس وزراء النرويج الاشتراكي الديمقراطي هو صديق شخصي للقادة الاسرائيليين ، وان لحزبه أفضل العلاقات مع الهستدروت وحزب المابام في اسرائيل . وهكذا ، ليس مثيرا للدهشة ايضا ان براتلي سينظر في طلب للعفو عن العملاء الاسرائيليين الخمسة الذين ادينوا! والسؤال هو ما اذا كانت السلطات النرويجية مهتمة اصلا في كشف قضية ليلهامر كاملة ؟

المخابرات النرويجية

كيف أمكن القاء القبض في النرويج على العملاء الاسرائيليين ، الذين استطاعوا الهرب من البوليس الفرنسي والايطالي والانتربول بعد قيامهم بعمليات مشابهة — هل البوليس النرويجي أكثر ذكاء ؟ بالطبع لا .

وتبعا لما يقوله جين جويللو (الذي سجن لكشفه النقاب عن المخابرات السويدية السرية ، أي.بي، عبر سلسلة مقالات) فان الجواب بسيط بقدر ما هو مخيف « ليس هنالك أي.بي في النرويج لحماية الاسرائيليين (كما كان الحال في روما وباريس) . حاولت المخابرات العسكرية النرويجية التي أخبرها الاسرائيليون عن عملية قادمة (ضد « الارهابيين » الفلسطينيين) ان تمنع البوليس النرويجي العادي عن ملاحقة عملية الاغتيال ، ولمحت ان القضية حساسة وتؤثر في العلاقات مع البلدان الاجنبية ».

ويتابع جويللو قائلا : « نعرف الان جميعا ان المخابرات الاسرائيلية هي التي « خدعت » البوليس في البلدان الاوروبية الاخرى . يوجد في فرنسا وايطاليا وانجلترة والسويد مخابرات سرية جيدة الارتكاز تتعاون مع « الموساد » و « الشين بيت » الاسرائيلية ضمن اطار التعاون التقليدي الغربي ضد اوروبا الشرقية والعالم العربي والعالم الثالث ... بهذه البساطة كان تفسير « المناعة » الاسرائيلية . ولان بعض رجال البوليس النرويجي العاديين عانوا من التحيز ، وارادوا ايجاد القتلة واعتقالهم فان التنظيم (السري) تهاوى بأكمله ».

وتساءلت صحيفة « فريهتن » : « كيف دخل العملاء الاسرائيليون البلد بسلاحهم ؟ هل حصلوا عليه من السفارة الاسرائيلية او من مصادر اخرى في النرويج؟ هل بنت اسرائيل مجموعات دعم خاصة بها في النرويج ، يكون هدفها مساعدة جولدا مائير ودايان على مراقبة العمال العرب في بلدنا ومد عصاباتهما الارهابية بالاسلحة ؟ » .

قال المدير العام السابق للتلفزيون الاسرائيلي هاجاي بنسكر ، خلال المحاكمة في اوسلو « كانت غلطتهم الوحيدة انهم لم يهربوا بعد تنفيذ العملية».

بالطبع كانت تلك « غلطة » ، لكن بنسكر نسي ان يذكر « غلطة » اخرى — نزاهة الشعب النرويجي .

اكدت قضية احمد بوشيكي في النروج انللمتهمين بالاغتيال (والفارين منهم ايضا) ، وهم اعضاء المنظمة الارهابية الصهيونية « غضب الرب » ، علاقة واضحة بالاغتيالات التي حصلت في روما وباريس .

في الثاني والعشرين من شباط عام ١٩٧٣ نشرت صحيفة « جروسالم بوست » تقريرا عن مجلة « وورلد ماجازين » كتبه رفائيل روثشتاين يقول فيه «ان اهارون ياريف، مستشار رئيسة الحكومة، غولدا مئير ، الخاص للشؤون الامنية ، يدير العمليات ضد قادة حركة المقاومة الفلسطينية » ، ويضيف روثشتاين ان عملاء اسرائيل للارهاب المضاد مسؤولون عن اغتيال وائل زعيتر في روما وغسان كنفاني في بيروت .

ان الارهابيين الاسرائيليين الذين قاموا بالعملية في النروج هم ، على الاغلب ، مسؤولون عن مقتل وائل زعيتر ، وباسل الكبيسي ، واحمد بوديا . ولذلك نستطيع ان نفترض انهم ايضا المسؤولون ، او على الاقل مشتركون ، عن مقتل زوجي غسان كنفاني . ومن المحتمل جدا ايضا أن يكونوا قد شاركوا في الاغارة على بيروت ليلة العاشر من نيسان عام ١٩٧٣ ، والتي قتل فيها كمال ناصر وكمال عدوان وابو يوسف وزوجته واخرون غيرهم . ومن المعروف ان واحدا منهم على الاقل وهو دان ايربل قدم الى لبنان والاردن اكثر من مرة في السنوات الاخيرة الماضية .

آني كنفاني

[٢]

منير الريس ــ المناضل الذي خسرناه

في منتصف الشهر الماضي توفي منير الريس . وخسر النضال الفلسطيني ، وخسرت غزة رجلا آخر كان جزءا اصيلا من مسيرتها وأحد الذيــن صنعوا الكثير لكي تكون غزة العلم الذي يرفرف في أعلى سارية النضال الفلسطيني .

غزة التي اصبح اسمها احيانا يرمز لقنبلة تلقى على جنود الاحتلال ... القلعة المحرمة على جنود الاحتلال .. تاريخها مع الاحتلال تختزنه اخبارها اليومية التي كانت تتناقلها الصحف ووكالات الانباء يوميا . قنبلة تلقى . جرحى وقتلى مــن جنود العدو . شهيد يسقط . اعتقالات . تهجير . ومزيد من الغرق للعربة العسكرية الاسرائيلية في الوحل . وكل يوم ، بل كل لحظة ، نقــول وبكل طريقة ممكنة : لا مساومة ولا مهادنة مع الاحتلال . غزة لم تتكلم كثيرا وعندما كانت تحكــي كانت تقول رصاصا في صدور المعتدين . غــزة التي تصمت بكبرياء ، وتحاور المحتلين رصاصا ودما ، حكايتها طويلة وجذور نضالها عميقــة ونضالها ما بعــد النكسة ، خير طال اعداده . ومنير الريس احد الذين تعهدوا الزرع الذي اعطى خير غزة ما بعد عام ٦٧ . واذ كان جزءا وطرفا بكل ما مر على القطاع منذ اصبح القطاع بوضعه الحالي . ولقد كان دائما لا يعرف كيف يساوم وفلسطينيا يعرف طريقه جيدا في جميع مراحل عمر القطاع . ذلك هو منير الريس والذي بدأ يتشكل دوره السياسي مع انبثاق القطاع . والحديث عن الرجل سيكون جزءا من الحديث عــن القطاع والمعارك التــي خاضها والعود الذي أصلــب جيــدا منذ زمــن طويل ليصبح غير قابل للكسر وهو يجابه عدوان واحتلال اسرائيل . ومن هنا سيكون الحديث عن منير الريس .

بدأ النشاط السياسي لمنير الريس قبل النكبة من خلال مشاركته في الحركة الوطنية التي شهدهــا القطاع بين رشدي الشــوا مرشح الحكومــة البريطانية لانتخابات البلدية . والذي كان يمثــل جماعة حزب الدفاع ، وهو الحزب الذي عبر عن الثورة المضادة في فلسطين والذي كان يدعو علنــا للتعامل مع الانتداب البريطاني في فلسطين وبين فهمي الحسيني مرشح التيار الوطني في ذلك الحين ممثلا للحزب العربي والذي كان يقف في مواجهة حزب الدفاع . وبالرغم من فوز فهمي الحسيني في تلك الانتخابات فلقد عينت الحكومة البريطــانية رشدي الشوا رئيسا للبلدية ، ولقد خاض منير الريس في ذلك الحين المعــركة الى جانب فهمي الحسيني ولعب دورا كبيرا في فضح التعاون الذي كان قائما بين بلدية تل ابيب وبلدية غزة ، والذي عبر عن نفسه بقرض مقداره عشرون الف جنيــه قدم لبلدية تل ابيب من بلدية غزة ، وكان ذلك ابان معارك ١٩٤٨ . والدور الذي لعبه منير الريس في فضح ذلك القرض الذي قدمه رشدي الشوا ومن وراء ظهر اعضاء بلدية غزة حينذاك ، كان هو الدور السياسي البارز الذي احتله الريس .

لقد أقيل الشوا اثر ثورة عام ١٩٥٢ وسلمت البدية الى الشيخ عمر صوان وكان منير الريس عضوا في البلدية التي شكلت في ذلك الحين . وبالنظر للطبيعة الخاصة لمجلس البلدية في غزة والتي تتمثل في كونها آنئذ الهيئــة الفلسطينية التمثيلية الوحيدة في القطاع ، فقد كان دور البلدية سياسيا بالدرجة الاولى ، ولهذا استمر الصراع بين التيار الرجعي ممثلا برشــدي الشوا وبين التيار الوطني الذي بدأ يلتف حول ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ . ولقد استطاع منير الريس ان يطرح مستوى جديدا للصراع مع القوى الرجعية ، باعتبار ان الخصوم التقليديــين لآل الشوا كانوا يحصرون معركتهم في أطار النفوذ التقليدي ومحاولة تثبيت نفوذهم العشائري ليس الا . ولقد ساهم هذا في ابقاء صراعهم محدودا بآفاق ضيقة وافسح المجال واسعا لبروز بداية زعامة سياسية جديدة في القطاع التقطت جملة القضايا الوطنية التي كانت تجابه القطاع وبلورتها وقادت نضال الجماهير من اجل تحقيقها . كانت اولى تلك المعارك الحاسمة معركة التوطين والمشاريع التــي طرحت بشأن توطــين الفلسطينيين في سينــاء ، كحل نهائي لمشكلــة الفلسطينيين . ولقد طرح هذا الموضوع للتداول السياسي وكما يبدو فلم تكن الحكومة المصريــة تعارض في الامر . ولقد كان هذا المشروع من أخطر المشاريع التي طرحت لتصفية مشكلــة اللاجئين الفلسطينيين ، ولقد أحبط هذا المشروع تحت ضغط

الجماهير وتظاهراتهم الحاشدة ، وكان منير الريس أبرز الشخصيات السياسية المعروفة التي ساهمت في حملة التعبئة الجماهيرية ، متحالفا في ذلك الموقف مع الاحزاب الوطنية التي كانت موجودة في ذلك الحين بالقطاع . والمعركة الثانية الحاسمة التي شارك بها هي وقفة الاحتجاج العارمة التي وقفتها غزة ، وتظاهراتها الحاشدة ، مطالبة بالسلاح من أجل الدفاع عن النفس في وجه الاعتداءات المتكررة التي كانت تشنها اسرائيل على القطاع والتي بلغت ذروتها في مذبحة المحطة الشهيرة ، وقصف مستشفى غزة بمدافع الهاون مما ادى الى سقوط عدد كبير من الضحايا . واتسع نطاق تلك التظاهرات لدرجة بات كل وجود الادارة العربية في القطاع مهددا . وهنا لعب منير الريس دورا في ضبط تطور الاحداث فأظهر حرصا على استمرار الادارة العربية في القطاع يوازي حرصه على تسليح الجماهير وحماية الحدود وصد الاعتداءات . وفي تلك الفترة اطلق دعوته لتشكيل جيش فلسطيني مؤكدا على ضرورة الحفاظ على الشخصية الفلسطينية ودور غزة في الحفاظ على هذه الشخصية . وموقف منير الريس الحريص على استمرار الادارة العربية في ظل موقفه الصلب بالدفاع عن مطالب الجماهير كان مرتبطا بتقديره لابعاد اية دعوة قد تصل الى حدود تهديد وجود الادارة العربية في القطاع حيث تصبح غزة بعد ذلك لقمة سائغة لاسرائيل او في احسن الحالات الاردن . ولقد كان يقدر نبل الانفعالات الجماهيرية ولكن كان قادرا على رؤية اصابع القوى الرجعية التي كانت تحاول ان تستغل هذه الحالة من اجل تحقيق مصالحها السياسية والتي لا يمكن ان تتأمن في ظل الادارة العربية .

لقد أثمر ذلك التحرك السياسي لقطاع غزة في وضع الحكومة المصرية امام مسؤولياتها الوطنية وخرجت من اطار التردد الذي طبع سياستها آنذاك حيث وقعت صفقة الاسلحة التشيكية واطلقت العنان لحرب الفدائيين ، وكانت هاتان الخطوتان انجازا كبيرا للحكومة المصرية . وبدأ منير الريس يمثل حجما سياسيا يماثل المكتسبات التي تحققت وكرس كزعيم وطني وجماهيري في قطاع غزة ، خاصة وقد كان آنئذ يشغل رئاسة البلدية في غزة بعد ان شغل فترة عضويتها فقط ، وكان دوره على صعيد البلدية في مستوى الدور السياسي الذي أداه ، اذ استطاع ان ينظم بلدية غزة بطريقة حديثة ، وقام بعملية تطهير شاملة لها ووسع خدماتها بشكل كبير ، كان ذلك بالقياس بالفترة السابقة ، نجاحا باهرا . ومما جعل الجماهير تلتف حوله ان علاقته مع الناس لم تكن تخضع للمقاييس التي تحكم علاقة الزعامة التقليدية بجماهير غزة ، اي العلاقات الاقطاعية ، ذلك ان منير الريس لا يعتبر من العائلات « المالكة » في القطاع وما يفرزه ذلك من علاقات بالجماهير تقوم على منطق الفلاح والافندي ، ولقد اتاح له هذا ان يتعامل تعاملا مباشرا مع قضايا الناس بعيدا عن أي عقد طبقية ، ومكنه من تلمس المشاكل التي يعانون منها والعمل على حلها .

ابان احتلال اسرائيل لقطاع غزة عام ٥٦ وكان حينذاك رئيسا للبلدية رفض التعاون مع الاحتلال بشكل حاسم ورفض الاشتراك في مجلس البلدية الذي عينه الاسرائيليون برئاسة رشدي الشوا كذلك رفض دعوة وجهت اليه لزيارة المناطق المحتلة عام ٤٨ . وقام بالمقابل بتشكيل جبهة وطنية بالتعاون مع الاحزاب الموجودة حينذاك في القطاع وقامت الجبهة بنشاط سياسي تحريضي ضد الاحتلال ، وتسبب نشاطه هذا في اعتقاله بعد فترة قصيرة حيث بقي في السجن وفي زنزانة منفردة ولم يفرج عنه الا بعد الافراج عن غزة وخروج المحتلين الاسرائيليين في ٧ مارس عام ١٩٥٧ .

وكان الاسرائيليون قد تلكأوا في الانسحاب من قطاع غزة ، فبينما انسحبوا من بورسعيد في ٥٦/١٢/٢٣ ، تأخروا حتى ٧ مارس ٥٧ في قطاع غزة ، وتأخرهم هذا كان وثيق الصلة بمحاولات تدويل القطاع ، ووضعه تحت الوصاية الدولية واشراف الامم المتحدة وعدم اعادته للادارة العربية ، وكانت هذه المحاولات منسجمة مع تحرك القوى الرجعية في داخل غزة وسعيها لتمرير مثل هذه المسألة . ومع انسحاب الاسرائيليين دخلت فورا قوات الطوارىء الدولية وبدأت تتصرف كجيش احتلال حيث شغلت الاماكن نفسها التي كانت تحتلها القوات الاسرائيلية ، وقامت برفع الاعلام الدولية فوق المباني العامة ودوائر ومؤسسات الدولة .

ولكن هذه السياسة لم تفلح ومؤامرة التدويل لم تمر ، وانفجرت غزة كلها في تظاهرة واحدة

حددت اتجاه مسارها مبنى البلدية حيث كانت قوات الطوارىء الدولية قد اتخذته مقرا لها ، وطالبت جموع المتظاهرين بالافراج عن منير الريس الذي كان معتقلا حينذاك وبرفع علم فلسطين ومصر مكان علم الامم المتحدة . وردت قوات الاحتلال الجديدة بالقنابل المسيلة للدموع ومحاولة تفريق المتظاهرين بالقوة وعندما صعد محمد علي شرف على سارية العلم الدولي ليقوم بانزاله ورفع العلم الفلسطيني أطلقت عليه قوات الطوارىء الدولية الرصاص وسقط شهيدا. والتهبت الجماهير وازدادت شراسة مما اضطر قوات الطوارىء للتراجع تحت الضغط. وكسرت الجماهير باب السجن واخرجت منير الريس الذي قام بعدها بفتح بقية الزنازين وافرج عن المعتقلين الموجدين فيها . وقاد على امتداد اسبوع كامل أخطر مرحلة تعرض لها القطاع ، حيث كانت غزة تجتمع يوميا في تظاهرة جماهية واحدة كانت تنتهي عند منزل منير الريس الذي كان يقود التحرك ، وكان منزله نقطة التجمع ، وحيث كان يدعو الى استمرار التظاهرات حتى « نفسد مؤامرة التدويل ونؤمن عودة الادارة العربية باعتبار ان المؤامرة مستمرة » . ومع قرار مجلس الامن بعودة الادارة المدنية العربية لقطاع غزة في ٣/١٤/ ٥٧ وبارسال مصر اول حاكم اداري لقطاع غزة بعد خروج قوات الاحتلال انهزمت فكرة التدويل وانهزم اصحابها . وكرس منير الريس زعيما وطنيا وجماهيرها غير منازع فيقطاع غزة.غير ان المؤامرات استمرت على مستقبل القطاع السياسي وبلغت قمتها بمحاولة فصل القطاع عن مصر وضمه الى الاردن . ولقد لعب سعدي الشوا دورا مركزيا في تلك المؤامرة ، وهنا قام منير الريس والقوى الوطنية في القطاع بدورهم في كشف أبعاد هذه المؤامرة الرامية الى محاولة طمس الشخصية الفلسطينية من خلال الحاقها بالاردن ، ولقد لعبت مجلة « نداء العودة » الشهرية التي بدأ باصدارها في تلك الفترة دورا هاما في عملية التحريض السياسي والجماهيري . وبالاضافة الى رئاسة البلدية ، تسلم منير الريس ايضا رئاسة الاتحاد القومي الذي انشىء في غزة في ذلك الحين على غرار الاتحاد القومي في مصر . وكانت هذه الخطوة تكريسا جديدا لدوره ولزعامته السياسية في القطاع ، خاصة وان كافة القوى السياسية في القطاع كانت تربطها به علاقة جيدة ويحظى باحترامها وتقديرها وفي الوقت الذي كان ابنه عضوا قياديا في حزب البعث في قطاع غزة ، فان نسيبه منير الريس كان عضوا قياديا في الحزب الشيوعي هناك ولقد كان هو شخصيا وثيق الصلة بفرع حركة القوميين العرب في قطاع غزة ، وكانت تربطه بهم صلات وثيقة وبينهم تعاون على اكثر من صعيد .

وعندما شكلت منظمة التحرير الفلسطينية ، لقيت الفكرة منه حماسا كبيرا . ولقد رشح ليكون عضوا في المجلس الوطني الفلسطيني الاول الذي عقد في القدس . وتردد في حينه انه سيكون نائبا لرئيس منظمة التحرير ، ولكن الريس رفض عضوية المؤتمر ورفض حضور المجلس الوطني الاول وكان لموقفه هذا مجموعة من الاسباب ، ابرزها رفضه الشديد لقيام الملك حسين بافتتاح المؤتمر خاصة وان له موقفا تاريخيا مسبقا من هذه المسألة . وبالاضافة لهذا فلقد كان له تحفظ على بعض اعضاء المؤتمر الذين لم يعتبرهم خير من يمثل الشعب الفلسطيني، والاقدر على القيامبالمهام المطلوبة منهم ، كما كان هنالك سبب عميق آخر لموقفه هذا وعدم تفاؤله بالمؤتمر المذكورة هو لمعارضته الطريقة التي كلف بها السيد احمد الشقيري برئاسة المنظمة ، فقد شعر ان تكليف الشقيري كان لضمان تأييد جميع الدول العربية ، بينما تكليف شخص من نوع منير الريس مسألة لا تروق لبعض الدول العربية ، وكانت شخصية منير الريس تمثل نصرا للخط الوطني في حينه ، لا ينسجم مع جو الوفاق العربي ومناخ مؤتمرات القمة الذي ساد في تلك الفترة . وقد مارست الحكومة المصرية عليه ضغوطات هائلة لتغيير موقفه ولكنه صمد في وجهها ولم يذهب الى المؤتمر وحافظ على موقفه ، وكانت تلك بداية المضايقات التي تعرض لها على كافة الاصعدة الرسمية والشخصية . وفي المؤتمر الذي عقد بغزة عام ٦٥ عين فاروق الحسيني وحيدر عبد الشافي اعضاء في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية . وبدأ العمل في تشكيل البنيان التنظيمي للمنظمة في القطاع ، مع حملة سياسية من اجل قرار سياسة التدريب الاجباري والتجنيد الاجباري وغيرهما من الخطوات ، وفي هذه الفترة ايضا تزايدت المضايقات التي تعرض لها منير الريس نتيجة لموقفه السابق ، وخصوصا على صعيد دوره في البلدية

حيث وصل الى مرحلة عطلت بها اعماله كنوع من الضغط عليه .

ولقد كانت الانتخابات التي جرت عام ٦٦ من اجل استكمال الوحدات الاساسية للتنظيم الشعبي في قطاع غزة ، المناسبة التي ظهر بها الخلاف الى السطح في تلك الفترة انسجم موقف منير الريس انسجاما كاملا مع موقف حركة القوميين العرب من منظمة التحرير الفلسطينية مقابل تحالف جميع القوى والشخصيات الاخرى التي دعمتها الاجهزة الرسمية المصرية ، لكن نتائج الانتخابات اسفرت عن نجاح العناصر التي دعمها تحالف منير الريس — حركة القوميين العرب ، وسقط في تلك الانتخابات أحد اعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الذي ترشح عن احدى دوائر مدينة غزة ، الامر الذي ترتب عليه تغييرات عديدة في مكتب المنظمة بالقطاع اذ عين مدير جديد له . وكانت تلك الانتخابات بنتائجها التي تحدثنا عنها مناسبة لعودته لفعاليته السياسية والجماهيرية السابقة ، بالرغم من استمرار موقف الادارة المصرية منه ، حيث استمرت مضايقاتها له صعيد رئاسة البلدية وبالرغم من استمراره رئيسا فقد كان عمليا معتكفا بينما كان راغب العلمي يقوم بتصريف شؤون البلدية . وبذلك ولاول مرة منذ الخمسينات ، تم فصل بين الزعامة السياسية ورئاسة البلدية في قطاع غزة .

اثر احتلال اسرائيل لقطاع غزة عام ١٩٦٧ شكلت في القطاع جبهة وطنية من كافة القوى الموجودة في القطاع باسم « طلائع المقاومة الشعبية » ، وكان هو عضوا في القيادة السياسية لهذه الجبهة التي كان لها جناح عسكري . وقد لعبت الجبهة الدور الاساسي في نضال قطاع غزة من شهر تموز ١٩٦٧ حتى شهر شباط ١٩٦٨ وقامت بالعديد من العمليات العسكرية في القطاع دون ان تعلن طنها كما كانت تصدر نشرة سياسية باسم « الجماهير » . ولقد كان دور منير الريس فاعلا منذ اللحظة الاولى ، فقد وفر لهذا التنظيم الامكانات الضرورية سواء على الصعيد المالي ام على الصعيد السياسي ، فبحكم صلاته وفر للجبهة المال والسلاح ، ومن خلال معرفته بدوائر الدولة وامكاناتها استحصلت الجبهة على العديد من المطابع السرية والاختام والبطاقات وغيرها من المسائل التي تعتبر من ضرورات العمل السري .

وقد انتهت هذه التجربة باعتقال العديد من قياداتها السياسية والعسكرية ومنهم منير الريس نفسه . وهنا يسجل له موقف مشهود اذ على الرغم من ان احد المعتقلين قد ادلى باعترافات مفصلة تتعلق به الا انه بقي مصرا على الانكار على الرغم من المواجهة التي تمت بينه وبين الذي اعترف ضده وذلك بحضور الحاكم العسكري شخصيا وليس المحقق مما اضطر سلطات العدو لايقافه اداريا فقط . وبموقفه هذا حفظ العديد من خيوط الاتصالات التي كانت بين يديه والتي كان مطلعا عليها بحكم مسؤوليته القيادية . وداخل السجن مارس دوره في تصليب مواقف المعتقلين الذين كان يتصل بهم جميعا ، ويحثهم على عدم الاعتراف وعدم الخوف من العدو . وخلال اعتقاله في السجن اشتدت عليه وطأة المرض وقد خشيت سلطات الاحتلال من ردة الفعل الجماهيرية لو حدث ان مسه مكروه وهو في السجن ، فاطلقت سراحه ووضعته قيد الاقامة الجبرية حتى ترحيله الاول في ١٣ ايلول ١٩٧٠ ، اذ قامت سلطات الاحتلال بابعاده هو ومجموعة من رجالات المناطق المحتلة الى لبنان . وقد جاء في أمر الابعاد « انه نظرا للخطر الذي يمثله وجودهم على الامن في المناطق المحتلة فلقد تقرر ابعادهم » .

مات منير الريس بالمرض الذي بدأ معه في فترة اعتقاله عام ٥٦ والذي اشتد عليه في زنزانته بعد عدوان ٦٧ . كان وطنيا ومخلصا وكان جزءا من حركة الجماهير ومنسجما مع قواها المنظمة . مات الرجل الذي لم يساوم مطمئنا الى انه أدى دوره كاملا .

حسين ابو النمل

[٣]

كيسنجر والولايات المتحدة والنزاع العربي الاسرائيلي

لقد استحوذت شخصية هنري كيسنجر على مخيلة الكثيرين ، فالمكانة الرفيعة والنجاح الواضح للعيان يحدثان هذا التأثير دائما فالى اي فئة من الرجال ينتمي كيسنجر ؟ في جامعة هارفارد بالولايات المتحدة كان وليم ي. اليوت مرشده واستاذه ، وهو رجل وقور كثيرا فانتقل بين كامبردج ووأشنطن ليضع خبرته تحت تصرف العناصر المختلفة للحكومة الاميركية . وقد كان اليوت مولعا بمفهوم الواقعية السياسية الذي علمه الالمان للعالم . ويتلخص هذا المفهوم في أن على المرء [أي السياسي] ان يحيط علما باهداف الدول الاخرى وتطلعاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية كي يستطيع التعامل معها أما البيانات والقرارات الصادرة عن تلك الدول فلا بأس من تجاهلها فالاهمية تكمن في مراقبة تحركات الدول المعنية وتتبع بحثها عن أسواق خارجية ولعبات الحرب التي تمارسها ومشاريع الانماء الحربي التي تقرها اذ أن هذه التحركات هي التي تكشف النوايا الحقيقية للدول .

وقد تبنى كيسنجر ، بدوره ، مفهوم الواقعية السياسية فأصبحت نظرته للحياة عارية من الزخرفة تتبين العورة والبشاعة والطموح والجشع والتزلف . وبالتالي لا يقيّم كيسنجر الناس قط بموجب ما يقولونه ولكن بموجب ما يفعلونه . وهو يدرك ان ممارسات الشعوب والامم مرهونة بمنطق المصلحة الذاتية المدروسة ، ذلك بغض النظر عما تدعيه وتبشر به تلك الامم. وهكذا لم يضع كيسنجر وقته في هارفارد بقراءة البيانات التي تصدرها الحكومات لتبرر أعمالها « السيئة » كما تجاهل الخطب المنمقة المدروسة التي يبرر رؤساء الدول من خلالها اختلالا ما او توسيع رقعة نفوذ في منطقة أو اخرى . واستعاض كيسنجر عن هذه البيانات والتصريحات بجداول تتناول البنية التنظيمية للجيوش المختلفة وحجمها العددي والرتب ومستوى التدريب . كما اطلع على المعلومات والارقام المتعلقة بالتصدير والاستيراد والموارد الطبيعية الضرورية والاستثمارات الخارجية للدول المختلفة . ويضيق كيسنجر ذرعا بالاخلاقيات التي يحلو للسواد الاعظم من الناس ان يقيموا من خلالها الاحداث اليومية . وعلى سبيل المثال ورد في كتاباته مرارا عديدة انه ليس بالضرورة ان يكون احلال السلم ضمن برنامج العمل الدبلوماسي فاحلال السلم في العالم محال . اذ ان الشعوب والامم ستظل تتزاحم على رفع العيش والاسواق الخارجية ومناطق النفوذ . ثم ان المعاهدات وجدت لتخرق لان الشعوب والامم اليوم تتصف بالحيوية والطموح . وهيمنة السلم في عالم كعالمنا هذا أمر متعذر، وبالتالي علينا ان نكتفي بحالة استقرار نسبي . ويتوجب على العمل الدبلوماسي مجابهة الواقع الذي يتمثل في حالة استقرار نسبي تتخلله أزمات وحروب بين الفينة والاخرى . ومن العبث ان نتوقع ان يسود السلام العالم كافة بحيث يتمكن كل كائن بشري من التفيؤ تحت ظلال شجرته الوارفة .

ما هو العمل الدبلوماسي اذن ؟ العمل الدبلوماسي الناجح ليس مشروطا باحلال السلم بل هو مرتبط بالقدرة على تطويق الأزمات والحروب وخفض العنف الى الحد الادنى الذي لا مفر منه . اما محك العمل الدبلوماسي فيتمثل بالقدرة على الحد من الحروب وخفضها الى نسبة معقولة وخوض الحروب فقط بغرض تحقيق أهداف ممكنة .

ما هي أهداف كيسنجر القصوى في محادثات السلم بجنيف ؟ يرغب كيسنجر بالتوصل الى سلم يدوم عشرة أعوام على الاقل . أما احلال « سلم حقيقي » وفقا لتصورات الامم المتحدة المنعكسة في قرار الجمعية العامة للامم المتحدة ، الصادر في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ فأمر ليس في برنامجه اذ انه يرغب في الوصول الى أفضل نتائج ممكنة ، في اطار الظروف الراهنة كي يؤخر اندلاع حرب جديدة . وفي الوقت نفسه يعمل كيسنجر على ان تبقى اسرائيل ، التي هزمت في حرب اكتوبر ، قوية عسكريا .

وفيما يلي أبرز الوقائع لاجتماع عقده كيسنجر مع مجموعة من المفكرين اليهود بشهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ وعبر خلاله عن آرائه في الحرب العربية الاسرائيلية الاخيرة . وقد تسربت انباء هذا الاجتماع الى العالم الخارجي تدريجيا منذ ذلك

الحين(١). استنادا الى هذه الانباء ، لم تجد حكومة اسرائيل وحكومة الولايات المتحدة ، بما فيها كيسنجر ، ضرورة للتحرك (من قبل الولايات المتحدة لمساعدة اسرائيل) عندما نشبت الحرب لاعتقادهم بأن العرب عاجزون عن مجابهة اسرائيل. وقد قدرت اميركا ان في استطاعة اسرائيل ان تربح الحرب في غضون ثلاثة او اربعة أيام . وبالتالي لم تهتم بامدادها بالذخائر . وأحد الاسباب التي ادت الى تأخر وصول المساعدات الى اسرائيل هو ان الحكومة الاسرائيلية لم تضع في حسابها انها ستحتاج الى هذه الشحنة الضخمة من الامدادات . واستنادا الى اقوال كيسنجر ، عندما دعت الحاجة الى ارسال مزيد من الذخائر استوجب تنفيذ هذه الخطوة ممارسة ضغوطات على الصعيد الداخلي لاجل اقامة جسر جوي وضغوطات اخرى على صعيد خارجي ، بالنسبة للبرتغال كي تسمح باقامة هذا الجسر الجوي عبر اراضيها . وقد ارسلت الولايات المتحدة الى اسرائيل عبر هذا الطريق ثلاثين بالمئة من مجموع مخزوناتها من الذخائر .

كذلك أسر كيسنجر بأنه يؤمن بان اسرائيل قد خسرت الحرب استراتيجيا الا انها ربحتها تكتيكيا . أما بالنسبة للعرب فصمودهم لمدة سبعة عشر يوما بقيت جيوشهم خلالها سليمة ، هو دليل على انتصارهم . ويجب ان يعتبر العرب الجهة المنتصرة في هذه الحرب . وقد كان باستطاعتهم ان يحرزوا نصرا أكبر بكثير لولا الاخطاء التي ارتكبوها . هذا لو لم تسبق دباباتهم صواريخهم الى أرض المعركة، الامر الذي مكن الطائرات الاسرائيلية من تدمير الدبابات ، تكرارا كما حدث عام ١٩٦٧ .

وبالنسبة للماضي ، يوجه كيسنجر اللوم لاسرائيل والولايات المتحدة ويحمل نفسه اللوم كذلك لانه لم يستعمل الضغط من أجل احلال السلام في الوقت المناسب . فقد كانت الفترة التي أعقبت حرب حزيران (يونيو) مباشرة فترة ذهبية بالنسبة لاسرائيل اذ انه كان من المتوقع ان يبدي العرب استعدادا لاجراء بعض التنازلات والموافقة على التخلي عن بعض الاراضي وتحويلها الى مناطق مجردة من السلاح(٢).

أما بخصوص محادثات جنيف ، فان كيسنجر يرتأي ان تطرح القضايا التالية على بساط البحث: الحدود ، الامن (المناطق المنزوعة من السلاح)، الضمانات ، الفلسطينيون ، القدس . ويعتبر كيسنجر انه من الخطأ تناول جميع هذه القضايا في آن معا . وبالتالي يجب معالجة كل قضية على حدة والتدرج من مشكلة الى اخرى . وأهم هذه القضايا هي مشكلة خلق منطقة عازلة كبيرة [من حيث المساحة] بين الجيوش العربية والجيش الاسرائيلي . وهذا يعني اساسا وبالدرجة الاولى تحويل سيناء التي انسحبت منها اسرائيل الى منطقة مجردة من السلاح . أما بالنسبة لمرتفعات الجولان فالامر يختلف الى حد ما . غير ان الجولان يجب ان تصبح منطقة معزولة من السلاح ايضا . ولكن نظرا لطبيعة القذائف والاسلحة الحديثة ليس بالامكان اعتبار أي حدود او منطقة ، وسيلة لضمان الامن . لذلك ، وفقا لتصورات كيسنجر ، يجب الانتقال الى معالجة القضايا الاخرى المذكورة اعلاه في مؤتمر جنيف بعد الموافقة على الانسحاب. الا ان كيسنجر أكد دون التباس انه لا يطلب من اسرائيل الانسحاب كليا الى ما وراء حدود ١٩٦٧. فهو يأمل ان تكون الحدود الجديدة أفضل من حدود ١٩٦٧ وان يأتي الحل عن طريق المفاوضات. كما أكد بان اسرائيل لا يسعها ان ترفض الانسحاب من اراض يؤمل ان تتحول الى مناطق مجردة من السلاح . وبالتالي اوعز الى اسرائيل ان تتخذ موقفا صلبا في الظاهر على ان تدرك انه يترتب عليها ان تتنازل عن حصة كبيرة من الاراضي على ان لا يظهر هذا التنازل وكأنه ناتج عن ضعف او خشية او ارتباك بل ان يكون حصيلة مفاوضات .

أما الفلسطينيون فلم يأت دورهم بعد بالنسبة لكيسنجر اذ انه من الممكن كسر شوكتهم والسيطرة عليهم . كذلك يرى كيسنجر ان الفلسطينيين سيرغمون على القبول بالامر الواقع عندما تصل كل من سوريا ومصر من ناحية واسرائيل من ناحية اخرى الى تسوية . وفي هذا السياق ينسب الى كيسنجر قوله « بأن على الفلسطينيين ان يجوعوا أكثر»(٣) قبل ان يوافقوا على قبول وضع نهائي وحل حاسم . كما ستحسم مشكلة القدس بصورة نهائية .

قبل حرب اكتوبر توجب على اسرائيل ، نظرا للخطة التي رسمتها لنفسها اختيار أحد الامرين : اما ان تحافظ على الوضع الراهن او ان تحقق انتصارا عسكريا ساحقا . وقد رسمت هذه الخطة

بغية الحفاظ على حالة اللاحرب واللاسلم في الشرق الاوسط ، بمساعدة الولايات المتحدة ، فقد بدا ان كفة اسرائيل تميل للرجوع عسكريا في ظل هذا الوضع الذي مكنها من ترسيخ سلطانها على الاراضي العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧ .

ولتحقيق هذا الهدف ، برزت مقاومة عنيدة لاي محاولة تدخل من جانب الدول الكبرى في قضايا الشرق الاوسط . كذلك سعت اسرائيل جاهدة ان تستمر مساعدات الولايات المتحدة العسكرية لها حتى تبقى متفوقة على الدول العربية وكي يشعر العرب بأن لجوءهم الى السلاح لن يجدي فتيلا . أما العرب فكثيرا ما استلموا دعوات الى اجراء مفاوضات مباشرة مع اسرائيل مرفقة بتحذير مسبق مفاده ان الحدود الامنة التي تسعى اسرائيل لاقامتها تتطلب أكثر من تغييرات هامشية .

قبل الحرب [حرب اكتوبر] بفترة وجيزة قال اريك شارون ، القائد السابق للجبهة الاسرائيلية الجنوبية : « لا ترتكبوا أي خطأ ، نحن الان قوة عسكرية حقيقية ، وليس للمصريين امل في احراز انتصار عسكري علينا البتة »(٤) واستطرد شارون قائلا : « [تشكل] اسرائيل الان قوة عسكرية عظمى ، فكافة قوات الدول الاوروبية أقل شأنا منا . ان في استطاعتنا الاستيلاء على المنطقة الواقعة بين الخرطوم وبغداد في يوم واحد »(٥).

أما العرب فقد كانت مبادرتهم في الهجوم عبارة عن مغامرة يائسة خاضوها بغية زعزعة الاستراتيجية الإسرائيلية . وقد استوجب تحقيق هذا الهدف تحديا عسكريا من جهة العرب للوضع الراهن (المتمثل بتفوق اسرائيل عسكريا) شرط ان يتجنبوا الهزيمة . وقد كان هذا تماما ما نجح العرب في تنفيذه اذ انهم كسروا طوق حالة اللاحرب واللاسلم وشكلوا تحديا لتفوق اسرائيل العسكري .

وقد افترضت اسرائيل ومعها معظم دول العالم طوال الفترة الممتدة بين عامي ١٩٤٨ و١٩٧٣ بأنها القوة العسكرية التي لا تنازع بين دول الشرق الاوسط . كما ساد شعور عام بأن جنديا اسرائيليا واحدا يوازي عددا من الجنود العرب مجموعين اذ ان هؤلاء يجهلون أصول القتال ، ثم انه ليس لديهم الرغبة في القتال على أية حال . وقد برر مسجل الصراع العربي ـ الاسرائيلي هذه الفرضية . ففي ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ كسبت اسرائيل حربها الاولى ضد جيرانها العرب الذين برهنوا عن فوضويتهم وقصورهم . وتكرر هذا الانتصار في العام ١٩٥٦ عندما نجحت اسرائيل في انتزاع مخرج على البحر الاحمر عبر مضيق تيران . ثم جاءت حرب حزيران عام ١٩٦٧ لتتوج الانتصارات الاسرائيلية حيث ان الجيش الاسرائيلي سحق الجيوش المصرية والسورية والاردنية مجتمعة . غير ان هذه الفرضية لم تلبث ان تحطمت . فقد برهن الجندي العربي [خلال الحرب الاخيرة] عن كفاءة في القتال ومقدرة على استعمال الاسلحة المعقدة . كذلك أظهر الجندي العربي ان باستطاعته ان يفاجيء الجندي الاسرائيلي من حيث لا يدري وان يتفوق عليه في المعركة تكتيكيا كما اثبت قدرته على العمل الجماعي المتناسق .

وقد ورد في « وول ستريت جورنال » ان حرب اكتوبر يجب ان تعطي اسرائيل فرصة للتفكير . فاسرائيل « تشبه مدينة محاصرة . فهؤلاء الذين [يقفون] وراء الاسوار ، يمكنهم كسب معارك عديدة دون ان ينتصروا كما ان باستطاعة اولئك الذين يقفون خارج الاسوار ان يخسروا مرارا عديدة دون ان يهزموا . اما الذين يدافعون عن المدنية فانهم يخسرون مرة واحدة فقط . لذلك من الصعب على اسرائيل ، الدولة الصغيرة ، ان تهزم جيرانها : مصر والاردن وسوريا ولبنان . فهي تفتقر الى الموارد والطاقة البشرية ، بينما سيظل العدو موجودا بغض النظر عن المعارك التي قد تكسبها اسرائيل . أما بالنسبة لاسرائيل فهزيمة واحدة كافية لان تشكل كارثة »(٦).

بالاضافة الى محو اسطورة « اسرائيل التي لا تقهر» ساهمت حرب اكتوبر في ابراز تبعية اسرائيل للولايات المتحدة واعتمادها عليها . وقد طالب ماك جورج بندي (Mc George Bundy) المستشار السابق لكل من الرئيسين كينيدي وجونسون لشؤون الامن القومي ـ بكشف شامل مسؤول عن التزامات الولايات المتحدة لاسرائيل والا تعرضت [الحكومة الاميركية] للوقوع بخطأ فادح كما حدث في فيتنام . وقد أكد بندي ان « الولايات المتحدة قد أصبحت قوة لا غنى عنها لضمان استمرار اسرائيل »(٧).

واستنادا الى دراسة أعدها الدكتور تيلمان عضو لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الاميركي ، « من المستبعد ان يسفر مؤتمر

جنيف عن أية قرارات شاملة في هذه المرحلة المبكرة » .

أما السبب الرئيسي وراء هذا الاحتمال فهو يرجع الى انه بالرغم من ان بارينغ (ممثل الامين العام للامم المتحدة في الشرق الاوسط) نجح ، الى حد ما نتيجة للحرب الاخيرة ، في اقناع الطرفين المعنيين بالاقلاع عن التشبث ببعض مفاهيمهم القديمة ، لم يحرز أي الطرفين بعد تقدما يكفي لردم الهوة القائمة بينهما . **فالحكومات العربية ، مثلا ، تظهر مرونة حيال قضايا تتعلق بالاعتراف [باسرائيل] وبالمناطق المجردة من السلاح وبالضمانات** . غير انها تظهر تصلبا تجاه [قضية التنازل عن بعض] الاراضي ... أما الاسرائيليون فهم لا يزالون على عهدهم في التصلب فيما يتعلق بالانسحاب الى خلف ما يعتبرونه هم « حدودا آمنة . أما الانسحاب [الاسرائيلي] الى ممرات سيناء فهو لا يمثل تحولا اساسيا في هذه السياسة او في المبادىء التي تقوم عليها »(٨).

ويعزى احتمال فشل مؤتمر جنيف في الوصول الى اتخاذ قرارات شاملة في هذه المرحلة الى سبب آخر هو تأثير الصهيونية على السياسة الخارجية للولايات المتحدة . فعندما ينحسر خطر اندلاع الحرب مجددا عن طريق فك الارتباط بين الجيوش سيتصاعد ، في تقديري ، الضغط الصهيوني في ردهات مجلس الشيوخ الأميركي تصاعدا كبيرا . وسيدفع هذا الضغط الولايات المتحدة ، بدورها ، الى الكف عن الضغط على اسرائيل كي تحقق انسحابا جغرافيا ذا أهمية او اية تنازلات اخرى تترتب عليها تسوية نهائية .

وقد حث آيرفنغ هو (Irving Howe) رئيس تحرير مجلة « ديسنت » (Dissent) اليهود الاميركيين على ان يتصدوا لكل الضغوطات التي قد تلجأ اليها الولايات المتحدة لحمل اسرائيل على الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة . واضاف « هو » : « وقد يضطر [اليهود] في المستقبل ان يلجأوا الى أساليب أشد اثارة وعنفا: مثلا ، الزحف الى واشنطن . وقد يحين الوقت عندما يضطر اليهود الى اطلاق الصرخة اليهودية التقليدية [الداعية] للعنف . وقد تثير هذه الصرخة الاحتقار والاشمئزاز او ما أسوأ من ذلك . لنهيء اصواتنا ، ولكن في الوقت الحاضر هنالك عملا سياسيا وضغوطات [وعمليات] اقناع ، والصمت لا يحتمل »(٩).

كلمة اخيرة ، من الضروري الانتباه الى ان اقامة حوار مع الولايات المتحدة لا يشكل خطأ بحد ذاته . الا ان الخطأ يكمن في الافتراض بان اميركا ستحمل اسرائيل على الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ، خاصة في الوقت الذي تقوم به الدول العربية المعنية مباشرة بمفاوضات منفصلة فردية .

الدكتور عودة ابو ردينة

---

١ — **جويش ويكلي** ، ٧—١٢ آذار (مارس) ١٩٧٤ ، ص ١٥ .

٢ — **بوسطن ايفننغ غلوب** ، ٢٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ ، ص ٧ .

٣ — **جويش ويك** ، ٧ آذار (مارس) ١٩٧٤ ، ص ١٥ .

٤ — **وول ستريت جورنال** ، ٨ تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٧٣ ، ص ١٦ .

٥ — **فايننشال تايمز** (لندن) ، ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ ، ص ١٦ .

٦ — **وول ستريت جورنال** ، ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ ، ص ٢٠ .

٧ — **لوس انجلس تايمز** ، ٢٨ تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٧٣ ، الجزء الثاني ، ص ٤ .

٨ — مجلس الشيوخ الاميركي ، لجنة العلاقات الخارجية ، **الشرق الاوسط بين الحرب والسلم**، ٥ آذار (مارس) ١٩٧٤ ، واشنطن .

٩ — **واشنطن بوست** ، ٩ شباط (فبراير) ١٩٧٤، ص ٩ .

[٤]

بومبيدو « العربي » ؟

بعد وفاة جورج بومبيدو الرئيس الثاني للجمهورية الفرنسية الخامسة في مطلع نيسان ، أجمعت غالبية الاوساط السياسية والصحافية العربية على اعتبار أنها فقدت « صديقا » آخر للعرب بعد ديغول بين الاصدقاء القلائل من زعماء العالم الغربي . فالى اي حد كان بومبيدو كذلك ؟ وما هو حقيقة موقفه من « المشكلة الفلسطينية »؟

حين برز فجأة على المسرح السياسي ودون أن يكون معروفا في الاوساط الواسعة ، بعد تعيينه رئيسا للوزارة الفرنسية بعد انتهاء حرب التحرير الجزائرية عام ١٩٦٢ ، لم يكن ماضيه يؤهله لاي موقف مسبق من القضايا العربية ، او حتى ربما كان يؤهله لموقف عدائي منها . ذلك انه شغل منذ عام ١٩٥٦ وحتى توليه رئاسة الوزارة منصب المدير العام لبنك روتشيلد (بنك غي دو روتشيلد رئيس الصندوق الاجتماعي اليهودي الموحد وأحد زعماء الحركة الصهيونية الفرنسية البارزين الذي ربطته ببومبيدو منذ مطلع الخمسينات صداقة حميمة)(١).

الا ان بومبيدو كان قبل كل شيء «رجل ديغول». ومنذ اواسط الاربعينات ، بعد تحرير فرنسا من الاحتلال النازي ، وهو من المقربين « للجنرال » يستشيره في القضايا الاساسية ويوكل اليه المهام الحساسة ، كل ذلك بعيدا عن الضوء والمعترك السياسي العام الذي لم يكن يلائم شخصية ابن فلاحي مرتفعات فرنسا الوسطى(١). وهكذا تولى بومبيدو في مطلع الستينات المحادثات السرية التمهيدية مع جبهة التحرير الجزائرية التي أدت فيما بعد الى لقاءات واتفاقيات ايفيان .

وبعد استلامه مقاليد رئاسة الوزارة ، عمل بومبيدو خلال ست سنوات في هذا المنصب في ظل ديغول الذي كان يشرف شخصيا على السياسة الخارجية الفرنسية . وكان الجنرال قد اختار بعد تخلصه من الحرب الجزائرية المرهقة ان يبدأ انفتاحا تدريجيا على العالم العربي ، بدأت معالمه تتضح في اواسط الستينات ، ثم توج بعد حرب حزيران ١٩٦٧ بالموقف العلني المدين للعدوان الاسرائيلي وبحظر شحن الاسلحة عن اسرائيل فيما بعد . وكان بومبيدو ينفذ سياسة الجنرال دون أن يعبر عن موقف شخصي علنا حتى في فترة ابتعاده القصيرة عن الحكم بين صيف ١٩٦٨ وانتخابات الرئاسة في حزيران ١٩٦٩ . ولكنه عبر مرات قليلة في تلك الفترة عن تفهمه وتأييده للسياسة الديغولية في المنطقة العربية ، بينما اظهر في الحملة الانتخابية بعض اللين تجاه اسرائيل توقع منه البعض تحولا باتجاه تحسين العلاقات مع الدولة الصهيونية(٢).

وبالفعل فقد برزت بضعة تحركات بهذا الاتجاه. ففي تموز ١٩٦٩ ، اي مباشرة بعد انتخابه رئيسا للجمهورية ، اعلن استعداد فرنسا للعودة الى حظر « انتقائي » على شحن الاسلحة لاسرائيل كما كان الوضع قبل الاعتداء على مطار بيروت . ويبدو ان هذا الاجراء الذي ينص عمليا على اعادة شحن قطع الغيار وما يسمى « بالمعدات الدفاعية والمعدات ذات الطاقة الهجومية المتدنية(٢)، قد طبق عمليا . كما أبدت فرنسا في اطار السوق الاوروبية المشتركة تساهلا اكبر من السابق تجاه طلب اسرائيل بعقد اتفاق تفضيلي، تم التوقيع عليه في اواسط ١٩٧٠ .

الا انه يبدو ان هذا اللين لم يؤد الى تغيير جوهري في السياسة العربية لبومبيدو . وذلك يعود قبل كل شيء الى المصالح المتعاظمة لفرنسا في العالم العربي بحكم اعتمادها شبه المطلق على استيراد النفط العربي ، واهمية السوق العربية كمستورد هام للسلع الفرنسية ، الصناعية خاصة والحربية بشكل متصاعد . ولا بد من الاشارة الى ان فرنسا تحتل المرتبة الاولى في كلا الجدولين التصديري والاستيرادي للدول العربية مجتمعة . وقد أكد بومبيدو في مؤتمراته الصحافية اكثر من مرة على « المصالح الفرنسية المعنوية والمادية الكبرى في المتوسط »(٢) والعالم العربي بشكل خاص .

واضافة الى هذا العنصر الاساسي الذي سيبقى دون شك عنصرا حاسما في السياسة الخارجية الفرنسية لسنوات مقبلة عدة ، يشير بعض المحللين الى استياء بومبيدو من التصلب الاسرائيلي في « مشكلة الاراضي العربية المحتلة » وبعض مظاهر التحدي الاسرائيلية الصهيونية ، «كخطف»

السفن الحربية الخمس من ميناء شربورغ ليلة عيد الميلاد عام ١٩٦٩ والتظاهرات الصهيونية العدائية ضد بومبيدو خلال زيارته في شباط واذار ١٩٧٠ للولايات المتحدة (ويقال ان هذه الاستفزازات التي وصلت في مدينة شيكاغو الى حد الاقتراب مباشرة من الرئيس الفرنسي وزوجته لتوجيه الشتائم لهما قد تركت (أثرا لديه) .

ولكن سياسة الدول (وخاصة الدول الصناعية) المتقدمة لا تبنى بالطبع على انفعالات ذاتية . فالخيار الديغولي في الشرق العربي الذي حافظ عليه بومبيدو اكثر مما حافظ على اي خيار اخر(٣) هو خيار استراتيجي في صلب السياسة الفرنسية التي تطمح الى المحافظة على شيء من الاستقلال الاقتصادي والسياسي النسبي تجاه الولايات المتحدة . وقد عبرت تحركات ميشيل جوبير المقرب جدا من بومبيدو خلال العام الاخير عن استمرارية هذا الخيار .

أما ترجمة هذا الموقف سياسيا فقد انعكس في تصريحات بومبيدو التي تبرز فيها النقاط الاساسية التالية :

— التأكيد على عدم شرعية احتلال الاراضي من قبل اسرائيل وضرورة انسحابها من جميع هذه الاراضي كما ينص على ذلك التفسير الفرنسي لقرار مجلس الامن ٢٤٢(٤).

— التأكيد كذلك على وجود اسرائيل داخل حدود آمنة ومضمونة حسب نصوص هذا القرار وحقها في العبور في الممرات المائية الخ(٥) مع حثها على الاندماج في المنطقة كي « تصبح دولة شرق اوسطية كاية دولة اخرى في المنطقة وتتفادى ان تبقى دولة تقتصر على جنس واحد او دين واحد »(٦).

— الالتزام بفكرة التشاور بين « الاربعة الكبار » (اعضاء مجلس الامن الدائمين ما عدا الصين الشعبية) في اطار الامم المتحدة وهذه اساسا فكرة ديغولية منذ عام ١٩٦٧ .

الا ان تطور الاحداث غلبت وجهة النظر الامريكية القائلة بالتشاور بين « الدولتين الاقوى » (مع المناورة للانفراد بالعمل على الساحة كما اظهرت ذلك احداث ما بعد تشرين ١٩٧٣) . ففي مطلع عام ١٩٧٣ ، اجاب بومبيدو على سؤال صحفي عربي في مؤتمر عقده في باريس مؤكدا رغبة فرنسا بلعب دور في حل « المشكلة الفلسطينية في اطار التشاور بين « الاربعة الكبار » ، الا انه لاحظ ان «بعض هؤلاء الاربعة» لا يرغب في ذلك»(٧). وفي الفترة نفسها ، اي قبل حرب تشرين بأشهر عدة ، اثار الرئيس الفرنسي امكانية الوصول الى « اتفاق مرحلي خلال الاشهر المقبلة » مشككا بفعالية اتفاق كهذا خاصة اذا لم يقع في اطار نظرة مستقبلية شاملة تؤدي الى حل نهائي(٨). وكرر بعد الحرب التعبير عن « تشاؤمه » ، « لان الاتفاقات (المزمع عقدها) لن تحظى باعتراف وقبول مجموع سكان الدول المعنية وهذا ما سيعطيها طابع نوع من الهدنة المطولة اكثر منها سلاما نهائيا »(٩). وهذا « القلق » يعكس معارضة قديمة للحلول الجزئية . ففي مطلع ١٩٧١ ، اعرب بومبيدو عن « ان الاتجاه الظاهر لايجاد حل مؤقت لازمة الشرق الاوسط ... لن يؤدي الا الى تأجيل الحرب الى وقت لاحق ... »(١٠).

— اما عن المسألة الفلسطينية بمعناها المحدد ، فقد سار بومبيدو على موقف مؤسس الجمهورية الخامسة ، الذي أشار منذ تشرين الثاني ١٩٦٧ الى « وجود الفلسطينيين » ومعارضتهم التاريخية للمشروع الصهيوني . واكدت الديبلوماسية الفرنسية مرارا حق الفلسطينيين في تقرير المصير بمعنى حقهم في الحكم الذاتي « داخل دولة الى جانب اسرائيل وليس مكانها » . ففي جولته الامريكية في مطلع ١٩٧٠ اشار بومبيدو الى ضرورة « حل المشكلة الفلسطينية »(١١). وفي مطلع ١٩٧١ أعرب بومبيدو عن رأيه بضرورة حلها « عن طريق استفتاء حر للسكان عندما يحين الوقت»(١٢) ، وحدد لاحقا هذا الموقف بمساندته لمشروع المملكة المتحدة الذي عرضه الملك حسين في لقاء سابق لهما(١٣). ويبدو ان التطورات الاخيرة دفعت باتجاه قبول لفكرة دولة فلسطينية مستقلة عن شرق الاردن ، وعلى هذا الاساس ورد ذكر اتصالات رسمية بين اطراف من المقاومة الفلسطينية ورسميين فرنسيين ، وتردد الحديث عن مشروع لقاء فلسطيني — فرنسي على مستوى عال .

وباختصار ، نستطيع ان نلخص سياسة بومبيدو العربية في القول بانها امتداد لسياسة ديغول مع تركيز خاص على منطقة المتوسط « والتكامل الاوروبي — العربي الافريقي » الذي شكل حجر

زاوية في السياسة الخارجية الفرنسية للسنوات الاخيرة . وفي المواقف السياسية التفصيلية نستطيع ان نلمس حرصا دائما على المحافظة وتنمية النفوذ الفرنسي الاقتصادي ــ الثقافي في المنطقة العربية الافريقية كبديل ــ من وجهة النظر الفرنسية ــ للنفوذين السوفياتي والامريكي(١٤). ولا شك ان فرنسا وعددا آخر من الدول الاوروبية الغربية حققت تقدما في تواجدها في المنطقة العربية بعد ١٩٦٧ ، الا ان الاحداث الاخيرة تثبت انه ما زال لدى الولايات المتحدة امكانية لاستعادة بعض المواقع التي فقدتها وان العلاقات الامريكية ــ الاسرائيلية الخاصة قد تتحول ــ ازاء وضع عربي متهاون ــ الى نقطة قوة .

وعلى اي حال فان التحالف ــ التنافس الفرنسي (والاوروبي) الامريكي لم يحسم بعد . والانتخابات الفرنسية الجديدة قد تغير جزئيا بعض المعطيات(١٥)، ولكن من المستبعد ان تحدث انقلابا عميقا في السياسة الخارجية التي رسم ديغول خطوطها العامة .

داود تلحمي

---

١ ــ **لوموند** ١٩٧٤/٤/٤ .
٢ ــ **الكتاب السنوي** لمؤسسة الدراسات الفلسطينية لعام ١٩٦٩ ، صفحة ٦٣٥ .
٣ ــ اندريه فونتين في **لوموند** ١٩٧٤/٤/٤ .
٤ ــ **اليوميات الفلسطينية** ــ مركز الابحاث ــ ١٩٧١/١/٢١ (المجلد ١٣) .
٥ ــ خطابه في الكونغرس الامريكي في ٧٠/٢/٢٥ نقلا عن « **وثائق كيسنغ** » .
٦ ــ مؤتمره الصحافي في ١٩٧٠/٣/٣ اثناء زيارته لامريكا ــ **المصدر السابق** .
٧ ــ مؤتمره الصحافي في ١٩٧٣/١/٩ نقلا عن **لوموند** ١٩٧٣/١/١١ .
٨ ــ **المصدر نفسه** .
٩ ــ في استقبال للصحافيين يوم ١٩٧٤/١/٣ من **لوموند** ١٩٧٤/١/٥ .
١٠ ــ في مؤتمره الصحافي في مطلع ١٩٧١ عن **اليوميات الفلسطينية** ١٩٧١/١/٤ (المجلد ١٣).
١١ ــ **المصدر رقم (٥)** اعلاه .
١٢ ــ **المصدر رقم (٤)** اعلاه .
١٣ ــ **اليوميات الفلسطينية** ١٩٧٢/٣/١٧ (المجلد ١٥) .
١٤ ــ يعتبر الرسميون الفرنسيون ان الاتحاد السوفياتي حقق تقدما في المنطقة العربية من جراء تورط امريكا والغرب عامة الى جانب اسرائيل، واحدى تفسيراتهم للسياسة الديغولية هو ضرورة اعطاء الغرب وجها مختلفا لدى العرب من الوجه «الامريكي البشع»، والحؤول دون قطيعة كاملة مع الغرب .
١٥ ــ اذا فاز اليسار (ميتران) فقد يؤدي ذلك الى ابتعاد تدريجي عن امريكا يصعب تصور آفاقه وانعكاسه على الموقف من المسألة الفلسطينية . واذا فاز الوسط (جيسكار ديستان) فسيعني ذلك غالبا تحولا بطيئا الى سياسة موالية لامريكا . اما اذا فاز الديغوليون (شابان دلماس) فمن المتوقع استمرار السياسة الحالية في عناوينها الرئيسية .

[٥]
يهود كندا : دراسة سكانية

حسب الاحصاء الكندي الاخير الذي جرى في منتصف عام ١٩٧١ وبدأت نتائجه تنشر حديثا ، فان عدد الجالية اليهودية في كندا يبلغ ٢٩٦،٩٤٥ وذلك من أصل سكان كندا والذي بلغ عددهم في ذلك التاريخ ٢١،٥٦٨،٣١٠ . وأما توزيعهم الجغرافي في المقاطعات الكندية فكان على النحو التالي :

المقاطعة	عدد السكان الاجمالي	عدد اليهود
نيوفوندلاند	٥٢٢،١٠٠	٣٦٠
برنس ادوارد آيلاند	١١١،٦٤٠	٦٠
نوفاسكوتيا	٧٨٨،٩٦٠	٢،٥٣٥
نيوبرنزويك	٦٣٤،٥٥٥	١،٠٣٠
كويبك	٦،٥٢٦،٧٦٥	١١٥،٩٩٠
اونتاريو	٧،٧٠٣،١٠٥	١٣٥،١٩٥
مانيتوبا	٩٩٨،٢٥٠	٢،٠١٠
ساسكاتشوان	٩٢٦،٢٤٥	٢،١٩٥
البرتا	١،٦٢٧،٨٧٥	٧،٣٢٠
برتش كولومبيا	٢،١٨٤،٦٢٠	١٢،١٧٥
ياكون	١٨،٣٨٥	٣٥
المقاطعات الشمالية	٣٤،٨٠٥	٣٠

ويتضح من هذه الاحصائية ان غالبية الجالية اليهودية تقطن في مقاطعتي كويبك وانتاريو . ولو نظرنا الى عدد سكان المدن ونسبة الجالية اليهودية فيها لوجدنا ان هناك تمركزا كبيرا لليهود في مدينتي مونتريال وتورنتو اضافة الى التمركز الاقليمي لهم في مقاطعتي كويبك وانتاريو ، كما يتضح :

المقاطعة	عدد السكان الاجمالي	عدد اليهود
كالجري (ألبرتا)	٤٠٣،٣٢٥	٣،٢٧٥
أدمنتون (ألبرتا)	٤٩٥،٩١٠	٢،٤٧٥
هاليفاكس (نوفاسكوتيا)	٢٢٢،٦٥٥	١،٣١٥
هاملتون (اونتاريو)	٤٩٨،٥٠٥	٤،١١٥
كنشنر (اونتاريو)	٢٢٦،٨٠٠	١،٠٧٥
لندن (اونتاريو)	٢٨٦،٢٧٠	١،٥٦٥
مونتريال (كويبك)	٢،٧٣٤،٢٣٥	١٠٩،٤٨٠
اوتاوا (اونتاريو) — هال (كويبك)	٦٠٢،٥٦٠	٦،٣٨٥
كويبك (كويبك)	٤٨٠،٤١٠	٣٦٥
رجاينا (ساسكاتشوان)	١٤٠،٦٧٥	٧٩٥
سانت كاترين — نياجارا (اونتاريو)	٣٠٣،٤٣٥	١،٠٧٥
سانت جونز (نيوفوندلاند)	١٣٢،٠٠٥	١٥٥
سانتجون (نيوبرنزويك)	١٠٦،٦٩٥	٣٢٠
ساسكاتون (ساسكاتشوان)	١٢٦،٥٦٠	٤٩٠
سدبري (اونتاريو)	١٥٥،٤٦٥	٢٤٥
ثندربي (اونتاريو)	١١٢،١٤٥	١٥٠
تورنتو (اونتاريو)	٢،٦٢٨،١٣٠	١٠٣،٧٣٠
فانكوفر (بريتش كولومبيا)	١،٠٨٢،٣٥٥	٨،٩٤٠
فيكتوريا (بريتش كولومبيا)	١٩٥،٨٥٠	٣١٠
ويندسور (اونتاريو)	٢٨٨،٦٥٠	٢،٤٢٠
وينبج (مانيتوبا)	٥٤،٠٢٦٠	١٨،٣١٥

ومع ان الجدول السابق يبرز « التمركز » اليهودي ضمن مدن قليلة هي عادة العواصم الاقليمية للمقاطعات (ما عدا حالة كويبك حيث انهم يتمركزون في مدينة مونتريال العصب الاقتصادي، وليس مدينة كويبك عاصمة المقاطعة) ، الا انه تجدر الاشارة الى ان هناك تمركزا أكثر داخل « حارات » او مناطق معينة ضمن هذه المدن الرئيسية . وهذه الظاهرة تبرز بشكل واضح في كل من مدينتي تورنتو ومونتريال : ففي تورنتو ، يعيش ٧٠،٦٤٠ في منطقة يورك الشمالية من أصل ١٠٣،٧٣٠ في كل المدينة . وفي مونتريال ، من أصل ١٠٩،٤٨٠ في المدينة ، يعيش ٥٠،١٦٠ في مدينة مونتريال (الحي القديم) و١٨،٠٧٥ في كوت — سانت لك ، و١١،٧٣٠ في لافال . وهذا التمركز ضمن مقاطعة معينة (وهذه صفة عامة لليهود ليس في كندا وحدها بل وفي بلاد اخرى كما كان معروفا في البلاد العربية مثلا ...) ساعد اليهود على تحقيق أهداف معينة منها ان « وزنهم » في مدينة ما يربو على عددهم الاحصائي . وهذا ما يجعل المرشحين للانتخابات يحاولون كسب «الصوت

اليهودي» . ومن ناحية اخرى فان جعل التنظيم اليهودي او الصهيوني أسهل مما لو كانوا متفرقين في شتى انحاء المدينة . وعليه فان الغالبية العظمى للمعابد اليهودية (والتي هي مركز تنظيم وتعبئة سياسية) والمدارس والمراكز الاخرى للتنظيمات المختلفة وحتى المطاعم ، متركزة في شوارع معينة.

ومعروف انه يوجد « مركز يهودي » عادة في كل مدينة يوجد فيها يهود مهما كان عددهم . ويتناسب عدد هذه المراكز طردا مع عدد الجالية اليهودية ، ونشاطها . ولذا فانه يوجد العديد من هذه المراكز في كل من منتريال وتورنتو وونيبج واوتاوا بشكل خاص .

وهناك عدد من السمات الخاصة بالجالية اليهودية في كندا يمكن تعدادها كما يلي :

أ ــ ان اليهود في كندا ، كما هو الحال في بلاد اخرى ، هم سكان مدن لا سكان ارياف . وهذه السمة ساعدتهم على السيطرة او شبه السيطرة على عدد من « الاعصاب » الاقتصادية .

ب ــ ان التاريخ الحقيقي والهام للجالية اليهودية في كندا يبدأ بعد الحرب العالمية الثانية . اذ ان عددهم قبلها كان قليلا . [كان عددهم عام ١٩٣١ يبلغ ١٥٦٬٧٢٦ من أصل ١٠٬٣٧٦٬٧٨٥ ، وقد ارتفع هذا العدد ــ بسبب الهجرة من شرق اوروبا خاصة ــ من ١٧٠٬٢٤١ عام ١٩٤١ الى حوالي ثلاثمائة الف الان . أي انه تضاعف تقريبا] . وهذه السمة لها تأثيرات معينة على الحجم السياسي للجالية اليهودية في كندا ، اذ ان العدد الكبير الذي جاء من شرق اوروبا وخاصة المانيا ، جاء متأثرا بالفكرة الصهيونية ، وحمل بذور تنظيمات الحركة الصهيونية وآثار الاضطهاد الذي عانوه وعاشوه .

ج ــ من الناحية العددية والتاريخية فان مدينة منتريال كانت ولا زالت « عاصمة » اليهود في كندا حيث وصلت طلائعهم في اواخر القرن الثامن عشر مع الحملة الانجليزية التي هزمت الفرنسيين في مقاطعة كويبك . ولكن بسبب تركز الصناعة أكثر في تورنتو ، وبسبب الاوضاع السياسية والاجتماعية وحتى الدينية في مقاطعة كويبك فان الاتجاهات الان هي ان تورنتو ستغدو « عاصمتهم » المقبلة . حيث تحول العديد من مراكز قوتهم التنظيمية الحقيقية الى تورنتو ، وان كانوا ما زالوا يحتفظون بمراكز حيوية لنشاطهم في منتريال ، ويدعمون نشاطهم في مدينة وينبج ثالث مركز صهيوني في كندا .

د ــ لاسباب تاريخية وسياسية فان يهود كندا يتطلعون الى الولايات المتحدة « كالام » توجه وتقود سواء من الناحية السياسية او التنظيمية او الدينية ، حيث يوجد هناك حوالي ستة ملايين يتمركزون اساسا في مقاطعة نيويورك .

فبينما يعتبر اليهود « أقلية قومية » في كندا ، فان يهود الولايات المتحدة يعتبرون أنفسهم متساوين مع البروتستانت والكاثوليك هناك .

ويتضح الاتصال العضوي بين يهود كندا ويهود امريكا من اثره الواضح على التنظيمات السياسية والعمل السياسي والتنظيمي بوجه عام في كندا . اذ ان الاشارات للعمل تأتي من الولايات المتحدة.

من ناحية التنظيمات اليهودية والصهيونية في مدينة تورنتو فانه يوجد ٤٩ معبدا وتجمعا دينيا وهي بشكل او بآخر مراكز سياسية للتنظيم وللقيام بحملات اعلامية وجمع تبرعات . ويوجد فيها فرع للهستدروت ، والمجلس اليهودي والهجرة وغيرها. ويبلغ عدد المؤسسات الصهيونية واليهودية في تورنتو ١٣٦ مؤسسة (صحافة ، معابد ، جمعيات « خيرية » ، ثقافية ...) . وأهم نشراتهم الدورية جريدة انباء يهود كندا الاسبوعية توزع ٢١٬٣٠٠ **وهي من أحسن المصادر عن العمل الصهيوني في كندا عامة وتورنتو خاصة** ، وهناك جريدة يصدرها الطلاب اليهود في جامعة تورنتو مسعدة . ومجلة شهرية حول الجالية اليهودية في كندا واسرائيل اسمها الكرونكل رفيو ، ونشرة يصدرها بيت هيلل بمنتريال للطلاب اليهود ، واخرى تصدرها جمعية ابناء العهد بناي بريث شهرية .

وتجدر الاشارة الى ان رئيس وزراء مقاطعة بريتش كولومبيا (في غرب كندا) يهودي من الحزب الديمقراطي الجديد . ورئيس الحزب هو ديفيد لويس يهودي صهيوني ، وابنه ستيفن رئيس الحزب في مقاطعة اونتاريو . ورئيس مجلس بلدية تورنتو (بول جودفري) ايضا يهودي صهيوني ، وصاحب محطة تليفزيون محلية في تورنتو (باسير) صهيوني ولكن ليس يهوديا . ومحافظ تورنتو السابق (نائب برلمان حالي) يهودي صهيوني واسمه (فيليب كيفن) .

الدكتور مطاع غميان

[٦]
الانتخابات البريطانية واسرائيل

ان الدور الذي يلعبه اليهود في الانتخابات الامريكية دور خاص بامريكا قلما تعرفه الدول المتعددة الاحزاب في الخارج . ولذلك أسباب عديدة منها عدد اليهود الكبير في امريكا (٣٪) وتمركزهم بشكل حاسم في مناطق معينة مثل نيويورك ، وتعلقهم التقليدي بالحركة الصهيونية وعدم تعلق بقية الشعب الامريكي من الناحية الاخرى بوطنية قومية ، واخيرا الطريقة التجارية الفجة التي تسم الانتخابات الامريكية . ومع ذلك فاننا نفتش دائما عن مرادف لذلك في الدول الاخرى — في هذه الحالة بريطانيا يبلغ يهودها ١ ٪ من السكان ولهم تقاليد اندماجية تمثلت في معارضة وعد بلفور قبل صدوره . والواقع ان المنظمات الصهيونية سبقتنا في هذا التفتيش فوضعت لنا النقاط على الحروف التي صعب علينا قراءتها .

والتقت مجلة الجويش كرونكل التي تمثل الاتحاد الصهيوني البريطاني مع الجويش كرونكل التي تمثل الطائفة اليهودية البريطانية في تأكيدهما على الناخب اليهودي بضرورة اعادة النظر الى موضوع اسرائيل عند الادلاء بصوته . ولكن كلتا الجريدتين حارتا في أمر الاحزاب القائمة ووجدتا ان مسألة تأييد المحافظين للعرب وتأييد حزب العمال لاسرائيل تبسيط مفرط للموضوع لا يأخذ بعين الاعتبار التفاصيل السياسية والتحولات السريعة لكلا الحزبين . لقد كان هناك بين العمال من وقف ضد اسرائيل وبين المحافظين من وقف ضد ادوارد هيث في حظر تصدير الاسلحة الى اسرائيل . الحل العملي لليهودي الناخب هو أن يعطي صوته لمن أيد اسرائيل سواء أكان من العمال او المحافظين . وشعر محرر الجويش اوبزرفر بحراجة موقفه فانحدر الى هذا التبرير الساذج : « اذا زعم احد ان ذلك يعني وضع مصالح اسرائيل قبل المصالح البريطانية الوطنية ، فهناك جواب دامغ على ذلك . ان التضحية بدمقراطية صديقة قربانا لشيوخ النفط العرب الرجعيين ليس في مصالح بريطانيا مثلما لم يكن في صالح بريطانيا التضحية بتشيكوسلوفاكيا في ١٩٣٨ . ان استسلام المحافظين الاخير للعرب ما زال عالقا في اذهان الجمهور ككل . اذا كان من المقبول للهندي السيكي ان يصوت حسب موضوع لبس خوذة الاصطدام الاجباري على راكبي الدراجات البخارية ، فبامكان اليهود بل ويجب عليهم ان يصوتوا حسب ما يهم مصير اسرائيل » .

ويعطينا التشبيه الاخير عن اهتزاز السيك بعماماتهم صورة من الاسفاف الفكري الذي تقع فيه الاقلام المغالية في الصهيونية . أما الجويش كرونكل فقد نشرت في ٢٢ فبراير تقريرا عن الاجتماع الذي عقده مجلس ممثلي الطائفة اليهودية في بريطانيا بشأن الانتخابات قائلة ان الاجتماع رفض فكرة « كتلة الاصوات اليهودية » وأكد على موقف الحياد بالنسبة للاحزاب المتطاحنة . بيد أن التقرير كشف عن تطابق تام بين موقف الاتحاد الصهيوني ومجلس الطائفة عندما اورد كلمات السر ساموبل فشر ، رئيس المجلس :

« لنا الحق كمواطنين بريطانيين ان نستفسر من أي مرشح في كل دائرة عن موقفه من أي موضوع . وعلينا أن نستعمل هذا الحق . علينا ان نستفسر عن موقف اية حكومة جديدة من اسرائيل ومن قرارات السوق المشتركة بشأن اسرائيل. علينا ان نسأل ما الذي ستفعله الحكومة الجديدة ، من أي حزب كانت بشأن الموضوع الاخلاقي الذي يتعلق بمساعدة اليهود الروس على الهجرة الى اسرائيل . وما الذي سيفعلونه بالنسبة لليهود المضطهدين في البلاد العربية .علينا ان نسألهم فيما اذا كان اهتمامهم بنفط العرب سيسمح لهم بالتفرقة ضد اسرائيل . علينا ايضا ان نذكرهم بأن الدمقراطية الوحيدة في الشرق الاوسط هي اسرائيل . وان من صالح بريطانيا ذاتها ان تساندها ... »

كما طلب السر ساموبل من اليهود ان يستفسروا ويتأكدوا فيما اذا كان المرشح قد صوت ضد اسرائيل في البرلمان السالف بالنسبة لتجهيزها بالسلاح . وناشد أبناء الطائفة بالحذر والمراقبة وأكد لهم أن المجلس سيضع تنظيما خاصا « لمعالجة اي هجوم يوجه الينا من أعدائنا » .

ويظهر أن النفوذ اليهودي اخذ شكلا حيويا في منطقة هيمستد بلندن . فوجد المرشح العمالي

توني كلارك ان كلا خصميه من المحافظين والاحرار يهوديان . فاضطر الى منازلتهما على هذا الصعيد بتضمين الفقرة التالية في منشوره الانتخابي: «توني كلارك هو رئيس فرع كمدن لجمعية اصدقاء اسرائيل العمال . وسبق له ان زار اسرائيل في جولة دراسية في الصيف المنصرم » .

انتهت الانتخابات بفوز العمال بالمرتبة الاولى والمحافظين بالمرتبة الثانية والاحرار بالمرتبة الثالثة. هذا ما قالته الصحافة العامة . اما الجويش اوبزرفر فقد قالت ان المرتبة الثالثة فاز بها حزب بوعيلي صهيون . (الصهاينة « الاشتراكيون ») نظرا لان ٣٣ عضوا من هذا الحزب قد دخل البرلمان ضمن قوائم حزب العمال . وعلى كل فان النفوذ الصهيوني المتعاظم في العالم الغربي قد انعكس في الانتخابات بارتفاع عدد النواب اليهود من ٣٩ في البرلمان السابق الى ٤٦ في البرلمان الجديد — وهو أعلى رقم سجلوه في حياة البرلمان البريطاني. ولم يفشل غير واحد من النواب اليهود السابقين في اعادة انتخابه . ولما كان ديفيد وايتزمان أكبر نائب سنا فقد أصبح هو « ابو البرلمان الحالي ».

وقد ادخل هارولد ولسن حتى كتابة هذا التقرير ٩ وزراء يهود في حكومته منهم كوفمان وهارولد ليفر وادموند دل وجون سلكن وسام سلكن وجول بارنت . وبذلك تصبح نسبتهم في البرلمان الجديد نحو ٨ ٪ وفي الحكومة الجديدة نحو ٩ ٪ في حين لا تصل نسبتهم الى السكان حتى ولا ١ ٪ . كما يوجد في الوزارة اعضاء بارزون في جمعية الاصدقاء العماليين لاسرائيل منهم جون جلبرت ورج فريسن واريك هنر وبيتر شو وادوارد شورت واريك فارلي . وفي مقابل ذلك لم يدخل الوزارة عضو واحد من لجنة العمال للشرق الاوسط التي تمثل الجناح المؤيد للعرب . وقد كان في ركاب ولسن أثناء المعارضة اندرو فولدس ، الممثل والنجم السينمائي والتلفزيوني . وبالنظر لاطلاعه واتصاله الشخصي في ميدان الفنون فقد احتل مركز وزير الفنون في حكومة الظل (الكتلة البرلمانية المعارضة). بيد أن تأييد هذا النائب للعرب بشجاعة اثار حفيظة الجناح الصهيوني الى درجة كفت لاستبعاده من هذا المنصب وبذلك فقد العرب الناطق الوحيد لقضيتهم . هناك بالطبع مايكل فوت وانطوني وجويد بن المتفهمان للجانب العربي ولكن الشؤون الخارجية ليست ميدانهما .

خ. ق.

مركز الابحاث

يقدم :

محمود درويش

في كتابه الجديد :

وداعا ايتها الحرب
وداعا ايها السلام

بأسلوبه المتفجر شاعرية وشراسة ، يرصد المؤلف حرب تشرين من مرحلة الانتظار ، الى مرحلة الانفجار ، الى مرحلة الانتظار العائد .

اطلب نسخك من : مركز الابحاث — قسم التوزيع
ص.ب ١٦٩١ — بيروت
(او من المكتبات) .

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

الخالصة : انتصار ارادة القتال

دائما المفاجأة الفلسطينيـــة تظل هي الاعظـم والاوقع أثرا . الكفاح المسلح الفلسطيني نفسه بانطلاقته الاولى وبنهوضه دائما من كبواته وكأن له قدرة عجائبية على لأم جراحه ذاتيا ، كان يمثل سلسلة من المفاجآت غير المتوقعة لمن أرادوه ان يصمت ويذوى ويموت . وفي ظل الحديث غير الطلي عن التسويات والتصفية كانت الخالصة — التي غيروا اسمها الى كريات شمونة — المفاجأة المبادرة التي هزت الوجدان النضالي من الاعماق بعد ان رطمت السؤال الحائر (ما العمل ؟) بالجواب الموقظ حتى درجة الوعي الكامل (هذا هو الطريق). والثلاثة الابطال في الخالصة مـــا أرادوا الا ان يقولوا (هذا هو الطريق) . كيف نفذوا العملية ؟ من أين قدموا ؟ متسللين ام نبعوا من باطن الارض الفلسطينية ؟ لا يهم . وهي تفاصيل تحاول ان تطمس حقيقة القصـــد وصلب العمل وقدسيـــة الحقيقة : هذا هو الطريق . « من الاعماق نناديكم [كتب منير المغربي احد رجال الخالصة في وصيته قبل استشهاده] قفوا في وجه المؤامرة وحطموا واقع الاستسلام . ان الطريق واضح جدا فامضوا في هذا الطريق ... هذا ما اريد ان اقوله لكم ».

التفاصيل لن تعلق بذاكرة التاريخ ، ولكن الذي سيظل يحفر عميقا في وجدان الجماهير ان الثلاثة (السوري أحمد الشيخ محمود والفلسطيني منير المغربي والعراقي موســـى الموزاني) وضعـــوا الارادة الثورية من جديد في بوتقة اختبار : هل هي قادرة على الاستمرار في العطاء والبذل ، وفي مقابل ذلك ، مقابل العطاء والبذل ، هل هي لا تزال قادرة على تحقيق الانتصارات ؟ ونجح الاختبار ، نجح في اثبات ان الخط الاستراتيجي الذي اختطته الثورة وعمقته منذ انطلاقتها لا يزال صحيحا لم يمسه سوء ، وتمكن المراهنة عليه . فمنذ البداية كانت مراهنة الثورة على طاقات الجماهير العربية وتثويرها ووضعها في مواجهـــة الصدام في حرب طويلة المـــدى تستنزف العـــدو قطرة قطـــرة في انتصارات جزئية يشكل تراكمها الكمي مدخل النصر الاستراتيجي . والرجال الثلاثة ، الذين هم أمة في ثلاثة ، كانوا محك مصداقية ما طرحته الثورة ، فأثبتوا ان ارادة القتال عند الجماهير العربية ما تزال هي القاعدة وما دونها هو الاستثناء .

العلاقات الفلسطينية — المصرية :

(١) اجهزة الاعلام المصريـــة كانت تؤكد في الشهر الماضي ان حركة المقاومة الفلسطينية موافقة على جميع الخطوات التي خطتها مصر نحو التسوية السياسية . وقد بدا ان وراء هذا التأكيد الذي وصل الى حد الالحاح هدفين متكاملين ، الاول اظهار حرص مصر على اخذ الرأي الفلسطيني في الاعتبار اثناء تحركها السياسي مما يعطي هـــذا التحرك المستهـــدف في مداه الابعـــد القضيـــة الفلسطينية ذاتها مشروعية فلسطينية مكتسبة من موافقة منظمة التحرير الفلسطينية على التوجهات المصرية . اما الهدف الثاني فهو محاولة تقريب مواقف المقاومة من المواقف المصرية ازاء القضايا التي احرزتها حرب تشرين وهي قضايا ان كانت مصر قد حسمت الرأي في معظمها فان الحوار الذي لا يزال دائرا في الساحة الفلسطينية لم يصل بعد الى موقف اجماعي موحد تجاهها بل ان بعضها كالقرار ٢٤٢ لا يزال مرفوضا مـــن جانب حركة المقاومة .

توضح هذا الاتجاه من جانب الصحافة المصرية عندما كتب علي امين ، رئيس تحرير « الاهرام » ،

يقول : « أستطيع ان اعلن اليوم ان الاتفاق تام بين انور السادات وياسر عرفات وان هناك تنسيقا في كل الخطوات لم تعرفه المنطقة في يوم من الايام. وياسر عرفات على اطلاع كامل بكل خطوة خطاها السادات وقد بارك كل خطوة منها ... ويتوقع المطلعون ان يشترك ابو عمار في اجتماع جنيف الثالث اي الاجتماع الذي سيعقد بعد الاجتماع القادم » (الاهرام ٣/١٥) . وكان رد الفعل الفلسطيني الاول ان اصدر خمسة من اعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بيانا نشروه في « النهار » (٣/١٧) قال فيه موقعوه زهير محسن، يوسف صايغ ، محمد زهدي النشاشيبي ، عبد الوهاب الكيالي ، احمد اليماني : « سؤال : نشرت الاهرام ان كل ما يجري في مصر من خطوات منسق ومتفق عليه مئة في المئة مع رئيس اللجنة التنفيذية ، فما صحة هذا الخبر ؟ جواب : لم يتخذ اي قرار حول برنامج مشترك يصلح اساسا للتنسيق . وعليه فان كل ما يكتب حول هذا الموضوع لا يمثل حقيقة الموقف . لكن اللجنة التنفيذية حريصة على التنسيق مع سائر القوى الوطنية الملتزمة بموقف وطني واضح . سؤال حول مؤتمر جنيف : نشرت الصحف ان منظمة التحرير الفلسطينية ستشترك في المؤتمر في المرحلة الثالثة ، فهل اتخذ قرار في هذا الشأن ؟ جواب : بالنسبة الى مؤتمر جنيف وقضية الاشتراك في مرحلة لاحقة فان حركة المقاومة ترفض الاشتراك في أي مؤتمر يستند الى القرار الرقم ٢٤٢ بغض النظر عن الداعين اليه والمشاركين فيه . وتنطلق مواقف وسياسة المنظمة في هذا الصدد من ميثاق المنظمة وقرارات المجلس الوطني » . غير ان الاهرام عادت في ٣/٢٦ فذكرت انه تم اتفاق بين القاهرة ومنظمة التحرير على ان تبدأ في اول نيسان (ابريل) القادم لجنة مصرية ــ فلسطينية اجتماعات مشتركة ودورية بهدف تنسيق موقف مشترك ازاء التطورات المتوقعة لازمة الشرق الاوسط خصوصا ما يتعلق منها بدور الفلسطينيين في المرحلة القادمة من مؤتمر جنيف . وقالت « الاهرام » ان الرئيس السادات قد اصدر بالفعل قرارا بأن يتولى اسماعيل فهمي ، وزير خارجية مصر ، مسؤولية الجانب المصري في هذه اللجنة المشتركة ، كما ان من المتوقع ان يصدر عرفات خلال الايام القادمة قرارا بتشكيل الجانب الفلسطيني في اللجنة والذي سيضم عددا من قيادات المقاومة . وقالت الصحيفة ان اللجنة المشتركة سوف تبني اعمالها على ورقتي عمل ، الاولى تقدمها وزارة الخارجية المصرية بشأن رؤيتها للتسوية المقترحة بما فيها المسألة الفلسطينية والثانية تقدمها منظمة التحرير بشأن وجهة النظر الفلسطينية تجاه مثل هذه التسوية .

وعادت « الاهرام » في (٤/١) فأكدت وجود هذه اللجنة وذكرت ان ياسر عرفات اصدر قرارا بتشكيل الجانب الفلسطيني من السادة فاروق القدومي وخالد الحسن وجمال الصوراني وسعيد كمال . بيد انها ألمحت الى ان اجتماعات اللجنة التي كان مقررا عقدها في مطلع نيسان قد تأجلت خلال ايام ، ولم تشر الصحيفة الى سبب هذا التأجيل وان كانت وكالات الانباء (« المحرر » ٤/٢ نقلا عن « رويتر » و«وكالة الصحافة الفرنسية») قد ذكرت ان تأجيل الاجتماع مرتبط بالزيارة التي سيقوم بها الملك حسين الى القاهرة .

في هذه الاثناء عقدت اللجنة التنفيذية للمنظمة اجتماعا لها في ٣/٣١ ، وقد وزعت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) في ٤/١ تصريحا للاخ ابو عمار تعليقا « عما نشر في بعض الصحف عن اللجنة المصرية ــ الفلسطينية وما قيل عن دور هذه اللجنة في التنسيق بمؤتمر جنيف » قال فيه : « انطلاقا من التوجه الذي اوصى به المجلس المركزي والذي تحرص عليه اللجنة التنفيذية فقد تم الاتصال بكل من مصر وسوريا لتنسيق المواقف معهما لما يخدم المصلحة القومية والمحافظة على التضامن العربي والعمل من أجل ايجاد موقف مصري ــ سوري ــ فلسطيني موحد مدعوم بموقف عربي يشكل درعا وحماية ، وتمشيا مع قرارات مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في الجزائر والاهداف التي حددها هذا المؤتمر مرحليا واستراتيجيا والتي تنص صراحة على الحفاظ على حقوق الشعب الفلسطيني وعروبة القدس وتحرير جميع الاراضي العربية المحتلة ، انطلاقا من هذا كانت هذه الاتصالات والاجتماعات المكثفة التي تهدف لخدمة أهداف الثورة الفلسطينية وعلاقاتها مع الدول العربية بشكل عام ودولتي المواجهة (مصر وسوريا) بشكل خاص . اما ما ورد حول مؤتمر جنيف فهذا موضوع سابق لاوانه لان اللجنة التنفيذية لم تتخذ بعد اي قرار بهذا الخصوص . ولقد ظهر لنا في اتصالاتنا المختلفة بجميع الدول العربية ان هناك اتفاقا في الرأي حول

القضايا الاساسية التي تتعلق بحقوق شعب فلسطين وعروبة القدس وتحرير الاراضي العربية المحتلة ، ولقد حرص الجانب الفلسطيني في كافة هذه الاجتماعات والاتصالات على تأكيد الحقائق الهامة التالية : (١) الاصرار على استمرار الكفاح المسلح . (٢) لا تنازل عن الحق التاريخي ولا اعترف ولا صلح . (٣) حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني في وطنه والعودة اليه . (٤) تأكيد سيادة الشعب الفلسطيني الوطنية على كل بقعة يتم تحريرها ويتم منها دحر العدو » .

وواضح ان هذا التصريح ان كان لم ينف وجود لجنة التنسيق المصرية ــ الفلسطينية الا انه لم يؤكدها ، بل هو جعل التنسيق ضمن اطار « الاتصالات والاجتماعات المكثفة » التي لم تقتصر على مصر وحدها وانما شملت سوريا كذلك ، ويبدو ان تلك كانت اشارة كافية الى ان الموقف الفلسطيني لم « يتوحد » مع الاتجاهات المصرية في المساعي السياسية وان الاختيارات لم تستنفد جميعا .

لم تشر صحيفة « الاهرام » الى التصريح الذي ادلى به ابو عمار وعلى عكس ذلك فقد نشرت في ٤/٦ ان اسماعيل فهمي سيجتمع في اليوم ذاته مع سعيد كمال مبعوث ياسر عرفات الذي وصل القاهرة من بيروت حاملا رسالة منه حول علاقة المنظمة ببعض الدول العربية والصعوبات التي تواجهها في هذه المرحلة الهامة. وقالت « الاهرام » ان هذا هو الاجتماع الاول في اطار القرار الذي أصدره الرئيس السادات بتشكيل لجنة تنسيق مصرية ــ فلسطينية ، وذكرت الصحيفة في اليوم التالي (٤/٧) ان الاجتماع المشار اليه قد تم في موعده . ولم يصدر عن حركة المقاومة اي بيان رسمي ينفي أو يؤكد ان الاجتماع تم في اطار اللجنة المذكورة .

(٢) ترددت في الشهر الماضي انباء عن محاولات « مصالحة » تقوم بها مصر بين الاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية. وقد تكثفت هذه الانباء قبيل وفي اثناء الزيارة التي قام بها الملك حسين الى مصر ومباحثاته هناك التي ابتدأت في ٥ نيسان (ابريل) . وقد نسبت « النهار » (٤/١) الى مصادر دبلوماسية عربية قولها ان الرئيس السادات يسعى الى الحصول من الملك حسين على امرين أساسيين لدى زيارته للقاهرة : (١) ان يعترف الاردن رسميا بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ، ليس في ما يتعلق بتوطين اللاجئين الفلسطينيين والتعويض عنهم بل في ما يتعلق بحقوق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره في ارضه اي عمليا ومرحليا في الضفة الغربية وغزة . (٢) ان يوافق الاردن على ان يشترك وفد فلسطيني مستقل في مؤتمر جنيف ، الى جانب وفود مصر وسوريا والاردن وان يبحث هذا الوفد في حقوق الشعب الفلسطيني ومستقبله . وقبل ذلك كانت الصحف المصرية قد مهدت لجعل محادثات حسين ــ السادات «مقبولة» فلسطينيا بحملة اعلامية اظهرت ان الملك حسين قد غير موقفه من المنظمة ، فقد ذكرت « اخبار اليوم » (٣/١٦) ان حسين سيقترح على الرئيس السادات عقد مؤتمر قمة مصغر يشترك فيه ابو عمار ، كما روجت « الاهرام » (٣/٢٥) ان الملك حسين « مستعد للاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني وذلك خلال زيارته المقبلة لبعض الدول العربية »، كذلك ذكرت « اخبار اليوم » (٣/٢٩) انها علمت ان الملك حسين قرر الاعتراف بمنظمة التحرير ممثلا شرعيا لشعب الفلسطيني كما وافق على اشراك وفد المنظمة في مؤتمر جنيف المقبل كممثل لشعب فلسطين في المحادثات . ثم ذكرت « الاخبار » (٤/٥) انه سيعقد قريبا لقاء يضم ممثلي الحكومة الاردنية ومنظمة التحرير « في اطار الجهود المبذولة لتصفية الموقف المتأزم بينهما » .

وسط هذه الترويجات جاءت محادثات الاسكندرية بين الرئيس السادات والملك حسين ، وقد ذكر البيان المشترك الذي صدر في اعقاب المحادثات (٤/٦) ان المباحثات شملت « حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة وحق هذا الشعب في تقرير مصيره والدفاع عن قضيته في كافة المحافل الدولية وكذلك الاشتراك في مؤتمر جنيف بصورة مستقلة ». وقد نقلت « الاهرام » (٤/٧) تصريحا « لمصادر مطلعة » قالت فيه انه من المقرر ان يزور الملك حسين عددا من العواصم العربية وسيصدر في أعقاب هذه الجولة بيان اردني يعلن اعتراف الاردن بمنظمة التحرير . وكان تعقيب زيد الرفاعي ، رئيس وزراء الاردن ، على البيان المشترك وعلى هذا النبأ الذي نشرته « الاهرام » قوله « ان الحكومة

الاردنية وافقت على مبدأ اشتراك وفد فلسطيني مستقل في مؤتمر جنيف في حالة ما اذا وجهت دعوة الى هذا الوفد للاشتراك في المؤتمر ». واضاف « ان الاردن اعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية وان هذا الاعتراف قائم ، ولكن في ما يتعلق بأن تكون المنظمة هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني فهذا أمر لم يعرض في محادثات الاسكندرية » . وقد اوضح الملك حسين «للاهرام» (٤/٧) ان الاردن سيذهب الى جنيف كدولة يسمها قرار مجلس الامن ولها اراض احتلتها اسرائيل منذ عام ١٩٦٧ وسيذهب بعد ذلك الى جنيف وفد منظمة التحرير ليتحدث عن حقوق شعب فلسطين وهي مسائل تتجاوز « مسؤوليتنا » المباشرة . وقال حسين ان الاردن لم يعترض في يوم من الايام على تمثيل شعب فلسطين في أي مفاوضات وقال « لما أحسست ان اسرائيل تعارض معارضة شديدة ان يشترك الفلسطينيون في المفاوضات عرضت ان ينضم الى فد الاردن عدد من ممثلي المنظمة حتى يسهموا بآرائهم ويشتركوا اشتراكا فعليا في المفاوضات » وقال انه اذا حدث ان اختلف الاردن « في بعض التفصيلات » مع المنظمة فليس معنى هذا اننا نطالب بحرمانهم من حقهم الطبيعي في اعلان رأيهم والاشتراك اشتراكا فعليا في تقرير مصيرهم ، ولكن « اختلافنا كان خلافا عاديا بين زميلين في معركة يؤمنان بنفس الهدف » .

وبعيدا عن التعبير الانشائي : « الخلاف العادي في بعض التفصيلات » ، فان عناصر الموقف الاردني الراهن تجاه مسألة التمثيل الفلسطيني وتقرير المصير تظهر كما يلي كما كشف عنها العرض السابق : ان الضفة الغربية جزء من المملكة وبذلك فليس من حق المنظمة ان تتحدث بشأنها ، غير ان المنظمة يحق لها التحدث عن حقوق الشعب الفلسطيني التي تتجاوز « مسؤولية » الملك أي كل ما ليس له علاقة بالضفة الغربية ، وهكذا فان الاعتراف الاردني بمنظمة التحرير لا يعني ان المنظمة هي الممثلة الشرعية الوحيدة للشعب الفلسطيني ، وانما النظام الاردني شريك في هذا التمثيل ، ونصيب النظام في هذه الشركة فلسطينيو الضفة الغربية وشرقي الاردن . من هذه الحيثيات « يوافق » الاردن على ذهاب وفد من منظمة التحرير الى جنيف ، بعد ان كان الموقف الاردني السابق ان الوفد الفلسطيني يجب ان يكون ضمن اطار الوفد الاردني ، غير ان هذه الموافقة مشروطة بألا يكون من اختصاص الوفد بحث مسألة مصير الضفة الغربية لان الوفد الاردني يكون قد بت فيها في دورة سابقة لمؤتمر جنيف في غياب وفد المنظمة . هذه هي عناصر الموقف التي لا يظهر فيها جديد سوى « سماح » الاردن للمنظمة بارسال وفد عنها الى جنيف مستقل عن وفد الاردن . ويبدو ان ذلك هو « التنازل » الوحيد الذي حققته محادثات الاسكندرية وهو يخرج عن اطار توجهات السياسة المصرية الهادفة الى اشراك الفلسطينيين في التسوية وفي الوقت ذاته عدم استبعاد النظام الاردني من المشاركة فيها .

مناضلان ينجوان من الاسر

تمكن فدائيان فلسطينيان هما حمزة يونس ومحمد يوسف قاسم من القيام بعملية جريئة حيث تمكنا من الهرب من سجن الرملة في فلسطين المحتلة ليلة ٣ آذار بعد ان مكثا في السجن سنة ونصف السنة . والامر الجدير بالابراز في هذه العملية بالاضافة الى جرأتها الفريدة ان المناضلين بعد ان هربا من السجن اعتمدا على خلايا الداخل السرية في الضفة الغربية التي أمنت لهما الاختباء في تل ابيب ريثما يتدبران طريقة للخروج الى شرقي الاردن . فقد ذكر محمد قاسم في مؤتمر صحافي عقده المناضلان دعت اليه « وفا » (٣/١٤) ما يلي : « كنت أعرف بعض الخلايا ولكنني كنت غير واثق من الاتصال... ولم يكن الامر صعبا كما تصورنا اذ سرعان ما نجحنا في اجراء الاتصال وقام قائد المجموعة وافراد الخلية بالاجتماع وناقشنا قضية تسللنا الى شرقي الاردن وبعد دراسة مستفيضة تقرر ان افضل ما نفعله وخاصة ان العدو يبذل كل ما يملك للقبض علينا ان نرتد الى عمق العدو وقد قام قائد الخلية بتأميننا الى تل ابيب بعد ان تزودنا ببطاقات شخصية بأسماء اخرى وارتدينا ملابس مدنية . وصلنا الى تل ابيب وهناك كانت بانتظارنا شقة وضعنا فيها مدة اربعة ايام أمن لنا خلالها قائد المجموعة الاكل وكل ما نحتاجه » . ان قدرة مناضلي الداخل على التحرك بين الضفة الغربية وتل ابيب والاختباء مدة اربعة ايام فيها ثم التحرك مرة اخرى الى الضفة الغربية تشير الى كفاءة خلايا الداخل وهي بالتأكيد تفسر تصاعد العمليات الفدائية الاخيرة التي تمت في عدد من المدن

الفلسطينية سواء المحتلة في العام ١٩٤٨ أم في العام ١٩٦٧ .

منظمة التحرير والنفط العربي الى اميركه

وزعت « وفا » (٣/٢٣) النبأ التالي : درست اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في اجتماعها الذي عقدته صباح هذا اليوم قرار رفع حظر النفط المفروض على الولايات المتحدة الاميركية. واستغربت اللجنة التنفيذية صدور مثل هذا القرار بسبب عدم توافر المبررات الكافية لاتخاذه في هذه المرحلة لان العدو الصهيوني ما زال على مواقفه المتعنتة ، وما زالت الولايات المتحدة تمد اسرائيل بكل أسباب العدوان وامكانات البقاء . وقد أعربت اللجنة التنفيذية عن اعتقادها بأن استخدام النفط هو وسيلة ضغط سياسي من أجل القضية الفلسطينية وعروبة القدس وحصول الشعب العربي الفلسطيني على حقوقه الوطنية المشروعة تمشيا مع قرارات مؤتمر القمة العربي السادس والاهداف المرحلية التي حددها ، والتي أقر فيها بأن النفط هو أحد الاسلحة العربية لتحقيق هذه الاهداف .

النضال المطلبي الفلسطيني :

أشرنا في العدد الماضي من « شؤون فلسطينية » الى الاضراب والاعتصام اللذين نفذهما موظفو وعمال الخدمات الطبية في وكالة الغوث في لبنان اعتبارا من ٣/٤ مطالبين بـ « طبيب يومي ثابت في كل مخيم وفتح عيادات في أماكن وجود الفلسطينيين التي لا يوجد فيها عيادات ومضاعفة الميزانية للادوية وتحسين نوعيتها ومضاعفة الميزانية لتصوير الاشعة والتعاقد مع مستشفيات الولادة في كل منطقة وتغيير بعض المستشفيات المتعامل معها حاليا نظرا لمعاملتها السيئة للمرضى والاجر العادل والحق لعمل مستخدمي الخدمات الطبية ». وعلى الرغم من عدالة هذه المطالب خاصة اذا استذكرت الاحوال الصحية لسكان المخيمات الفلسطينية وحجم الخدمات الطبية الضئيل الذي تقدمه الوكالة ، الا ان الوكالة ماطلت في الاستجابة لهذه المطالب المحقة . وقد أصدرت اللجنة السياسية العليا لشؤون الفلسطينيين في لبنان (منظمة التحرير الفلسطينية) بيانا في ٣/١٣ أكدت فيه وقوفها الى جانب موظفي المهن الطبية في الوكالة وقالت « انه بالرغم من تحذيرها من قضية تجاهل هذا القطاع من الموظفين وعدم انصافهم في اجتماع رسمي ضم العقيد انطوان الدحداح ، مدير الامن العام ، والسيد جون ريني ، والسيد مارسيل بورديو [من وكالة الغوث] الى جانب السيدين توفيق الصفدي وكمال البقاعي [من اللجنة السياسية] ، فان وكالة الغوث لم تحاول ايلاء هذا الموضوع ما يستحق من الاهتمام متذرعة بالعجز المالي » . وقد حذرت اللجنة السياسية في بيانها « من المضي في سياسة التصلب التي تنتهجها حيال مطاليب رابطة المهن الطبية » . غير ان الوكالة استمرت في تصلبها مما دفع عمال الخدمات الطبية يوم ٣/٢٠ الى انذار الوكالة « بتصعيد اضرابهم وتشديد نضالاتهم المطلبية لانتزاع حقوقهم ومطاليبهم العادلة » (وفا ٣/٢٠) وقد ذكرت « وفا » ان عمال مخازن الوكالة في منطقة فردان انضموا الى المعتصمين في اليوم نفسه . كما اصدرت اللجان الشعبية في صبرا ومخيم شاتيلا بيانات استنكرت فيها سياسة الوكالة التعسفية ضد الجماهير الفلسطينية ، كما أمت وفود شعبية من مختلف المناطق اللبنانية مبنى وكالة الغوث حيث يعتصم العمال . وفي اليوم التالي لاعلان الانذار بتصعيد الاضراب ، أصدرت اللجنة السياسية بيانا ذكرت فيه انه في ضوء الاتصالات التي اجراها المسؤولون اللبنانيون والفلسطينيون مع المسؤولين في وكالة الغوث الدولية فقد استجابت الوكالة ووعدت بتحقيق عدد من المطاليب بينما وعدت البت في المطاليب الباقية ضمن مهلة زمنية اقصاها نهاية شهر نيسان . وقال بيان اللجنة انها قررت بعد التداول مع الاتحاد العام لعمال فلسطين ورابطة المهن الطبية الفلسطينية رفع الاعتصام والعودة الى العمل اعتبارا من ٢٢ آذار .

عصام سخنيني

ملحق شهريات المقاومة الفلسطينية

عملية كريات شمونه

جاءت عملية « الخالصة » او كما تعرف ايضا « بكريات شمونه » في وقت تزايدت فيه الجهود السلمية المبذولة في المنطقة برعاية الولايات المتحدة وتحت انظار الاتحاد السوفييتي المراقبة بحذر ، وفي وقت تصاعدت فيه المعارك والاشتباكات في جبهة الجولان، واتسعت فيه رقعة الخلافات والانقسامات في داخل اسرائيل . ولقد حدثت في وقت قيام الرئيس السوري حافظ الاسد بزيارة الى الاتحاد السوفييتي ، للبحث مع الزعماء السوفييت في آخر تطورات قضايا المنطقة ، ولعرض وجهة النظر السورية فيما يتعلق بالجهود المبذولة للتوصل الى اتفاق للفصل بين القوات السورية والاسرائيلية في جبهة الجولان . وقيام وفد عسكري سوري برئاسة العميد حكمت الشهابي مدير الاستخبارات العسكرية السورية بزيارة الى الولايات المتحدة للاجتماع بالدكتور هنري كيسنجر وزير الخارجية الامريكية والبحث معه في آخر تطورات الجهود المبذولة ، وعرض المقترحات السورية بخصوص الفصل بين القوات في جبهة الجولان ، وفي وقت اجتمع فيه الرئيس الجزائري هواري بومدين بالرئيس نيكسون والدكتور كيسنجر لبحث اوضاع المنطقة وقضايا اخرى ، وبدأت عملية تطهير وتنظيف قناة السويس مراحلها العملية الاولى التي تشارك فيها قطع من الاسطول الامريكي والاسطول البريطاني بالاضافة الى وحدات بحرية مصرية تابعة للاسطول المصري وهيئة قناة السويس . فقد جاءت العملية في ذروة الجهود السلمية المبذولة لايجاد اساس لتسوية سلمية دائمة في المنطقة تعيد اليها الاستقرار والهدوء المنشودين .

ومن الواضح ان تنفيذ العملية في هذا الوقت وبهذا الاسلوب الثوري الانتحاري يهدف الى تحقيق الامور التالية :

١ — التأثير في الترتيبات السلمية الجارية في المنطقة برعاية الولايات المتحدة ، وتسخين الجو السياسي والعسكري ، وتصعيد العمليات ضد العدو الصهيوني في داخل الارض المحتلة .

٢ — تحويل انظار العالم الى جوهر القضية وحقيقة الصراع وذلك بمهاجمة هدف هام في داخل الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ . فلقد دأبت اسرائيل منذ بدء النزاع على اظهار الصراع على غير حقيقته ، ونجحت في ابرازه على انه صراع اقليمي بين اسرائيل والدول العربية المجاورة . وعلى مر السنين ، وبسبب ضعف الاعلام العربي ، أصبحت القضية في نظر العالم عبارة عن خلافات حدودية بين اسرائيل والعرب ، مع انها في الاصل قضية شعب جرد من حقوقه ، واغتصبت العصابات الصهيونية اراضيه ، وصادرت ممتلكاته . لقد حاولت فصائل الثورة الفلسطينية بعملياتها الخارجية تحقيق ذلك من قبل ، ولكن هذه العمليات لم تحقق الغاية المرجوة منها في هذا المجال الا بنسبة محدودة . ثم جاءت عملية « كريات شمونه » بعنفها ودقة تخطيطها وتنفيذها لتضيف مكتسبات جديدة الى نضال الشعب الفلسطيني واعلامه المسلح، خاصة وان الهدف الذي هوجم هذه المرة يقع داخل الاراضي المحتلة في عام ١٩٤٨ ولهذا دلالات هامة ستكون لها مضاعفات على غاية من الاهمية في المستقبل .

٣ — انزال الخسائر المادية والبشرية في الجانب الاسرائيلي . لقد كانت حصيلة العملية ١٨ قتيلا و١٥ جريحا فضلا عن الخسائر المادية . يضاف الى ذلك القلق والرعب والتوتر الذي سيطر على الاسرائيليين وفقدان الثقة بتدابير الامن الاسرائيلية . ولقد حدث ذلك واسرائيل تمر في اوضاع داخلية مضطربة والخلافات في ذروتها بين مختلف الاتجاهات والاحزاب السياسية والتي نجمت عن اخفاقات اسرائيل في حرب « يوم الغفران » . وفي وقت تقدمت فيه الحكومة الاسرائيلية باستقالتها في اعقاب ادانة رئيس الاركان ومدير الاستخبارات العسكرية وثلاثة من كبار مساعديه العسكريين.

٤ — التأثير على الروح المعنوية بين الاسرائيليين وذلك باحتلال اهداف والسيطرة عليها داخل مستعمرة « كريات شمونه » . وهو ما تم فعلا ، اذ نجح الفدائيون الثلاثة بالسيطرة على بنايتين متجاورتين في المستعمرة ، وهما مدرسة وبناية تتكون من (١٥) شقة . وهذا أمر يحدث لاول مرة

في مسيرة الثورة الفلسطينية ، ويمكن ان يعتبر بحد ذاته تصعيدا للعمليات الفدائية التي تشن ضد الاهداف في داخل الاراضي المحتلة . يضاف الى ذلك اطلاق النيران في كل الاتجاهات والاشتباك مع افراد الجيش والشرطة وحرس الحدود الذين حضروا الى المستعمرة لمعالجة الموقف ، وانزال الخسائر في صفوفها .

٥ ــ المطالبة باطلاق سراح (١٠٠) من الاسرى الفدائيين الموجودين في السجون الاسرائيلية ، ومع ان هذا الشطر من العملية لم يتحقق ، الا انه من المهم جدا ان نسمع العالم والمنظمات والهيئات الدولية عن اسرانا الموجودين داخل سجون العدو الصهيوني . واروع ما جاء في هذه العملية ان المجموعة طالبت باطلاق سراح الفدائيين المسجونين حسب أقدميتهم في الاسر منذ عام ١٩٦٦ وعلى رأسهم الفدائي الياباني « اوكاموتو » المحكوم عليه بالسجن المؤبد في اسرائيل . كما ان المطالبة باطلاق سراح الاسرى الاجانب الذين عملوا مع العمل الفدائي والقت سلطات الاحتلال الاسرائيلي القبض عليهم ، سيكون له ردود فعل طيبة في علاقات الثورة الفلسطينية بحركات التحرر الوطنية في العالم .

٦ ــ اظهار قدرة الفرد الفدائي القتالية العالية ومستواه التدريبي الجيد والشجاعة والجرأة والاقدام التي يتحلى بها ، واستعداده للفداء حتى درجة الانتحار في سبيل تنفيذ مهمته ، وامكانية القيادات الفدائية على التخطيط الجيد والدقة في انتقاء الهدف والتوقيت للمباشرة بالتنفيذ .

ان العملية بحد ذاتها وبرغم محدودية الافراد الذين قاموا بها تعتبر تصعيدا في اسلوب العنف الثوري المتبع . لقد احتوت العملية كافة عناصر النجاح ويمكن تلمس ذلك من الطريقة التي تمت فيها ، ومن قيمة الهدف الذي نفذت فيه ، والنتائج الايجابية التي تمخضت عنها . وعليه يمكن تسلسلها كالاتي :

١ ــ انتقاء الهدف في داخل اراضي عام ١٩٤٨ المحتلة . ب ــ جمع المعلومات الدقيقة عن الهدف وتنفيذ استطلاع جيد للمنطقة قبل الشروع بالتنفيذ. جـ ــ تخطيط جيد ودقيق .د ــ الاعداد للعملية بوسائل علمية حديثة . هـ ــ التنفيذ وقد تم بمنتهى الشجاعة والجرأة والاقدام والدقة وروح الفداء الحقيقي . و ــ انطلاق عناصر العملية من قواعد الثورة في الداخل حتى يتجنب لبنان اي رد فعل معاد .

٧ ــ تحقيق قومية العملية ، وذلك باشراك فلسطيني وسوري وعراقي فيها وهو عامل هام ستكون له دلالات هامة تقوي من تلاحم الجماهير العربية مع الثورة الفلسطينية .

وازاء هذه الحقائق والمعطيات الملموسة بدأت القوى الفاعلة والناشطة في المنطقة وخارجها نشاطها لتطويق العملية ، والحيلولة دون حدوث أية مضاعفات قد تؤثر على الجهود والمساعي السلمية المبذولة ، والتوصل الى فصل القوات في الجولان وهو اجراء مهم وضروري ويجب ان يسبق انعقاد مؤتمر السلام (الجولة الثانية) المنوي عقده في جنيف في المستقبل القريب .

لقد جاءت ردود الفعل الفلسطينية والعربية والدولية والاسرائيلية على العملية متباينة . فعلى الصعيد الفلسطيني لاقت العملية ترحيبا وتأييدا من كافة اوساط الثورة كما اشادت بها وكالة « وفا » ووصفتها بالعملية الاكثر تأثيرا والاشد ارباكا للعدو . وعلى الصعيد اللبناني الرسمي اتخذت الحكومة عدة خطوات عملية لتطويق الحادث كان أهمها استدعاء سفراء الدول الدائمة العضوية في مجلس الامن واطلاعهم على حقيقة الاوضاع ولفت نظرهم الى تهديدات اسرائيل . وعلى الصعيد الشعبي ، أبدت هذه الاوساط قلقها من قيام اسرائيل بعملية انتقامية ، مخافة تعريض الصف الوطني الى الانقسام وهو ما تسعى اليه اسرائيل. وعلى الصعيد العربي ، التزمت الحكومات العربية الصمت ازاء العملية ، على حين أشادت الصحف العربية الصادرة في كل من مصر والجزائر وليبيا والمغرب وتونس والكويت بالعملية ، وصرح العقيد معمر القذافي في حديث مع صحيفة النهار (٤/١٤/ ١٩٧٤) بقوله : « كان يجب ان تحدث كريات شمونه منذ وقت بعيد ؛ لقد اخترق الفدائيون بهذه العملية حاجز الخوف » . كما حذرت اذاعة صوت العرب شبه الرسمية في القاهرة اسرائيل من مغبة القيام بعملية انتقامية ردا على الحادث . أما على الصعيد الدولي ، فقد استنكرت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا العملية في الظروف الراهنة ، كما استنكرها السكرتير العام للامم

المتحدة السيد كورت فالدهايم معتبرا العملية ضارة بالجهود السلمية المبذولة . كما ندد بها الفاتيكان لاعتبارات انسانية .

ولقد جاء رد الفعل الاسرائيلي عنيفا وأعلنت الحكومة الاسرائيلية المؤقتة غضبتها العارمة وهددت وتوعدت المنظمات الفدائية والحكومة والشعب في لبنان بعد ان ادعت ان الفدائيين تسللوا الى الارض المحتلة عبر الحدود اللبنانية واتخذت من جانبها خطوات سريعة لتطويق مضاعفات الحادث ، وارسلت وزير الشرطة شلومو هليل الى المستعمرة لتمثيل الحكومة في تشييع جثمان القتلى . وفي معرض التعليق على الحادث قال رئيس الدولة « كتسير » موجها كلامه الى غولدا مئير « انه نظرا لمشاكلنا الداخلية فاننا نصر على قرارنا بالدفاع عن انفسنا واننا قد ننقسم في المسائل العامة الا اننا متحدون في وجه اية محاولة لالحاق الضرر بسلامة الدولة » . كما وجهت غولدا مئير في جلسة الكنيست التي عقدت بعد ظهر يوم ١٢/ ٤/ ١٩٧٤ ، تهديدا الى لبنان بقولها « ان مجزرة كريات شمونه هي اخطر من كل ما نفذ في السابق، ويتوجب على حكومة لبنان ان تدرك اننا نعتبرها وبسكانها الذين يساعدون المخربين مسؤولين عن هذه المجزرة » . ثم وجه الجنرال دايان تحذيرا الى الحكومة في لبنان والشعب في لبنان قال فيه « يتوجب على سكان لبنان قرب الحدود وغيرهم ، ان يدركوا انه اذا لم تمنع حكومتهم « المخربين والارهابيين من العمل ضد اسرائيل ، فلن يتمكنوا من العيش بارتياح قرب الحدود الاسرائيلية » . كما وجه شلومو هليل وزير الشرطة الاسرائيلي تحذيرا جديدا الى لبنان في حديث ادلى به للاذاعة الاسرائيلية قال فيه « ان على لبنان ان يصغي فورا كل المخيمات الفدائية وقواعدهم في اراضيه » وقال ايضا « ان اسرائيل ستتخذ كل الاجراءات الضرورية لتضع حدا لهجمات الفدائيين عليها من الاراضي اللبنانية ، وانه في امكان لبنان ان يضع حدا لنشاط الفدائيين كما فعل الاردن سنة ١٩٧٠». واضاف « بان الطريقة التي سيتصرف بها لبنان ستحدد رد الفعل الاسرائيلي على عمليات كريات شمونه » وفي اليوم نفسه تقدمت اسرائيل بشكوى الى السكرتير العام للامم المتحدة ، عن العملية التي قام بها الفدائيون في كريات شمونه ، وسلم المذكرة السفير الاسرائيلي الدائم في الامم المتحدة يوسف تكواع ، وحمل مسؤولية هذه العملية الى الجبهة الشعبية (ق.ع) والحكومة اللبنانية التي تسمح لهذه المنظمة بحرية الحركة وحرية التدريب (على حد قوله) .

رد الفعل السياسي (ديان ، هليل ، مئير)

وفي اعقاب الحادث قامت اسرائيل بتحركات عسكرية قرب الحدود اللبنانية ، وقد شاهد هذه التحركات اهالي القرى الامامية اللبنانية في الجنوب . هذا وقد عمت التظاهرات مستعمرة « كريات شمونه » مطالبة بالثار والانتقام . كما صدرت تهديدات مطالبة بالثأر من الحادث من بعض الوزراء وكبار المسؤولين ورجال السياسة في اسرائيل .

وفي الساعة الواحدة من صباح ١٣/٤/١٩٧٤ رابطت قوة من الجيش الاسرائيلي على طول امتداد الحدود اللبنانية مع فلسطين المحتلة وانقسمت الى وحدات ثانوية اختارت كل مجموعة منها هدفا لها في الاراضي اللبنانية ، على حين رابطت في داخل الاراضي المحتلة وعلى المحور الرئيسي المتاخم للحدود قوة اخرى معززة بالدبابات والاليات لتعمل كقوة احتياطية ، قد يطلب منها التدخل اذا ما تطلب الوضع ذلك . وقد اختيرت القرى التالية هدفا للهجوم وهي ، قرى الضهيره ، ويارون وعيطرون ومحيبيب والحولة والطيبه . وبدأت العملية الاسرائيلية في الساعة ١:٣٠ صباحا وانتهت في الساعة ٣ صباحا ، وفي السادسة من صباح اليوم نفسه عملت قوة اخرى في قرى بليدا وبنت جبيل . وقد نجم عن هذه الاغارة نسف ٢٤ منزلا بعد ان تم اخلاؤها ، الامر الذي ادى الى مقتل امرأة وطفلة . وخطف الاسرائيليون ١٣ مواطنا لبنانيا (من بينهم دركي لبناني) واخذتهم الى اسرائيل كاسرى .

لقد قامت اسرائيل بالعملية بالرغم من التحذيرات والمحاولات التي جرت لاقناعها من بعض الدول الغربية بما في ذلك الولايات المتحدة ، بعدم القيام برد انتقامي ضد لبنان وبالرغم من اعلان قيادة الجبهة الشعبية (ق.ع) على ان مقاتليها انطلقوا من قاعدتهم في داخل الارض المحتلة لا من الاراضي اللبنانية ، ولقد اقدمت على ارتكاب عمليتها الانتقامية للاعتبارات التالية :

١ — امتصاص النقمة العارمة السائدة في داخل

اسرائيل والمعلنة ضد كبار المسؤولين السياسيين والعسكريين في اسرائيل بسبب الاخفاقات التي نجمت في حرب تشرين الاول (اكتوبر) . والتي تتزعمها كتلة ليكود المعارضة وكتل معارضة اخرى. ولتتجنب التعرض للانتقاد من جانب هذه الجماعات في حالة عدم الرد على العملية ، خوفا من ان يؤثر ذلك على سمعة الفئة الحاكمة والمسيطرة على مقاليد الامور ، في زحمة الانقسامات والخلافات السياسية المتصاعدة .

٢ — اقناع العرب بان اسرائيل لا زالت قوية وقادرة على الردع والقيام بأعمال انتقامية ، وردع المنظمات الفدائية ومنعها من القيام بمثل هذه العمليات الانتحارية في المستقبل .

٣ — رفع الروح المعنوية المتردية في صفوف الجيش والشعب في اسرائيل ، ومحاولة لفت الانظار عن الصراعات الداخلية الدائرة في داخل اسرائيل .

٤ — ايجاد اسباب لتفجير التناقضات بين الحكومة اللبنانية والثورة الفلسطينية .

ان عملية « كريات شمونه » والتي جبلت بدماء الاحرار تعتبر تصعيدا للموقف العملياتي للفدائيين داخل الاراضي المحتلة ، وهي تدل على قدرة الفدائيين على توجيه الضربات الموجعة للعدو الصهيوني . ومن جهة اخرى تعتبر العملية الانتقامية التي نفذتها وحدات الجيش الاسرائيلي ضد القرى الامنة اللبنانية في الجنوب تصعيدا خطيرا للموقف العسكري من جانب اسرائيل ، ويمكن ان تجر عليها الويلات والمزيد من النكبات . وقد تخطىء اسرائيل ان هي اعتقدت انها بمثل هذه الاعمال المتطرفة يمكنها كبح جماح الفدائيين الفلسطينيين ، لان استمرارها باتباع هذه السياسة العدوانية المتطرفة لن تزيد الفدائيين الا تصميما على بلوغ الهدف المنشود في استعادة كافة حقوقهم في فلسطين المحتلة ومهما طال الزمن . ان تحريك مجموعة قتالية في داخل الارض العربية المجاورة لن يضمن لها الامن والاستقرار ولن يردع القوى العربية النامية والمتعاظمة . وستتحسر اسرائيل ان هي اعتقدت انه بلجوئها الى هذه الاساليب الانتقامية يمكنها ان تدفع بالدول العربية المجاورة، للعمل كشرطي للحدود ليصد عنها غارات أصحاب الحق في الارض . فلقد صرح في بيروت لجريدة النهار الصادرة في ١٩٧٣/٤/١٣ وزير الخارجية والمغتربين اللبناني بقوله « ان القاء مسؤولية الحادث على لبنان بسبب وجود الفلسطينيين على اراضيه فأمر مردود لان هذا الوجود على ارض لبنان وغيره من البلاد العربية هو نتيجة الارهاب الصهيوني في الارض الفلسطينية المحتلة ، وان لبنان مسؤول عما يحدث ضمن اراضيه وليس مسؤولا عما يحدث خارجها وبالتالي ليس في وسعه ان يكون شرطيا لحماية اسرائيل » . كما ان الجنرال احتياط شارون (عضو الكنيست الاسرائيلي) نفسه قال في جلسة الكنيست المنعقدة بتاريخ ١٩٧٤/٤/١٧ « لماذا نعتمد على حكومة لبنان ؟ فهل حكومة لبنان هي المسؤولة عن أمن دولة اسرائيل وسلامة مواطنيها ؟ ينبغي علينا ان نوضح لانفسنا وبصورة قاطعة ان اسرائيل مسؤولة عن أمنها ، وفقط اسرائيل ، ولكن لا يجوز ان نحمل لبنان المسؤولية » .

الرائد الطيار حسين عويضه

(٢) القضية الفلسطينية دوليا

تتلخص اهم التطورات الدولية بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي في الشهر الماضي بالاحداث التالية :

(١) رفع الحظر العربي عن شحن النفط الى الولايات المتحدة . منذ مطلع اذار بدا واضحا ان محورا مصريا — سعوديا أخذ يضغط بشدة داخل المجموعة العربية من أجل تلبية مطلب امريكا بالعودة الى تزويدها بالبترول . وتكون هذا المحور ، وفقا لمصادر امريكية مطلعة نتيجة نجاح كيسنجر باقناع الرئيس السادات بأنه من المتعذر على الولايات المتحدة ممارسة نفوذها على اسرائيل بشأن التسوية السلمية ما دام الحظر قائما ، وأنه من شأن مثل هذه الخطوة ان تسارع في جهود امريكا في المنطقة بالاضافة الى التخفيف من الضغوط السلبية المتزايدة التي يتعرض لها الرئيس نيكسون بسبب فضيحة ووترغيت . وبمقابل ذلك تبلور محور سوري — ليبي — جزائري داخل المجموعة العربية باتجاه معارضة رفع الحظر في هذه الفترة بالذات خاصة وان الجبهة في سوريا مشتعلة ولم تتحقق أية مكاسب بعد على صعيد فصل القوات المتحاربة في الجولان والتزام اسرائيل بالانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة . وبسبب المواجهة التي نشأت بين هذين المحورين سادت بلبلة بالنسبة الى اجتماعات وزراء النفط العرب التي انعقدت في النصف الاول من شهر آذار . فقد تم الاعلان عن عزم الوزراء على عقد اجتماع لهم في القاهرة بينما عارض آخرون ذلك وانتهى الامر الى عقد الاجتماع في ١٣ اذار في ليبيا . ويبدو ان الاجتماع قرر بالاكثرية رفع حظر النفط عن الولايات المتحدة الا انه تم تأجيل اعلان ذلك الى اجتماع لاحق في محاولة اخيرة لتفادي الانقسام العربي في هذا الموضوع الخطير .

وفي الوقت نفسه كان نائب الرئيس الامريكي يصرح بأنه علم بأن الحظر قد رفع من قبل العرب وان الاعلان الرسمي عن ذلك سيصدر خلال بضعة أيام . كما وجه نيكسون تحذيرا علنيا الى الدول العربية المنتجة للنفط بألا ترهن رفعها للحظر بأية شروط « لانه سيكون لمثل هذه الخطوة أثر عكسي على الجهود الامريكية المبذولة للوصول الى تسوية سلمية في الشرق الاوسط » . وفي الاجتماع الذي عقده وزراء النفط العرب في فيينا في ١٨ اذار أعلنوا قرارهم برفع الحظر عن الولايات المتحدة على أن يعاد النظر في هذا القرار ، شأنه في ذلك شأن القرارات الاخرى للوزراء ، في اجتماع يعقدونه في أول حزيران . ونص القرار أيضا على معاملة ايطاليا والمانيا الغربية كبلدين صديقين وتأمين حاجاتهما من النفط . وبرر المؤتمر قراره بقوله ، على لسان الناطق الرسمي باسمه ، بأن « السياسة الامريكية الرسمية قد أصبحت تتسم منذ وقت قريب باتجاه جديد نحو النزاع العربي الاسرائيلي وان الهدف من رفع الحظر هو تثبيت هذا الاتجاه ودفع امريكا لتتخذ موقفا أكثر تمشيا مع مبادىء الحق والعدالة تجاه الاراضي العربية المحتلة وحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة » وحمل المؤتمر اسرائيل مسؤولية امكان تطور الاحداث باتجاه قد يضطر الدول العربية المعنية الى اتخاذ اجراءات نفطية مشددة في المستقبل . وقد رفضت كل من سوريا وليبيا علنيا الموافقة على قرار المؤتمر وتحفظت الجزائر معتبرة القرار ذا صفة مؤقتة لكونه محدودا بمدة معينة . وذكر ناطق باسم الفريق المعارض ان كلا من ليبيا وسوريا ترى انه لم يحن الوقت بعد لرفع الحظر لان السياسة الامريكية لم تتبدل بما فيه الكفاية . وفي مؤتمر صحفي عقده الرئيس نيكسون في ٢١ اذار علق على قرار وزراء النفط العرب بقوله ان رفع الحظر يعني توفير مزيد من النفط للامريكيين على الفور والغاء الاوامر باغلاق محطات توزيع الوقود في أيام الاحاد . ونفى الرئيس نيكسون ان يكون قرار رفع الحظر قد جاء مرهونا بشروط . وبين ان سياسة حكومته هي السعي الى تحقيق سلام دائم في المنطقة بمعزل عن التطورات التي تطرأ على موضوع النفط ، وان حكومته ستستمر في دعم اسرائيل وسلامتها وفي السعي الى خلق علاقات جديدة مع مصر ودول عربية اخرى كانت قد قطعت علاقاتها بأمريكا . وشدد على أن الصداقة الامريكية لاحدى جارات اسرائيل لا تجعل امريكا عدوا لاسرائيل ، اذ أن مصالح اسرائيل الحيوية على المدى الطويل تتطلب وجود مثل هذه الصداقة « وقيام الولايات المتحدة

بدور بناء وايجابي في الشرق الاوسط » . امـا كيسنجر فقد علق على القرار العربي بقوله انـه لا يتوقع أن تعود الدول العربية الى فرض حظر النفط على بلاده . وكان تعليقه هذا ردا غير مباشر على بعض التفسيرات التي ذكرت أنه عندما يجتمع وزراء النفط في حزيران المقبل قد يعودون الى فرض الحظر اذا لم تحقق الجهود الامريكية في التسوية السلمية تقدما ملموسا . ويمكن اعتبار تصريح كيسنجر نوعا من التحذير الى الدول العربية حول خطورة اللجوء مجددا الى سلاح النفط .

(٢) تدهور العلاقات المصرية ــ السوفياتية تدهورا سريعا وعلنيا اوصلها الى حالة الجمود . منذ أن انتهت زيارة غروميكو لدمشق والقاهرة في اواخر شباط واوائل اذار اخذ تدهور العلاقات يظهر علنيا على شكل حملات اعلامية واحيانا على أعلى المستويات متبادلة بين مصر والاتحاد السوفياتي . ففي مطلع النصف الثاني من شهر اذار نشرت صحيفة البراغدا مقالا خرجت فيه عن تحفظها المعتاد حيال الولايات المتحدة وسخرت فيه من سياسة كيسنجر في الشرق الاوسط قائلة « انها ولدت فأرا » ، وشددت على ان امريكا ما زالت مستمرة في مساندتها لسياسة اسرائيل التوسعية على الصعيدين العسكري والاقتصادي . وأيدت استمرار حظر النفط باعتباره اثبت فعاليته كسلاح وأجبر واشنطن على القيام ببعض الخطوات الايجابية في الشرق الاوسط . وتبع ذلك سلسلة من المقالات في الصحافة السوفياتية اظهرت ميلا جديدا للتشدد والتصلب في موضوع التسوية في الشرق الاوسط وفي توجيه النقد للدور الامريكي مما يعني انتقاد السياسة المصرية المتجاوبة معه كليا. وركزت هذه المقالات على النقاط التالية :

(أ) تذكير العالم العربي بعدوانية الامبريالية الامريكية في الشرق الاوسط منذ عام ١٩٥٧ حتى الان .

(ب) انه على الرغم من اشتراك امريكا في مؤتمر جنيف بسبب النتائج الايجابية لحرب تشرين ١٩٧٣ فان الدوائر الامريكية الحاكمة لم تتخل عن مشاريعها الاستعمارية الجديدة في المنطقة وان الاحتكارات الاستعمارية تسعى الى استغلال الوضع الحالي وتضع المخططات للتغلغل في البلدان العربية وخاصة التقدمية منها في محاولة لجعلها تتخلى عن سياستها المعادية للامبريالية مقابل مساهمة امريكا في تسوية النزاع .

(ج) ان الولايات المتحدة تعمل على عزل البلدان العربية ليس عن الاتحاد السوفياتي فحسب بل أيضا عن حلفائها الاوروبيين الغربيين ، وشق الصفوف العربية واجبارهم على التخلي عن كل مكتسباتهم الاجتماعية .

(د) التأكيد على ان مجرد فتح قناة السويس لا يمكن في أي حال من الاحوال ان يكون بديلا لحل أزمة الشرق الاوسط في مجموعها .

وفي الفترة نفسها ظهرت في الاعلام المصري حملة على الاتحاد السوفياتي اتهمته بما يلي :

(أ) بالسلبية وبعدم التخلص من مركب النقص تجاه دبلوماسية كيسنجر النشيطة .

(ب) ان مصر تعرضت لحرب سياسية واقتصادية واستراتيجية عنيفة من جانب الولايات المتحدة بسبب علاقاتها بالاتحاد السوفياتي .

(ج) ان الاتحاد السوفياتي كدولة كبرى يرفض حق مصر كدولة صغيرة في الاتفاق مع الولايات المتحدة .

(د) ان الاتحاد السوفياتي يسعى الى ابقاء المنطقة في حالة حرب حتى يستطيع ان يواصل مناوراته وتدخلاته في الشؤون العربية .

(هـ) انه يسعى الى تجميد الوضع الراهن في الجولان ويرفض بيع أسلحة متطورة لبعض الدول العربية . وعلى سبيل المثال اتهم الصحفي المصري احسان عبد القدوس الاتحاد السوفياتي بخرق معاهدة الصداقة والتعاون المصرية ــ السوفياتية بسبب عدم استشارة مصر بالنسبة للمحادثات التي جرت بين نيكسون وبريجنيف واتهم الخبراء السوفيات الذين جاءوا الى مصر للاشتراك في عملية تطهير قناة السويس « بالاهتمام بجمع المعلومات عن كل ما يدور حول القناة من نشاط من دون ان يهتموا بدراسة عملية التطهير نفسها». ووصلت الحملة المصرية الى ذروتها في الخطاب الذي القاه الرئيس السادات في ٣ نيسان حيث أعلن ان الاتحاد السوفياتي كان دائما ضد العمل العسكري من اجل كسر الجمود الذي كان مسيطرا على أزمة الشرق الاوسط واتهمه بالتلكؤ في تزويد مصر بالاسلحة ، كما قال ان اخراج

الخبراء السوفيات من مصر كان خطوة في الاعداد لدخول الحرب وبأن قرار القتال كان قرارا مصريا مئة بالمئة وضد ارادة الدولتين العملاقتين . وقد رد الاعلام السوفياتي على هذه الحملة عموما وعلى خطاب الرئيس السادات بالتحديد فنفى بشدة ان يكون الاتحاد السوفياتي قد عارض استخدام العرب للقوة في نزاعهم مع اسرائيل وشدد على الدور الذي قام به السوفيات في مساعدة مصر وسوريا في النهوض من هزيمة حزيران وفي تعديل ميزان القوى لمصلحة العرب مبينا أنه لولا المساعدات السوفياتية لما كان باستطاعة مصر وسوريا ان تحققا ايا من النجاحات التي حققتاها في حرب تشرين ١٩٧٣ ، لان ما تحقق على صعيد تحطيم اسطورة الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر قد جاء « نتيجة شجاعة الجنود والضباط العرب وبسالتهم من ناحية وفاعلية الاسلحة السوفياتية التي تم استخدامها بنجاح من ناحية ثانية » . وحذر الاعلام السوفياتي من محاولات التقليل من اهمية التعاون العربي السوفياتي لان ذلك سيلحق ضررا كبيرا بالدول العربية وخاصة في الظروف الراهنة حيث يشكل التعاون الاقتصادي والعسكري مع الاتحاد السوفياتي الدعامة الاقوى في تعزيز الموقع العربي النضالي من أجل تحقيق تسوية عادلة في الشرق الاوسط . كذلك أشار الاعلام السوفياتي الى أنه حتى دايان اعترف بأن العرب كانوا مجهزين في حرب تشرين بأسلحة ومعدات تقنية اكثر فعالية مما هو متوفر لدى الجيش الاسرائيلي نفسه . وقد ذكرت انباء صحفية بأن الاتحاد السوفياتي بعث بمذكرة شديدة اللهجة الى الحكومة المصرية شددت على المواقف السوفياتية المؤيدة دوما الى حق مصر في استرداد أراضيها المحتلة بالقوة . واستشهدت المذكرة بمجموعة كبيرة من محاضر المحادثات المصرية — السوفياتية السابقة والبيانات الرسمية المشتركة التي أيدت هذا الحق . كما ردت المذكرة على ما قاله السادات حول التلكؤ السوفياتي في توفير الاسلحة اللازمة بتبيان كميات ونوعيات الاسلحة والمعدات العسكرية التي حصلت عليها مصر منذ هزيمة ١٩٦٧ .

(٣) الاتصالات الامريكية — السوفياتية على أعلى المستويات في ما يتعلق بمساعي التسوية السلمية في الشرق الاوسط . في ٢٣ اذار بدأ كيسنجر زيارة لموسكو حيث بحث مع الزعامة السوفياتية في موضوعين اساسيين هما الوضع في الشرق الاوسط ومشكلة نزع السلاح . وتمت هذه الزيارة في اجواء تدل على نوع من التدهور البطيء في سياسة الانفتاح السوفياتي — الامريكي. ويبدو ان محادثات كيسنجر تناولت القضايا المختلف عليها بالنسبة للشرق الاوسط والتي تتلخص بما يلي :

(أ) اصرار الاتحاد السوفياتي على ايجاد حل شامل لكل القضايا العالقة بالنسبة للنزاع العربي — الاسرائيلي وذلك في وقت واحد في حين ان امريكا تريد تجزئة القضية تحت ستار حل المشكلات تدريجيا مبتدئة بالمشكلات التي تعتبرها سهلة ومؤجلة المشكلات « المستعصية » مثل مسألة حقوق الشعب الفلسطيني ووضع القدس .

(ب) شعور الاتحاد السوفياتي بأن الاهتمام بموضوع فصل القوات قد طغى كليا على مشكلة الشرق الاوسط مما يعني ضرورة الاصرار على الا يغيب الهدف النهائي عن الانظار وهو الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة وتحقيق اتفاق سلام شامل . بينما لا ترى امريكا مثل هذا الرأي .

(ج) رغبة الاتحاد السوفياتي في ان يكون مؤتمر جنيف حول الشرق الاوسط هو محور كل المحادثات المتعلقة بالنزاع العربي — الاسرائيلي ، في حين تشدد الولايات المتحدة على دبلوماسية كيسنجر والاتصالات الثنائية .

(د) اعتقاد امريكا بأن الاتحاد السوفياتي يحث سوريا على التشدد بمطالبها بالنسبة لتحقيق فصل القوات في جبهة الجولان ، في حين تريد اقناع القيادة السوفياتية بالتخلي عن هذا الموقف .

وذكرت انباء صادرة عن مراجع امريكية بأن كيسنجر لم يتمكن من التوصل الى اتفاق مع الزعامة السوفياتية حول النقاط المختلف عليها او تسويتها معهم . وعلى أثر انتهاء زيارته صدر بيان مشترك ذكر ان الفريقين أوليا اهتماما خاصا للسلام في الشرق الاوسط في محادثاتهما وانهما اخذا بعين الاعتبار دور كل منهما الخاص في مؤتمر جنيف وانهما سيبذلان جهودا من أجل ايجاد حل للمسائل الاساسية المتعلقة باتفاق سلام في المنطقة .

(٤) التطورات التي طرأت على المساعي السياسية لفصل القوات في جبهة الجولان المشتعلة . وتلخصت هذه التطورات بما يلي :

(أ) الزيارة التي قام بها دايان في منتصف شهر اذار الى واشنطن حيث قابل كيسنجر ونقل اليه مشروع اسرائيل لفصل القوات مع سوريا . كذلك اجرى محادثات مع المسؤولين الامريكيين تتعلق بتزويد اسرائيل بمزيد من الاسلحة والاعتدة الحربية . وتردد أن المشروع الذي حمله دايان لفصل القوات يدعو الى حصر عملية الفصل في الجيب الذي احتلته اسرائيل في حرب تشرين، والى اقامة منطقة عازلة بين قوات الطرفين ترابط فيها قوة الطوارىء الدولية ، هذا بالاضافة الى تبادل اسرى الحرب كجزء أصيل من اتفاق الفصل بين قوات الطرفين . وقد وصف كل من دايان وكيسنجر محادثاتهما « بأنها كانت بناءة جدا » . (اوضح الوزير الامريكي بأنه سينقل المشروع الاسرائيلي الى سوريا) وأعلنا بأنهما واثقان من أنه سيتسم التوصل قريبا الى اتفاق مع سوريا في الجولان. وقال دايان بالتحديد « ان الاتفاق مع سوريا قد يتم في المستقبل القريب » . بينما ذكر كيسنجر بأن محادثاته مع دايان حققت تقدما جيدا وانه يعتقد بأنه سينجح في تحقيق هدفه كما نجح في فصل القوات على الجبهة المصرية . وأكد كيسنجر بأن الاحتمالات اصبحت قوية في أن تشترك سوريا في مؤتمر جنيف بعد اتفاق فصل القوات في الجولان. وعلى صعيد اخر طلب دايان من امريكا تزويد بلاده بمزيد من الاسلحة والدبابات والصواريخ واجتمع بهذا الصدد بلجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ الامريكي . وذكرت « النيويورك تايمس » ان الرئيس نيكسون ينوي زيادة المساعدات العسكرية لاسرائيل بما قيمته ٧٠٠ مليون دولار بحيث يصل الرقم الاجمالي الى ٢٢٠٠ مليون دولار . كما تأكد ان كيسنجر ونيكسون يتشاوران حول تحويل مليار ونصف المليار من المبلغ المذكور الى هبة لاسرائيل .

(ب) قيام وفد رسمي سوري برئاسة اللواء احمد الشهابي ، رئيس الاستخبارات العسكرية، بالتوجه الى واشنطن في النصف الاول من شهر نيسان لاجراء محادثات مع كيسنجر حول موضوع فصل القوات في جبهة الجولان . وقد ذكرت مصادر سورية مطلعة أن الوفد لا يحمل صلاحيات الدخول في مفاوضات حول الفصل بل ستكون مهمته محصورة في اطلاع كيسنجر على وجهة النظر السورية والحصول منه على الاقتراحات الاسرائيلية المعنية. وترددت أنباء تقول أن الموقف السوري يدعو الى انسحاب القوات الاسرائيلية ، في المرحلة الاولى، من الجيب المحتل في الحرب الاخيرة ومن مدينة القنيطرة على أن تتعهد اسرائيل بالانسحاب فيما بعد من كل الاراضي السورية المحتلة وفقا لجدول زمني . كذلك ذكرت الانباء ان دايان عبر امام كيسنجر عن استعداد اسرائيل للانسحاب من مدينة القنيطرة شرط الاحتفاظ بثلاثة تلال استراتيجية تطل احداها على المدينة وتتحكم عسكريا بمصيرها. اما سوريا فهي مصرة اصرارا تاما على استعادة هذه التلال في المرحلة الاولى من الانسحاب الاسرائيلي . وقبل الاجتماع بالوفد السوري صرح كيسنجر بأن قراره المتعلق بالسير قدما بزيارة الى الشرق الاوسط مرهون بنتائج اجتماعه بالوفد السوري وبتطورات الوضع الحكومي في اسرائيل. وعلى أثر انتهاء اجتماعات الوفد السوري بالوزير الامريكي صرح كيسنجر بأنه سيعود الى زيارة المنطقة قبل نهاية شهر نيسان في محاولة للتوصل الى اتفاق فصل القوات في الجولان . كما قال ان محادثاته مع رئيس الوفد السوري كانت « مفيدة جدا وتفسح المجال امام الجهود الامريكية كي تحرز تقدما » . وجدير بالذكر هنا أن اسماعيل فهمي وزير خارجية مصر شارك بصورة فعالة في المباحثات السورية الامريكية .

(ج) الزيارة التي قام بها الرئيس الاسد الى موسكو في النصف الاول من شهر نيسان على رأس وفود حزبية وحكومية واقتصادية سورية رسمية . واكتسبت هذه الزيارة اهميتها بسبب استمرار القتال العنيف على الجبهة السورية وعدم وجود أي دليل على حدوث اي تقدم ملموس على صعيد فصل القوات في الجولان او على التزام اسرائيل بالانسحاب الكلي من الاراضي المحتلة . كما اكتسبت الزيارة اهمية اضافية لان مباحثات الرئيس الاسد لم تقتصر على القضايا العسكرية والسياسية بل شملت قضايا انمائية واقتصادية وتجارية وصناعية وثقافية هدفها تجديد الاتفاقات السورية — السوفياتية السابقة ، وعقد اتفاقات وبروتوكولات جديدة ترمي الى تنمية التعاون بين البلدين في كافة هذه المجالات . وفي مأدبة أقيمت

على شرف الضيف السوري انتقد الزعيم السوفياتي ليونيد بريجنيف مساعي كيسنجر في الشرق الاوسط حيث قال ان الموضوع في المنطقة ما زال خطرا ومتفجرا واتهم اسرائيل وحماتها بالتهرب من حل المشكلة بشكل جذري وشامل وذلك باللجوء الى ما وصفه بريجنيف « بالخطط البديلة » للتسوية والمقصود منها الاستعاضة عن التسوية الشاملة باتفاقات جزئية . كما أكد اتفاق الاتحاد السوفياتي الكلي مع سوريا على ان أي اتفاق للفصل بين القوات لا بد وان يكون جزءا من تسوية شاملة في المنطقة وخطوة نحو الانسحاب التام للقوات الاسرائيلية من كل الاراضي العربية المحتلة . وانتهت المحادثات بتوقيع اربعة اتفاقات ضمت اتفاقا طويل الامد حول التعاون الفني والاقتصادي ، وبروتوكولا للتجارة ، وخطة للتعاون الثقافي والعلمي خلال عام ١٩٧٤ — ١٩٧٥ ، واتفاقا حول العلاقات بين الحزب الشيوعي السوفياتي وحزب البعث العربي الاشتراكي . كما تم توقيع بيان مشترك سينشر نصه عند انتهاء جولة الرئيس الاسد في بعض مناطق الاتحاد السوفياتي . مع ذلك أصدرت وكالة تاس بيانا صحافيا حول الزيارة ذكرت فيه ان المحادثات تركزت على الموقف في الشرق الاوسط حيث ما زالت الاوساط الحاكمة الاسرائيلية والقوى الخارجية التي تدعمها تتبع سياسة تشكل خطرا على قضية السلام في المنطقة. كما أكد البيان عزم الجانبين على مواصلة الجهود من أجل احلال سلام عادل ودائم في المنطقة على اساس تحرير كل الاراضي العربية المحتلة وضمان الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني . وذكر ان الاتفاقات التي تم عقدها ستساعد سوريا في تطوير اقتصادها الوطني المستقل وتقوية قدراتها الدفاعية .

(٥) الزيارة التي قام بها الملك حسين الى الولايات المتحدة في النصف الاول من شهر آذار حيث قابل كبار المسؤولين بما فيهم الرئيس نيكسون ونائبه فورد ، وكيسنجر ووزير الدفاع واعضاء لجنة الشؤون الخارجية في كل من مجلسي النواب والشيوخ . كما ألقى كلمة في النادي الوطني الامريكي للصحافة . وتناولت محادثاته موضوع التسوية السلمية ومستقبل الضفة الغربية بالتحديد. هذا بالاضافة الى مسألة زيادة المساعدات العسكرية الامريكية للاردن بما في ذلك تزويده بصواريخ ارض جو من نوع هوك وتمديد اتفاق المساعدة العسكرية للاردن الذي تنتهي مدته في ٣٠ حزيران المقبل وتبلغ قيمته ١٢٠ مليون دولار . وذكر الناطق باسم البيت الابيض ان مباحثات الملك مع نيكسون كانت ودية وتناولت الوضع الذي سيكون للفلسطينيين في الضفة الغربية ضمن اطار أية تسوية شاملة لازمة الشرق الاوسط . وفي الخطاب الذي القاه في نادي الصحافة ذكر الملك انه لا حاجة لاسرائيل لان تعيش في خوف من جيرانها العرب وانه على استعداد لقبول قيام دولة فلسطينية مستقلة اذا قرر الفلسطينيون ذلك في استفتاء حر بعد انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية وعودتها الى الاردن . كما ذكر في مقابلة أجرتها معه النيويورك تايمس في ١٦ آذار ان فرص التوصل الى سلام دائم في المنطقة قد تعززت كثيرا في الاشهر الاخيرة وعلى هذا الاساس وجه دعوة الى اسرائيل لقبول عرضه بفتح مفاوضات مع الاردن بواسطة الولايات المتحدة . وانتقد وجهة نظر اسرائيل القائلة بتأجيل التفاوض معه الى ما بعد فصل القوات في سوريا . وذكر بهذا الصدد « ان الاردن قام بكل ما في وسعه لاحلال سلام دائم ولا يجوز ان يعاقب على الاعتدال الذي يظهره » . كذلك أكد الملك الانباء التي كانت قد ترددت حول قيامه بتقديم اقتراح الى اسرائيل كي تنسحب قواتها من منطقة وادي الاردن على عمق يراوح بين ٨ و١٦ كيلومترا كمرحلة اولى في التوصل الى تسوية سلمية. الا ان اسرائيل أهملت اقتراحه. كما ذكر ان مشكلة القدس ستكون عسيرة الحل الا ان عودة السيادة العربية عليها لا تعني العودة الى ظروف ما قبل ١٩٦٧ . واخيرا أكد بانه يريد الحصول على أسلحة امريكية لتحديث جيشه كي يصبح بامكانه مواجهة تطورات الوضع في المنطقة، وأوضح انه لا يعني بذلك اسرائيل فحسب بل سوريا والعراق ايضا .

وعلى اثر عودة الملك حسين الى عمان صرح رئيس حكومته بأن السلطات الامريكية وافقت على تقديم دعم لموازنة الدولة في الاردن لهذا العام وتقديم قروض ومساعدات للتنمية كما وافقت على برنامج جديد للمساعدات العسكرية التي ستشمل أسلحة حديثة ومتطورة في المستقبل القريب .

(٦) على أثر سقوط حكومة حزب المحافظين في بريطانيا وتسلم زعيم حزب العمال هارولد ويلسون

رئاسة الوزراء سرت تخوفات في الاوساط السياسية العربية حول طبيعة السياسة التي ستتبعها الحكومة البريطانية الجديدة ازاء النزاع العربي — الاسرائيلي خاصة ان زعامة حزب العمال كانت قد أدلت بتصريحات هي بمنتهى التحيز لاسرائيل عندما كانت في المعارضة وخاصة اثناء حرب تشرين الاخيرة . الا ان حكومة ويلسون سارعت الى تطمين الزعماء العرب حول عدم نيتها تبديل سياسة الحكومة السابقة فيما يتعلق بقضية الشرق الاوسط . واوضح ان خوف الحكومة الجديدة من حظر النفط عن بريطانيا يكمن خلف هذا الموقف . أرسل ويلسون رسالة الى الرئيس السادات في الاسبوع الثاني من شهر آذار أكد فيها ان حكومة العمال تنوي اتباع سياسة محايدة بين الدول العربية واسرائيل . وقد أكدت مصادر مطلعة ان الرسالة صيغت بلهجة ودية جدا وشددت على ضرورة استمرار التحسن في العلاقات البريطانية المصرية . كذلك شدد وزير الخارجية في الحكومة العمالية في خطاب القاه في البرلمان حول الشؤون الخارجية على ان اسرع حل عادل ودائم لمشكلة الشرق الاوسط هو تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ تنفيذا كاملا على ان تنص التسوية على « ابراز شخصية الشعب الفلسطيني » . كذلك أصدرت الحكومة العمالية في اواخر آذار بيانا أيدت فيه البيان الصادر عن الدول التسع الاعضاء في السوق الاوروبية المشتركة حول النزاع العربي — الاسرائيلي ، وهو البيان الذي صدر في ٦ تشرين الثاني ١٩٧٣ وشدد على ضرورة انهاء الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية وضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

صادق جلال العظم

صدر حديثا عن مركز الابحاث

اليوميات الفلسطينية

المجلد الخامس عشر

من ١/١/١٩٧٢ الى ٣٠/٦/١٩٧٢

والمجلد عبارة عن وصف موجز ودقيق لما يحصل في العالم مما له علاقة مباشرة بقضية فلسطين ، او ما يقال او يكتب عنها، يوما بعد يوم ، مهما كان نوع الفعل وأيا كان مصدره. وهو ملحق بفهرسين مفصلين (واحد للاعلام وآخر للموضوعات) وبجدول بعمليات المقاومة الفلسطينية .

سعر النسخة ٢٠ ل.ل. تضاف اليها أجور البريد الجوي :
٢ ل.ل. في العالم العربي ، ٤ ل.ل. في اوروبة ، ٨ ل.ل. في سائر الدول .

أطلبه من مركز الابحاث : قسم التوزيع

ص. ب ١٦٩١ — بيروت

(٣) المناطق المحتلة

التوجه الاردني نحو الضفة الغربية

بينما كان الملك حسين يواصل خلال الفترة الماضية جولاته العربية والدولية ، كانت الاجهزة الاردنية ذات العلاقة تواصل نشاطاتها الخاصة بدعم التوجه الاردني العام حيال الضفة الغربية. وقد اخذ هذا التوجه يتبلور من خلال عدة اقنية اهمها :

١ ــ **اعادة صرف الرواتب** : تمشيا مع القرار السابق للحكومة الاردنية والقاضي باستئناف دفع مرتبات موظفي المؤسسة الاردنية السابقة في الضفة الغربية ، وفق قواعد محددة (راجع شؤون فلسطينية العدد السابق) ، فقد تمت خلال الفترة الماضية عدة صرفيات . غير ان الطريقة التي كانت متبعة في هذا المجال قبل تجميد الرواتب عام ١٩٧١ ، وهي التفاويض الشخصية ، لم تعد قائمة . فقد ذكرت صحيفة القدس يوم ٣/١٢/ ١٩٧٤ ، ان التعليمات قد صدرت في عمان بصرف رواتب موظفي الضفة الغربية **بصورة شخصية** ، لان صيغة التفويض لم تقرر بعد . وفي اليوم التالي ذكرت القدس ان مجلس الوزراء الاردني وافق على صرف مبلغ ٢٥٠ الف دينار من الالتزامات المالية الصادرة بموجب قرارات اللجنة العليا لشؤون الارض المحتلة ، تجاه الدوائر والمؤسسات والهيئات والجمعيات في الضفة الغربية والتي يبلغ مجموعها نحو ٤٥٠ الف دينار . وقالت «القدس» ان هذه المبالغ **تشمل** رواتب موظفي الضفة الغربية التي تقرر استئناف دفعها ابتداء من ٢/١/ ١٩٧٤ (القدس ٧٤/٣/١٣) . الا ان جريدة الشعب التي نقلت الخبر نفسه ذكرت ان هذه المخصصات **لا تمت بصلة** لرواتب موظفي الضفة التي تقرر صرفها ابتداء من اول شباط (الشعب ١٩٧٤/٣/١٣) .

أما تفاصيل دفع الرواتب لموظفي الضفة الغربية فقد نشرتها جريدة الشعب في عددها الصادر يوم ٣/١٥ . وجاء فيها : « وصلت أمس قوائم دفع الرواتب من عمان لموظفي الضفة الغربية المحتلة ، وشملت هذه القوائم دوائر : البريد ، الزراعة ، والبيطرة ، والجمارك ، والحراج ، وهي عن شهر شباط الماضي . ولوحظ انها مقتصرة على الراتب الاساسي فقط من غير علاوات ، كما كان مفهوما ، او كما يقتضي القانون والموازنة التي تعتبرهم موظفين على كوادرها مثلهم في ذلك مثل موظفي الضفة الشرقية . أما رواتب المتقاعدين فقد وصلت كاملة اي بالراتب الاساسي مع العلاوة حسب العادة والاصول ، خلافا لرواتب العاملين » . وقالت الصحيفة ان رواتب الموظفين الذين لم يعملوا تحت ظل سلطات الاحتلال فقد دفعت اليهم رواتبهم كاملة ، اي الراتب الاساسي مع العلاوة ، مضافا اليها علاوة التقدير والاعاشة البالغة ٥٠ ٪ من الراتب الاساسي ، الامر الذي يصبح معه الراتب الاساسي لموظف قدره ٣٠ دينارا هو ٤٥ دينارا مضافا اليها علاوات الثلاثين دينارا الثابتة . اما موظفو التربية والتعليم ، فقد تأخر دفع رواتبهم لاسباب « ادارية » ، ذلك ان قوائم الدفع كبيرة وهناك تشكيلات طارئة على المعلمين ،كالترفيعات والزيادات السنوية وما شابهها ، ومع ذلك أبلغ حملة التفويضات والموظفين في التربية والتعليم بالضفة ، بوجوب عمل تفويضات جديدة تشمل شهري شباط وآذار معا ، وانها ستدفع لهم اما في نهاية شهر اذار او في بداية شهر نيسان ، وانها ستكون على غرار الدوائر الاخرى ، اي الراتب الكامل (الاساسي) مع العلاوات (الشعب ٧٤/٣/١٥) .

وحول رواتب المعلمين بصفة خاصة ذكرت « القدس » ان مديرية الموظفين بوزارة التربية والتعليم الاردنية ، باشرت باعداد قوائم رواتب معلمي ومعلمات الضفة الغربية تمهيدا لصرفها قبل نهاية الشهر الجاري . ونقلت الصحيفة عن مضر بدران وزير التربية والتعليم ومدير المخابرات الاردنية السابق ، قوله بأن سبب التأخير في الصرف يعود الى الوقت الطويل الذي استغرقته عملية اعداد القوائم نظرا لكثرة عدد العاملين في جهاز التربية والتعليم في الضفة الغربية والذين يزيد عددهم على ٣٥٠٠ موظف . وقال أن عملية الصرف استلزمت الرجوع الى ملفات هذه الفئة لمعرفة الرواتب الحالية وما طرأ عليها من تعديلات بسبب الترفيع والزيادات واحالات التقاعد وعلاوات العائلة ، بالاضافة الى الاسس التي سيتم

بموجبها تحديد استحقاق كل موظف حفاظا على مصلحة الموظف وخزينة الدولة (القدس ٧٤/٣/١٧) .

غير أن الذي يثير الانتباه حقا ، تلك الشروط الغريبة التي اشترطتها وزارة العدلية في الاردن لصرف رواتب موظفيها (المحاكم) في الضفة الغربية . فقد رفضت وزارة العدلية دفع رواتب موظفي المحاكم من الكتبة في الضفة،لان التفويضات التي ارسلوها يجب ان تكون على نموذج مختلف على باقي موظفي الضفة ، والتي ينص فيها عادة على ان الموظف ما زال على رأس عمله مع تصديق من معتمدي دائرته او وزارته بصحة ذلك . والامر الغريب أيضا في اشتراطات وزارة العدلية الاردنية هو الطلب الذي يوجب ان يتضمنه التفويض فقرة تقول بأن الموظف « ما زال يتقاضى راتبه من سلطات الاحتلال » (الشعب ٧٤/٣/٣١) .

٢ ــ التحرك السياسي : تمحور التحرك السياسي الاردني في الضفة الغربية خلال الفترة الماضية حول هدف محدد هو : تطويق الانجازات السياسية التي حققتها منظمة التحرير الفلسطينية على الصعيد الدولي ، والالتفاف الجماهيري الواسع التي حظيت به المنظمة داخل الضفة الغربية وقطاع غزة .

استخدم النظام الاردني في تحركه هذا جريدة القدس ، المعروفة بولائها للملك حسين وتبنيها لسياساته في الاراضي المحتلة . فقد طلعت علينا هذه الصحيفة في عددها الصادر يوم ١٩٧٤/٣/٨ تحمل في صدر صفحتها الاولى العناوين الرئيسية التالية : « الاردن يتخلى عن الضفة الغربية للفلسطينيين . حسين سيعلن « نفض يد الاردن » من الضفة بعد اجتماعه مع نيكسون والسادات . السادات وغروميكو يؤكدان ان الضفة الغربية لن تعود الى الاردن » . وقالت القدس ان الملك حسين سيعلن قبل نهاية شهر اذار موقف حكومته بالنسبة لمستقبل الضفة الغربية . « والاتجاه السائد الان هو اتاحة الفرصة امام الفلسطينيين، لاقامة حكم فلسطيني مستقل في الضفة الغربية وقطاع غزة » . ونقلت القدس على لسان الرئيس المصري انور السادات قوله لعدد من أبناء الضفة الغربية الذين زاروا القاهرة مؤخرا ، ان الحكومة الاردنية « لن تتسلم مسؤولية الاشراف على الضفة الغربية بعد انسحاب القوات الاسرائيلية منها » . وقالت على لسان السادات أيضا ، ان من حق الفلسطينيين في الضفة والقطاع « تقرير مصيرهم بحرية مطلقة ، واقامة حكومة فلسطينية مستقلة ، ثم لهم فيما بعد ان يحددوا نوع العلاقة التي يرغبون الارتباط بها مع الضفة الشرقية » . وذكرت الصحيفة على لسان احد المسؤولين الاردنيين قوله لاحد ابناء المناطق المحتلة ، ان سياسة الاردن الجديدة تقوم على اساس « نفض اليد » من الضفة الغربية « نتيجة للضغوط العربية وكذلك بتأثير من الخط السياسي الذي تتبعه روسيا واميركا في هذا الشأن » ..

وفي يوم ٣/١٠ خرجت القدس بعنوان رئيسي آخر يحمل نفس التوجه السابق ، فيما بدى انه حملة جس نبض لابناء الضفة الغربية ، تقوم به الصحيفة لحساب الحكومة الاردنية . فتحت عنوان «حسين يعترف قريبا بالمنظمة ويلغي مشروع المملكة المتحدة. حكومة فلسطينية انتقالية في الضفة والقطاع لمدة ٥ سنوات . انتخابات عامة باشراف محايد ثم تشكيل حكومة دستورية » قالت القدس «ان المرحلة التالية من محادثات جنيف ستكون اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، على أن تتولى شؤون هذه الدولة حكومة انتقالية لمدة خمس سنوات ، مع نوع من المشاركة العربية في الادارة. وتتاح خلال هذه السنوات الفرصة لمن يرغب من الفلسطينيين المقيمين في الخارج ، بالعودة الى اراضي الدولة الفلسطينية الجديدة . وبعد انتهاء الفترة الانتقالية تجري انتخابات عامة باشراف محايد ، ثم تشكيل حكومة دستورية جديدة تتولى شؤون الحكم ، وتحديد نوع العلاقة بين هذه الدولة والدولة الاردنية والدول العربية والاجنبية». واضافت الصحيفة انه من « المحتمل ان يعلن الملك حسين اعترافه رسميا بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وينتظر ايضا ان يعلن الغاء مشروعه المعروف باسم المملكة العربية المتحدة » .

أما صحيفة الشعب ذات النفس الوطني الواضح فقد شرحت في عددها الصادر يوم ٣/١٢ تحركات النظام الاردني وتوجهاته هذه بقولها ، ان الحكومة الاردنية بالتعاون مع بقايا الهيئة العربية العليا وبعض المحسوبين على الحكومة الاردنية في الضفة والقطاع ، تحاول « الالتفاف من حول المنظمات الفلسطينية الممثلة الشرعية للشعب العربي

الفلسطيني » . وعددت هذه المحاولات فيما يلي:

١ ــ قيام حكومة « انتقالية » لمدة خمس سنوات يشترط فيها بموجب التخطيط الاميركي ــ الرجعي ــ الاسرائيلي ان تكون من شخصيات من خارج منظمة التحرير ، وان يشارك فيها الاردن على اساس ان الجهاز الحكومي قائم وموجود في الضفة الغربية وما زال مرتبطا بالاردن ، وان يجري استفتاء تحت اسم انتخابات عامة باشراف الجامعة العربية « تقوم بعدها الدولة بتقرير مصير الضفة والقطاع ، ومع الاردن بالدرجة الاولى ، تحت اسم علاقات جديدة » .

٢ ــ « اعادة احياء ما يسمى بالهيئة العربية العليا الناطقة الوحيدة باسم الشعب الفلسطيني ، الفلسطينية المقترحة ... على ان تكون الهيئة العليا الناطقة الوحيدة باسم الشعب الفلسطيني ، وتمارس حق بحث مصير الاراضي المحتلة والشعب» وقالت الصحيفة ان عناصر هذه الهيئة ستكون من « اليمين في الخارج ومن رجال الاردن المحسوبين ومن فئات تعايشية معروفة ايام الاحتلال الاسرائيلي » .

٣ ــ « قيام ادارة مدنية بصورة مستعجلة تكون نواة لقيام الاتجاهين السابقين ، سواء من حيث قيام الدولة او تشكيل الهيئة العليا على أن تكون هذه الادارة من الجهاز الاردني القائم ومن نوعية لا تتعداهما ، لتصبح الادارة الشكل الاول لقيام الهيئة العليا والدولة ذات الخمس سنوات ، بوصفها وحدة قائمة بحد ذاتها مع الضفة والقطاع. ولا مانع في حالة معينة ان يقوم اشراف شبه دولي بشكل شكلي على هذه الادارة لاعطائها الصفة الحيادية والوحدة الذاتية » . واكدت الصحيفة ان الحكم الذاتي والادارة المدنية هذه تجابه بمعارضة من قبل منظمة التحرير الفلسطينية ومن العناصر الوطنية الفلسطينية في الاردن ومن الجبهة الوطنية الفلسطينية في الضفة والقطاع .

٣ ــ العلاقة عبر الجسور وتحريك «الوجهاء»

منذ أن فتح النظام الاردني الجسور بين الضفتين عقب حرب حزيران ١٩٦٧ ، وهو يستخدم هذه الظاهرة كواحدة من اهم الاقنية السياسية ــ الاقتصادية في علاقاته مع الضفة الغربية ، بما يخدم تكريس نفوذه السابق في الضفة المحتلة . (لمزيد من التفاصيل راجع كتابنا سياسة الجسور المفتوحة الصادر عن مركز الابحاث) . وكما استخدم العدو الاسرائيلي اجراءات منع عبور الاشخاص ، والمنتوجات عبر الجسور لتحقيق بعض اهدافه السياسية ، لجأ النظام الاردني الى نفس الاجراءات لتحقيق جانب من اهدافه السياسية . وقد كثرت في الاونة الاخيرة اجراءات منع القادمين الى عمان من قبل الحكومة الاردنية، دون تفسير من جانبها لاسباب ذلك المنع . (راجع المناطق المحتلة من شؤون فلسطينية عدد ٣٢) . فقد ذكر احد تجار مدينة نابلس اثر عودته من عمان بان المسؤول الاردني على الجسر طلب اليه ابلاغ عشرة اشخاص من محافظة نابلس بانهم ممنوعون من دخول الضفة الشرقية. وهؤلاء العشرة هم ستة تجار من نابلس ، واثنان من جنين ، وواحد من طولكرم والعاشر من عرابة قضاء جنين (الشعب ٧٤/٣/٨) .

وفي يوم ٣/١١ اعادت السلطات الاردنية عددا من أبناء الضفة الغربية ومنعتهم من العبور الى الضفة الشرقية . اما الشخصيات والوجهاء فقد سمحت لهم السلطات الاردنية بمتابعة سفرهم الى عمان . ويأتي هذا الاجراء لليوم الثاني على التوالي دون ان تفصح عمان عن السبب الذي يجعلها تلجأ اليه في هذه المرحلة (الشعب ٧٤/٣/١٢) .

ونقلت « الشعب » في اليوم التالي عن صحيفة الدستور الاردنية خبرا مفاده ان الصحيفة الاردنية اوردت في صفحتها الاولى تحت عنوان «خبر اليوم» انه سوف تصدر « هذا الاسبوع » ارادة ملكية تتعلق باجراء مرتقب حول الجسور . ولم تورد « الدستور » اشارة او اضافة على هذا النبأ او ما تتوقع ان تكون عليه الخطوة الجديدة (الشعب ٧٤/٣/١٣) .

من جهة اخرى ، وفي الوقت الذي كانت فيه السلطات الاردنية تمنع عبور المسافرين الى عمان عبر الجسور ، كانت هذه السلطات تستدعي الوجهاء والمحاسيب للتشاور معهم بشأن الاوضاع السياسية الراهنة في المناطق المحتلة . فقد ذكرت الشعب انه قد وصل في بداية شهر اذار من عمان الى القدس الوزير السابق خلوصي الخيري في زيارة عمل قصيرة بوصفه عضوا في مجلس امناء المشروع الانشائي في اريحا . واجرى الخيري لدى وصوله عدة لقاءات مع رئيس مجلس الامناء موسى العلمي

وشخصيات اخرى في الضفة الغربية من بينهم اعضاء المجلس وبعض رؤساء البلديات وحكمت المصري وعبد الرؤوف الفارس . وقالت الصحيفة انه « بناء على استدعاء عاجل من مقامات عليا في عمان » قفل راجعا الى عمان ظهر يوم ٣/٨ بعد أن تقدم بطلب جمع شمل للسلطات المحتلة . واضافت « الشعب » ان رشاد الشوا رئيس بلدية غزة السابق رافق الخيري في عودته الى عمان « وفهم ان لاستدعائهما صلة بالاحداث والمقررات التي يزمع الاردن اعلانها حول مستقبل الضفة الغربية » . وكان من المقرر ان يزور الخيري شخصيات عربية في القدس والمثلث (الشعب ٧٤/٣/١٠) .

وذكرت « الشعب » بعد يومين من سفر الشوا الى عمان انه « يهدف الوقوف على التغيير الذي حدث مؤخرا على موقف حكومة الاردن في مسألة التمثيل الفلسطيني في مؤتمر جنيف». وكانت صحيفة يديعوت أحرونوت الاسرائيلية قد ذكرت قبل ذلك ان الملك حسين يوافق على اقامة تمثيل من قبل وجهاء المناطق المحتلة للاشتراك في المفاوضات باسم الفلسطينيين (الشعب ٧٤/٣/١٢) .

ومن ناحية اخرى نقلت « القدس » عن صحيفة هآرتس الاسرائيلية ان **اللقاءات تجددت بين الاردن واسرائيل** ، حيث عقد مؤخرا اجتماعان بمبادرة الاردن . وكان قد ذكر في السابق عن عقد عدة اجتماعات بين الطرفين شاركت فيها غولدا مائير والملك حسين . وتبين ان الاردن طلب استئناف هذه الاجتماعات ليوضح لاسرائيل انها اذا لم تقدم تعهدا بالانسحاب من الضفة الغربية فان الاردن سينفض يده من الضفة وعلى اسرائيل في هذه الحالة ان تسعى الى اتفاق مع ممثلي الفلسطينيين . وفي الاجتماعين اللذين عقدا مؤخرا جرت محاولات لتقريب وجهات نظر الطرفين بشأن امكانية الفصل بين القوات على نهر الاردن . وعلم ان ممثلي اسرائيل قالوا في هذين الاجتماعين ان حكومتهم لم تتخذ قرارا بعد بشأن مستقبل الضفة الغربية ولذلك فانه ليس باستطاعتها اعطاء رد رسمي لممثلي الاردن (القدس ٧٤/٣/١٥) .

ومن المعروف ان الملك حسين كان في زيارة رسمية للولايات المتحدة وقت نشر هذه الانباء في صحيفة القدس الموالية له في الضفة الغربية ، تلك الزيارة التي توقعت خلالها الصحف الاسرائيلية ان يتم في اعقابها وبعد جولة الملك في بعض العواصم العربية ان يتخذ قرارا بتقليص مملكته في حدود الضفة الشرقية فقط .

اضراب السجناء

في الاول من اذار (مارس) الماضي ، اعلن المعتقلون الفلسطينيون في سجن نابلس ، اضرابهم عن مقابلة ذويهم ، احتجاجا على سوء المعاملة التي يلقونها في السجون الاحتلال . وكما لم تتوقع سلطات الاحتلال الاسرائيلية ، امتد الاضراب من سجن نابلس ليشمل كافة السجون والمعتقلات الاسرائيلية ، خاصة في سجون بئر السبع وعسقلان وشطة وغزة ... الخ .

اثار اعلان السجناء عن اضرابهم هذا ردود فعل شعبية واسعة شملت الضفة الغربية وقطاع غزة . وقامت الهيئات البلدية والنسائية والعمالية والمهنية وغيرها برفع مذكرات الاحتجاج الى سلطات الحكم العسكري ، تطالب فيها بالكف عن تلك الاجراءات المتبعة في التحقيق مع المعتقلين ، وتطبيق معاهدة جنيف الخاصة باسرى الحرب على المعتقلين الفلسطينيين ، وتحقيق مطالب السجناء الاساسية بتحسين الاوضاع والمعاملة خاصة في سجن بئر السبع الذي مضى على اضرابهم فيه اكثر من ثمانية أشهر ، والسماح للجنة دولية بالتحقيق فيما يجري داخل المعتقلات الاسرائيلية ... الخ .

وبعد ان رفعت المذكرات والعرائض المختلفة ، وجرت بعض الاعتصامات من قبل امهات المساجين ، خاصة في نابلس ، تشكلت لجنة تتألف من بعض المحامين العرب في الضفة الغربية واسرائيل ، للدفاع عن السجناء والمعتقلين العرب في السجون الاسرائيلية (الشعب ١٩٧٤/٣/١٠) .

وفي يوم ١٠ اذار (مارس) نشرت صحيفة القدس نص مذكرة رفعتها امهات المعتقلين في سجن نابلس الى موشيه ديان ورفائيل فاردي الحاكم العسكري العام في الضفة الغربية وقعها الى جانب الامهات عدد من رؤساء البلديات . وجاء في المذكرة: « نحن الوفود القادمة من جميع المناطق ، والضفتين الشرقية والغربية ، من امهات المعتقلين نصر على معرفة أسباب الاضراب الذي يهدد حياة ابنائنا بالخطر ، بعد أن منعنا اليوم (أمس) من مقابلة

أبنائنا في سجن نابلس . كما نحتج على المعاملة اللاانسانية التي عوملنا بها امام السجن ورفض السلطات مقابلة وفد يمثلنا . اننا نطالب باصرار التحقيق في اوضاعهم واطلاق سراح الموقوفين والسماح للجنة دولية للتحقيق بما يجري داخل السجون وتطبيق حقوق الانسان داخل السجون الاسرائيلية » (القدس ١٩٧٤/٣/١٠) .

وتحت الضغط الشعبي وافقت سلطات الحكم العسكري يوم ٣/١١ . فاجتمع وفد من مدينة نابلس مؤلف من رئيس البلدية الحاج معزوز المصري وحسن عبد الهادي وظافر المصري ووليد استيتية عن الغرفة التجارية بالمدينة ، مع وفد من السجناء منهم زهير سعدات الدبعي ، حسان عبد الرحمن الصدر ، تحسين الحلبي وعثمان زعيتر ، بحضور مدير سجن نابلس وبعض العسكريين الاسرائيليين. ولدى توجيه الحاج المصري سؤالا الى المساجين عن سبب اضرابهم اجابوا : « ان الاضراب كان وسيلة وليس هدفا . ان اوضاعنا السيئة جدا ستؤثر حتما على مستقبلنا وحالتنا الصحية ، وسننتقل من السجن الى جمعيات المكفوفين او ملاجىء العجزة بعد خروجنا من السجن اذا استمر الحال على ما هو عليه الان . نريد ان يعاملونا بموجب معاهدة جنيف والمواثيق الدولية وليس كما هو معمول به في بعض الدول الافريقية التي تحكمها الانظمة العنصرية . نريد الكتب والصحف ... وقرأ محمد رشاد عواد الطلبات التالية :

١ — توفير المعاملة الانسانية . ٢ — تحسين الخدمات الطبية وتوفير المعالجات . ٣ — تحسين الطعام والسماح بتمديد مدة عرض اجسام السجناء للشمس . ٤ — العديد من السجناء يقاسون الآلام وبحاجة قصوى الى عمليات جراحية منذ سنوات. وحتى ان بعضهم قد فقد بصره نتيجة ذلك . ٥ — تحسين اوضاع الغرف بحيث لا تحجب الحواجز الشمس عن السجناء . ٦ — توفير المزيد من الكتب العلمية والثقافية مع الصحف . ٧ — هناك العديد من الموقوفين بدون محاكمة او انتهت مدة سجنهم » .

ومن ناحية اخرى بعث الشيخ محمدعلي الجعبري ببرقية اخرى الى وزير الدفاع والحاكم العسكري العام حول اوضاع السجناء جاء فيها : « الناس قلقون على ابنائهم السجناء في السجون الاسرائيلية، لان سجناء سجن بئر السبع اضربوا منذ بضعة أشهر حتى عن قبول زيارة من يقصدهم للزيارة ، والان حذا حذوهم سجناء نابلس ، ونخشى ان يعم ذلك بقية السجون . لذلك نرجو منكم واملنا وطيد ... ان تحققوا في هذه الامور وان تعملوا على مساعدة هؤلاء السجناء ... » (القدس ١٩٧٤/٣/١٢) .

وفي الوقت الذي ذكرت فيه بعض الصحف ان السجناء قد عادوا عن اضرابهم وسمحوا لذويهم بزيارتهم ابتداء من يوم ٣/١٢ ، كانت سلطات الاحتلال توالي اجراءاتها التعسفية في الاراضي المحتلة . ففي يوم ٣/١٣ ذكرت صحيفة الشعب ان المحكمة العسكرية في نابلس بدأت بمحاكمة عشرة من الشبان بتهمة تأليف منظمة معادية للاحتلال وهم : اياد الطاهر ، اياد ديسي ، حسن جاغوب ، سعادة ارشيد ، نبيل اشخيدم ، محمد صلاح ، طاهر زهران ، عزام عاشور، حسن عوده وهلال تفاحة .

وذكرت « الشعب » في عددها الصادر يوم ٣/١٥ ، ان النيابة العسكرية الاسرائيلية قدمت اتهام ضد مجموعة اخرى من الشبان تضم فتيات تتراوح اعمارهم بين سن ١٧ — ٢٣ ، اتهموا بعضوية تنظيم سري وبالاتصال والاعداد لمهمة مشتركة من قبل فتح والجبهة الشعبية . ونقلت الصحيفة على لسان جريدة معاريف الاسرائيلية ان هذه المجموعة هي اكبر شبكة للفدائيين اكتشفت في منطقة نابلس خلال السنتين الماضيتين . وقالت ان التنظيم بدأ في سجن نابلس حيث قضى سبعة من المتهمين فترات السجن بسبب عضويتهم بشبكة فدائية عملت في المدينة قبل ثلاث سنوات عرفت بأسم « شبكة الخياطين » حيث ان معظم اعضائها من الخياطين . وقد قرر هؤلاء الاعضاء الاستمرار في النشاط بعد خروجهم من السجن . وفي عام 1971 ابعد سجناء كثيرون الى الاردن ، وكان من بينهم أحد اعضاء « شبكة الخياطين » وهو سعيد سعد من نابلس الذي افتتح بعد وصوله الى الاردن مشغلا للخياطة ثم اقام صلات مع قيادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . وعند اندلاع حرب تشرين استأنف صلاته بقادة الجبهة الذين قرروا البدء في اقامة شبكة كبيرة في نابلس لاستئناف النشاط بشكل واسع . والقي على عاتق سعيد سعد ان يكون صلة الوصل . فدعا سعد اصدقاءه

ممن كانوا في السجن والقى على عاتقهم مهمة العودة الى نابلس واقامة خلايا واسعة من أجل النشاط . وقبل أن يعودوا الى نابلس ارسلوا الى دمشق حيث تلقوا التدريبات على استعمال الاسلحة والقنابل . وعند عودتهم الى نابلس تم اتصال بين فتح والجبهة فاقيمت شبكة من اقسام من خلايا المنظمتين في نابلس تحت قيادة سعيد سعد . وكان من مهمات الشبكة ايضا توزيع المال على عائلات المعتقلين وتمويل نشاطاتهم وتجنيد فتيات في الشبكة ، حيث جند عدد منهن بالفعل . واعترفت صحيفة معاريف ان هذه الشبكة قامت خلال حرب تشرين الاول بعدة عمليات في منطقة نابلس دون ان تذكر تفاصيلها . الا انه بعد هذا النشاط استطاعت قوات الاحتلال ان تكتشف عددا من أعضاء الشبكة وان تلقي القبض عليهم .

من جهة ثانية ، فان ما ذكرته الصحف من انباء عن تراجع المعتقلين عن اضرابهم في اواسط شهر اذار (مارس) ، نفته هذه الصحف نفسها في اواخر الشهر المذكور . فقد ذكرت «القدس» في عددها الصادر يوم ٣/٢٩ ، ان الوضع في سجن نابلس ما يزال كما كان عليه الحال اذ لم يتحقق اي مطلب من مطالب السجناء .. واضراب السجناء ما زال مستمرا . ورغما عن مراجعات رئيس البلدية للسلطات المسؤولة لمقابلة وزير الشرطة لعرض هذا الموضوع ، فلم تتلق البلدية اي جواب. وتشاهد الامهات يوميا امام السجن بحالة يرثى لها في محاولة لاستقصاء أية معلومات عن اوضاع المعتقلين والسجناء » في سجن نابلس .

وكانت « الشعب » قد ذكرت ان وفدا يمثل عددا كبيرا من الاهالي سيقوم بمقابلة المسؤولين بالحكم العسكري بقيادة الضفة الغربية والجنرال موشيه ديان ، وذلك للتباحث في أمر الموقوفين والمحكومين في سجن نابلس المركزي بشأن تحسين احوالهم . واضافت « الشعب » ان المضربين في سجن نابلس يهددون بالاضراب عن الطعام ما لم تلب طلباتهم (الشعب ١٩٧٤/٣/٢٠) .

الوضع السياسي داخل المناطق المحتلة

في محاولة لاستطلاع الرأي العام الفلسطيني في المناطق المحتلة حول التسوية السياسية ، قام « ايان لستنع » بجولة في الضفة والقطاع ، حيث التقى بعدد كبير من الصحفيين والطلاب والعمال والفلاحين ، وتحاشى في الوقت نفسه مقابلة رؤساء البلديات والنواب الاردنيين والاقطاعيين ورجال الصناعة . وكتب لستنع ملاحظاته حول جولته هذه في مجلة « نيو اوت لوك » التي تعتبر معبرة عن اراء « المعتدلين » في اسرائيل . وقد اورد هذه الملاحظات حسب التبويب التالي كما ذكرت ذلك صحيفة الشعب في عددها الصادر يوم ٣/٣١/ ١٩٧٤ .

١ ــ **النشاط السياسي** : « لقد بدا لي ان هناك فارقا كبيرا بين سكان الاراضي المحتلة قبل وبعد معارك اكتوبر . فالناس اليوم فخورون لكونهم عربا، وهذا الشعور دفع الاسرائيليين الى اتخاذ اجراءات قمعية كالتي جرت عام ١٩٦٨ . فاغلاق المدارس والاعتقالات الكيفية ومنع الاجتماعات والرقابة الشديدة على الصحف والتهديد بالقتل ، هي ميزات هذه الفترة . ولكن رغم كل هذا فالنشاط السياسي على أشده ، وهذا ما دفع الحكومة الى استدعاء عدد كبير من المثقفين لاستطلاع ارائهم حول مؤتمر جنيف وبعض القضايا المصيرية الاخرى » .

٢ ــ **منظمة التحرير الفلسطينية** : « من خلال مقابلاتي مع العديد من سكان الضفة والقطاع وجدت شبه اجماع على اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني ، وبأنها الوحيدة ــ أي المنظمة ــ التي يحق لها ان ارادت تشكيل وفد فلسطين الى جنيف ، وبأن أحدا من سكان الضفة او القطاع الوطنيين لا يمكن ان تسمح له اسرائيل بالذهاب للخارج والانضمام للوفد الفلسطيني . فقد ذكر لي احد المواطنين بأن السلطات العسكرية قد ذكرت له بأن حياته ستكون صعبة اذا هو فكر في الذهاب الى القاهرة للتباحث مع زعماء منظمة التحرير حول مستقبل القضية الفلسطينية . وحول امكانية قيام بعض الوجهاء بتمثيل الفلسطينيين قيل لي بأن هؤلاء يستمدون قوتهم وحتى بقاءهم من ارتباطهم بالملك حسين وسلطات الاحتلال هنا وان احدا من الشعب لا يثق بهم . واما عن مشروع الملك حسين، فقد ذكر بعض من قابلتهم بأننا نقبل بمشروع الملك حسين ولكن بدون حسين ذاته وطبعا عائلته . ولكن الذي استغربته هو ان هذا التأييد لمنظمة التحرير لم يكن كله حبا في سياسة المنظمة وانما كرها في الملك حسين واذياله هنا ــ الوجهاء ــ

وبما يسمى « الزعامة التقليدية » . ووجدت اجماعا على قيام دولة فلسطينية في الضفة والقطاع ، ولكن من يؤيدون قيام « الدولة العلمانية » على التراب الفلسطيني يبدون قليلين ، وذلك لانهم يعتبرونه هدفا بعيد المنال . ويظهر ان ياسر عرفات يشاطرهم الرأي وانما خوفه من حدوث انقسام في صفوف الحركة الفلسطينية هو الذي يدفعه للاحتجاج على اعلان موافقته وبشكل علني يتفق مع قناعاته » .

٣ ــ **خلافات في الرأي** : « تختلف اراء الناس ووجهات نظرهم ، فبعضهم لا يقبل بأقل من دولة علمانية ، والاخر يرضى كمرحلة اولية باقامة دولة فلسطينية . ولعل أهم النقاط المثيرة للخلاف في صفوف الفلسطينيين هي : ا ــ حدود الدولة الفلسطينية الجديدة . ب ــ الضمانات الكافية لامن وسلامة حدود هذه الدولة . ج ــ التغييرات المرتقبة في اسرائيل والمترتبة على وجود هذه الدولة .

فحول الموضوع الاول نجد ان هناك تيارين : الاول يقبل بالضفة والقطاع فقط وبالقدس عاصمة. واما الثاني فيطالب بالعودة الى خطوط تقسيم عام ١٩٤٧ . واما حول الموضوعين الاخيرين فيبدي الجميع رغبته في ضمانات تقدمها الدولتان الكبريان على ان توجد مناطق منزوعة السلاح على جانبي الحدود ، شريطة ان يرافق هذا تغيير جذري في سياسة اسرائيل تجاه جيرانها وكدليل على حسن النية يجب ان يعود الكثير من الصهاينة الى اوطانهم السابقة في اوروبا واميركا » .

اختطاف يوسف نصر

كان الخبر الذي تناقلته وكالات الانباء عن ظهور الصحفي الفلسطيني يوسف نصر صاحب جريدة الفجر ، في عمان ، مؤشرا ذا اهمية بالغة في تفسير « لغز » الاختطاف المثير الذي وقع في شرقي القدس في ١٩٧٤/٢/٦. وبالرغم من نفي المسؤولين الاردنيين للصليب الاحمر ان يكون نصر لديهم ، يظل ذلك الخبر محتفظا بأهميته من حيث كونه يلقي الادلة على اطراف الصراع في الضفة الغربية، بين القوى الوطنية للشعب الفلسطيني من جهة وبين اعداء هذا الشعب من جهة ثانية .

واذا ما أخذنا تكتم سلطات الاحتلال الاسرائيلي حول تفاصيل حادث الاختطاف بعين الاعتبار ، فان ذلك يعد مؤشرا آخر على طبيعة الصراع وأطرافه في الارض المحتلة . فقد ذكرت سلطات الاحتلال أكثر من مرة انها توصلت في تحقيقاتها الى مجموعة من الحيثيات سوف تكون منعطفا هاما في مجرى التحقيق . وفي كل مرة ايضا كانت هذه السلطات تحجم عن ذكر أي تفاصيل بالرغم من مضي حوالي ثلاثة أشهر تقريبا على حادث الاختطاف . ففي يوم ٣/١٠ ذكرت صحيفة الشعب ان هناك تكهنا في اوساط جريدة الفجر بأن سلطات التحقيق الخاصة، بعد ان بلغت مرحلة شبه ختامية ومتقدمة . « فان هذا الاسبوع قد يكون حاسما من حيث النتائج والاجراءات ويمسكون عن المزيد من التفاصيل حرصا على سير التحقيق المتكتم والواسع » . وفي ٣/١١ اذاع التلفزيون والراديو الاسرائيلي ان الشرطة قامت باعتقال خمسة اشخاص في القدس العربية وضواحيها بتهمة ان لهم علاقة بحادث اختطاف صاحب « الفجر » ، وستقوم الشرطة بتقديمهم للمحكمة لاصدار اوامر توقيف بحقهم . واشارت « الشعب » الى ان تحقيقات المجموعة الخاصة بالقضية قد بلغت مرحلة متقدمة او ختامية، وانه سيعقب هذه المرحلة اجراءات تدل على ما قد يكون البوليس قد توصل اليه من نتائج أسفرت عنها التحقيقات المكثفة والواسعة ، « ويعتقد بأن الانتقال للمرحلة الاخيرة يعني التوصل الى مفتاح القضية او ما يدل عليه الامر الذي قد يعلن عنه في نهاية الاسبوع الجاري » (الشعب ٧٤/٣/١٢).

بعد ذلك اذاعت سلطات الاحتلال ان عدد الموقوفين الذين تم اعتقالهم حتى مساء ٣/١٢ في قضية اختطاف نصر ، قد بلغ تسعة من المشبوهين من القدس ومدن اخرى في الضفة الغربية . وصرح قائد شرطة المنطقة الجنوبية بأنه قد يتم اخلاء سبيل عدد من الموقوفين ، أما الباقون فسيقدمون الى المحكمة لاستصدار امر بتمديد فترة اعتقالهم ، وذلك لان صلاحيات البوليس في التوقيف لا تتعدى ٤٨ ساعة يجب بعدها اخلاء السبيل او تمديد التوقيف من المحكمة المختصة . وذكرت الصحف الاسرائيلية الصادرة في اليوم نفسه ٣/١٢ ، ان من بين المعتقلين كان احد اصحاب الصيدليات في القدس واحد التجار بالمدينة القديمة . واشارت احدى هذه الصحف ان اوساط البوليس تتحدث عن تحول قد طرأ على التحقيق ، في حين تنبأت بأن هنالك امكانية القيام بمزيد من الاعتقالات على ضوء ما توصل اليه البوليس خلال استجواباته

في المرحلة الماضية (الشعب ٧٤/٣/١٣) .

وفي ٣/١٣ ايضا أعلنت سلطات الاحتلال عن اخلاء سبيل خمسة من الموقوفين كما قدمت اثنين اخرين أمام قاضي صلح القدس حيث حصلت الشرطة على أمر توقيف بحقهما لمدة تسعة ايام ، والقي القبض على اثنين اخرين من غير اولئك الذين سبق اعتقالهم وهما من خارج مدينة القدس . وذكرت الصحف الاسرائيلية الصادرة في اليوم نفسه ٣/١٣ ، ان مصادر مطلعة أعربت لصحيفة معاريف عن اعتقادها بأن لغز اختطاف نصر قد وصل الى حافة الحل الكامل . اما « يديعوت احرونوت » فقد ذكرت ان الشرطة قد عثرت على متهمين « وان تطورات اخرى متوقعة خلال هذا الاسبوع من سير التحقيق القائم » (الشعب ٧٤/٣/١٤) .

وفي يوم ٣/١٤ مددت المحكمة توقيف اثنين اخرين لمدة عشرة ايام . وبذلك يكون قيد التوقيف حتى هذا التاريخ اربعة أشخاص . وأفاد الصحفيون الاسرائيليون ان الشرطة أخذت تتكتم بشدة في اجراءاتها القائمة او التي ستقوم بها مستقبلا بحجة المحافظة على سلامة التحقيق وسيره ، (الشعب ٧٤/٣/١٥) .

أما صحيفة الفجر فقد قالت انها علمت ان نقاشا حادا جرى في اوساط اسرائيلية عليا حول النتائج التي يمكن ان يسفر عنها استدعاء او توقيف شخصيات محلية معروفة قد تكون لها علاقة بحادث الاختطاف . واضافت « الفجر » — وهي تلمح هنا الى الجعبري — انه تم حسم النقاش لصالح الذين يصرون على ضرورة ترك القانون يأخذ مجراه (الفجر ٧٤/٣/١٦) .

وفي اليوم الذي نشرت فيه « الفجر » هذا الخبر، كانت صفحتها الاولى معنونة بالعنوان الرئيسي التالي : « بدأت خيوط مؤامرة اختطاف يوسف تتكشف . معلق اسرائيلي يقول بان يوسف نصر قد يظهر قبل انتهاء التحقيق . التحقيقات تشمل بعض القيادات التقليدية وازلامها » . وفي التفاصيل ذكرت الصحيفة انه مثل امام قاضي الصلح جميل حمد وهو محرر في « الفجر » وباسم حنانيا وهو صيدلي من القدس ، واتضح ان توقيف الاخير هو نتيجة لادعاء محمود ابو الزلف صاحب جريدة القدس بان حنانيا قد طرق باب يوسف النصر الساعة الواحدة من ليلة الاختطاف . وكان التلفزيون الاسرائيلي قد اذاع خبر توقيف برهان الجعبري بتهمة الاشتباه بعلاقته بقضية الاختطاف. الا ان ناطق عسكري باسم قيادة الضفة الغربية نفى هذا النبأ . ومن الجدير بالذكر انها المرة الاولى التي يتدخل فيها ناطق عسكري رسمي في قضية هي من اختصاص الشرطة وفريق التحقيق الخاص بها . وكانت كذلك جريدة معاريف قد ذكرت ان برهان الجعبري ، وهو أكبر انجال رئيس بلدية الخليل ، وشحادة العبري موظف بلدية الخليل وحارس رئيس البلدية الخاص ، بالاضافة الى سائق سيارة الجعبري من بين الموقوفين التسعة في قضية نصر . وقالت معاريف انه بعد ان انهت الشرطة تحقيقها مع برهان غادر هذا المتهم الضفة الغربية الى تركيا ثم عاد بعد عدة ايام . وبعد عودته ابتاع من الصيارفة كمية من الدولارات بقيمة مئة الف ليرة اسرائيلية مما يدل على نواياه لمغادرة الضفة . الا ان الشرطة اعادت توقيفه . ومن المعروف انه قبل اختفاء يوسف نصر نشب خلاف حاد بينه وبين رئيس بلدية الخليل بسبب حملة شنتها الفجر ضد الجعبري (الفجر ٧٤/٣/١٦) . وفي مكان آخر من نفس العدد ذكرت « الفجر » ان الشرطة استدعت محمود ابو الزلف مرة ثانية للتحقيق معه حول حادث الخطف ، كما شمل التحقيق بعض الشخصيات التقليدية . واضافت ان عضو الكنيست توفيق طوبي من قائمة ركاح قدم استجوابا الى وزير الشرطة الاسرائيلي حول اختطاف صاحب الفجر واختفاء آثاره واعتقاد أهل المخطوف بأن خاطفيه أناس وجهت اليهم الجريدة انتقادا علنيا . وسأل طوبي :

١ — ما هي الخطوات التي اتخذتها الشرطة لتعقب حادث الخطف .

٢ — فيما اذا جرى تحقيق ، ما هي نتائجه .

٣ — ماذا فعلت الشرطة لتكثيف التحقيق ازاء قلق العائلة على مصير ابنها المخطوف .

وفي آخر شهر اذار ذكرت « القدس » الصحيفة ذات الصلة بالجعبري ، نقلا عن مصدر خاص ان الجعبري بعث ببرقية الى غولدا مائير يحتج فيها بشدة على عرض شريط تلفزيوني تضمن «تشويها» للحقائق (القدس ١٩٧٤/٣/٣١) .

عيسى الشعيبي

(٤) اسرائيليات

الوضع الداخـــلي

كانت حركات الاحتجاج الجماهيرية في الاونـــة الاخيرة محط انظار ومركز الاهتمام داخل اسرائيل وخارجها . ولم يقتصر الاهتمام بهذه الحركات على الاحزاب والهيئات المعارضة للسلطة العمالية ، بل انها استحوذت ايضا على اهتمام ارباب السلطة بشكل خاص . وفي هذا الاطار كان اجتماع موشي دايان بموتي اشكنازي ، الذي كان اول من بدأ حملة الاحتجاج ضد دايان وجولدا مئير في اوائل شباط (فبراير) ١٩٧٤ . وقد بدأ الاهتمام الصحفي والاعلامي يزداد ، مع ازدياد واتساع رقعة وقاعدة الحركة التي بدأها اشكنازي بمفرده ، توجهـــا بالاجتماع الاحتجاجي الذي عقد امام مبنى مكتب رئيسة الوزراء في ١٩٧٤/٣/٢٤ ، ذلك الاجتماع الذي أمه قرابة الستة آلاف شخص حسب تقدير معظم الصحف الاسرائيلية . ثم تلت حركة اشكنازي محاولة اخرى قام بها بعض اساتذة الجامعات والمثقفين من أجل اقامة حركة سياسية جديدة أطلق عليها اسم « الحركة من أجل التغيير » . وقد دعت هذه الحركة الجديدة الى تجاوز موقف التنديد والنقد من الخارج ، على أمل تشكيل ضغط داخلي يؤدي الى تغيير في بنية الاحزاب ونهجها ، مؤكدة ان لا سبيل الى خوض الصراع داخل الاحزاب نظرا لسيطرة الاجهزة الحزبية الكاملة على العمل السياسي الحزبي . وقد كان هذا الموقف الجديد من المحاضرين والمثقفين بمثابة رد على دايان الذي صرح ابان الحملة التي كانت تشنها فئات عديدة مطالبة باستقالته ، ومن ضمنها اساتذة الجامعات، بأنه اذا كان لدى هؤلاء ما يقولونه ، فليخوضوا الانتخابات وليشاركوا في العمل والصراع السياسي بدل الاكتفاء بتوجيه النقد والمطالبة باستقالـــة الاخرين . وكان ثالث حركات الاحتجاج الجماهيرية واكثرها تحديدا لهدفها ، هي الحركة الجماهيرية والحزبية التي نادت بوجوب تغيير طريقة الانتخابات الحالية . وهذه الحركة تمتاز عن الحـــركتين السابقتين بكونها حددت لنفسها هدفا تنتهي مهمتها بتحقيقه ، الى جانب هذه الحركات ذات الطابع الاحتجاجي ، نشط داخل حزب العمل وسطان كانا قائمين قبل الحرب لكنهما أصبحا أكثر نشاطـــا وأهمية بعدها . والمقصود بذلك هو : « الوسط من أجل توضيح قضايا المجتمع والدولة » ، ذلك الوسط الذي يعتبر استمرار لمجموعة «من هيسود» (من الاساس) التي كانت نشطة وفعالة ابان فضيحة لافون ، والتي تقف اليوم وتدعم عضوي الكنيست يتسحاق بن أهرون وليوفا اليـــاف . والوسط الثاني هو : وسط « اتجار » (التحدي) الذي تأسس قبل سنتين ويترأسه رئيس بلدية هرتسليا العقيد احتياط يوسف تافو . وهو في غالبيته كان يتشكل من الجنرالات والعمداء السابقين في الجيش الاسرائيلي . وبينما كان هذا الوسط مقتصر في السابق ومنذ تأسيسه على الضبـــاط التابعين للماباي ، فقد قام هذه المرة الوزراء ـــ الضباط الثلاثة في حزب العمل ، رابين ، ياريف ، وبارليف ، بمحاولة لضم اعضاء رافي الى الوسط، بعد تبني الوسط لمطلب تغيير طريقة الانتخابات الذي تنادي به « رافي » . ومن ناحية اخرى فان هذه المحاولة اضافة الى فتح الباب امام مدنيين آخرين للانضمام الى الوسط ، تشكل ، بصورة اساسية توجها نحو كسر الحواجز الكتلوية ، تماشيا ايضا ، مع مطلب الغاء الكتل داخـــل الحزب .

حركات الاحتجاج الجماهيرية ـــ أهدافها

لقد سبق واشرنا في مقدمة هذا العرض الى ان الهدف المباشر الذي رفعته اوسع هذه الحركات حجما كان المطالبة باستقالة الزعامة الحالية لحزب العمل . وحول هذا الهدف المحدد بدأ مؤسس هذه الحركة موتي اشكنازي (ضابط في سلاح المظليين) حملته الفردية ، وتركزت الحركة بشكل أساسي ، على الجنود المسرحين في سلاحي المظلات والمدرعات لكنها منذ البداية ، لاقت تأييدا ودعما من فئات وهيئات عديدة سياسية وغير سياسية متباينة الآراء ومتناقضة احيانا . لكن هذا التأييد الواسع ، دفع اشكنازي ورفاقه نحو الاعلان عن اقامة حركة الجنود المسرحين لمتابعة الاهداف المشتركة التي أعلن عنها في الاجتماع الاحتجاجي الاخير في ٣/٢٤/ ١٩٧٤ والتي تتلخص في استخلاص النتائج بسرعة

من الحرب واستتالة المسؤولين عن التقصير ، وباعداد الاقتصاد لحالة طوارىء طويلة ، والدعوة الى توزيع عادل أكثر للعبء الناجم عن حالة الطوارىء على جميع السكان ، والى اقامة جهاز اجتماعي لمعالجة مشاكل عائلات المجنـــدين ، ومشاكل التعليم وخلق الدوافع لدى جميع الفئات وبشكل خاص لدى الذين في سن الجندية . كما وأكد اشكنازي في كلمته على ضرورة تنفيذ تحولات وتغييرات في انظمة الحكم : سن دستور للدولة ، اخضاع اجراءات انتخابات المرشحين للمناصب العامة لرقابة هيئة غير سياسية ، تحديد فترة خدمة منتخبي الجمهور . وفي نهاية كلمته قال : « **نحن نطالب الذين يقفون على رأس السلطة بتجسيد وتحقيق مبدأ المسؤولية العامة واعادة التفويض الى الشعب** » (هآرتس ٧٤/٣/٢٥) .

أما الحركتان الاخريان ، « الحركة من أجل التغيير » التي أعلن عن اقامتها بعض اساتذة الجامعات واصحاب المهن الحرة ، وحركة المطالبة بتغيير طريقة الانتخابات فانهما أكثر وضوحا وتحديدا لاهدافهما من الحركة التي يقودها موتي اشكنازي، حيث ان الحركة الاولى أعلنت بوضوح في الاجتماع الذي عقدته في تل ابيب في ٧٤/٣/٢٦ ان هدفها المعلن هو اقامة حركة سياسية . ومن المعروف ان كلا من بروفيسور أمنون روبنشتاين وبروفيسور يوناثان شابيرا يقفان على رأس هذه الحركة الى جانب شخصيات اخرى مثل المحامي مردخـــاي غيرشونسكي ودكتور يرمياهو يوفال والعميـــد (احتياط) دكتور متتياهو بيلد . ويشارك هذه المجموعة ايضا ، مجموعة المئتين التي وقفت في الانتخابات الى جانب المعراخ تحت شعار « مع كل هذا ــ معراخ » . حيث دعت هذه المجموعة الى تأييد التحالف العمالي في الانتخابات الاخيرة ، رغم كل ما حدث . وتقوم هذه الحركة حاليا باجراء اتصالات مع مجموعات الاحتجاج من الجنـــود المسرحين في محاولة لاقامة تنظيم واسع ومشترك يضم تحت جناحيه حركة الاحتجاج الجماهيريـــة الحاليـــة .

أما الحركة الاخيرة التي دعت الى تغيير طريقة الانتخابات فهي أكثر الحركات الثلاث تحديـــدا لغايتها ، وهي بالتالي ليست ذات صفة معينة ، بل تضم كافة الشخصيات المؤيدة لفكرة تغيير طريقة الانتخابات ، بهدف تدعيم الصلة بين النـــاخب والمنتخب ودفع المزيد من العناصر الجديدة نحو العمل السياسي والبرلماني . وقد وضعت هذه الحركة هدفا لها مسألة خلق ضغط شعبي على اعضاء الكنيست من أجل تأييد المشروع الذي تقدم به عضو الكنيست جاد يعتوبي لتغيير طريقة وقانون الانتخابات العامة في اسرائيل من الطريقة النسبية الى طريقة مختلطة : اقليمية ــ نسبية .

ردود الفعل

لقد تركزت وسائل الاعلام الصهيونية في معالجة ثلاثة مواضيع رئيسية اعتبرتها ذات صلة ببعضها البعض . وهذه المواضيع هي ظاهرة الاحتجاج الجماهيري ومضمونها ، التحركات داخل الاحزاب وحزب العمل بالذات ، ومسألة تغيير طريقـــة الانتخابات . وبينما اتفقت الاراء والتعليقات حول أهمية وصحية هذه الظواهر في الحياة الاسرائيلية العامة والحزبية ، فانها في نفس الوقت علقت آمالا كبيرة على التحرك داخل حزب العمل معتبرة اياه الاداة الوحيدة القادرة فعلا على التغيير ، ومن ناحية اخرى سفهت وحذرت من امكانية تحـــول حركات الاحتجاج الجماهيري الى حركات سياسية، تكون السبب في افراغ الحركات من مضمونهـــا وعاملا مباشرا في فشلها المحتوم في الضغط من الخارج . كما اشارت بعض التعليقات الاخـــرى الى امكانية استفادة بعض السياسيين في المعراخ من المظاهرات .

ومن ناحية اخرى دعت هذه الصحف الى جانب ضرورة تفهم هذه الحركات الاحتجاجية الى وجوب استيعابها .

كتب يوئيل ماركوس في هآرتس ٧٤/٣/٢٧ منتقدا الشعارات والمطالب التي رفعتها المظـــاهرة الاحتجاجية التي قادها اشكنازي ، ومعلقا على الاوضاع العامة فقال : « في نظرة اولية ، لا يبدو كل ما يحدث عندنا الان جميلا ، ولو كان لدى الصحافة العربية مراسلون للشؤون اليهودية على غرار مراسلينا للشؤون العربية لكانوا غطـــوا صحفهم بالعناوين التالية :

« حكام تل ابيب يفقدون السيطرة على الدولة ــ اسرائيل تعيش عشية انقلاب » . و « الجنود المسرحون المصابون بخيبة الامل من الهزيمة في حرب يوم الغفران ، يحاولون السيطرة على مكاتب الحكومة » .

و « تم اكتشاف مؤامرة لجنرالات حزب العمل » وغيرها ...

وبهذا التصور اراد ماركوس ان يشير الى ان الاحداث التي تجري في الداخل ليست هي بالفعل كما يمكن ان يراها المراقب من الخارج . واضاف ماركوس : « كل مواطن واع يتوجب عليه ان يرحب بظاهرتين برزتا مؤخرا :

أ) انه اصبح لجزء من الجمهور ، وخصوصا الشباب ، اهتمام بما يجري .

ب) وان اولئك الذين يعنيهم ويهمهم الامر ، توصلوا الى نتيجة تحتم المباشرة بالعمل .

لكن ماركوس الى جانب اكباره لهذه الظاهرة ، انتقد بعض اهدافها ، فعلى سبيل المثال : « طلب اشكنازي من القيادة التي فشلت ان تعيد التفويض الى الشعب . أليس هذا طلبا غير موزون ؟ ان ان هذه القيادة التي فشلت ، استعادت هذا التفويض من الشعب في صناديق الاقتراع في الانتخابات الاخيرة . لقد عرف الناخب بوضوح ان جولدا ، دايان وايبن سيعودون الى مناصبهم السابقة ، ومع هذا فوضهم اقامة الحكومة . هذا أمر مغضب ، لكنه حقيقة » .

وبعد ان يعدد بعض التناقضات الاخرى يتوصل ماركوس الى ان مثل هذه الحركة الاحتجاجية العفوية عاجزة حتى لو اقامت تنظيما سياسيا عن تحقيق أهدافها : « وحتى لو نجحوا في اقامة بنية تنظيمية ذات برنامج عمل ، واصبحت الحركة حزبا، وحاز على عدد من المقاعد في الكنيست ـ فلست ارى كيف سيتمكن هذا الجسم الجديد من تغيير الاسلوب المتبع ، القيم ، الجهاز والدوافع . ومن هنا فالاحتمال العملي للتحول الجذري او الاساسي يجب التفتيش عنه في حركة اقل عفوية ، لكنها تملك وسائل كبيرة من أجل تنفيذ التغييرات المرجوة » .

أما دانييل بلوخ فدعا في مقاله (داغار ٣/٣٦/ ٧٤) الحكومة وحزب العمل الى تفهم الوضع وابقاء حركة الاحتجاج ضمن المسار الديمقراطي لئلا يسيطر الشارع على زمام هذه الحركة : « ان مظاهر الاحتجاج والتعبير عن خيبة الامل بعد الحرب ليست تجديدا ... فقد حدثت مظاهر مشابهة بعد حرب « التحرير » (حرب عام ١٩٤٨) ، وقد وجد الامر تعبيرا له في انتخابات الكنيست الاولى في نسبة الاقتراع العالية لصالح المابام ولصالح حركة حيروت وقائمة ليحي (اليسار واليمين)... وعندما نتقدم لتحليل حركات الاحتجاج الحالية ، يجب ان لا ننسى ما كان في الماضي ، على الرغم من ان ذلك لا يعني الغاء لضرورة الاصغاء ، والانصات ، والاستجابة للمشاعر القلبية الصادقة ... وليس هناك امكانية للغوص في دوافع اشكنازي وكدموني العميقة وليس هناك داع لذلك . ومهما كانت الاسباب ، لا يجوز ان نتجاهل حقيقة كونها (الدوافع) تعبر عن مشاعر وافكار آلاف كثيرين . ومن الممكن ان نتجادل معهم ، ان نعارضهم ، لكن من غير الممكن تجاهلهم او الاستخفاف بهم » .

ويضيف بلوخ محللا ظاهرة الاحتجاج هذه فيقول : « وقد تبين لي من خلال الاحاديث التي اجريتها مع بعض الاعضاء المشاركين في مجموعات الاحتجاج ، ان القضية الرئيسية التي تقلقهم هي عدم الانفتاح وتحجر الاحزاب السياسية المختلفة . وخلافا للفترة التي اعقبت حرب « التحرير » ، حيث استطاعت مجموعات مثيلة ان تجد لنفسها تعبيرا في هذا الحزب او ذاك ، فان الشعور العام هو انه لا يوجد اليوم حزب يعبر عنهم تعبيرا صحيحا ، وانه لا توجد هناك امكانية جدية للتأثير من داخل الاحزاب القائمة ... ولا توجد قاعدة ايديولوجية مشتركة لمجموعات الاحتجاج ، فبينهم رجال حركة العمل ، وبينهم ايضا من يؤيد المبادرة الحرة ، وبينهم من هو على استعداد للتنازل عن جميع المناطق ، وبينهم من يعارض اي تنازل . وبينهم من يؤيد اقامة دولة فلسطينية ، ومنهم من يرفض اي تعبير بالاعتراف بوجود ذات فلسطينية » .

ويضيف بلوخ : « من بين جميع اطراف الدائرة السياسية ، يبدو ، ان حركة العمل بالذات تملك الاحتمال الاكثر جدية لاستيعاب موجة الاحتجاج ». وحقا ، ان هذه الموجة موجهة نحو القيادة الحالية لحزب العمل ، لكن ، بالذات في داخل حزب العمل يكمن الاحتمال الحقيقي للتجدد السياسي والقيادي. ومما لا شك فيه فان حركات الاحتجاج الجماهيرية، تشكل تهديدا جديا لزعامة الحزب ، بمناسبة نشر استنتاجات لجنة اجرانات ـ في البداية ، التقرير الجزئي وبعد ذلك التقرير النهائي . ويبدو ان حركات الاحتجاج لن تعطي الحكومة والمعراخ فرصة للتملص من تنفيذ كامل الاستنتاجات التي ستترتب على تقرير لجنة اجرانات » .

أما دافيد شوحم فكتب في يديعوت أحرونوت (٧٤/٣/٢٦) منتقدا الاتجاه السائد لدى مجموعات الاحتجاج لتجاهل التباين في الاراء والافكار بين اعضائها ، والتوجه نحو اقامة حركة سياسية تضم جميع هذه التناقضات : « كثير من الناس يظنون ان السياسة ، عبارة عن حرب بين الصالحين والسيئين . وانا لا استحسن ذلك الحل الداعي الى ضم جميع الصالحين معا لضرب السيئين . لقد سمعت أحد الضباط الشباب يقول : « سنتحد كلنا ضد الاحزاب المهترئة ، ولا يهمني من يقف على رأس الحركة ، سواء كان اريك شارون او منير بعيل . كيف ؟ فان كلا منهما له خط سياسي مختلف ، وهذا يطرح هذا الحل وذاك لديه حل آخر » .

ويضيف شوحم قائلا : « لا اعتقد ان ذلك الضابط الشاب يرى ان مشاكلنا السياسية غير مهمة . ولا اعتقد انه لافرق لديه بالنسبة لاي حل من الحلول — حل اريك شارون او حل منير بعيل. فمن المؤكد ان له موقفا ذاتيا ، لكنه — وجميع هؤلاء الشباب القريبين من القلب ، الذين يريدون ان يتحدوا سويا — يشعرون ان بلورة موقف حول القضية السياسية يحتمل ان يشق صفوفهم . ولذا يقولون: لنتكلم عما يوحدنا وليس عما يفرقنا . وهذا الامر حسن وجيد طالما ان الامور المفرقة امورا ثانوية . عندها يجب ان نعرف كيف نتجاهل الامور الثانوية ونتركز حول الامور الجوهرية . ولكن عندما تكون الامور المفرقة هي الجوهر » !

ويختتم شوحم مقاله قائلا : « ان السياسة ليست حرب السيئين ضد الاطياب . احيانا يحتاج الجيدون الى محاربة بعضهم البعض — على معتقداتهم وافكارهم ، من أجل تحقيق برامجهم وخططهم ، لان هذا هو روح الديمقراطية وما تبقى ليس الا زينة » .

مما تقدم نرى بوضوح ان كافة حركات الاحتجاج الجماهيرية ، سواء من حيث كيفية طرحها هي ذاتها لفكرها وبرامجها ، او سواء من حيث واقعها وتركيبتها لا تشكل تحديا جذريا للنظام والفكر الصهيوني السائد ، وهي ليست أكثر من محاولة محدودة الافاق ضمن اطار الفكر السائد ، ذات اتجاه اصلاحي لا يتجاوز المؤسسات القائمة ، بل كل ما يمكن ان ينتج عنها هو اضافة مؤسسة جديدة (حزب) الى المؤسسات القائمة .

التحركات داخل حزب العمل

يعلق العديد من الصحفيين والمعلقين الاسرائيليين أهمية خاصة على نشاطات وسط « اتجار » (التحدي) في حزب العمل . ولقد وجدت فئات مماثلة وان كانت غير مبلورة كما هو الحال في حزب العمل ، المناخ السياسي مناسبا لرفع صوتها مطالبة هي الاخرى باجراء اصلاحات في داخل أحزابها ، مستفيدة من حملة الاحتجاج الجماهيرية الموجهة ضد ممارسات كافة الاحزاب وضد سيطرة القيادات القديمة وتمسكها بالكراسي والمناصب . فاخذت تسمع الاصوات المختلفة في كافة الاحزاب مطالبة بتحديد فترة زمنية لا تتعدى ١٢ سنة لمزاولة النشاط الحزبي او الحكومي في منصب ما . كما شنت حملة ضد سيطرة الاجهزة الحزبية وتحكمها في تقرير ممثلي الحزب سواء في الكنيست او الحكومة . كما تركزت واشتدت المطالبة بتغيير نظام الانتخابات السابق . وفي حزب العمل كما في الاحزاب الاخرى اشتدت المطالبة بالغاء نظام الكتل داخل الحزب . ففي «ليكود» يحاول عضو الكنيست شارون امتطاء موجة الاحتجاج الجماهيرية من أجل احداث تغييرات اساسية تؤدي بدورها في نهاية الامر ، اذا نجحت ، الى تصفية الزعامة التقليدية في حيروت ، التي تحجرت ومضى عليها أكثر من خمس وعشرين سنة وهي تقود المعارضة دون نجاح حقيقي وملموس .

ويرى بعض الصحفيين الاسرائيليين والخبراء بشؤون الاحزاب الاسرائيلية ان نجاح التحركات الجديدة المتمثلة في وسط « اتجار » داخل حزب العمل سيعكس نفسه ايجابيا على البوادر الاخرى غير المبلورة داخل الاحزاب الاسرائيلية المختلفة . وفي مقارنته بين حركة الاحتجاج الجماهيرية وحركة الاحتجاج الداخلية ، يرى يشعياهو بن بورات طابعا خاصا وأهمية خاصة لوسط « اتجار » في هذا المضمار . كما وانه من الملاحظ ان أسهم يتسحاق رابين بشكل خاص الذي انضم الى وسط التحدي مؤخرا آخذة بالارتفاع . فقد ذكر مراسل هآرتس ان الجماهير المحتشدة امام مكتب رئيسة الوزراء استقبلته بالتصفيق الحاد ، بينما استقبلت بقية اعضاء الوزارة وبالذات دايان وجولدا بالصفير والهتافات المعادية (هآرتس ٧٤/٣/٢٥) .

وقد عزا يشعياهو بن بورات هذا النشاط الذي يقوم به وسط التحدي في حزب العمل الى شعور اعضاء هذا الوسط بأنه سواء عاجلا ام آجلا فان نهاية القيادة الحالية أصبحت امرا مفروغا منه : « ان هذا النشاط يدور عمليا في ظل الاستنتاجات الجزئية للجنة اجرانات التي من المقرر ان تنشر في الشهر القادم وعلى أطراف الغليان الجماهيري العام ، فالمبادرون الى عقد الاجتماع (الاشارة الى الاجتماع الذي دعا اليه مئير عميت وحضره كل من رابين وياريف وبارليف وغيرهم) يعتقدون بالتأكيد انه ان عاجلا او آجلا فان غروب شمس القيادة السياسية التي تضم جولدا ودايان وألون وابا ايبن (ويحتمل ايضا بنحاس سابير) أصبح امرا واقعا . ومن البديهي ان يرى المبادرون الى عقد الاجتماع انفسهم « ورثة » محتملين ، حيث يمكن تصور توزيع المناصب الشاغرة بينهم على الوجه التالي : رئيس الحكومة يتسحاق رابين ، وزير الدفاع حاييم بارليف ، وزير المالية مئير عميت ، وزير الخارجية أهرون ياريف » .

ويضيف بن بورات قائلا : « لم يجر الحديث في ذلك الاجتماع ، الذي احيط بالسرية ، لكن تم كشف ما جرى فيه بواسطة صحيفة يديعوت احرونوت ، بصورة حادة وواضحة من أجل بلورة مجموعة حاكمة جديدة . لكن القضايا التي دار الحديث حولها ، تتعلق بمسألة الثقة بالقيادة ، ومسألة الانتخابات الداخلية ، ونظام الحكم بشكل عام ، وايضا حول ضرورة الاصلاح . لكن تحت سطح الامور هناك ادراك بان الحكم الحالي يرقص رقصات الموت الاخيرة ، وان « الورثة » المحتملين في وسط الحزب يتحتم عليهم الاستعداد بسرعة وبفعالية ، لاخذ الزمام في « تنصيب الملوك » من « هجوش » (كتلة تل ابيب) او الكتل الاخرى القائمة حاليا » .

ويختتم بن بورات بقوله : « يحق لكل واحد ان يفكر وينظر سلبا او ايجابا وفقا لآرائه ولذوقه الى اجتماع « وسط التحدي » والى امكانياته في الواقع ، لكن يتوجب التفريق جيدا بين احتجاج وآخر ، بين المتظاهرين قرب مكتب رئيسة الحكومة وبين المجتمعين في الغرف الداخلية لدى مدير شركة « كور » (يديعوت أحرونوت ٧٤/٣/٢٧) .

ورغم نفي بعض اعضاء الوسط مثل شلومو هيلل (هآرتس ٧٤/٤/١) لاي نية في تغيير القيادة او العمل على تغييرها ، او كما صرح الوزير حاييم بارليف في بداية الاجتماع الذي عقد في مكتب مئير عميت (هآرتس ٧٤/٣/٢٦) من انه ليس هناك توجها لتغيير القيادة ، وان هدف التنظيم ليس تغيير القيادة ، بل السعي نحو اهداف ايجابية ، وانه على غير استعداد للعمل خلافا لذلك ، فان رئيس الوسط العتيد يوسف نافو أكد في مقابلة اذاعية ان عملية تغيير القيادة ليست امرا غير ديمقراطي شرط الا يتم ذلك عن طريق القضاء على القيادة : « ماذا نريد في نهاية الامر ؟ اننا نريد اجراء تغيير في نمط الحياة السياسية عندنا ، بحيث تكون عملية تبديل القيادة والسياسة المتبعة منظمة بأسلوب ثابت وليس بأسلوب ثوري (انقلابي) »، واضاف نافو في نفس المقابلة : « اعتقد انه لامر منطقي ، ... هو ان مجموعة معينة في اعمار معينة ستستقيل قريبا او بعد فترة قريبة . وعلى أي حال فان القضية سيتم وضعها على جدول الاعمال ، والقضية ليست اننا نهاجم القيادة الحالية ، بل نريد ان نبدل الاسلوب لكي يستطيع اشخاص صالحون الوصول الى جميع الدرجات وأعلى المستويات » (ر.ا.ا. ٣٠ /٣/ ٧٤ عدد ٤٩٩ ص ٥) .

وكان نافو قد حدد اهداف الوسط كالتالي : « الغاء نظام الكتل في الحزب ، تغيير طريقة الانتخابات داخل الحزب ، والغاء لجان التعيينات، تغيير قانون الانتخابات العامة بالانتقال الى طريقة الانتخابات الاقليمية ، واتباع اسلوب الانتخابات المباشرة لرؤساء البلديات » (هآرتس ٧٤/٣/٢٦).

وسواء بالنسبة لحركات الاحتجاج الجماهيرية او حركات « الاحتجاج » الحزبية يبدو واضحا ان آفاق هذه الحركات ومطالبها ليست مطالب جذرية، ولا تضع الاصبع على الجرح بالنسبة لمشكلة الفكر والنظام الصهيوني ، بل انها لا تعدو كونها محاولات لايجاد كبش فداء ، يقدم للجماهير ، من أجل العودة مجددا للسير في نفس الاسلوب وبنفس العقلية .

المؤتمر الثاني عشر للهستدروت

كانت السمة العامة التي تميزت بها كافة التعليقات التي وردت في الصحافة الاسرائيلية على اختلاف اتجاهاتها ، هي التأكيد على ان هذا المؤتمر قد اساء الى الحركة العمالية الحاكمة في اسرائيل والى الزعامة العمالية أكثر من أي مؤتمر سابق ، لما تخلله من فوضى ، كادت تودي بالمؤتمر منذ ليلة افتتاحه . وفي هذا الاطار كتب بيرل رفتور منتقدا الجو الذي ساد المؤتمر : « لقد اشتركت في جميع مؤتمرات الهستدروت ، من المؤتمر الاول حتى الثاني عشر ، وقد تخلل جميع هذه المؤتمرات صراعات سياسية ، خلافات في وجهات النظر وخصومات فكرية ، حول المضمون وحول الطريق ، حول الافكار والاعمال...ولقد كان في الهستدروت، دائما ، احزاب وتيارات رفضت الصهيونية او رفضت طابعها الاشتراكي ، لكن ما كان في المؤتمر الثاني عشر لا صلة له بالنقاش الفكري » . واضاف رفتور : « لقد اختفت في هذا المؤتمر القيم الحركية المألوفة على تيارات الحركة العمالية . وفي هذا المؤتمر كانت الهستدروت مثارا للسخرية والاحتقار، وفي لحظات معينة بدا وكأن جمهور الحاضرين يسخر من نفسه » (دافار ٧٤/٣/١٧) .

وعلى الرغم من ان بعض الصحفيين وبعض المتحدثين في المؤتمر من المعراخ قد حاولوا ، الاشارة ، واحيانا بتهكم ، الى ان المشاغبين والمعرقلين لسير اعمال المؤتمر عدا عن انهم فئات هامشية في المجتمع العمالي ، فانهم ايضا حديثو العهد في مثل هذا النمط من المؤتمرات (الاشارة الى الفهود السود) وانهم ليس لديهم ما يقولونه ، ولا يملكون القدرة على خوض النقاشات والمساهمة في مناقشة البنود المطروحة على جدول الاعمال ، على الرغم من ذلك ، فانهم لم يستطيعوا ، في نفس الوقت ، تجاهل القضايا التي ركزت حولها تلك الفئات الهامشية — على حد تعبيرهم — مثل اتساع الهوة الاجتماعية والتمييز والغبن اللاحق بالطوائف الشرقية والعمال العرب ، في كافة مجالات العمل والخدمات ، بالاضافة الى الوضع الاقتصادي والاجتماعي السيء الذي لحق بفئات كبيرة من المجتمع الاسرائيلي ، وبشكل خاص اصحاب المداخيل المحدودة من العمال والمستخدمين نتيجة لسياسة الحكومة الاقتصادية ، ونتيجة لسياسة قيادة الهستدروت المهنية ، التي اتسمت بموقف معاد لمصالح جماهير العمال ، وكانت تصطدم دائما وتتعارض مع موقف اللجان العمالية في كافة انحاء اسرائيل . والمتتبع لكافة الصراعات العمالية وخلافات العمل التي حدثت في السنين الاربع الاخيرة وحتى قبلها ، لا بد ، ويلاحظ على ان كافة الاضرابات الجزئية او الكاملة كانت تلقى معارضة من الهستدروت ، وفي بعض الاحيان ، كانت هذه الاضرابات في المشاريع الهستدروتية بحد ذاتها .

تركيب المؤتمر ومهامه

يبلغ عدد مندوبي المؤتمر ١٥٠١ عضوا ، وقد كان عدد اعضاء المؤتمر السابق ١٠٠١ عضوا . وقد توزع هذا العدد على الكتل التالية بناء على الانتخابات التي جرت في ٧٣/٩/١١ . وقد بلغ عدد اصحاب حق الاقتراع آنذاك ١،١٥٩،٣٥٢ عاملا وعاملة ، صوت منهم ٧٩٧،٤١٩ ، يشكلون ٦٨،٧٥٪ من اصحاب حق الاقتراع . وتوزعت الاصوات الصالحة التي بلغت ٧٧٧،٣٣٥ صوتا على القوائم التالية : (دافار ٧٤/٣/١٥)

اسم القائمة	عدد الاصوات	النسبة المئوية	عدد المندوبين
المعراخ	٤٥٢،٤٦٢	٥٨،٣٠٪	٨٧٥
ليكود	١٧٦،٨٥٥	٢٢،٧٢٪	٣٤١
حركة العمل الليبرالي*	٤٦،٤٣٨	٥،٩٧ ٪	٩٠
قائمة الغامل المتدين**	٣٣،٠٩٩	٤،٢٦ ٪	٦٤
راكاح	١٨،٧٢٧	٢،٤١ ٪	٣٦
موكيد	١٣،٣٧٠	١،٧٢ ٪	٢٦
الفهود السود	١٢،٦٣٨	١،٦٣ ٪	٢٤

حركة الاخـــوة***	٧٤٠٥٥	٪ ٠٤٩١	١٤
مـــيري	٥٤٨٤٦	٪ ٠٤٨٥	١١
قائمة اتحاد مهاجري اليمن	٣٤٢٧٦	٪ ٠٤٤٢	٦
اللائحة من اجل انتخابات شخصية « نير »	٢٤٤٤٥	٪ ٠٤٣١	٥
قائمة اليمينيين في اسرائيل	٢٤٣٩٢	٪ ٠٤٣١	٥
قائمة حلف اليسار الصهيوني الاشتراكي****	٢٤١٣١	٪ ٠٤٢٧	٤

* تابعة لحزب الاحرار المستقلين .
** مرتبطة بحزب العمل ورئيسها عضو كنيست من حزب العمل .
*** بقية القوائم الصغيرة باستثناء راكاح ، موكيد ، ميري وحلف اليسار هي قوائم طائفية .
**** بقايا المابام الرافضين لاقامة المعراخ بزعامة يعقوب رفتين .

وفي صباح ٧٤/٣/١٢ جرى انتخـاب مكتـب لرئاسة المؤتمر من ٣٥ عضوا برئاسة أهرون بيكر (سكرتير عام أسبق للهستدروت) ، كما جرى انتخاب اللجنة الدائمة للمؤتمر برئاسـة يروحام ميشل القائم بأعمال سكرتير عام الهستدروت سابقا وسكرتير عام الهستدروت بالوكالة بعد استقالة يتسحاق أهرون ولجنة المندوبين برئاسة نائـان الوزيلينو ، وجميعهم من المعراخ .

وقد أعلن رئيس لجنة المندوبين ان عدد الكتل في المؤتمر قد انخفض من ١٣ كتلة الى عشر كتل بعد ان اتحدت بعض الكتل الصغيرة لضمان تمثيلها في اللجنة التنفيذية للهستدروت . وهكذا اتحدت كل من قائمة ميري وحلف اليسار ، وحركة الاخوة والقائمة من أجل انتخابات شخصية مع قائمة اتحاد مهاجري اليمن .

مهـام المؤتمر

تنقسم مهـام المؤتمر الى قسمين رئيسيين : اولا ، انتخاب مؤسسات الهستدروت ولجانها ، وثانيا مناقشة سياسة الهستدروت والوضع العام سياسيا واقتصاديا واجتماعيا من أجل وضع خطة عمل عريضة في السنين الاربع القادمة .

وبالنسبة للجزء الاول من المهام ، فقد تم انتخاب مجلس عام للهستدروت من ٥٠١ عضو ، انتخب بدوره لجنة تنفيذية مؤلفة من ١٦٧ عضوا ، (دافار ٧٤/٣/١٥) . كما ومن المقرر ان ينتخب المؤتمر لجنة مراقبة مركزية ومراقب عام للهستدروت ، وهيئة المحكمة العليا . وتتمثل جميع الكتل في هذه الهيئات حسب نسبتها المئوية . أما المكتب التنفيذي للهستدروت وسكرتير عام الهستدروت فان اللجنة التنفيذية المنتخبة من المؤتمر العام ، هي التي تقوم بانتخابهما . وقد قرر حزب العمل ترشيح يروحام ميشل لمنصب السكرتير العـــام للهستدروت وقد لاقى هذا الترشيح تأييدا من حزب المابام شريك العمل في المعراخ (ر٠١٠٠ ٧٤/٣/١١ عدد ٤٩١ ، ص ٤٣٤) .

افتتاح المؤتمر

افتتح المؤتمر مساء ٧٤/٣/١١ في مباني الامة في القدس ، وتحدث في الجلسة الافتتاحية كل من رئيس الدولة ، وسكرتير عام الهستدروت بالوكالة يروحام ميشل ، وبعض الخطباء الاخرين الذين قدموا تحياتهم للهستدروت بمناسبة مؤتمرها الثاني عشر .

كما وتحدث في المؤتمر بعد جلسة الافتتاح كل من رئيسة الوزراء ووزير المالية . وقد تخلل الجلسة الافتتاحية ، وباقي جلسات المؤتمر مشاغبـات ومقاطعات للخطباء ، هددت احيانا استمـرار المؤتمر ، وادت بالقائم باعمال سكرتير الهستدروت الى اختصار كلمته .

وقد احتلت موضوعات الفقر والضائقة التي تعيشها العائلات الكثيرة الاولاد، وسياسة الحكومة الاقتصادية جزءا كبيرا من مناقشات المؤتمرين .

وفي كلمته امام اعضاء المؤتمر اشار رئيـس الدولة الى المهام الملقاة على الهستدروت خصوصا بعد فترة الحرب فقال : « ان فترة الطـوارىء والاختبار لم تنته بعد ، وما زالت ملقاة على الهستدروت مهمات كبيرة . نحن نتوقع منها ان

تجند مواردها الكبيرة في المجالات الاقتصادية والتنظيمية والاجتماعية ، لكي تؤمن العمل للجنود المسرحين ، ولتضمن حقوقهم في اماكن العمل ، ولتهتم بعائلاتهم ، لئلا تتقلص مساهمتهم في فترة تأقلمهم من جديد بالحياة المدنية » .

واضاف رئيس الدولة : « ومع عودة المجندين الى حياة العمل والانتاج يتوجب على الهستدروت ان تهتم بسلسلة من القضايا تسبب بها الزمن . سيتوجب عليها سويا مع الحكومة سد الثغرة للحيلولة دون جني ارباح من حالة الحرب واستغلال حالة الطوارىء على حساب جماهير المواطنين ، ولضمان توزيع عادل ، قدر الامكان ، لاعباء الحرب بين فئات الجماهير المختلفة . ويتوجب عليها ان تجند قوتها العظيمة لتقليص الفجوات الاجتماعية والاقتصادية ، تلك الفجوات التي تؤلم الامة في حالة الطوارىء » (دافار ٧٤/٣/١٢) .

أما يروحام ميشل الذي القى كلمة الافتتاح فقد اشار الى اربعة مبادىء اساسية تسير الهستدروت على هداها في سياستها المهنية :

١ ــ ضمان اجر حد ادنى وراتب تقاعدي حد ادنى وزيادة ذات دلالة لعلاوة الاولاد .

٢ ــ محافظة دقيقة على علاوة الغلاء ، سواء كتعويض عنه ، او كوسيلة ردع أمام موجة غلاء أخرى .

٣ ــ يتوجب على المنتجين امتصاص جزء على الاقل من الغلاء الناجم عن الغاء المعونات الحكومية وعن غلاء المواد الخام .

٤ ــ فرض ضريبة على الارباح ، وخصوصا الارباح الناجمة عن الحرب .

واضاف ميشل : « علينا ان نرى في صلب سياستنا المهنية الارتباط المتبادل بين مركباتها المختلفة : الاجور ، الاسعار ، الارباح والضرائب. ويجب ان لا نسلم بأي حال من الاحوال ، بقصر اهتمام الهستدروت على احد المركبات فقط ــ الاجور ــ وابقاء باقي المركبات تحت صلاحية جهات اخرى » .

وبالنسبة لمستوى الاجور أشار ميشل : « ان المفاوضات حول مستوى الاجور يجب ان تجري في كل فرع على حدة بين المنظمات المهنية وبين ارباب العمل المعنيين ، وهذا من خلال اخذ الوضع الاقتصادي لذلك الفرع بعين الاعتبار وعلى أساس الخطوط الاساسية لسياسة الهستدروت المهنية العامة » .

واما بالنسبة لعلاقة الهستدروت بالحكومة فقال ميشل : « يجب الاشارة بوضوح الى استعداد الهستدروت الكبير للتعاون مع الحكومة في جميع المجالات ... ونحن لا نسعى لايجاد خلافات ، ولكننا لن نتردد في توجيه النقد للحكومة كلما بدا لنا ان هناك اساسا لهذا النقد » (دافار ٧٤/٣/١٢) .

وركزت رئيسة الوزراء في كلمتها امام المؤتمر على الوضع السياسي ، بعد ان ادانت الجو الذي حاول البعض فرضه على سير المؤتمر . واشارت مئير في معرض حديثها عن الوضع السياسي الى ما ادعاه احد مندوبي « موكيد » من ان استمرار الوجود الاسرائيلي في الجولان يحول دون التوصل الى السلام فقالت : « هذه البلاد لنا بفضل استيطاننا لها وبفضل الجهود التي بذلناها خلال سنين عديدة . وسنستمر في جهودنا قدر الامكان ». واشارت مئير الى ان اسرائيل تطمح الى السلام بشرط ان تستطيع الدفاع عن نفسها داخل حدود متفق عليها مع جيراننا ومعترف بها من قبل العالم بأسره . « أنا لا اوصي بأن تعتمد اسرائيل على الضمانات الدولية ــ الضمانات بدل الحدود التي نضمن قدرتنا للدفاع عنها ــ لن نقبل بها » (معاريف ٧٤/٣/١٣) .

اما وزير المالية بنحاس سابير فلم يكن لديه سوى التبشير بضرورة تخفيض مستوى المعيشة ، محاولا الدفاع عن سياسة الحكومة الاقتصادية التي تمثلت بشكل رئيسي بقرار الغاء المعونات المالية عن بعض المواد الاساسية . وحاول سابير في كلمته ان يثبت ان هذا القرار هو في صالح الطبقات الفقيرة ، سيما وانها ستتلقى تعويضا مناسبا بشكل زيادة علاوة الاولاد وغيرها من المخصصات التي يدفعها التأمين القومي ، مع اتباع سياسة ضرائبية جديدة . وقد قوبلت الاحصائيات التي قدمها سابير للمؤتمر بصيحات متكررة من قبل بعض المؤتمرين « ارقام مزيفة ». وفي معرض تطرقه الى مسألة مستوى المعيشة وضرورة تخفيضه قال سابير : « ان مستوى المعيشة عندنا ليس منخفضا ، بل هو مرتفع اكثر مما هو عليه في دول اخرى

عديدة ، كما ان انجازاتنا لا يستهان بها ، وبناء عليه فان وضعنا جيد » . واضاف سابير : « انني افهم المطالب التي يقدمها جمهور العاملين ، وهذا أمر طبيعي ، لان كل شخص يرغب بتحسين مستواه المعيشي والحصول على دخل أكبر وتحسين شروط عمله » .ثم تطرق سابير الى المشاغبات والمقاطعات التي حصلت داخل المؤتمر فقال : « انني أعلم ومقتنع جدا ، ان هؤلاء المشاغبين الذين يرفعون أصواتهم كلما صعد أحد لالقاء كلمته ، لن يستفيدوا شيئا من هذا المؤتمر وانني افترض ان قرارات مهمة ستتخذ هنا لصالح العمال ولصالح كل عضو في الهستدروت » (ر٠ا٠ ٧٤/٣/١٣ ، عدد ٤٨٥ ص ٢٩٠) .

وقال سابير مبررا قرار الحكومة بتقليص المعونات : « ان المسألة تكمن فيمن نأخذ منه المال ولمن نعطيه . وانا لا افهم لماذا يجب ان نأخذ بواسطة الضرائب الاموال من العامل ، واعطاء الخبز الرخيص للجميع . فعندما ترتفع الاسعار في الخارج ، فمن الواضح انه يجب على احدهم دفع ذلك . فاذا استمرينا باعطاء المعونات للجميع — فان جزءا غير قليل من الناس كان سيتلقاها دون ان يكون له حق في ذلك » (دامار ٧٤/٣/١٧) .

وكان سابير قد سبق واشار في معرض تقديمه للموازنة الجديدة للكنيست الى ان اعباء الحرب التي بلغت ٣٠ مليارا من الليرات الاسرائيلية ، سيقع جزء كبير من تغطيتها على كاهل الشعب ، لان المعونات الخارجية والقروض لن تغطي بأي حال من الاحوال المبلغ بكامله . واشار سابير آنذاك الى ان الجمهور الاسرائيلي سيتحمل اعباء الحرب ونفقات الدفاع المترتبة عنها على مدى أكثر من سنة . وانه بالتالي يتوجب على الهستدروت تفهم وضع البلاد الاقتصادي لدى تقريرها وتحديدها لسياستها المهنية . وان الجهود يجب ان تنصب نحو محاولة تسهيل اوضاع العائلات الفقيرة .

سير المناقشات

بعد تحديد القائم بأعمال سكرتير الهستدروت لمعالم سياسة الهستدروت القادمة في كافة المجالات ، وبعد كلمة كل من رئيسة الوزراء ووزير المالية شاركت مختلف الكتل في النقاش العام الذي تناول كافة المسائل المطروحة على جدول الاعمال ، بالاضافة الى اقتراحات تقدمت بها بعض الكتل لادراجها على جدول الاعمال، منها ما قبل وغالبيتها رفضت بأكثرية اصوات المعراخ وبعض الفئات الاخرى ، ومن جملة الاقتراحات التي رفضت كان ما تقدمت كتلة «راكاح» «وموكيد» «وميري» من ضرورة بحث الوضع السياسي العام ومناقشة المؤتمر لاتخاذ قرار يدعو الحكومة فيه للعمل على انجاح فرص تسوية النزاع العربي — الاسرائيلي والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني . وقد اكتفى المؤتمر في هذا الاطار — بالتأكيد على بيان رئيسة الحكومة وتأييد الخط السياسي العام لها فيما يتعلق بالموضوع .

أما مطلب كتلة الفهود السود ببحث تقرير لجنة كاتس المتعلق بالعائلات التي تعيش في الضائقة فقد تقرر بحثه في اللجان المختصة .

ردود الفعل

كان الهجوم على سياسة الهستدروت شاملا لكافة التيارات المعارضة سواء من اليمين او اليسار مع اختلاف الدوافع والمنطلقات والحلول لكنه كان واضحا منذ البداية ، ان المعراخ بفضل الاغلبية المطلقة التي يتمتع فيها في المؤتمر نظر لتحالفه مع قائمة العامل المتدين قادر على اسقاط كافة التحفظات او مشاريع القرارات التي لا تتماثل مع خط قيادة الهستدروت وبالتالي قيادة التجمع العمالي الحاكم .

وقال مندوب راكاح بنيامين جونين منددا بسياسة الهستدروت المهنية المعادية للعمال والخاضعة لتوجيهات حزب العمل والمعراخ ان : « صورة الهستدروت امام العمال تظهر كمؤيدة للقوانين المعادية للعمال مثل قانون تجميد الاضرابات ، وقانون محاكم العمل القطرية ، واوامر التقييد الاجباري » . واضاف جونين : « ان الهستدروت أيدت دائما سياسة الحكومة الضرائبية والمتعلقة بالاجور » (الاشارة الى « صفقة الرزمة » حول الاجور) . واشار جونين الى رد الهستدروت على قرار الحكومة بالغاء المعونات المالية عن بعض المواد الاساسية فقال : « ... انه كان مخيبا للامال » .

وتقدمت راكاح بسلسلة من الاقتراحات مثل رفع الراتب او الاجر الاساسي بـ ٢٥ ٪ من أجل

حساب علاوة الغلاء ، وطالبت بتوقيع اتفاقات عمل جماعية كل سنة ، وبالغاء القوانين والانظمة التي تمس حرية النضال المطلبي .

وربط مندوبو راكاح في كلماتهم بين الوضع الاقتصادي السيء وبين الوضع السياسي وسياسة الحكومة الفاشلة فيما يتعلق بالنزاع العربي الاسرائيلي وبقضية حقوق الشعب الفلسطيني القومية : « ان الوضع الاقتصادي الصعب هو نتيجة مباشرة للسياسة الفاشلة للحكومة في الحقلين السياسي والامني . ونحن نقترح على الهستدروت دعوة الحكومة لانجاح مؤتمر جنيف وتنفيذ قرارات مجلس الامن ، بالانسحاب من المناطق المحتلة والاعتراف بالحقوق القومية للشعب العربي الفلسطيني في نطاق اتفاق سلام » (دافار ١٥/٣/ ١٩٧٤) .

أما مندوب « موكيد » فحذر من استمرار الاستغلال البشع للطبقات الفقيرة ومن تزايد الهوة بين الطبقات العليا والدنيا ، واشار الى ان هذا الوضع يتيح مجالا خصبا للديماغوجية اليمينية الفاشية : « في كل بلد يسوده نظام رأسمالي كما هو الحال عندنا تستغل الفاشية والفاشية الجديدة ، هذا الوضع مؤدية الى وضع أسوأ . لذلك فالخطر الان يتهدد وجود الهستدروت الذاتي. كما ويتهدد التنظيمات والمنظمات العمالية الطبقية وكل ما هو ايجابي عندنا » . ثم تقدم مندوب موكيد بمطلبان :

١ — على الهستدروت ان تكون مستقلة وليس مجرد ختم للحكومة ووزارة المالية وعليها ان تقف الى جانب العمال في حالة نزاع العمل وليس كوسيط بين رب العمل والعامل .

٢ — يجب المحافظة على الديمقراطية في الهستدروت ، ليس فقط اثناء الاجتماعات . (دافار ١٥/٣/٧٤) .

اما ممثل ليكود ، فحدد نقده لسياسة الهستدروت بالامور التالية :

١ — ان ممثلي الهستدروت يقومون دائما بدور الوسيط بين المستخدمين وارباب العمل بدل ان يكونوا ممثلين حقيقيين للعمال في مطالبهم .

٢ — عدم مكافحة الهستدروت لاسلوب المماطلة في المفاوضات مع المستخدمين .

٣ — عدم اشراك لجان العمال في اتخاذ القرارات حول اتفاقات العمل الامر الذي يؤدي نتيجة لعدم موافقة هذه اللجان على بعض بنود هذه الاتفاقات ، الى خرقها والى اضرابات متتالية الامر الذي يعود بالضرر على علاقات العمل ، وماديا على اقتصاد الدولة .

وهذه المطالب التي تبدو ظاهريا دفاعا عن العمال ، تنكشف حقيقتها اذا ما اضفنا اليها مطالب اليمين البرجوازي الدائمة باقرار قانون التحكيم الالزامي في نزاعات العمل ومطالبه بتصفية القطاع الهستدروتي لحساب القطاع الخاص ، وبضرورة تقديم المعونات والقروض للمستثمرين في الداخل والخارج . ويبدو هنا ايضا ان اليمين يستغل بشكل اساسي سياسة السلطة العمالية المعادية للعمال في محاولة ديماغوغية لضرب مصالح العمال على المستوى البعيد .

قرارات المؤتمر

كان من بين القرارات التي اتخذها المؤتمر ما يلي :

١ — دعم حكومة اسرائيل في جهودها للتوصل الى اتفاقية سلام مع الشعوب المجاورة .

٢ — دعوة الى اقامة نطاق مشترك للمستخدمين واصحاب العمل لمعالجة مشاكل الاقتصاد اثناء الطوارىء .

٣ — دعوة لاقرار اجر حد ادنى في مستوى يتراوح بين ٥٠ — ٦٠ ٪ من متوسط الاجر في كافة قطاعات الاقتصاد .

٤ — رفع سقف الاجور لحساب علاوة الغلاء وفحص امكانيات تقصير اسبوع العمل في اسرائيل .

كما وجاء في القرارات ان الهستدروت ستشجع اقامة منظمة اكاديمية عامة تحافظ على الاستقلالية الذاتية للمنظمات القائمة . وستطالب بربط دفعات التأمين القومي ودفعات المساعدة الاجتماعية بالاجر المتوسط في المرافق الاقتصادية ، كما وستنشىء صندوقا خاصا لتوسيع الاسكان للمهاجرين (دافار ١٥/٣/٧٤) . ولخص بروحام ميشل المرشح لمنصب سكرتير عام الهستدروت قرارات المؤتمر بقوله : « ان أهم امر ، هو اننا قررنا اقامة مركز خاص للاهتمام بمشكلات الفئات الفقيرة في المجتمع الاسرائيلي، وذلك لمعالجة مشكلات السكن والاحياء

الفقيرة . واهم نقطة هي ايجاد قيادات في الاحياء الفقيرة لمعالجة مشكلات هذه الاحياء . والنقطة الثانية هي اقامة مركز لاستيعاب المهاجرين الجدد. كما سنقيم وحدة خاصة لتطوير القطاع الاقتصادي في القرى العربية ، ومنح المزيد من الاستقلال للدائرة العربية في الهستدروت ، ومنح استقلال تام للعامل العربي لنثبت انه بالامكان اقامة مجتمع مشترك في دولة اسرائيل مجتمع يهودي — عربي . كذلك سنسعى الى نقل مؤسسات الهستدروت الرئيسية الى القدس » (ر.ا.ا. ٧٤/٣/١٤ ، عدد ٤٨٥ ، ص ٢٩٧) .

أما عضو الكنيست يتسحاق بن أهرون، السكرتير العام السابق للهستدروت ، الذي كان قد أعلن عن استقالته من منصبه بعيد الانتخابات العامة للمؤتمر الثاني عشر للهستدروت ، بدعوى عدم وجود دعم كاف من حزب العمل لجهوده في تحقيق مطالب العمال وفي اجراء تغييرات واصلاح في بنية الهستدروت ، فقد علق على نتائج مؤتمر الهستدروت بقوله ان مؤتمر الهستدروت لم يخدم بأي شكل المصالح المهنية للاجراء والمصالح المصيرية لحركة العمل . واضاف بن أهرون في مقابلة اذاعية أجريت معه بعد اختتام اعمال المؤتمر : « عندما ترى على من القوا الان مهمة قيادة الهستدروت ، وعندما ترى ان هذا المؤتمر في اول اختبار له لم ينجح في تحديد الاهداف وفي وضع الهستدروت في حجمها الطبيعي كأحد العوامل الاساسية في بلورة المجتمع وفي المسؤولية عن الدولة ، عندها تفهم انني أكثر من قلق » .

وأوجز بن أهرون فترة ولايته : « بأنها كانت من أصعب الفترات في الصراعات الاجتماعية ، حيث برزت امام الجميع حدة الاستقطاب الاخذ في الاتساع ، وحيث زادت الهوة في المجتمع الاسرائيلي » . وعلى حد قوله : نشأت في اسرائيل طبقة غنية ، تعيش حياة ترف وبذخ ، تعد ، حسب تقديره اليوم قرابة ١٥٠ الف عائلة . كما وبرز في سني ولايته جمود في جهاز التنظيم والادارة ، وتحجر لدى الاعضاء الذين مكثوا في وظائفهم العالية عشر أو خمس عشرة سنة واصبحوا فارغين تماما» (دافار ٧٤/٣/١٧) .

وكانت قيادة الهستدروت وحزب العمل قد حالت دون بن أهرون والقاء تقرير كما هو متبع وواجب عن فترة ولايته السابقة امام المؤتمر الجديد الامر الذي ادى في حينه الى حدوث شجار داخل المؤتمر بين انصار بن أهرون وبين زعامة المؤتمر .

هاني عبدالله

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب

« الضمير »

قصة الشهيد كمال ناصر

بقلم : هالة سلام وسلوى الخالدي

٣٢ صفحة باللغة الانجليزية مقرونة بالصور عن الشهيد كمال ناصر : الانسان ، المناضل ، والشاعر .

سعر النسخة ٢ ل.ل.

يضاف اليها أجور البريد الجوي : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١ ل.ل. في اوروبة ، ٢١/٢ ل.ل. في سائر الدول .

اطلبه من مركز الابحاث — قسم التوزيع .

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

حرب تشرين وتقرير لجنة اغرانات يقودان الى
« انقلابين » في اسرائيل : عسكري وسياسي

في الساعة التاسعة والنصف من مساء يوم الثلاثاء ١٩٧٤/٤/٢ ، صدر تعميم من مكتب رئيس اركان جيش الاحتلال الاسرائيلي اللواء داڤيد العازار الى جميع القادة العاملين التابعين للاركان ، يطلب العازار فيه منهم ان يستمعوا الى نشرة انباء الساعة العاشرة من اذاعة « صوت اسرائيل » (معاريف ٧٤/٤/٣) .

كانت هذه اول اشارة الى ان شيئا خطيرا ما سيحدث .

وحدث « الشيء » الذي كان أشبه بالزلزال ، حيث تضمنت نشرة الانباء تلك ، اجزاء واهية من التقرير الجزئي للجنة اغرانات للتحقيق في تقصيرات حرب تشرين ، وهو ذلك الجزء من التقرير الذي هز اسرائيل ، وتضمن استنتاجات وتوصيات متعلقة بمؤسسات واشخاص ، وادى الى استقالة العازار وغيره من كبار ضباط جيش العدو فورا ، وادى — بعد ايام — الى استقالة غولدا مئير وحكومتها ، وادخال اسرائيل في ازمة أكبر من ان تسمى « ازمة وزارية » ، وخلق جوا لم تشهد اسرائيل مثيلا له من قبل ، وتاد الى سلسلة طويلة متصلة من الاحداث وردود الفعل العنيفة ، سلسلة لم تنته حتى ساعة تقديم هذا الاستعراض في النصف الثاني من شهر نيسان (ابريل) ، ولا هي ستنتهي على ما يبدو بعد مرور أشهر ، وربما سنين عديدة .

وفي محاولة للمحافظة على ترابط فقرات هذا الاستعراض ، سنعمد الى البدء من البداية ، وبالتسلسل ، حيث نجد امامنا السؤال الاول الذي يقول : من هو اغرانات ؟ ومن هم اعضاء اللجنة المعروفة باسمه ؟ كيف تشكلت هذه ؟ متى ؟ وبماذا طلب اليها ان تحقق ؟ وكيف كانت ردود الفعل الاولية على تشكيلها ومهمتها ؟

لقد اتخذت حكومة العدو في جلستها يوم ١٨/ ١٩٧٤/١١ ، قرارا يقول بأن « المعلومات التي سبقت حرب يوم الغفران عن خطوات العدو ونواياه بشن الحرب ، وتقديرات وقرارات الجهات العسكرية والمدنية المعتمدة بشأن المعلومات المذكورة ، وعن استنفار جيش الدفاع الاسرائيلي للحرب بشكل عام ، وتأهبه خلال الايام التي سبقت حرب يوم الغفران ، والاعمال التي قام بها حتى صد العدو ، هي مواضيع ذات أهمية عامة حيوية وتحتاج الى توضيح . وبموجب ذلك تقام لجنة تحقيق تحقق في المواضيع المذكورة ، وتقدم تقريرا للحكومة ، ويتقرر ، بعد التشاور مع رئيس المحكمة العليا ، ان تكون اللجنة مكونة من خمسة اعضاء ويتقرر ان الامور التي هي مواضيع التحقيق ، ومناقشات اللجنة، سرية ... وكذلك طلب مصادقة لجنة الخارجية والامن في الكنيست على هذا القرار » (معاريف ٧٤/٤/٣) .

وبناء على هذا القرار الذي صدقته لجنة الخارجية والامن في الكنيست يوم ٧٣/١١/١٩ ، عين رئيس المحكمة العليا الدكتور شمعون اغرانات يوم ٧٤/١١/٢١ اللجنة الخماسية على النحو التالي : الدكتور شمعون اغرانات رئيس المحكمة العليا رئيسا ، موشي لانداو ، قاضي المحكمة العليا عضوا ، الدكتور اسحق نفتسال ، مراقب حسابات الدولة — عضوا ، واللواء (احتياط) يغآل يدين ، بروفيسور في الجامعة العبرية — عضوا ، واللواء (احتياط) حاييم لاسكوف ، مفوض شكاوى الجنود — عضوا » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/١١/٢٦ وكذلك معاريف ٧٤/٤/٣) .

كان واضحا منذ اعلان الحكومة لقرارها ، وتشكيل اللجنة التي بدأت أعمالها يوم٧٣/١١/٢٥، ان الهدف الاساسي لكل ذلك هو اعطاء المسؤولين الاسرائيليين ، وخاصة زعماء حزب العمل — أكبر أحزاب الائتلاف الحاكم والمسؤول الاول عن تسيير امور الدولة وتوجيه دفة الحكم — فرصة الدعوة الى عدم التشهير به بسبب تقصيرات الحرب بادعاء ان الموضوع برمته هو قيد البحث في لجنة موضوعية غير منحازة وصلاحياتها واسعة ، وذلك — بشكل خاص — على عتبة الانتخابات الثامنة التي حدد موعدها قبل ذلك ، ليوم ٧٣/١٢/٣١ .

ومنذ تشكيل اللجنة لاحظ رجل القضاء الاسرائيلي ارفين شمرون في مقابلة اذاعية اجريت معه ، « ان الموضوع المحدد الذي يتوجب على اللجنة

ان تعالجه ، قررته الحكومة في قرارها ، وليس للجنة صلاحية تجاوز ما حدد لهـــا ... وان استنتاجات اللجنة غير ملزمة للحكومة ، والهيئة الوحيدة التي تستطيع ان تحاسب الحكومة لعدم قيامها بتنفيذ استنتاجات لجنة التحقيق ، هي لجنة الخارجية والامن في الكنيست ، ومن المعلوم ان للحكومة أغلبية في لجنة الخارجية والامن هذه » (ر.ا.ا. ٧٣/١١/٢٦) .

وفي البرنامج الاذاعي ذاته (المصدر السابق) أعرب زعماء في الائتلاف الحاكم وفي المعارضة عن اراء متباينة في تشكيل وصلاحيات هذه « اللجنة القضائية » للتحقيق في تقصيرات الحرب .

اذ بعد ان اعرب عضو الكنيست من حـــزب الاحرار المستقلين (المؤتلف) جدعون هاوزنر عن اعتقاده بأن اللجنة « افضل من اية لجنة اخرى ، لان لجنة التحقيق القضائية لا تشكل بقرار من الحكومة ، بل من رئيس المحكمة العليا ، اي من جانب موضوعي ويثق به الجمهور » ، قال عضو الكنيست (المعارض) اوري افنيري انه « اذا كان القصد من تأليف اللجنة هو انهاء النقاش حول التقصير في الحرب ، وانهاء النقاش بين السياسيين واسكات المعارضين في الصحف وفي الكنيست ، فان هذه اللجنة هي اللجنة المثالية . ولكن اذا ثمة اعتقاد بانه ينبغي بعد حرب كهذه درس وتوضيح كل ما يمكن توضيحه بصورة علنية ، فعندها ينبغي تعيين لجنة تحقيق شعبية ، او تعديل القانون — الذي شكلت اللجنة بموجبه — وجعل لجنة التحقيق القضائية غير ملزمة بكتمان استنتاجاتها ، وعدم اجراء تحقيقات سرية » .

وقال عضو الكنيست افرهام ليفنبراون مـن الحزب الشيوعي « راكاح » : اننا لا نعلق امالا كبيرة على نتائج تحقيقات اللجنة طالما ان استنتاجاتها ستبقى مكتومة لاسباب أمنية » .

ومن المعارضة اليمينية ، قال عضو الكنيست اليعازر ريملط ، رئيس حزب الاحرار وعضو لجنة الخارجية والامن « انني لست راضيا عن جعل كافة جلسات اللجنة مغلقة ، فمجرد جعل كافة جلساتها مغلقة يضعف ثقة الجمهور بعملها » .

أما من الائتلاف الحاكم ، فقد أعلن ســكرتير عام حزب العمل أهرون يدلين « ان كتاب التكليف كاف ، واعتقد ان المهم هو التحقيق في الاستعدادات التي اجراها جيش الدفاع الاسرائيلي قبيل الحرب، والايام الاولى من الحرب ، وليس ثمة ضـرورة للتحقيق في كافة مراحل القتال ، فهذا ينبغي ان يجري داخل الجيش » .

عقدت اللجنة بين يومي ٧٣/١١/٢٥ و٧٤/٤/١، أي يوم اصدار تقريرها الجزئي ، ١٤٠ جلسة واستمعت الى ٥٨ شاهدا ، كما قدمت اليها مواد خطية غزيرة ، مكنتها من تفضيل « تقـــديم استنتاجاتها وتوصياتها بالنسبة الى المواضـيع التي أنهت مناقشتها » على الرغم من معرفتهـا « ان هذه المواضيع خصوصا الاستنفار والتأهب مرتبط بعضها ببعض بصورة او بأخرى ، وكذلك معرفتها انه « من المفضل عدم تجزئة البحث بحسب المواضيع المختلفة » ومن بين ما جعل اللجنة تفضل تقديم تقرير جزئي ان اعداد تقرير كامل وتـام سيحتاج الى وقت طويل « ومن حق الشعب ان يعرف في أقرب وقت استنتاجات اللجنة وتوصياتها بالنسبة الى المواضيع التي أنهت مناقشتها ، ومن المفضل ان يكون في مقدور الحكومة التصرف بموجبها في أقرب وقت » .

لقد أعد اعضاء اللجنة تقريرهم الجزئي ووقعوه يوم ٧٤/٤/١ . ومنذ اللحظة الاولى لعلم الحكومة به ، او لاطلاعها على ما فيه على الاقل ، بدأت مواضيع غير مفسرة تشكل مادة لتعليقات وتكهنات صحف واذاعة اسرائيل ، الى ان جاءت انبـاء الساعة العاشرة من مساء يوم ٧٤/٤/٢ . ففي صباح ذلك اليوم بثت اذاعة العدو نبأ عن تأجيل بنحاس سابير وزير المالية في آخر لحظة لسفره الى الولايات المتحدة وقد كان يفترض ان يسافر سابير في ذلك الصباح .

وعند الظهر قال احد مراسلي اذاعة العدو ان المقربين من سابير لا يرغبون كشف السبب الذي جعل الوزير يرجىء سفره بصورة مفاجئة ... « وفي الواقع ان شخصية كبيرة طلبت من سابير في ساعة متأخرة من مساء امس تأجيل سفره » وضمن التكهنات التي عرضتها على انها قد تكون سبب ارجاء السفر الوضع على جبهة الجولان ، والاقتراع المتوقع في الكنيست بالنسبة لتبديـل أسلوب الانتخابات ، واستقالة الوزير ميخائيـل حزاني ، احد وزراء المفدال الثلاثة .

وبعد ان كان من المفترض ان يعود دايان يوم

٧٤/٤/٣ ، عاد ظهر يوم ٧٤/٤/٢ حيث توجه الى مكتبه ، ومنه الى مكتب رئيسة الحكومة حيث بدأت في الساعة السابعة مساء جلسة طارئة للحكومة، لم يتمكن المراسلون من معرفة حقيقة ما على جدول أعمالها — باستثناء البند الاول المتعلق بتقديم حزائي لاستقالته — الى ان جاءت انباء الساعة العاشرة مساء ، التي سبقها بقليل خروج رئيس الاركان دافيد العازار من مكتب مئير وتوجهه نحو سيارته ، حيث لحقه الون ، وعلى وجهيهما علامات الجدية » الى سيارته ، التي ودعه الون على بابها وشد يده ، كما قالت اذاعة العدو ذلك المساء ، واستمرت جلسة الحكومة حتى الساعة الحادية عشرة والنصف قبل منتصف الليل .

في هذه الجلسة الاستثنائية الطويلة ، كان تقرير لجنة اغرانات هو الموضوع ، (مقتطفات وافية للغاية من التقرير تجدها في عدد نشرة رصد اذاعة اسرائيل يوم ٧٤/٤/١٣ والنص الكامل للتقرير تجده في عددي جريدة « النهار » البيروتية يومي ١٢ و٧٤/٤/١٣) ، وتخلل الجلسة قراءة دافيد العازار لرسالة خطية وجهها الى غولدا مئير » .

والعلامتان الابرز في التقرير كانتا توجيه النقد لمؤسسات عسكرية ولقادة عسكريين في جيش الاحتلال ، وامتداح لتصرفات مئير وتبرير لتصرفات دايان عشية الحرب وفي الفترة التي تناولتها اللجنة في تقريرها .

وكانت هاتان العلامتان مدار ومركز التعليقات وردود الفعل الاسرائيلية ، وطبيعي ان تكون التطورات على الصعيد العسكري قد سبقت أية تطورات اخرى ، حيث ان اللجنة ادانت صراحة في تقريرها عددا من كبار ضباط الجيش .

على صعيد الاجهزة ، اوصت اللجنة « بالنظر في امكانية تعزيز قسم الابحاث في وزارة الخارجية ، ليكون قادرا على تقديم تقييمات سياسية مستقلة ، سواء فيما يتعلق بقضايا الشرق الاوسط ، أم بالقضايا السياسية الاخرى ، كما تقضي الحاجة » وقالت اللجنة في تقريرها انه « لدى تعزيز قسم الابحاث يتولد توازن معين في التقييمات الامنية والسياسية التي يقوم بها اليوم قسم الابحاث في الاستخبارات العسكرية في صورة استثنائية تقريبا » . ورأت اللجنة ضرورة « تعيين مستشار خاص برئيس الحكومة لقضايا الاستخبارات ، وينبغي ان يكون هذا المستشار الخاص على مستوى رفيع ، وان يكرس كل وقته لوظيفته هذه، ويكون خاضعا لرئيس الحكومة وحده ، وتكون صلاحياته : الاشتراك الدائم في لجنة رؤساء الاجهزة ، والحضور الدائم لجميع اجتماعات رئيس الحكومة مع أي من رؤساء الاجهزة ... » وغير ذلك ، كما اوصت اللجنة « باجراء تغييرات جوهرية واساسية في هيكل شعبة الاستخبارات العسكرية والاستراتيجية والميدانية والتكتيكية » وكذلك اوصت اللجنة بوجوب « اقامة وحدات ضمن اطار « الموساد » لتقييم المواد التي يجمعها « الموساد » » .

وبعد هذه التوصيات « العامة » بشأن الاجهزة، والتلميح عبر التوصيات بتقصير الاجهزة ، والدعوة الى وضع « مندوب » لرئيس الحكومة على رأسها جميعا وتحويل جزء من مهام الاجهزة الى وزارة الخارجية ، يصل التقرير الى توصيات متعلقة بالاشخاص الذين شغلوا مناصب عالية في الجيش في الفترة التي خضعت لتحقيق اللجنة .

ويمكن عرض هذه التوصيات — باختصار — على النحو التالي :

١— فيما يتعلق باللواء دافيد العازار رئيس هيئة الاركان العامة ، توصلت اللجنة الى اتفاق يقول بانه « يتحمل مسؤولية شخصية عما حدث عشية الحرب ، سواء بالنسبة الى تقدير الوضع أم بالنسبة الى تأهب جيش الدفاع الاسرائيلي » وبعد عرض مفصل لاسباب تقدير واحترام اللجنة للعازار واسباب تحميلها له هذه المسؤولية ، خلصت اللجنة الى القول : « اننا نرى من واجبنا التوصية بانهاء تولي اللواء دافيد العازار منصب رئيس الاركان العامة » .

٢ — وعن العميد شموئيل غونين ، الذي كان خلال الفترة التي خضعت لتحقيق اللجنة قائدا للمنطقة الجنوبية ، قالت اللجنة بعد كيل بعض المديح له انه « يتحمل جزءا كبيرا من المسؤولية عن الوضع الخطر الذي دوهمت فيه قواتنا في الجنوب يوم الغفران ، عندما بدأ الجيش المصري هجومه » وحملت اللجنة غونين مسؤولية « أخطاء فاحشة » اخرى وخلصت الى القول : « اننا لا نقدم في هذه المرحلة توصية بشأن صلاحية العميد

غونين في ممارسة مهام في جيش الدفاع الاسرائيلي، وانما نوصي بعدم ممارسته مهمة فعالة ، الى حين تستكمل اللجنة تحقيقها في ما يتعلق بمرحلة معارك صد العدو » .

٣ ـ وعن العميد الياهو زاعيرا ، رئيس فرع الاستخبارات العسكرية قالت اللجنة : « في رأينا ان العميد زاعيرا ، وازاء الفشل الذريع الذي مني به ، لا يستطيع البقاء في منصبه كرئيس لفرع الاستخبارات العسكرية » .

٤ ـ وعن العقيد اريه شاليف ، مساعد رئيس فرع الاستخبارات العسكرية للابحاث ، قالت اللجنة انه « يتحمل جل المسؤولية عن الخطأ الفادح الذي ارتكبه القسم الذي يرأسه ، ولهذا السبب فانه لا يستطيع في رأينا البقاء في منصبه في شعبة الاستخبارات العسكرية » .

٥ ـ وعن المقدم يونا بندمان رئيس دائرة مصر في قسم الابحاث التابع لفرع الاستخبارات العسكرية ، قالت اللجنة انه كان « مسؤولا عن أعمال الدائرة التي كانت بؤرة الاخطاء المضللة للتقييمات وعدم التحذير من نيات العدو المصري... وفي رأينا انه يجب التوقف عن اسناد الوظيفة المتعلقة بتقييم معلومات الاستخبارات الى المقدم بندمان » .

٦ ـ وعن المقدم دافيد غداليا ، الضابط في هيئة اركان المنطقة الجنوبية ، قالت اللجنة انه لم يقم بواجبه كضابط استخبارات عندما قدم له الملازم اول بنيامين سيمان طوف تقريرين الاول يوم ٧٣/١٠/١ بعنوان « تحركات في الجيش المصري ـ احتمال تجدد القتال » والثاني يوم ٧٣/١٠/٣ ، بعنوان « تلخيص الوضع في الجيش المصري من ٧٣/٩/١٣ حتى ٧٣/١٠/٢ » ... وانتهت اللجنة الى القول : « بناء عليه يجب ان لا تسند الى المقدم غداليا بعد الان مهمات استخبارية » .

كيف انعكست توصيات لجنة اغرانات المذكورة على رأس هرم القيادة العسكرية الاسرائيلية ؟

فيما يتعلق برئيس الاركان دافيد العازار ، وكما ذكرنا سابقا ، قدم هذا رسالة خطية ، اخرجها من جيبه في جلسة الحكومة مساء يوم ٧٤/٤/٢ ، وقرأها ، ثم خرج الى حيث كان عمداء الجيش مجتمعين في مكتبه ، قرأ الرسالة عليهم ثانية ... وركب سيارته وتوجه الى البيت في آخر خروج له من المكتب كرئيس للاركان .

وفي رسالته ، يقول العازار : « انني واثق من انه لحق بي اجحاف » ثم أعلن عن عدم موافقته على عدد من قرارات اللجنة الاساسية التي جاءت في غير صالحه ، وانتهى في رسالته التي نشرت نصها تشرة رصد اذاعة اسرائيل يوم ٧٤/٤/٣ ، الى القول بأنه على ضوء الاتهامات الواردة في تقرير اللجنة لا يرى ان ثمة امكانية للاستمرار في منصبه ، واعلن انه حتى اشعار آخر ، يتسلم العميد اسحق حوفي رئيس شعبة العمليات في رئاسة الاركان منصبه كرئيس لهيئة الاركان العامة بالوكالة .

وفي حين نقلت جريدة « معاريف » على الصفحة الثالثة في عددها يوم ٧٤/٤/٤ عن عضو الكنيست زلمان شوفال من « القائمة الرسمية » ان الوزير يسرائيل غاليلي صاغ رسالة العازار الى مئير ، عادت الجريدة على صفحتها الاولى من اليوم ذاته، ونفت نقلا عن العازار ان يكون غاليلي قد صاغ له رسالة الرد على قرار اللجنة ، وكان في ذلك اشارة من المقربين الى دايان إلى ان الاتهامات التي وجهت الى دايان ووردت في رسالة العازار ، هي عمليا صادرة عن كتلة احدوت هعفودا ـ التي يتزعمها الون وغاليلي ـ في حزب العمل ، والمختلفة ابدا مع كتلة رافي التي يتزعمها دايان .

والاجتماع الذي عقده العازار في رئاسة الاركان، ولم يستمر أكثر من ٧ـ٨ دقائق فقط ، حضره عمداء جيش الاحتلال وكان بينهم بعض من ادانتهم لجنة اغرانات واوصت بابعادهم عن الجيش او عن مناصبهم .

« وفي غرفة الانتظار في رئاسة الاركان قال العميد الياهو زاعيرا «الان استطيع ان اخرج في اجازة»، أما العميد شموئيل غونين فقد صرح لزملائه : « انني انوي ان استقيل » (معاريف ٧٤/٤/٣).

ثم بدأت سلسلة الاستقالات والتعيينات في المناصب العليا في الجيش الاسرائيلي ، تلك التي لم تنته بعد ، والتي يمكن ايجازها على النحو التالي :

١ ـ قبلت استقالة زاعيرا، وعين العميد شلومو غازيت ابتداء من يوم ٧٤/٤/٣ خلفا له .

٢ ــ تسلم العميد رفائيل فاردي منصب منسق النشاطات الاسرائيلية في المناطق المحتلة خلفا لغازيت .

٣ ــ عين العميد ثاني اريه شاليف ــ بعد قبول استقالته من الاستخبارات ــ قائدا لمنطقة الضفة الغربية .

٤ ــ انهى العميد شموئيل غونين عمله كقائد لمنطقة شرم الشيخ يوم ٧٤/٤/٣ ، وهو المنصب الذي شغله اثر اندلاع حرب تشرين ، ثم قبل اقتراحا من دايان بمنحه اجازة « لمتابعة دراسته الى ان تنتهي لجنة اغرانات من تحقيقاتها » .

واعلن جميع هذه البيانات الناطق العسكري الاسرائيلي ظهر يوم ٧٤/٤/٣ (ر. ا. ا. ٥/٤/ ١٩٧٤) .

وقرر العميد غونين ، استنادا الى بند في قانون تشكيل لجنة التحقيق ، يقضي بحضور من يتضرر او من يوكله جلسات اللجنة في حال تعرضه للضرر من جراء قرارات او توصيات او استنتاجات اللجنة ، ان يتوجه الى محكمة العدل العليا ، مطالبا باصدار امر للجنة والحكومة لكي يعللا عدم الغاء اجزاء التقرير التي تلحق الضرر به ، طالما انه لم يحضر جلسات التحقيق التي استندت اليها اللجنة في اتخاذ ما اتخذته من توصيات .

٥ ــ اعلنت الحكومة الاسرائيلية يوم ٧٤/٤/١٤ تعيين اللواء مردخاي غور قائد المنطقة الشمالية ، خلفا لالعازار كرئيس اصيل لهيئة الاركان العامة لجيش الاحتلال .

٦ ــ اعلن الناطق العسكري الاسرائيلي تعيين العميد رفائيل ايتان خلفا لغور كقائد للمنطقة الشمالية ابتداء من يوم ٧٤/٤/١٥ .

٧ ــ اعلن الناطق العسكري الاسرائيلي مساء يوم ٧٤/٤/١٥ استقالة اسحق حوفي من الجيش نهائيا ، وشغر بذلك منصب رئيس غرفة عمليات جيش الاحتلال .

٨ ــ تسلم العميد هرتسل شبير منصب رئيس غرفة العمليات في الاركان العامة . ابتداء من يوم ٧٤/٤/١٥ .

٩ ــ عين العميد موشي بيلد ابتداء من يوم ٧٤/٤/١٦ قائدا لسلاح المدرعات .

١٠ ــ عين العميد موشي كيدرون ــ الذي مضى على تسريحه من الجيش سنة ونصف ــ رئيسا لفرع الطاقة البشرية في هيئة اركان جيش الاحتلال .

ومعروف ان منصب نائب رئيس الاركان الذي شغر منذ اكثر من شهر ونصف باستقالة العميد يسرائيل طال من الجيش ، ما زال شاغرا ، اضافة الى مناصب قيادية اخرى في أسلحة وفروع الجيش .

ومن مجموع التعليقات التي نقلتها اذاعة العدو في الاسبوعين الاولين بعد نشر التقرير الجزئي للجنة اغرانات ، لم ينتصر أحد من المعلقين الى دافيد العازار وغيره من الضباط الذين اوصي بابعادهم عن الجيش او مناصبهم بالمعنى المطلق ، بل اقتصر الانتصار لهم عن طريق الاعراب عن تحيز اللجنة واستخلاصها النتائج في تقصيرات يتحملها دايان بشكل اساسي ، والحكومة بشكل عام الى جانب تحمل العازار لها ، في حين كانت التوصيات مقتصرة فقط على المطالبة بمحاسبة العسكريين .

ولقد برز بين المطالبين باقالة دايان ، او ضرورة استخلاصه النتائج وتقديم استقالته ، العديد من الاحزاب والتجمعات والافراد ، مثل حزب مبسام العضو في التجمع العمالي مع حزب العمل ، والاحزاب الواقعة على يسار الحزب الحاكم مثل موكيد وراكاح وغيرهما من التجمعات مثل «حركات التغيير » التي نشأت خلال الاسابيع الماضية ، وحزب الاحرار المستقلين ، واعضاء كتلة احدوت هعفودا في حزب العمل ، اضافة الى أسماء عرفت « باعتدالها » ضمن كتلة المباي في حزب العمل مثل اريه لوفا اليف وبنحاس سابير ، الذي اعلن اثر مشاورات داخل حزب العمل ان ٢٤ او ٢٥ من بين ٢٦ متحدثا في المشاورات طالبوا دايان بالاستقالة .

على ان السؤال الاهم الذي يواجهنا ــ قبل ان ننتقل الى اصداء ونتائج تقرير اللجنة على الصعيد السياسي ــ هو ما هو الاتجاه العام الذي تشير اليه التعيينات الجديدة في قيادة اركان جيش الاحتلال ؟

اول الملاحظات ، هو ان ابرز تعيين حتى الان كانا تعيين مردخاي غور رئيسا للاركان ورفائيل ايتان قائدا للمنطقة الشمالية .

والميزة الاساسية لمردخاي غور انه برز في اسرائيل في فترة بروز قادة عسكريين اخرين اعتبرهم الاسرائيليون محققي المعجزات ، واساطير تمشي على الارض ، ثم اختفى في الفترة الاخيرة ، ولم تلوثه وتنهيه حرب تشرين لانه كان بعيدا عن اسرائيل ، حيث شغل منصب الملحق العسكري في السفارة الاسرائيلية لدى واشنطن طوال الفترة الخاضعة للتحقيق الذي أجرته لجنة اغرانات ، بل انه بحكم منصبه هذا كان المشرف على تحريك الجسر الجوي الذي نقلت عليه الاسلحة الاميركية لاسرائيل ابتداء من الاسبوع الاول للحرب .

وغور عودة غور الى اسرائيل تسلم منصب قائد المنطقة الشمالية ، وبدأ يبرز اكثر واكثر في حين كان يذوي غيره من الضباط الذين طالتهم عصى لجنة اغرانات ، واستفاد غور من صورته السابقة في اذهان الاسرائيليين كاحد ابرز ضباط سلاح المظلات الذي يعتبره الاسرائيليون من اهم أسلحة جيشهم، كما استفاد من صورته اثر حرب حزيران ١٩٦٧ والتي ابرزتها كتب تلك الحرب — مثل كتاب « خوذات نحو الاردن » تأليف شاؤول كوهين وغيره من الكتب والالبومات — وجاء فيها انه « فاتح » القدس ، والقائد الاول الذي دخل بسيارته نصف المجنزرة صباح يوم ٦٧/٦/٧ مدينة القدس القديمة ووصل حائط المبكى ، مبلغا قيادته عبر جهاز الاتصال اللاسلكي : « القدس في ايدينا .. القدس في ايدينا » .

ومن ميزات غور الاساسية ايضا ، كما جاء في كتاب « جنرالات اسرائيل » انه من القادة الجريئين الذين انزلوا في العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ خلف خطوط الجيش المصري وراء ممرات المتلا ونجا رغم اصابة العديد من رفاقه ورغم احتراق سيارته نصف المجنزرة التي عاد بها الى الممرات .

وغور بذلك من « مهندسي » اختراق خطوط « العدو » ونقل الحرب الى اراضي الخصم ، وقد شارك عمليا في العديد من العمليات الاجرامية داخل الحدود العربية قبل عام ١٩٦٧ .

والضابط الاخر هو رفائيل ايتان ، الذي تبرزه الكتب الدعائية الاسرائيلية على انه « اسطورة صغيرة » وانه كان شاويش السرية التي قادها العازار في معركة القطمون في القدس — كما جاء في كتاب جنرالات اسرائيل — وقاتل جميع افرادها بعنف في معركة قاسية للغاية واستمروا يقاتلون بالسرية المكونة من ١٢٠ فردا حتى عاد من هؤلاء ٢٠ فردا فقط على الاقدام ، ونقل ٦٠ منهم على حمالات وقتل الباقون ، وادت هذه المعركة الى اقتناع ايتان ، كما أدت كذلك الى اقتناع العازار ، بأن الاساس في الحرب والمعركة هو التحمل والصبر ، حيث يكون الخصم في ظروف كظروفك بل وربما اسوأ عندما تكون انت في قمة التعب ، ومن هنا فان « الشجاعة صبر ساعة » .

ومن المعروف من ايتان ، انه « بطل » حرق الطائرات المدنية في مطار بيروت في الايام الاخيرة من عام ١٩٦٨ .

ماذا يعني ذلك ؟

بعد بارليف والعازار ضابطي المدرعات عين غور ضابط المظلات رئيسا لهيئة الاركان العامة ، وهذا ما يجعل من المحتمل تخلي اسرائيل مجددا عن نظرية حرب المواقع والدبابات الى « اسلوب الاختراق » ، دون اعطاء اهمية بالغة للخسائر التي يتكبدها الجيش .

لكن ... لحظة جد في تشرين ١٩٧٣ حطمت الاسطورة الكبرى ، فهل تكون تلك — رغم « الانقلاب » العسكري في اسرائيل — مقدمة للاجهاز على ما تبقى من اساطير صغيرة متفرعة عن الكبرى ؟!

كانت لجنة اغرانات واضحة جدا في تقريرها لدى عرض استنتاجاتها وتوصياتها بالنسبة « للاجهزة » ، كما بالنسبة للعسكريين شاغلي المناصب العليا في الجيش .

وعلى عكس ذلك تماما كانت اللجنة لدى تطرقها الى مسألة « المسؤولية الشخصية على المستوى الحكومي » . اذ بعد ان ذكرت في تقريرها « اننا نعتبر انفسنا احرارا في استخلاص الاستنتاجات بناء على نتائج التحقيق المتعلقة بمسؤوليتهم (اي الوزراء) الشخصية » اردفت تأكيدها الواضح قول اعضائها « ولم نعتبر ان من واجبنا ابداء رأينا فيما قد ينتج عن مسؤوليتهم البرلمانية » ثم انتهت لدى مناقشتها للمسؤولية البرلمانية وضرورة او عدم ضرورة تحميل الوزير في الحكومة مسؤولية الاعمال الادارية التي يقوم بها العاملون في وزارته ، واستقالته بالتالي ، الى القول ، « والسبب الاساسي لذلك هو أن مسألة

الاستقالة المحتملة لعضو في الحكومة في مثل هذه الحالات هي مسألة سياسية محضة ، ولا نعتقد ان من واجبنا معالجتها » .

من الذي يعالج هذه « المسألة السياسية » اذن ؟ والجواب : العاملون في هذا الحقل طبعا ، وهم الوزراء طبعا واعضاء الكنيست من الائتلاف الحاكم والمعارضة ، اضافة الى المعلقين وذوي الاهتمامات .

وقبل الوصول الى عرض التطورات على هذا الصعيد ، لا بد من ملاحظة ان تقرير لجنة اغرانات احتوى على كمية كبيرة — وبصورة غير مبررة — من المديح الى كل من موشي دايان وغولدا مئير ، حيث تضمن التقرير دفاعا عن دايان ، الى درجة التذكير بأنه نبه العسكريين يوم ٧٣/٥/٢١ الى احتمال وقوع الحرب في «النصف الثاني من الصيف المقبل » ، وتجاهلت اللجنة كل ما صرح به دايان من اقوال مناقضة لتنبيهه هذا ، ومنها على سبيل المثال ما قاله المعلق الاسرائيلي حانوخ بارطوف في مقال بعنوان « الوزير غير المسؤول » (معاريف ١٩٧٤/٤/٤) ، من أن دايان قال في مجلة « تايم » الاميركية يوم ١٩٧٣/٧/٣٠ « ان السنوات العشر المقبلة ستشهد جمود الحدود عند الخطوط الحالية، ولن تنشب عندها حرب كبيرة » .

وكالت اللجنة في تقريرها مديحا شبيها الى غولدا مئير ، التي وصفت تصرفاتها بأنها سليمة، ورأت اللجنة ان اعمال مئير خلال الايام الحاسمة التي سبقت الحرب « تشهد على موقف يتلاءم وعظم المسؤولية الملقاة على عاتقها » . وانتهت الى القول انه « يعود الى رئيسة الحكومة الفضل الاكبر في انها استخدمت بصورة سليمة صلاحيتها في البت بحكم الظروف في وقت الطوارىء صباح يوم السبت (٦ تشرين) ، فقد قررت بحكمة ورجاحة عقل وبسرعة تعبئة قوات الاحتياط بأسرها، على رغم اعتبارات سياسية مهمة جدا . وهكذا قامت بعمل مهم جدا للدفاع عن الدولة » ، اي ان اللجنة التي شكلت للتحقيق في التقصير، «اكتشفت» ان مئير ليس فقط انها لم تقصر ، بل انها قامت بعمل مهم جدا في الساعات الحرجة .

لكن ما لم تتطرق اليه اللجنة صراحة ، كانت المعارضة اول المتطرقين اليه ، حيث قال مناحيم بيغن زعيم « ليكود » اليمينية المتطرفة صباح يوم ٧٤/٤/٣ : « بعد أن قرأت بدقة التقرير الذي تقدمت به لجنة اغرانات استطيع القول انه وبموجب هذا التقرير ، فان المسؤولية العليا تقع على عاتق الحكومة » . (ر.ا.ا. ٧٤/٤/٣) .

واستمرت حملة المعارضة على الحكومة ، حيث كانت قد طلبت فور نشر تقرير لجنة اغرانات عقد جلسة خاصة للكنيست خلال ايام عطلة عيد الفصح اليهودي وذلك ، كما قال بيغن « لنطرح نحن مبدأ المسؤولية البرلمانية والعامة والادبية للحكومة امام الكنيست والجمهور باجمعه » . (المصدر السابق) .

وبعد بيغن جاء دور عضو الكنيست شموئيل تمير رئيس حزب « المركز الحر » العضو في تكتل « ليكود » ، والذي قال بعد استعراض تحميل العسكريين مسؤولية التقصير : « .. ومن يجب ان يكون مسؤولا امام الكنيست والجمهور والشعب ؟ هناك جواب واحد فقط : المستوى الوزاري ، أي الحكومة كلها ، وهذا يشمل وزير الدفاع ، المسؤول المباشر عن جيش الدفاع الاسرائيلي امام الحكومة وامام الكنيست .. » (المصدر السابق) .

ولقد كشف تصريحا بيغن وتمير عن توجه عام داخل كتلة « ليكود » الى تحميل الحكومة كلها مسؤولية التقصير في الحرب ، وذلك — على ما يبدو — استمرار وان كان بوضوح اقل ، لعدم التركيز على دايان وحده في محاولة لاستمرار « الغزل » واستمرار محاولات استمالة كتلة « رافي » التي يتزعمها دايان نحو « الليكود » ونحو الابتعاد عن بقية الكتل التي تشكل حزب العمل والتجمع العمالي والائتلاف الحكومي على الاقل .

ولقد كان موقف العديد من رجال السياسة في اسرائيل ، من غير الاعضاء في تكتل « ليكود » شبيها بالموقف الذي عبر عنه بيغن وتمير . بل ان بعض رجال السياسة هؤلاء هم الذين يشكلون النقيض لزعماء ليكود ، مثل اربيه الياف الذي عبر عن رأيه في أن الحكومة قد فقدت الثقة الجماهيرية بها ، « وبناء عليه فان على هذا الطاقم الذي فشل في السابق ، والذي لا يزال للاسف الشديد يقود البلاد حاليا ايضا ان يستخلص العبر ، اي ان يستقيل » . (المصدر السابق) . ولا بد هنا من ملاحظة ان هدف اسقاط الحكومة

الذي يلتقي عنده الياف وبيغن ، انما يلتقيا عنده وفي ذهن كل واحد منهما الوصول الى نتيجة مناقضة لما يأمله الاخر ، ففي حين يدعو بيغن الى اسقاط حكومة مئير على أمل تشكيل حكومة اكثر يمينية واكثر تطرفا وتشددا ، يدعو الياف الى اسقاط حكومة مئير والطاقم المسيطر فيها لفسح المجال امام سيطرة اتجاه واشخاص اكثر اعتدالا. ويتفق مع الياف في هذا الخط والتوجه العديد من اعضاء حزب العمل من كتلة « احدوت هعفودا »، وابرزهم اسحق بن اهرون سكرتير عام الهستدروت سابقا ، الذي قال بأن مئير ودايان يتحملان المسؤولية ، ولا بد من استقالة الحكومة بأسرها (ر.ا.ا. ٧٤/٤/٥) .

أما اقرب الاحزاب الاسرائيلية الى حزب العمل، وهو المبام فقد كان لزعمائه واعضائه موقفا واضحا في المطالبة بتحميل دايان كامل المسؤولية وضرورة استقالته او على اقل تقدير ابعاده عن حقيبة الدفاع ، كما عبر عن ذلك في العديد من المقابلات مع زعمائه ، وفي العديد من افتتاحيات صحيفة « عل همشمار » الناطقة بلسان الحزب (افتتاحيات ٣ و٨ و٧٤/٤/٩ وغيرهما كما وردت فيما اقتبسته اذاعة العدو ونشرته نشرة رصد اذاعة اسرائيل).

وازداد التوتر داخل حكومة العدو في الايام التي تلت نشر تقرير لجنة اغرانات ، وسببت عقد جلسة الكنيست الاستثنائية في عطلة العيد ، الى درجة ان عددا من الوزراء ومن ابرزهم سابير طالب باستقالة دايان ، بل وهدد يغآل الون بأنه اذا لم يستقل دايان فانه هو سيستقيل من الحكومة احتجاجا .

وازاء هذه التوترات التي سبقت ايضا عقد جلسة الحكومة التي حددت يوم الاربعاء٧٤/٤/١٠، أعلنت مئير ان لا حكومة بدايان ، ولا حكومة بدونه (ر.ا.ا. ٧٤/٤/٦) ، وكان في ذلك اعترافا من مئير الى ان الازمة الوزارية اصبحت مأزقا ، وان حكومة اسرائيل وصلت فعلا الى وضع حرج للغاية وانها لا تجد مخرجا من هذا المأزق .

ولعل الحقائق الموضوعية التي اوصلت مئير الى « النتيجة » المذكورة ، هي حقائق حسابية محضة. فأن حكومتها تستند الى أغلبية ٦٨ نائبا من ١٢٠ نائبا في الكنيست . ومن هؤلاء الـ ٦٨ ثمانية اعضاء مضمون ولاؤهم لدايان وعشرة اخرون ، هم اعضاء الحزب الوطني — الديني — مفدال — ، يميلون الى دايان والى خط « التشدد » اكثر من ميلهم نحو الاعتدال ، ولهم مطالب عديدة اهمها تشكيل حكومة « تكتل وطني » يشارك فيها « الليكود » وذلك ما تعارضه مئير بشكل قاطع، ومن هنا فان ازدياد التوتر اثر نشر تقرير لجنة اغرانات ، واصرار وزراء في حكومة مئير على اقالة دايان او استقالتهم كانت تعني بالنسبة لمئير استناد حكومتها في احسن الاحوال الى ٥٠ ٪ بالضبط من اعضاء الكنيست ، أي احتمال اسقاطها نتيجة أي أزمة ولو مفتعلة .

اضافة الى ذلك فان مئير تعرف ان ابعاد ديان عن وزارة الدفاع — او من الحكومة — يعني تعريض نفسها لنقمة الرأي العام الاسرائيلي الذي لم يكتف بالضباط كبش محرقة على مذبح التقصير في حرب تشرين . اذ بادانة ضباط الاستخبارات والتوصية بابعادهم عن مناصبهم اصبح زاعيرا رئيس فرع الاستخبارات مكشوفا فأدين واستقال وبادانته واستقالته أصبح العازار مكشوفا فأدين واستقال هو الاخر ، وبقي دايان وحده فاصلا — وان يكن شفافا — بين مئير ونقمة الرأي العام ، واستقالته او اقالته تؤدي بالطبع الى كشف مئير الى حد التعرية تماما .

ومن هنا يمكن فهم وتفسير تمسك مئير بدايان، ورفضها المطلق في التخلي عنه ، ودفاعها المستمر عنه بحماس المدافع عن ذاته ، وعندما وصلت الى نتيجة تقول بعدم قدرتها على الدفاع عن دايان ، استقالت هي ، فاستقالت الحكومة بأسرها كما يقضي القانون الاسرائيلي ، وابلغت قرار الاستقالة الى اعضاء الحكومة مساء يوم ٧٤/٤/١٠ .

وكان أول ما لاحظه مراسل اذاعة العدو ، اثر استقالة مئير ، ان احدا من الوزراء — باستثناء الون — لم يذهب الى بيتها كما كان يفعل هؤلاء في السابق لدفعها الى التراجع عن قرارها .

ويقضي القانون في اسرائيل ان الحكومة تعتبر مستقيلة رسميا بتسليم رئيس الدولة رسالة خطية من رئيس الحكومة تتضمن ابلاغا بالاستقالة، وابلاغ الكنيست بذلك ، وتتحول الحكومة المستقيلة الى حكومة انتقالية تسير الامور بصلاحيات كاملة الى حين تشكيل حكومة جديدة تنال ثقة الكنيست .

وفي الساعات الحاسمة بين اعلان مئير قرار استقالتها وتحويلها الى استقالة رسمية ، جاءت عملية « كريات شمونة » الفدائية ، التي اقتحم فيها ثلاثة فدائيون مبنى سكنيا ومدرسة في البلدة، وقتلوا ١٨ اسرائيليا وجرحوا ١٦ اخرين واستشهدوا ، وحولت هذه العملية جزءا كبيرا من الاهتمام الاسرائيلي والعالمي بما يحدث في القدس المحتلة من انهيار وسقوط وتهلهل في رأس السلطة ، الى كريات شمونة التي انتقل اليها كبار ضباط الجيش ، ثم دايان وبعده شلومو هيليل (وزير الشرطة ممثلا للحكومة) وسابير ، ومكنت العملية مئير من ان تفتح « جلسة الوداع » في الكنيست بخطاب « عنتري » اشادت فيه بالجيش وقوته واصراره مع الحكومة على الدفاع عن مواطني اسرائيل .

يبقى السؤال الاهم الان : من الذي سيخلف مئير ؟

بداية كان من ابرز المرشحين لمنصب رئاسة الحكومة في اسرائيل ثلاثة من أعضاء كتلة ماباي في حزب العمل ، ومناحيم بيغن زعيم « ليكود » .

وكان المرشحون من ماباي هم سابير وزير مالية العدو ، وحاييم تسادوك وزير العدل في حكومة مئير ، واسحق رابين وزير العمل فيها .

ولقد اعلن سابير حتى الان اكثر من مرة اصراره على رفض ترشيح نفسه لرئاسة الحكومة ، رغم انه الاوفر حظا في النجاح بتشكيلها ، ذلك انه ابرز رجال « جهاز » كتلة ماباي وحزب العمل ، وانه هو « مهندس » حكومة مئير المستقيلة وسابقتها .

ومن الملاحظ في اسرائيل ان جميع الذين شكلوا حكوماتها حتى الان هم من « رجال جهاز الماباي »، بل ان هذه الصفة هي الوحيدة التي مكنت مئير من وراثة اشكول ، رئيس حكومة اسرائيل السابق .

ويأتي بعد سابير حاييم تسادوك من حيث القوة في داخل مؤسسات حزب العمل وكتلة ماباي سابقا ، ولعل في ذلك ما يجعله الاول بعد سابير لدى بحث امكانية تشكيل ائتلاف حكومي جديد على غرار الائتلاف القائم .

اما اسحق رابين ، وان يكن من اعضاء كتلة ماباي وحزب العمل ، فان قوته الاساسية هي في « علاقاته » الخاصة مع صانعي السياسة في الولايات المتحدة الاميركية ، التي كان سفيرا لاسرائيل فيها منذ انتهاء فترة رئاسته لاركان الجيش الاسرائيلي اثر حرب حزيران ١٩٦٧ .

وفي سني خدمته في واشنطن ، كان العديد من الاسرائيليين يتساءلون عما اذا كان رابين سفير تل ابيب لدى واشنطن ، ام انه سفير واشنطن لدى تل ابيب ، وذلك تعريضا بمواقف رابين الاميركية واطرائه الدائم لسياسة واشنطن وانتقاداته شبه الدائمة لسياسة اسرائيل التي كان يعبر عنها باستمرار تجاهله وتعريضه بوزير خارجيتها ابا ايبان وأسلوبه الى درجة انه لم يكتب خلال فترة توليه لمنصب سفير اسرائيل في واشنطن ولو تقريرا واحدا الى وزارة الخارجية او الى ابا ايبان .

وكانت اولى نتائج اصرار سابير على موقفه ، ان كان شمعون بيرس ، رجل رافي ، والثاني فيها بعد دايان ، اول مرشح عرض على اللجنة المركزية لحزب العمل اختياره لتشكيل الحكومة الجديدة .

واثر بيرس رشح رابين نفسه في انتخابات اللجنة المركزية ، واكد سابير عدم ترشيح نفسه نهائيا باعلان دعمه وتأييده لرابين . وجرت الانتخابات التي نجح رابين فيها باحرازه ٢٩٨ صوتا (٥٤٪) مقابل ٢٥٤ صوتا (٤٦٪) لبيرس ، وبدأ رابين مشاوراته لتشكيل حكومة ، كأول مرشح من « جيل الابناء » الى هذا المنصب .

عماد شقور

(٥) القضية الفلسطينية عسكريا

عرف الوضع العسكري في النصف الاول من شهر اذار حالة تجمد واضح ، وأحس الاسرائيليون بحالة استرخاء عسكري ، وساد لديهم اعتقاد شبه مؤكد بأن الامور تسير لصالحهم ، وان الزمن سيزيل بالتدريج كل اثار الحرب الرابعة . وكان اعتقادهم هذا نابعا من تفسيراتهم الذاتية للوضعين الدولي والمحلي . ولقد رأى ساسة تل أبيب ان انفراد الدبلوماسية الاميركية في ايجاد الحل، وجهود كيسنجر المكثفة التي تستبعد التدخل السوفياتي ، عبارة عن عامل ملائم لسياسة المماطلة التي يتبعونها . كما انهم رأوا ان فصل القوات على الجبهة المصرية الذي تم في الرابع من آذار (مارس) ، وخلق بين القوات البرية المصرية والقوات البرية الاسرائيلية منطقة عازلة ، يمنح الدولة الصهيونية قسطا كبيرا من الامن على جبهتها الجنوبية ، ويحميها من أية مفاجأة استراتيجية على غرار مفاجأة ٦ تشرين الاول (اكتوبر) الماضي .

وكان الاسرائيليون يعتقدون ان القوات العربية المنتشرة على الجبهة الشمالية ستحافظ على الهدوء النسبي بعد ان هدأت المدافع على جبهة القناة ، وانسحبت القوات العراقية لتجابه معضلات عسكرية جديدة على الحدود الايرانية وفي شمال البلاد ، وان الوضع الجديد على جبهات القتال سيضمن لهم هدوءا يجابهون فيه الحالة المعنوية المتدهورة ، وتصاعد عمليات الثورة الفلسطينية ومتطلبات الوضع الاقتصادي المهزوز. كما سيعطيهم القدرة على اعادة تنظيم قواتهم المسلحة ، واكتشاف أخطائها وعيوبها ونقائصها التسليحية والقيادية، بعد ان تقدم لجنة «اغرانات» تقريرها عن تقصيرات الحرب، وتوزع المسؤولية على المقصرين . وما دام الامر كذلك فان بوسع اسرائيل أن تغلق الباب على نفسها ، « لترتب البيت من الداخل » شريطة ان ينساها العالم ، ويتركها لحل معضلاتها ، ما دام ليس في الامكان ابدع مما كان.

وبالرغم من تخوف الاسرائيليين من امكانية وقوع تحول في سياسة الولايات المتحدة ازاء الدولة الصهيونية التي تزعتها حرب تشرين الاول (اكتوبر). وبالرغم من شكوكهم حول الموقف الاميركي الذي أخذ يتبدل (جزئيا) من جراء تقديم المصلحة الاميركية الوطنية على المصلحة الاسرائيلية تحت تأثير الضغوط العربية — الاوربية (البترولية أساسا) وبسبب الخوف من تزايد النفوذ السوفياتي في المنطقة بشكل يتناسب طردا مع تزايد الدعم الاميركي غير المشروط لاسرائيل . فقد كان الاسرائيليون يعتقدون ان رفع الحظر البترولي العربي ، وتفكير المصريين الجدي باستقطاب رؤوس الاموال العربية والاجنبية لاعادة بناء الاقتصاد المصري على أسس جديدة ، وفتح قناة السويس وتعمير مدن القناة ، سيخلق امامهم فرصة ثمينة للهدوء على الجبهة الجنوبية ، ويجعلهم اقدر على الالتفات كلية نحو الجبهة الشمالية . من هنا جاء موقفهم المتشدد ازاء السوريين ، وعودتهم الى التهديدات التي تبدو وكأنها مستقاة من ملفات ما قبل الحرب الرابعة . في الوقت الذي يتحدثون به عن السياسة المصرية ، والخطوات الاقتصادية المصرية بلهجة المتفهم المتعقل . ولقد بقي هذا الاعتقاد سائدا حتى يوم ١٢ اذار (مارس) عندما انفجر الوضع المتوتر على الجولان ، وبدأت « حرب الاستنزاف السورية » التي لا تزال رحاها دائرة حتى اليوم .

ويبدو ان الاسرائيليين اعتقدوا في البداية ان العودة الى اطلاق النار عبارة عن حادث طارىء بلا ابعاد استراتيجية ،وان السوريين سيضطرون الى التخلي عن هذا الاسلوب بسرعة . لذا كان التفاؤل يسود احاديث كيسنجر وايبان في واشنطن خلال زيارة وزير الخارجية الاسرائيلية للعاصمة الاميركية في الاسبوع الثاني من شهر مارس (اذار) . فلقد صرح وزير الخارجية الاميركية في ٣/١٥ « انتهت مرحلة طويلة من الجمود في الشرق الاوسط » ثم أضاف « اعتقد اننا سنتقدم لا في نتائج المحادثات في الشرق الاوسط فحسب ، بل في التفاهم ايضا » وقال ابا ايبان في اليوم نفسه « ان كل شهر مر منذ حرب يوم الغفران كان يحمل تقدما » (ر.أ. عدد ٤٨٦) .

بيد ان كرايسكي لم يكن يشعر بمثل هذا التفاؤل ، فلقد زار كرايسكي المنطقة على رأس

وفد الاممية الاشتراكية ، واجتمع بالسوريين والمصريين وقادة الثورة الفلسطينية ، ثم انتقل الى اسرائيل ، ونقل الى الاسرائيليين في ٣/١٥ انطباعه بأن « الظروف النفسية في مصر ، هي الان افضل ظروف مؤاتية بالنسبة للتسوية ولكن الوضع يختلف بالنسبة الى سورية » ثم قال « لدي انطباع ان سورية تعيش جو حرب ، وسيكون لكم مع سورية مشكلات صعبة في كل ما يتعلق بفك التحام القوات » (ر.١٠١٠ ، عدد ٤٨٧) .

ومع استمرار اطلاق النار يوميا على جبهة الجولان ، بدأت ملامح المسألة وخطورتها تظهر بوضوح امام الاميركيين والاسرائيليين معا ، وبدأ الاسرائيليون يتحدثون عن « حرب استنزاف مصغرة » كانت الدولة الصهيونية تتحاشى التورط فيها . وذكرت صحيفة **يديعوت أحرونوت** (٣/١٩) في هذا الصدد « لقد صرحنا في السابق اننا لن نوافق على حرب الاستنزاف، ولكن بسبب ضعف الحكومة، نشبت مثل هذه الحرب وبشكل اكثر خطرا من حرب الاستنزاف مع مصر » ، وطالبت **معاريف** (٣/١٩) بضرورة التصلب ازاء الحوادث الخطيرة على الجبهة السورية . ولقد عبرت الولايات المتحدة عن اهتمامها بمسألة فصل القوات على جبهة الجولان الملتهبة ، وتقديمها على جميع المسائل الاخرى عندما صرح وزير الخارجية الاميركي في ٣/١٩ « بأن الولايات المتحدة واسرائيل اتفقتا على ان موضوع فك التحام القوات مع سورية يتمتع بأولوية مطلقة ، بكل ما يتعلق بقضية الشرق الاوسط في الوقت الحاضر » (ر.١٠١٠ عدد ٤٩٠) كما عبرت عن ذلك خلال زيارة الملك حسين لواشنطن في الاسبوع الثاني من آذار (مارس) ، عندما لم تعالج بجدية قضية الضفة الغربية بل منحت الاولوية لموضوع فصل القوات على الجبهة السورية .

ويبدو ان كيسنجر وبعض المسؤولين الاسرائيليين يعتقدون ان الوصول الى اتفاق مع سورية سيسهل دراسة مسألة مصير الضفة والقطاع ، على حين يعتقد عدد من المسؤولين في اسرائيل ان العكس هو الصحيح ، وان من الافضل تليين موقف سورية عن طريق الاتفاق مع الملك حسين بحيث يصبح الموقف السوري معزولا عن موقف دولتي الطوق : مصر والاردن ، الامر الذي يجبر دمشق على التساهل . بيد ان الولايات المتحدة تابعت جهودها وفق مفهومها وجدول افضلياتها ، فبعد زيارة أبا ايبان لاميركا ، قام وزير الدفاع الاسرائيلي موشي دايان بزيارة الى واشنطن في اواخر شهر مارس (آذار) لبحث تفصيلات المشروع الاسرائيلي حول فصل القوات في الجولان . ومن المؤكد ان البحث لم يتطرق الى الموضوعات العسكرية التقنية وحدها ، بل شمل عدة موضوعات استراتيجية أهمها الدور السوفييتي في المنطقة ، واحتمالات العودة الى حظر النفط من قبل الدول العربية ، والفهم الاميركي الجديد لدور اسرائيل العسكري في المنطقة ، وما يترتب على هذا الفهم من دعم عسكري لاسرائيل ، بالاضافة الى الموضوعات التقنية كالاشتباكات المتصاعدة في الجولان وانتهاكات المصريين لاتفاق الفصل في سيناء (زيادة عدد المدافع على الضفة الشرقية للقناة) .

واذا كان كيسنجر قد ابدى تفاؤله بالنسبة لجبهة القناة ، وامله بان يصلح المصريون الخطأ ، ويسحبوا المدافع الزائدة ، ولا يبقون على الضفة الشرقية سوى ٣٦ مدفعا ، فقد اشار الى ان تحقيق اتفاق الفصل مع سورية سيكون أصعب من تحقيق اتفاق فصل القوات مع مصر .

ولقد فسر المراقبون السياسيون الاميركيون هذا الامر بقولهم : **ان الوضع المتوتر في الجولان ، واستمرار اطلاق النار بشكل يومي ، ينعكس بشكل سلبي على سير المحاولات الرامية الى فصل القوات .**

وفي الاجتماعين اللذين عقدا في يومي ٢٩ و٣٠/٣ ، وحضرهما عن الجانب الاميركي الدكتور هنري كيسنجر ، ونائبه جوزيف سيسكو ، ومساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الاوسط السيد اترتون ، والسفير بانكر ، وعدد من كبار موظفي وزارة الخارجية الاميركية ، وحضره عن الجانب الاسرائيلي موشي دايان ، والسفير سمحا دينيتس، والملحق مردخاي شليف ، والمستشار موشي رييب. عرض وزير دفاع العدو المخطط المقترح لفصل القوات مع سورية . ويتضمن هذا المخطط كما تقول **الفيغارو** ٣/٢٨ : استعداد اسرائيل للانسحاب من الاراضي التي احتلتها في حرب تشرين الاول (اكتوبر) والبقاء في الجولان مع تخفيض القوات، شريطة ان يتم تبادل الاسرى قبل أي شيء آخر .

وهناك انباء اخرى تقول بأن الانسحاب لن يتم

من جميع الاراضي التي احتلها اسرائيل في حرب تشرين الاول (اكتوبر) ، وان المشروع يستهدف تقسيم هذه الاراضي الى ثلاثة أقسام متوازية تحتفظ سورية في قسم منها بقوات محدودة ، وتشغل قوات الطوارىء الدولية القسم الثاني ، وتبقى القوات الاسرائيلية المحدودة في القسم الثالث . مع الاحتفاظ بهضبة الجولان كلها بيد اسرائيل (هآرتس ٧٤/٣/١٨) . ولقد ذكر ماتي غولان قبل سفر دايان ان وزير دفاع العدو سيطرح مشروعا يتضمن : ١ — الانسحاب من جميع المناطق المحتلة في حرب تشرين الاول (اكتوبر) ، ٢ — الانسحاب من منطقة القنيطرة ، ٣ — تخفيض القوات بشكل يؤمن عدم قصف المستوطنات الاسرائيلية في الجولان، ٤ — وضع قوات الطوارىء الدولية في المناطق التي ينسحب منها الجيش الاسرائيلي مع بقاء الادارة المدنية بيد الحكومة السورية (هآرتس ٧٤/٣/٢١) . ثم عاد عشية سفر دايان ليكتب بأن خارطة الاقتراحات الاسرائيلية سترتكز الى القواعد التالية : ١ — تنسحب القوات الاسرائيلية مسافة ١٥ كيلومترا في الجيب الذي يبلغ عمقه ٢٠ كيلومترا ، ٢ — تعاد ١٠ كيلومترات الى سورية لتتمركز فيها قوات محدودة ، ٣ — تبقى ٥ كيلومترات بيد قوات الطوارىء الدولية ، ٤ — تضع اسرائيل في الكيلومترات الخمسة الباقية بيدها قوات محدودة ، ٥ — يجري تخفيض اضافي للقوات ضمن شريط عرضه ٢٠ كيلومترا على طرفي الخط البنفسجي (حدود ٥ تشرين الاول) ، ٦ — يجري تبادل الاسرى قبل تنفيذ الاتفاق . (هآرتس ١٩٧٤/٣/٢٧) .

وتشترك الانباء المترددة حول صيغ المشروع الاسرائيلي — والتي لم تتأكد أية صيغة منها حتى الان — في تمسك اسرائيل بالقسم الاكبر من الجولان بحجة ضرورتها لحماية سهل الحولة ، والرغبة في اعتبارها حزام امان لضمان الامن الاسرائيلي . ولقد أكد المسؤولون الاسرائيليون هذا الامر اكثر من مرة ، واعتبروا التخلي عن الجولان امرا غير مطروح على بساط البحث، لدرجة جعلت المتساهلين منهم ، والمستعدين للتخلي عن القنيطرة — نظرا لعدم أهميتها الاستراتيجية بالنسبة الى اسرائيل وأهميتها المعنوية بالنسبة الى السوريين— يرون ضرورة الاحتفاظ بالتلال المسيطرة عليها . ويسيطر هذا الخط ايضا على الحوار الدائر داخل اسرائيل حول الخطوات التي ينبغي على الحكومة اجراؤها، والمبادىء التي لا بد من التمسك بها ، والنقاط التي يمكن التنازل عنها . فلقد حدد النائب جاد يعقوبي ، (وهو من تكتل « المعراخ » الحاكم ، وعضو في لجنة الخارجية والامن في الكنيست) تصوره حول هذا الموضوع بالمبادىء الاربعة التالية : ١ — المعاملة بالمثل وخاصة فيما يتعلق بتخفيض القوات على جانبي المنطقة العازلة ، ٢ — الامن ، أي اختيار خط طوبوغرافي لا يقلل أهمية القوات او قدرتها على القتال ، ٣ — تبادل الاسرى ، ٤ — عدم تحديد مهلة هدنة بعد اجراء الفصل بين القوات . أما النائب شموئيل تمير ، (وهو من تكتل « ليكود » المعارض وعضو في لجنة الخارجية والامن في الكنيست) فقد قدم تصوره وفق المبادىء الاربعة التالية : ١ — ان لا يجري التفاوض تحت أية ضغوط كحرب الاستنزاف مثلا ، ٢ — المعاملة بالمثل ، ٣ — الحفاظ على الامن لان كل انسحاب من المنطقة التي احتلتها اسرائيل في حرب ١٩٧٣ يضعف الموقف الامني الاسرائيلي ، ٤ — تبادل الاسرى .

وعند الحديث عن القنيطرة ذكر يعقوبي ان المخطط الذي قدمته اسرائيل سيترك القنيطرة تحت اشراف القوات الاسرائيلية بالاضافة الى مناطق احتلتها اسرائيل في حرب ١٩٧٣ شمالي القنيطرة وجنوبيها ، ولكنه يرى ان هذه المدينة لا تتمتع بقيمة استراتيجية خاصة، وان من الممكن استبدالها في الشمال او الجنوب بمواقع استراتيجية تحسن الوضع الامني الاسرائيلي « **ومقابل ذلك نسلم السوريين منطقة ليست لها قيمة استراتيجية** » (ر.١٠.١٠. عدد ٧٤/٤/١). ولكن تمير عارضه مؤكدا بأن منطقة الجولان المحتلة ضيقة، ولا تضمن الامن، ولا يمكن التخلي عن القنيطرة او عن أية منطقة أخرى . وان من الممكن اعادة سكان منطقة الجيب الذين نزحوا خلال حرب تشرين الاول (اكتوبر) وعددهم ١٤ الف شخص ، شريطة ترحيل اليهود من سورية الى اسرائيل او الى اي مكان آخر في العالم (المرجع نفسه) .

ويبدو من دراسة الانباء الواردة في الصحافة الاسرائيلية ، ان هناك اتجاها نحو الاستمرار في التشدد ازاء سورية ، وان سياسة « ولا بوصة واحدة من الجولان » و « الرد على ضربات السوريين بضربات انتقامية » لا تزال مسيطرة على

عقول المسؤولين الاسرائيليين واجهزة الاعـــلام الصهيونية . وتتحدث الصحف الاسرائيلية بلهجة الوعيد والتحذير . فهي تذكر ان الجيش الاسرائيلي « **يقف على بعد ٤٠ كيلومترا من دمشق** » (عـل همشمار ٣/٣١) وان بوسع هذا الجيش « **انزال ضربات قاسية بالمعتدين** » (المرجع نفسه) ، وترى **دافار** (٣/٣١) انه لا يوجد حتى الان دليل حسي يبرر التفاؤل الذي يظهره الدكتور كيسنجر ، على حين ترى صحيفة **أومر** (٣/٣١) « ان تصرفات دمشق تشير الى ان سورية لا تزال تؤمن بامكانية تدمير اسرائيل » وفي ٤/٨ طلعت **هاتسوفية** مطالبة الجيش الاسرائيلي « بالقيام بخطوة ملائمة لاسكات السوريين بعد ان اثبتت التحذيرات الاخيرة انها لم تجد نفعا » .

ووسط هذه الصيحات الحربية الهستيريـــة المتجاهلة لحقائق موازين القوى ، وتغيرات الوضع الدولي ، فان في داخل اسرائيل من يتحدث بشكل أقرب للمنطق ، وبلهجة تعي تماما حقائق ما بعد حرب تشرين الاول (اكتوبر) ، فصحيفة **معاريف** مثلا تطالب في ٤/٢ بالرد على التحديات السورية « ردا حازما ، ولكن مدروسا » ثم تقول « اننا لا نرغب في استئناف الحرب بشكل واسع ، كما اننا لا نرغب في ترك زمام المبادرة برمته في ايـدي السوريين » .

ويحاول وزير العمل ، اللواء الاحتياطي ورئيس الاركان السابق اسحاق رابين (المرشح اليـوم لمنصب رئيس حكومة العدو) الظهور بمظهر المتفهم لمعطيات الوضع الجديد ، فيقول في نادي بيت برينر في تل ابيب « ان اسرائيل مستعدة للتقدم من أجل تسوية لفصل القوات مع سورية لكنها ليست على استعداد لمكافأة السوريين على اعتداءاتهم » ... « ان علينا ان نسعى للسلام ، وان نتحمل المخاطر لتحقيقه ، ومع هذا لا يجوز ان نخطىء بالتمنيات ، والتوهم بأن العرب قد تخلوا عن الحرب كوسيلة لتحقيق أهدافهم » (ر.١٠ ، عدد ٣/٣٠) .

ويحمل الموقف الاسرائيلي الرسمي والاعلامي في داخله عدة تناقضات : ويأتي **التناقض الاول** من ان اسرائيل تعرف تماما ان سورية لن تقبل أي حل لا يتضمن اعادة الجولان وحصول الشـــعب الفلسطيني على حقوقه . فلقد أعلنت ذلك أكثر من مرة ، وفي ٢٨ مارس ، وعندما كان دايان متجها الى واشنطن كرر وزير الخارجية السوري عبـد الحليم خدام في مؤتمر صحفي عقده في تونس شرطي سورية المعروضين لقبول أي حل . لذا فان عدم اعادة الجولان تعني عدم قبول السوريين بالفصل ، وتعني بالتالي نسف مؤتمر جنيف الذي لا يمكن ان تحضره مصر دون السوريين والفلسطينيين . فهل تستطيع اسرائيل المغامرة بهذا الموقف وهي تعلم ان العالم كله يطالبها بالذهاب الى جنيف لاجراء المفاوضات التي طالما تحدثت عنها في اعلامها بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، كما يطالبهـــا بالانسحاب من جميع الاراضي العربية التي احتلتها في هذه الحرب ؟ واذا كان بوسع اسرائيل تجاهل العالم كله ومتابعة السير على انغام نشيد « العالم كله ضدنا » فليس بوسعها ولا شك تجاهل الولايات المتحدة « الصديق الوحيد » الذي يقدم المـــال والسلاح لدعم الوجود الاسرائيلي المصطنـــع وحمايته . خاصة وان الولايات المتحدة أفهمت اسرائيل بشكل لا لبس فيه انها تفضل حل النزاع عن طريق الانسحاب ، وضمان الامن بواسطـــة الضمانات الدولية الاميركية ــ الروسية . او ضمانات الدول الخمس الكبرى . وان الولايات المتحدة « مصممة على حماية أمن اسرائيل لا على حماية توسعها » . وان « الصديق الوحيد » الذي عاد الى المنطقة بشكل او بآخر ، وتجاوز ازمة الطاقة ، مهدد بالطرد من المنطقة من جديـد ، وبالتعرض لتدابير الحظر النفطي اذا ما تعنتت اسرائيل في موقفها، وتابعت رفض الانسحاب ، واضطرت واشنطن لحمايتها واستفزاز الدول العربية النفطية وغير النفطية من جديد. وينبع **التناقض الثاني** من ان اسرائيل تعتمد في رفضها للانسحاب على وحدانية النشاط الاميركي ، وانعدام الثقـــل السوفييتي في الحل ، ولكن هذا الامر خاطىء من أساسه ، لان الاتحاد السوفييتي الذي وقف موقف المراقب خلال فصل القوات على جبهة القناة ، يلقي الان بوزنه لتأمين الفصل على الجولان بشروط يرضى عنها السوريون . ففي ٣/٣١ أكد دايان خلال زيارته للولايات المتحدة امام زعماء الجباية اليهودية الموحدة في الولايات المتحدة ان الاتحـاد السوفييتي « **يشكل عنصرا هاما في المنطقة ، وبدونه لا يمكن التوصل الى تسوية** » . ثم قـال ان العوامل التي تؤثر على التسويـــة هي : الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفييتي والـدول العربية واسرائيل . وكانت **نيويورك تايمز** قـــد

ذكرت في ٣/٢٩ بعد عودة وزير الخارجية الاميركي من زيارة موسكو ، واجتماعه بالزعماء السوفييت: « اذا لم يستطع كيسنجر الحصول على الدعم السوفييتي ، او عدم معارضته على الاقل لجهود كيسنجر الرامية الى التفاهم بين سورية واسرائيل فان المبادرة الاميركية كلها للوصول الى حل سلمي، يمكن ان تصاب بنكسة مفاجئة » .

ومن الواضح انكيسنجر لم ينجح في رحلته الاخيرة الى موسكو في اقناع السوفييت بالضغط على السوريين لتليين موقفهم ، وتدل نتائج زيارة الرئيس السوري حافظ الاسد لموسكو في الاسبوع الثاني من شهر ابريل (نيسان) ، والبيان المشترك السوري — السوفييتي الذي صدر في ٤/١٦ على ان موقف الاتحاد السوفييتي لم يتأثر مطلقا بمحاولات كيسنجر ، ان لم يكن قد ازداد بعد هذه المحاولات صلابة . ولقد أكد البيان السوري — السوفييتي على ان الاتحاد السوفييتي سيعمل على تدعيم القدرة السورية العسكرية والاقتصادية . وتقول احدى فقراته : — « تم عرض الجهود والنشاطات القائمة من أجل التوصل الى سلام عادل ودائم في منطقة الشرق الاوسط وركز الجانبان اهتمامهما على الوضع المتوتر القائم على الجبهة العربية السورية الناجم عن اعتداءات اسرائيل المستمرة الهادفة الى تكريس الاحتلال وضم الاراضي متحدية بذلك قرارات الامم المتحدة وارادة الرأي العام الدولي . وأكد الجانبان في حزم مرة اخرى ان اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط لا يمكن التوصل اليها الا بشرط انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضي العربية المحتلة وضمان الحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني . كما أكدا لدى البحث حول طرق حل النزاع في الشرق الاوسط ان الاجراءات الجزئية التي يتم اتخاذها في الوقت الحاضر لا تشتمل على المقومات الرئيسية الجوهرية لحل الازمة وان أي اتفاق حول فصل القوات لا بد ان يكون جزءا لا يتجزأ من الحل العام لمشكلة الشرق الاوسط وخطوة في اتجاه الحل الجذري والشامل الذي من الضروري ان يكون جوهره وأساسه انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضي العربية المحتلة وضمان اعادة الحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني . وأكدا من جديد على أهمية مشاركة الاتحاد السوفياتي في كل مراحل الحل وميادينه من أجل اقامة السلام العادل والدائم في الشرق الاوسط .

— « أشار الجانبان الى ان الوضع المتفجر القائم الان على الجبهة السورية يؤكد من جديد وأكثر من أي وقت مضى ان تجاهل او تجاوز المبادىء الاساسية السالفة الذكر من شأنه ان يزيد خطورة حالة التفجر القائمة في هذه المنطقة ويؤدي الى مضاعفات خطيرة . ونظرا لظروف العدوان الاسرائيلي المستمر يؤكد الجانبان من جديد على أهمية تدعيم القدرة الدفاعية للجمهورية العربية السورية وحقها الثابت والمشروع باستخدام كل الوسائل الفعالة الرامية الى تحرير اراضيها المحتلة ». (النهار ٤/١٧) .

فاذا حللنا هذه الفقرة عسكريا وجدنا انها تعني الامور التالية : ١ — ضرورة الانسحاب من جميع الاراضي المحتلة ، ٢ — رفض الاجراءات الجزئية والحلول التخديرية ، ٣ — اعتبار فصل القوات جزءا من خطة شاملة لحل النزاع الذي يضمن الانسحاب الكامل وحقوق الفلسطينيين ، ٤ — تزويد سورية بالاسلحة اللازمة لمجابهة أي عدوان اسرائيلي ، ٥ — تزويد سورية بالاسلحة التي تمكنها من تحرير ارضها بقوة السلاح اذا ما تطلب الوضع ذلك . ولا شك ان مثل هذا التحليل يعني في النهاية ، ان الاتحاد السوفييتي لا يقف هذه المرة موقف المتفرج ، وان تصرف الاسرائيليين وكأن واشنطن هي القوة الخارجية الوحيدة الفعالة في المنطقة تصرف مبني على اساس خاطىء. **والتناقض الثالث** هو ان وضع اسرائيل الاقتصادي لا يسمح لها في أي حال من الاحوال بمتابعة حرب الاستنزاف فترة طويلة ، فلقد انهكتها حرب تشرين الاول (اكتوبر) والعمليات التي تلتها ، وصار عليها ان تقف وقفة جادة امام التضخم النقدي ، وارتفاع الاسعار بنسبة ٢٠ ٪ ، واحتمالات ارتفاعها في المستقبل بنسبة ٣٠ ٪ ، وتناقص الانتاج ، وتدهور السياحة ، ونقص احتياطي العملات الاجنبية بمقدار ٨٥٠ مليون دولار ، وتزايد الضرائب ، وعجز ميزان المدفوعات بمقدار ٣ مليارات و٣٠٠ مليون دولار . **والتناقض الرابع** هو ان تيام الاسرائيليين بعرقلة الاتفاق مع سورية سيعرقل بالتالي الاتفاق مع الفلسطينيين ، وسواء اراد الزعماء الاسرائيليون ام لم يريدوا ، فان دخول

الفلسطينيين في أي حل امر لا غنى عنه لحل النزاع — ولو مؤقتا — ولقد دلت اغارة مدافعي الجبهة الشعبية (القيادة العامة) على كريات شمونة ، الى أي حد يستطيع الفلسطينيون تخريب أي حل لا يرضون به ، والى أية درجة يستطيع هـذا الشعب أن يرتفع بمستوى تضحياته عندما يكون الحوار دائرا حول مصير وطنه . وما هو الضرر المادي والنفسي الذي يمكن ان تلحقه بالعدو طلائع هذا الشعب المسلحة والمنظمة والمعبأة سياسيا ، وخاصة اذا كانت تستند الى قواعد داخلية سرية، وقواعد خارجية محمية تعتبر من « المحرمات » لانها تستطيع الصد والرد ، ولا تتأثر بالردع ، ولا يمكن التعرض اليها دون المجازفة بتصعيد المعركة الى حد خطير . ومن المؤكد ان بحث الاسرائيليين عن حل ، مع تجاهل وجود الشعب الفلسطيني ، يعني الوقوع في خطأ تجاهل قوى الثورة الفلسطينية، في الوقت الذي تبدلت به ظروف المنطقة بشكل جعل هذه الثورة قادرة على الاستناد الى «هانوي عربية » ترتسم صورتها في دمشق يوما بعد يوم . **والتناقض الخامس** هو ان اسرائيل التي ترفض الانسحاب من الجولان ، تعرف ان المعركة المحدودة مع السوريين ستستنزفها ماديا ومعنويا دون ان تستطيع استنزاف السوريين، لان قوانين الاستنزاف المتبادل تؤكد ان الطرف الذي يشن حربا غير عادلة، ويطرح فكرة سياسية غير مقبولة من خصمه ، وغير مقبولة من قبل قطاع لا بأس به داخل معسكره نفسه ، يصاب بالاستنزاف المعنوي قبل الطرف الاخر الذي يشن حربا عادلة مبنية على فكرة سياسية تلاقي قبولا كاملا داخل معسكره ، وتلاقي شيئا من الصدى داخل معسكر خصمه. **والتناقض السادس** هو ان اسرائيل التي لا تلائمها حرب الاستنزاف عاجزة في الوضع الدولي والعربي الحالي عن تصعيد الحرب الى مستوى المجابهة الشاملة مع سورية ، لان سورية لن تبقى في هذه الحالة لوحدها ، بل ستنضم اليها مصر والعراق وعدد من القوى العربية الاخرى . ولقد كانت مصر واضحة في تهديدها الذي أطلقه وزير الخارجية المصري اسماعيل فهمي في نيويورك خلال مقابلة صحفية اجراها في ٤/١٥ واكد فيها ان بلاده سترد على اسرائيل اذا واصلت القوات الاسرائيلية تصعيد عملياتها الانتقامية ضد سورية ولبنان . ثم أضاف « ان الاسرائيليين يجازفون باعاقة اتفاق السلام بأكمله ، ولن نقف مكتوفي الايدي ونتركهم يوجهون الضربات ضد لبنان وسورية » (النهار ٤/١٦) . **والتناقض السابع** هو ان اسرائيل تكرر عند رفض الانسحاب ما طرحته قبل الحرب الرابعة ، ولكن الاوضاع الحالية لا تدل ابدا على ان الاوضاع الداخلية في البلدان العربية واسرائيل مماثلة لاوضاع ما قبل الحرب . وتذكر صحيفة **الفيغارو** (٣/٢٨) « لا نعلم جيدا ماذا يجري داخل البلدان العربية ، سوى ان حرب الغفران قد دعمت هيبة جميع الحكومات الموجودة في السلطة، أما في اسرائيل فان الامر معاكس لذلك ». والحقيقة ان الوضع الداخلي الاسرائيلي مهزوز من أعماقه، فحركات الاحتجاج تتصاعد ، والجماهير ناقمة على القيادة المتكلسة الهرمة التي تحدثت طويلا عن الامن ثم قادت البلاد الى الهزيمة ، والقيادة السياسية المدانة مختلفة متصارعة ، والدولة بلا حكومة ، والجيش بلا قيادة موثوقة ، ونظرية الامن مصابة بشرخ عميق . ولقد عبر دايان عن الوضع في اسرائيل خلال اجتماع عقده اعضاء كتلة رافي في حزب العمل بتاريخ ٤/٩ عندما قال « ان ثمة هزة أرضية سياسية في الدولة » (ر.ا.ت. عدد ٥٠٧). وليس من المنطق في شيء ان تطرح الدولة الصهيونية مطالبها والارض ثابتة تحت اقدامها ، ثم تعود الى طرح المطالب نفسها والارض تميد من تحتها .

وتعرف القيادة السورية هذه التناقضات السبعة في الموقف الاسرائيلي ، لذا فهي تتجاهله ، وتتابع سيرها وفق خطها المتشدد السابق « كل شيء او لا شيء » متجاهلة الدعوات المطالبة بالتساهل واللين في مسألة فصل القوات . ولقد رد الرئيس السوري الفريق حافظ الاسد على اتهامات البعض بالتصلب عندما خطب في السابع من شهر نيسان (ابريل) قائلا : « اذا كان التمسك بكرامة الامة يعني تصلبا ، اذا كان النضال من أجل تحرير الارض ورفض الاحتلال يعني تصلبا ، اذا كان الموقف الكريم في الدفاع عن الوطن يعني تصلبا ، اذا كان العمل لرفض الهزيمة يعني تصلبا ، اذا كان كل ذلك يعني التصلب ، فنحن مع هذا التصلب » (**الثورة** السورية ٤/٨) .

ويستند التصلب السوري الى ارضية ايديولوجية راسخة ودعم جماهيري قوي ، ومجموعة من العوامل العالمية والعربية . ولكن له بالاضافة الى ذلك مرتكزات عسكرية هي : ١ — حساسية

الجيب الاسرائيلي وقدرة السوريين على تسديد الضربات الى مجنباته ومؤخراته ، وتهديد طرق مواصلاته ، او قطعه عن قاعدته بهجوم مزدوج من الشمال والجنوب (كماشة) وأسر القوات الاسرائيلية المحشورة فيه ، ٢ — وجود القوات السورية على خط دفاعي لا يمكن اختراقه الا جبهيا (وهذا أصعب أنواع الخرق وأكثرها كلفة) واستناد هذا الخط المحصن على ارض وعرة صالحة للدفاع ، ولا تتدم أي مجال للمناورة ، وتحرم الاسرائيليين من استخدام أساليبهم في حرب الحركة ، ٣ — قدرة السوريين على التصعيد باستمرار ، لان التصعيد ونقل الحرب من مستوى الاشتباكات الى مستوى الحرب الشاملة سيدفع مصر والعراق الى دخول المعركة المصيرية ، وسيجعل الجماهير العربية في الدول النفطية تدفع حكومات هذه الدول نحو العودة الى سياسة حظر النفط او اللجوء الى سياسة أكثر راديكالية ، ٤ — عدم رغبة اسرائيل في التصعيد الى مستوى الحرب الشاملة حتى لا تستنفر القوى العربية البعيدة الان عن بؤرة الصدام ، ٥ — ضعف قدرة اسرائيل على الرد بواسطة السلاح الجوي بعد ان تضاءلت قدرة هذا السلاح على العمل بفضل شبكة الصواريخ ارض — جو ، وتدني قدرته على الردع بفضل امتلاك الدول العربية لصواريخ تكتيكية متوسطة المدى ، وصواريخ استراتيجية بعيدة المدى .

لهذا كله تصلب الموقف السوري ، وصعد السوريون العمليات عدة مرات كان اولها في يوم ٣/٢١ عندما نقلوا ضرباتهم النارية من مواقع العدو في جيب ١٩٧٣ الى مواقع معادية في اراضي الجولان المحتلة خلال حرب ١٩٦٧ ، ثم عادوا الى التصعيد نحو « عتبة » جديدة في ٤/٦ عندما لم يكتفوا بالمبارزة بنيران المدافع والدبابات والصواريخ المضادة للدبابات ، بل دفعوا دورية نحو قمة جبل الشيخ واحتلوها وهددوا مجنبة الوضع الاسرائيلي اليسرى ، ولقد رد العدو على هذا التصعيد بتصعيد ناري عن طريق استخدام الطيران لقصف المواقع السورية الجديدة ، وكان الطيران يأتي على ارتفاع منخفض فوق الاراضي اللبنانية مختفيا وراء جبل الشيخ ومحميا من رصد الرادارات وضربات الصواريخ ، ثم يظهر فجأة فوق مسرح المعركة ، ويقصف المواقع ، وينسحب وراء الجبل من الطريق الآمن نفسه ، دون ان تتمكن الرادارات من كشفه والانذار عن وجوده بشكل يسمح للمطاردات بالتصدي له . ولقد استمر استخدام الطيران على هذا النحو في ايام ٦ و٧ و٨ نيسان (ابريل) وفي اليوم الثالث أصابت وسائط الدفاع السورية طائرة فانتوم سقطت في جنوب لبنان وأسرت السلطات اللبنانية طياريها. وتوقف القصف الجوي بعد ذلك عدة ايام . وفي يوم ١٢ دفع السوريون قوات جديدة لاحتلال مواقع مشرفة وحاكمة في جبل الشيخ ، ودارت معارك عنيفة بين القوات البرية السورية المدعومة بالمدفعية ، والقوات الاسرائيلية التي تدخل الطيران لدعمها . وفي يوم ١٣ أسقطت وسائط الدفاع السورية ثلاثا من طائراته هوت داخل الارض المحتلة . ولا تزال معارك جبل الشيخ (٢٨١٤ مترا) دائرة حتى اليوم، وهي عبارة عن معارك وحدات صغرى للسيطرة على مواقع وقمم وسط جو قاس . ولقد حقق السوريون في هذه المعارك عددا من النجاحات ، وحرروا بعض المواقع ، ويتمتع هذا الموقع بأهمية بالغة لان سيطرة السوريين عليه ستجعلهم قادرين على تهديد جناح القوات الاسرائيلية الايسر ، وستعطيهم ميزات كبيرة في الرصد الارضي ، وستسمح لهم بوضع أجهزة الرصد والانذار الكفيلة بحرمان الطيران الاسرائيلي من امكانية التسلل وراء جبل الشيخ ، والظهور فوق ساحة المعركة بشكل مفاجيء .

ان معارك الجولان مستمرة حتى اليوم ، ومعارك جبل الشيخ تزداد حدة ، ويتدخل الطيرانان السوري والاسرائيلي في القتال . ويحاول الطيران المعادي استخدام البالونات الحرارية كوسيلة لتحييد الصواريخ المضادة بدلا من حزم الشفرات الزجاجية التي كانت تستخدمها من قبل لهذا الغرض . بيد ان تساقط الطائرات الاسرائيلية يدل على ان هذه الوسيلة لم تجد الحل الكامل لتحييد صاروخ سام — ٦ (أحد أبطال حرب تشرين الاول) .

وبالرغم من تصاعد العمليات في الجولان ، ولجوء سورية الى العمل العسكري كعامل ضاغط على حكومة العدو المترنحة بعد ظهور تقرير « اغرانات » وكشف التقصير وتوزيع المسؤوليات وتبادل الاتهامات ، فقد عمدت دمشق الى ارسال وفد عسكري برئاسة العميد حكمت الشهابي رئيس الاستخبارات العسكرية الى واشنطن ، للاطلاع

على مشروع دايان ، وتقديم المقترحات السورية الى وزير الخارجية الاميركي . ولقد وصل الوفد السوري الى الولايات المتحدة في ٤/١١ في الوقت الذي وصلت به انبـاء استقالة وزارة مائير . واجتمع الوفد مع وزير الخارجية الاميركية عـدة اجتماعات ، اطلع فيها على المشروع الاسرائيلي ، وقدم مشروعا سوريا لم تعلن تفاصيله بعد ، ولكن صحيفة **النهار** (٤/١٧) ذكرت نقـلا عن **النيويورك تايمس** ان الحكومة السورية تصر « على انسحاب اسرائيل ليس من كل الاراضي المحتلة في الحرب الاخيرة فحسب ، بل ايضا من نصـف الاراضي السورية التي سبق ان احتلتها القوات الاسرائيلية خلال حرب حزيران ١٩٦٧ . وترفض سورية كذلك وجود قوات طوارىء دولية في المنطقة وتأمل في انشاء « منطقة محرمة » يرابط فيها مراقبـون دوليون » .

ان كيسـنجر الذي قرر القدوم الى الشرق الاوسط في اواخر نيسان (ابريل) بدا متفائلا من امكانية التوصل الى تضييق الهوة بين الموقفين السوري والاسرائيلي ، ولكنه لم يستطع نقل تفاؤله الى الاسرائيليين الذين يعتبرون ان الموقف السوري لا يقبل التزحزح ، وان التوصل الى اتفاق مع سورية لن يتم بسهولة ابدا . ففي ٤/١٢ صرح مردخاي‌فور قائد المنطقة الشمالية (الذي غدا رئيسا لاركان الجيش الاسرائيلي في ٤/١٥) « ان تقديرات اسرائيل الاساسية هي ان سورية تعتقد انه دون حرب واسعة لا مجال لتحقيق رغباتها ، وان هذا التقدير يعتمد على معطيات مختلفة . فان اطـلاق النار والاشتباكات في الجبهة الشمالية ، نتيـجة لسياسة سورية ، للتفاوض في موسكو وواشنطن، بينما النار مشتعلة في الجبهة ، ولا نعلم اذا كانت سورية ستشن الحرب قبل بدء المفاوضات او بعد ان تصل المفاوضات الى مرحلة معينة » (ر.ا.ع. عدد ٥٠٩) . وسورية نفسها لا تخفي ذلك ، فلقد حددت لنفسها هدفا سياسيا لا بد من بلوغـه (تحرير الارض ، وحصول الشعب الفلسطيني على حقوقه) ، وهي لا تمانع في استخدام الاساليب السياسية للحصول على هذا الهدف ، ولكـن استخدامها الأساليب السياسية لا يعني تخليها عن السلاح ، بل يعني امكانية استخدام السـياسة والقتال بتناوب مدروس حتى يتحقق الهدف الذي حدده الرئيس حافظ الاسد في خطاب ٤/٧ بقوله « انه الحل المشرف الكريم ، الحـل الذي يضع الامور في نصابها ، الذي يحقق العدل ، ولا شيء غير العدل » (**الثورة** السورية ، ٤/٨) . وقد يتحقق هذا الحل بفضل المساعي السياسيـة المصحوبة بالضغط العسكري ، وقد يتطلب بلوغه تصعيد القتال نحو « عتبات » جديدة في حرب الاستنزاف ، او العودة الى حرب شاملة تجمع العرب من جديد تحت لواء المعركة ، ولكن من المؤكد ان الوصول اليه بالعمل السياسي وحده أمر مستحيل ، لانه يتناقض مع الفهم العلـمي لحقيقة الدولة الصهيونية كما عرفناها طوال ٢٥ عاما .

المقدم الهيثم الايوبي

ملحق القضية الفلسطينية عسكريـــا

أبعـــاد استقالة يسرائيل تال

اثارت قضية استقالة الجنرال يسرائيل تال ، نائب رئيس الاركان في الجيش الاسرائيلي يوم ٢٠/ ١٩٧٤/٣ ردود فعل مختلفة لدى معظم الاوساط ، فقد عبرت جريدة هآرتس (١٩٧٤/٣/٢١) عـــن أسفها « لان وزير الدفاع لم يجد وسيلة لمنع الاستقالة » واعتبرت استقالته تطورا « لن يقضي على الغليان القائم داخل الجيش الاسرائيلي ، ولن يزيد الثقة في قيادة أجهزة الامن » . وطالبت كتلة ليكود والجبهة الدينية التوراتية طرح موضـــوع استقالة تال للمناقشة العاجلة في الكنيست . وقال عضو الكنيست الحالي ، والعميد الاحتيـــاطي اريئيل شارون ردا على سؤال عن رأيه في استقالة العميد تال ، « انني انظر الى استقالة تال بخطورة بالغة » (ر.١٠.١. العدد ٤٩٥) فمن هو يسرائيل تال ، وما هي المعاني الخفية لاستقالته التي أحدثت كل ردود الفعل هذه .

ولد يسرائيل تال في كيبوتز محانايم عام ١٩٢٤ في فلسطين المحتلة ، والتحق في السادسة عشرة من عمره بالهاغاناه ، وتطوع بعد سنة من ذلك في الكتيبة الثانية من الفيلق اليهودي التابع للجيش البريطاني . ورقي اثناء عمله مع الجيش البريطاني الى رتبة رقيب في سرية الرشاشات . وخدم مع البريطانيين طيلة خمس سنوات ، أثرت الى حد بعيد على سلوكه وتفكيره اثناء خدمته في الجيش الاسرائيلي ، وبعد تسريحه من الجيش البريطاني التحق مجددا بالهاغاناه وتدرج في المنـــاصب العسكرية حتى أصبح نائبا لقائد سلاح المدرعات، ثم رقي الى رتبة قائد لواء مدرع . وفي عام ١٩٦٤ عين قائدا لسلاح المدرعات .

أطلق على تال في السنوات التي تلت توليه المنصب الاخير اسم « ابو المدرعات » او « مستر ارمور » حسب التعبير الاسرائيلي . وكان اول من استخدم الدبابات في الاشتباكات مع القـــوات السورية . وكانت له اليد الطولى في بناء هذا السلاح وتطويره وادخال النظام البريطاني اليه . وقد وصفه شارون بأنه « يعتبر خبيرا من الدرجة الاولى في مجال المدرعات في العالم الغربي ، سواء في المانيا ، او في الولايات المتحدة » (ر.١٠.١. العدد ٤٩٥). وقد حاز على «جائزة أمن اسرائيل» مرتين لخدماته في تحسين التسليح الاسرائيـــلي وتطويره .

ولم تعلن اسباب استقالة تال الاخيرة ، الا ان الاحاديث والتعليقات التي قدمها المعلقـــون الاسرائيليون تلقي بعض الضوء على دوافع هذه الاستقالة ، التي ترتبط ارتباطا وثيقا بحرب تشرين الاول (اكتوبر) ، وبما كشفته هذه الحرب من حقائق . ولكن هناك بالاضافة الى ذلك خلفيات اخرى قبل اندلاع حرب تشرين ، فلقد حاول تال الاستقالة عام ١٩٦٩ ، على اثر خلاف حاد بين ديان وبارليف من جهة ، وتال من جهة اخرى . وذلك حين قررت القيادة الاسرائيلية بناء خط بارليف على قناة السويس ، الامر الذي عارضه تال بشدة على اساس ان افضل دفاع هو الدفاع المبني على قوات مدرعة ضاربة و « ان التحصينات ليست سوى دبابات مجردة من جنازيرها » (فيغـــارو ١٩٧٤/٣/٢١). ولكنه ما لبث ان سحب استقالته بناء لطلب وزير الدفاع .

ومن جهة اخرى كشفت احاديث شـــــارون وهرتسوغ ان للاستقالة علاقة بالوضع القـــائم في « جيش الدفاع الاسرائيلي » ، وبطبيعة العلاقات بين القادة في الاعوام الاخيرة ، خاصة الاعوام التي تلت حرب حزيران . وهذا يشير بشكل خاص الى ان حرب حزيران قد خلقت قادة مقدسين لم يكن بالامكان انتقاد اسلوبهم في العمل وفي التفكير، او مناقشتهم في ذلك . ويبدو انهم كانوا يتصرفون على هذا الاساس ، الامر الذي أوجد طريقتين متناقضتين تماما في العمل . تتمثـــل الاولى في التخطيط المنطقي السليم او التوصيات العقلانية المدروسة لقائد عادي يعيش في الظل ، « ولم يدل قط بحديث صحفي » (فيغارو ١٩٧٤/٣/٢١)، او هو نال حظا قليلا من الامجاد ، لم تؤثر على اتزانه وقدرته على التخطيط ، مثل يسرائيل تال . وتتمثل الثانية في التخطيط الطوباوي المبني على الثقة الزائدة في النفس ، وعـــلى السكر بخمرة الامجاد ، لقيادة لا يهمها النظر الى المستقبل بقدر ما يهمها التأمل في روعة الماضي . مثل قيادة ديان .

ولم يكن هذا التناقض ليأخذ شكل القطيعة التامة لولا حرب تشرين ، وما اثبتت من سلامة توصيات تال ، وزيف التخطيط الاستراتيجي الاسرائيلي كله، خاصة فيما يتعلق بخط بارليف .

وليس ما تقدم فحسب هو سبب الخلاف بين تيار تال ، وتيار ديان . بل ان هناك أسبابا أخرى ، مثل اتهام تال لديان بتسييس الجيش . وما حدث في الحرب الاخيرة . فلا شك ان تال قد تأثر بسبب الخسائر الكبيرة التي مني بها سلاح المدرعات — الذي بناه هو — أكثر من أي سلاح اخر . فقد دمر أكثر من نصف المدرعات الاسرائيلية في الحرب ، وكان من الممكن ان تسحق المدرعات العربية كل المدرعات الاسرائيلية لولا سلاح الطيران الاسرائيلي الذي حقق بعض التوازن في القوة على الجبهة . ودفع ثمن ذلك العديد من الطائرات . فعلى هضبة الجولان مثلا دمر سلاح الطيران الاسرائيلي اكثر من نصف خسائر سورية من الدبابات ، ولولا ذلك لسحقت الدبابات السورية كل القوى الاسرائيلية على الهضبة ، و«مأساة» سلاح المدرعات الاسرائيلي لم تكن وليدة الصدفة ، وظهر ذلك في حديث شارون ، الذي أشرنا اليه ، حين قال « وينبغي هنا ان نطور الفكر العسكري والنظريات القتالية ، وينبغي ان نعود ونتفوق على عدونا في المعارك الليلية » . وهذا هو بالضبط أحد أسباب خسائر الاسرائيليين في المدرعات . ففي حين طورت القوات العربية قدرتها على القتال الليلي خاصة ضد الدروع ، وظهر في تزويد الدبابات العربية بمعدات الرؤية الليلية بالاشعة تحت الحمراء . وفي استغلال الليل لاعادة تنظيم القوات لتكون جاهزة للقتال عند الفجر ، وفي الاستفادة من الظلام لتحسين المواقع ، او مهاجمة العدو . وفي استخدام معدات متطورة جدا للرؤية الليلية مثل المناظير التي تعمل بتكثيف أشعة النجوم ، وتزويد قواذف ر.ب.ج — ٧ والمدافع المضادة للدبابات من عيار ٨٥ ملم بها . مقابل هذا كله نجد ان القوات الاسرائيلية بقيت تحارب في الليل بالوسائل التي حاربت بها في حرب حزيران . وربما كان هذا السبب بالذات هو الذي حرك مجموعات الجنود المسرحين ، والذين يتكونون في معظمهم من جنود سلاح المدرعات ، ضد الحكومة الاسرائيلية، وضد موشي ديان بالذات . فقد ازداد حجم سلاح المدرعات بشكل كبير خلال السنوات التي تلت حرب حزيران ، الا ان من الواضح ، كما أظهرت المعارك التي خاضها ، انه لم يتطور ولم يحسن تكتيكاته وأجهزته ومعداته . صحيح ان يسرائيل تال هو الذي اختط تكتيك القتال بالمدرعات فقط ، « كأنها سفن في البحر » (فيغارو ١٩٧٤/٣/٢١) ، دون حماية المشاة . وهذا التكتيك بالذات ادى الى تدمير اللواء الاسرائيلي المدرع ١٩٠ على جبهة قناة السويس . ولكن هذا التكتيك رسم في فترة لم يكن للاسلحة المضادة للدروع فيها فعالية مماثلة لفاعليتها الحالية . وكان من الواجب تركيز الجهود على تطوير اساليب القتال بعد ان تطورت الاسلحة المستخدمة في القتال ، ولكن بدلا من ذلك تركزت جهود القيادة الاسرائيلية على استبدال المدافع في معظم دباباتها بمدافع من عيار ١٠٥ ملم، واستبدال المحركات الانجليزية (تعمل بالبنزين) بأخرى امريكية (تعمل بالمازوت) . ويحتمل ان يكون تال قد حذر القيادة الاسرائيلية من ذلك ومن الاسلحة المضادة للدروع ، والتي لم يكن استخدامها ضد الاسرائيليين جديدا . فقد استخدمها الفدائيون في عملياتهم بعد معركة الكرامة بقليل وما زالوا يستخدمونها ، واستخدم السوريون صواريخ من طراز ساغر المضادة للدبابات في الفترة التي سبقت الحرب ، وبالتالي فان التعلل بان هذه الاسلحة قد استخدمت بكثافة غير متوقعة هو امر يدعو الى السخرية ، ويظهر مدى عجز القيادة الاسرائيلية ، ويبرر اهتزاز صورة وزير الدفاع لدى تال ، وشعوره بخيبة الامل .

وكانت الاجواء التي سادت بعد الحرب ، والطريقة التي عومل بها « أقدم عميد في الجيش الاسرائيلي » دوافع اخرى تضاف الى الدوافع الاساسية ، فبعد الحرب مباشرة عين تال قائدا للمنطقة الجنوبية ، الا ان خدمته هناك لم تطل فقد اصدر اليه ديان تعليمات معينة رأى تال انها غير واضحة بما فيه الكفاية ، وعندما طلب من ديان ان يشرح له التعليمات ، رفض . عندها رفض تال بدوره تنفيذ تلك التعليمات . فسحب من قيادته وعين نائبا لرئيس الاركان ، « وهذه مهمة لا قيمة لها ، بل هي منصب شرف لا مسؤولية فيه او صلاحية للتصرف » حسب قول العميد احتياط متياهو بيليد . (ر.ا.ا. العدد ٤٩٣) .

وهذا يعطي صورة اخرى عن الوضع داخل المؤسسة العسكرية الاسرائيلية وسببا آخر للغليان

داخلها . ويدخل في اطار هذه الصورة تداخل القيادة العسكرية والسياسية وطبيعة العلاقات بينهما . فقد تجاوز ديان رئيس الاركان وأصدر اوامره الى قائد احدى المناطق . هذا رغم ان « لجنة اغرانات » قد تجاهلت هذه الحقيقة حين فصلت الاخطاء العسكرية المتعلقة بالحرب عن الاخطاء السياسية وحققت في الاولى متجاوزة وزير الدفاع ، حين أصدرت تقريرها فيما بعد . ويدخل في الاطار ايضا قضية المناصب الصورية ، او المناصب عديمة الصلاحية ، وقد تساءل العميد احتياط متياهو بيليد حول هذه النقطة بقوله « ما الذي حدث حتى أصبحت مهمة نائب رئيس الاركان لا قيمة لها ؟ » (ر.ا.ا. العدد ٤٩٣) . وهل ان للامر علاقة بتمركز كل السلطات المتعلقة بالامن في يد وزير الدفاع ؟

كل هذه الامور توضح معاني استقالة تال ، وقضيته كما وصفها زئيف شيف « هي مرآة للاهتزاز والغليان في القيادة بعد حرب يوم الغفران » . (هآرتس ١٩٧٤/٣/٢٢) . فقد تغذت استقالته بالمرارة بسبب الحرب ، وتفجرت بسبب تصرفات وزير الدفاع ديان ، الذي جمع كل السلطات في يده قبل الحرب، واعتبر نفسه فوق هذه السلطات، بعدها . والذي تشبث بالسلطة رغم كل ما حدث ، ورغم الحركات التي قامت ضده، ليس من المعارضة فحسب بل من اعضاء حزبه ، وقد أشار بنحاس سابير الى ذلك بقوله « لقد كانت أقوال ديان وتصرفاته مستفزة في نظري منذ جلسة الحكومة الاولى بعد صدور تقرير لجنة اغرانات ، حين قرأ اللواء دافيد العازار رئيس الاركان رسالته وعبرت رئيسة الحكومة والجميع في الجلسة عن أسفهم لهذه النتيجة . ولم أفهم ، في حينه ، كيف انه يتوجب اقالة او استقالة جنود وزير الدفاع ، مثل رئيس الاركان ، وقائد المنطقة الجنوبية ، ورئيس الاستخبارات وبعض ضباطه ، بينما الوزير نفسه لم يقل أي شيء امام الحكومة . بل انه لم يعبر حتى عن أسفه لما حدث » . « ... كذلك عندما تكلم ٢٧ عضوا في جلستي اعضاء ماباي سابقا ، كان من بينهم ٢٣ عضوا على الاقل طالبوا باستقالة ديان ». (ر.ا.ا. العدد ٥١٠) .

لقد عاصر تال بناء الجيش الاسرائيلي ، وعمل على بناء القوة الثانية في الجيش بعد سلاح الطيران . وبلغ الجيش الاسرائيلي اثناء خدمته اوج « أمجاده » حتى عام ١٩٦٨ وربما ايضا عام ١٩٦٩ ، ويحتمل انه رأى بداية سقوط هذا الجيش ، دون ان يكون في مقدوره عمل شيء ، حين قدم استقالته للمرة الاولى عام ١٩٦٩ بسبب خلافه مع ديان وبارليف حول الخط الدفاعي على قناة السويس . ويحتمل ان يكون قد خدع نفسه بالامال من ان القوى العربية المعادية ليست أهلا للحرب كما كان يعتقد دافيد اليعازر ، وموشي ديان، وانه مهما تدنى مستوى المؤسسة العسكرية الاسرائيلية سوف تبقى سيدة الموقف المسيطرة على زمام الامور في المنطقة . ولكن حين اندلعت الحرب الاخيرة ، وانهارت كل النظريات الاستراتيجية الاسرائيلية، وظهر خطأ معتقدات القيادة الاسرائيلية المتعلقة بقدرة العرب القتالية ، انتظر تال عدم عودة وزير الدفاع ديان الى الحكم في الحكومة الجديدة على اساس انه المسؤول عما حدث ، وحين عاد اعتبر تال «ان ليس بالامكان حصوله على منصب رئيس الاركان ، وبدا وكأن الحكومة ووزير الدفاع يريدان منع اجراء اصلاحات جذرية في الجيش » (فيغارو ١٩٧٤/٣/٢١) فقرر الاستقالة وقفز من المركب الموشك على الغرق .

هشام عبدالله

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٣/١٦ — ١٩٧٤/٤/١٥

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	جريح	مفقود	المصدر: البلاغ العسكري	تاريخه
١	٣/١٦	—	رحوفوت/تل ابيب	القاءقنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد	تدمير واجهة مركز الشرطة واعطاب عدد من السيارات العسكرية	—	—	—	رقم ٧٤/٥٣	٣/١٦
٢	٣/١٢	—	جنين	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير أعمدة اسلاك الهاتف	—	—	—	رقم ٧٤/٥٤	٣/١٦
٣	٣/١٦	—	بين برقة وجنين	كمين	الاسلحة الخفيفة والمدافع الرشاشة	غيرمحدد	اصابة باص لشركة ايجد بأضرار	—	—	—	رقم ٧٤/٥٤	٣/١٩
٤	٣/٢٠	١٩٤٠٠	رمات جان	تفجير	عبوات ناسفة وحارقة	غيرمحدد	تدمير محلات للالعاب في شارع بتاح تكفا/تل ابيب	—	—	—	رقم ٧٤/٥٦	٣/٢١
٥	٢/١٥	—	القرارة/خانيونس	القاءقنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد	اصابة احدى مقطورات قطار بأضرار	—	—	—	رقم ٧٤/٥٧	٣/٢٤
٦	٢/٢٣	٢٣٤١٥	بين الشيخ زويد والعريش	تفجير	شبكة الغام	غيرمحدد	تدمير باص لشركة ايجد تدميرا تاما واعطاب سيارة اخرى	—	—	—	رقم ٧٤/٥٧	٣/٢٤
٧	٢/١٩	—	رفح	القاءقنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد	اعطاب سيارة باور واجن واشعال النيران فيها	—	—	—	رقم ٧٤/٥٧	٣/٢٤
٨	٣/ ٦	—	مستعمرة الرابية/ غزة	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير مضخة المياه الرئيسية	—	—	—	رقم ٧٤/٥٧	٣/٢٤
٩	٣/ ٧	—	جباليا	القاءقنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد	اصابة افراد دورية	—	—	—	رقم ٧٤/٥٧	٣/٢٤
١٠	٣/٢١	٩٤٠٠	خانيونس	تفجير	شبكة الغام	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	رقم ٧٤/٥٧	٣/٢٤
١١	٣/٢٨	٢٣٤٠٠	حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اشعال النيران فينادي باسيلي	—	—	—	رقم ٧٤/٥٨	٣/٢٩
١٢	٣/١٦	—	جنين	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير كابلات الهاتف	—	—	—	رقم ٧٤/٥٩	٣/٣١
١٣	٣/٢٠	—	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير كابلات الهاتف	—	—	—	رقم ٧٤/٥٩	٣/٣١

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة استشهد	جرح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
١٤ —	٣/٣٠	—	بين طولكرم ونابلس	هجوم	رشاشات وقنابل يدوية	غيرمحدد	اصابة سيارة عسكرية واشعال النيران فيها	—	—	—	رقم ٧٤/٦٠	٤/١
١٥ —	٤/ ٢	٨٠٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مبنى سكن للمخابرات في حي البقعة	—	—	—	رقم ٧٤/٦١	٤/٢
١٦ —	٤/ ٤	١٦٠٣٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اشعال النيران في أحد المخازن الكبرى للالبسة	—	—	—	رقم ٧٤/٦٢	٤/٥
١٧ —	٤/ ٤	٢١٠٠٠	بين القدس وبئر يعقوب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اعطاب باص لشركة ايجد	—	—	—	رقم ٧٤/٦٣	٤/٥
١٨ —	٤/ ٥	١٦٠٠٠	بين تل ابيب وزخرون يعقوب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير اوتوبيس	—	—	—	رقم ٧٤/٦٤	٤/٦
١٩ —	٤/ ٤	١٥٠٣٠	غزة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اشعال النيران في مصنع كارني لتشميع وتعبئة الحمضيات وتدمير بعض سيارات النقل	—	—	—	رقم ٧٤/٦٥	٤/٦
٢٠ —	٤/ ٣	—	نابلس	القاءقنبلة	قنبلة يدوية	غيرمحدد	اعطاب سيارة عسكرية	—	—	—	رقم ٧٤/٦٦	٤/٦
٢١ —	٤/ ٦	—	القدس	تفجير	عبوات حارقة	— —	اشعال النيران في مبنى الاتحاد العام للعمال واتلاف محتوياته	—	—	—	رقم ٧٤/٦٧	٤/٧
٢٢ —	٤/ ٧	—	غزة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة مبنى بنك الديسكونت باضرار	—	—	—	رقم ٧٤/٦٨	٤/٨
٢٣ —	٤/١١	٦٠٠٠	كريات شمونة	هجوم	أسلحة مختلفة	١٨ ١٦	تصدع ١٧ مسكنا	٣	—	—	وفا ٤/١١ والى الامام عدد ٤٥٣	٤/١٢

٢٤ — ٤/ ٤	—	بين القدس والخليل	كمين	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	—	—	—	اعطاب سيـــــارة لاندروفر عسكرية محملة بالجنود	رقم ٧٤/٦٩ ٤/١٢
٢٥ — ٤/ ٧	—	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	—	—	—	اصابة محلات للالعـــاب في المحطة المركزية بأضرار	رقم ٧٤/٧٠ ٤/١٢
٢٦ — ٤/ ٦	—	بين رام الله والنبي يعقوب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	—	—	—	اصابة واعطاب باص لشركة ايجد ينقل جنودا	رقم ٧٤/٧١ ٤/١٢
٢٧ — ٤/ ٨	—	هرتسيليا	اقتحام	أسلحة مختلفة	١	—	—	—	قتل ضابط المخابرات يوسف طوليد في منزله	رقم ٧٤/٧٢ ٤/١٢
٢٨ — ٤/١٠	—	وادي القفاح/نابلس	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	—	—	—	اعطاب باص لشركة ايجد واشعال النيران فيه	رقم ٧٤/٧٣ ٤/١٣
٢٩ — ٤/١٢	—	تل‌ابيب	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	—	—	—	—	اشعال النيران في معمـــل لصناعة اللحومات واصابة عدة متاجر اخرى بأضرار	رقم ٧٤/٧٤ ٤/١٣
٣٠ — ٤/ ٩	—	جنين	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	—	—	—	تدمير اجزاء من مكتب العمل الصهيوني واتلاف محتوياته	رقم ٧٤/٧٥ ٤/١٤
٣١ — ٤/١٠	—	غزة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	—	—	—	تدمير الطابق الاول من مبنى بنك لؤمي واصابة بـــاقي المبنى بأضرار	رقم ٧٤/٧٦ ٤/١٤
٣٢ — ٤/١٤	—	ناتانيا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	—	—	—	تدمير جزء كبير من مقصف الحديقة العامة	رقم ٧٤/٧٧ ٤/١٥

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٣/١٦ — ١٩٧٤/٤/١٥

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١	٣/٢٨	—	حيفا	تفجير	عبوات حارقة	—	—	اشعال النيران في نادي فاسيلي الليلي واحداث اضرار فيه	—	—	—	ن٠عدد٤٩٧ص٥٨٥	٣/٢٩
٢	٤/ ٢	٨٤٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	١	تحطيم زجاج الابنية في شارع كيبوتس جاليوت	—	—	—	ن٠عدد٥٠٠ص٥٤	٤/٢
٣	٤/ ٢	—	زرعيت/الجليل الاعلى	قصف	بازوكا وأسلحة رشاشة	—	—	—	—	—	—	ن٠عدد٥٠٠ص٥٤	٤/٢
٤	٤/ ٥	١٦٤٠٠	زخرون يعقوب	تفجير	عبوات ناسفة	١	٤	اصابة باص لشركة ايجد بأضرار	—	—	—	ن٠عدد٥٠٣ص١١٨	٤/٦
٥	٤/١١	٧٤٣٠	كريات شمونه	هجوم	أسلحة مختلفة	١٨	١٦	أصيب ١٧ مسكنا في المستعمرة بأضرار	٣	—	—	ن٠عدد٥٠٧—٥٠٨	١١—٤/١٢
٦	٤/١٢	—	ريشون لتسيون	تفجير	عبوات ناسفة	—	٢	اصابة سيارة بأضرار	—	—	—	ن٠عدد٥٠٨ص٢٧٨	٤/١٢
٧	٤/١٤	—	ناتانيا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تفجير عبوة في الحديقة العامة	—	—	—	ن٠عدد٥١٠ص٣٢١	٤/١٦
٨	٤/١٥	١٩٤٠٠	يافا	تفجير	عبوات ناسفة	—	١	اصابة باص بأضرار	—	—	—	ن٠عدد٥١٠ص٣٣٢	٤/١٦

ن٠ — نشرة رصد اذاعة اسرائيل التي تصدر يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

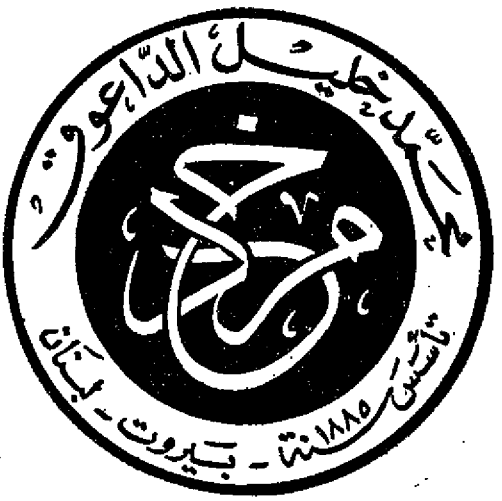

إستيراد وتصدير
لجميع أنواع الورق والكرتون
للمجلات والكتب

محمد خليل الداعوق

شارع المعرض ــ بيروت ــ لبنان
مكتب تلفون : ٢٣٤٦٤٥ ٢٢٨٠٤٢
مستودع تلفون : ٢٩٣٩٣٢

صدر المجلد السنوى السابع من

السياسة الدولية

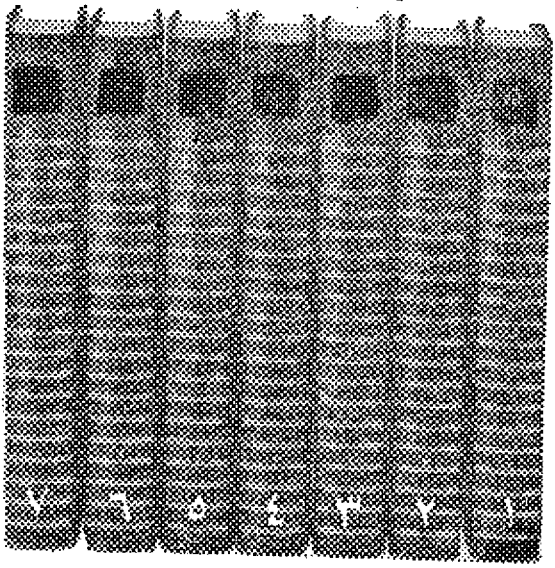

- مرجع عالمى للعاملين فى الحقل السياسى والدبلوماسى والإعلامى .
- المجلد مزود بفهرس تحليلى وفهرس للمعاهدات والاتفاقات الدولية .
- ١٠٠٠ صفحة ... الثمن ١٠٠ قرش
- يطلب من قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام ومكتبة الأهرام بشارع محمد فريد والمكتبات الكبرى فى الوطن العربى
- يضم الأعداد ٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦ الصادرة خلال عام ١٩٧١

رئيس التحرير
د. بطرس بطرس غالى

مدير التحرير
د. عبد الملك عودة

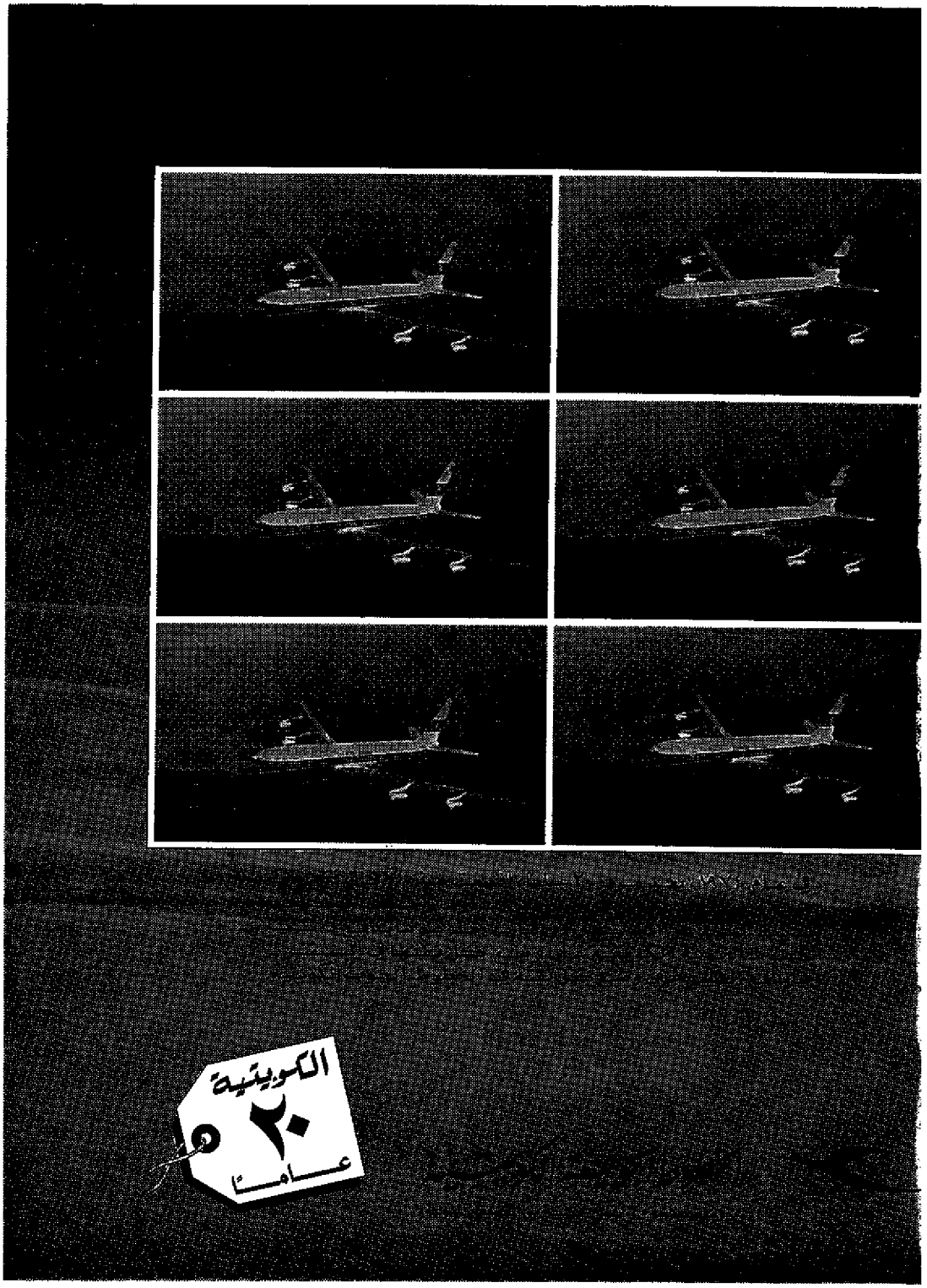
الكويتية
٢٠
عاماً